

مجلد المجمع لعلم العرب

(دمشق) تموز : سنة ١٩٢٩ م الموافق المحرم وصفر سنة ١٣٤٨ هـ *

تصحيح نهاية الإرب

اغلاط الجزء السابع

كنا نتبعنا الأجزاء الستة من هذا السفر النفيس الذي تصدره مطبعة دار الكتب المصرية فنشرنا أغلاطها في مجلد السنة السادسة (ص ٢٨ — ٤٩ — ١١٤ — ١٥٢ — ٢٠١ — ٢٥٧ — ٢٩٤ — ٤٠٦) ومجلد السنة السابعة (ص ٣٩٦) ثم تأخر صدور الجزء السابع نحو ثلاث سنين حتى جاءنا أمس فإذا هو في حالة من التصحيح والتعليق لم نأمن مثلها في الأجزاء الأولى مع فرط عنايتنا بمقابلة النسخة على نسخ أخرى واستخراج زبدة خالصة يرتاح لها النفس ويظمن إليها القلب . ومع هذا كله فقد عثرنا في هذا الجزء السابع على طائفة من الأغلاط رأينا من الفائدة نشرها في مجلدنا تكميلاً لعملنا السابق وخدمة لهذا الكتاب النفيس ومشايعة لمصححه الفاضل على حسن سعيه . فيكون لنا فضلة ما يستحقه من الثواب . كما يكون له منا ومن القراء كل شكر وثناء وإعجاب .

فمن الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء . وأمكنا الثفنن لصوابها ما جاء في :
صفحة ٣ مطر . (أقي صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلقاء . وأخرس النقصاء .
وفلّ حدّ المؤرخين) صوابه (المعارضين) والافانه لم يكن في بلاد العرب في زمنه صلى الله عليه وسلم طائفة من علماء التاريخ يكسر شوكة علمهم . وانما هم معارضون يفلّ حدّ معارضتهم .

ص ١٢ س ١ — (وقال أزدشير بن بابك) صوابه (أردشير) بالراء المهملة وهو

من الأغلط التي عمت بها البلوى . على ان (أردشير) كتب على الصحة في الصفحة ٢٧٣ من الكتاب .

ص ١٩ س ٦ — (فوصف نفسه تعالى جدّه بانّ عأمّ بالقلم . كما وصف به نفسه بالكرم) كلمة (به) مقحمة والصواب إسقاطها .

ص ١٩ س ٦ — (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) صوابه (ذلك) لان اعتدّ هنا بمعنى عدّ وهو يتعدى بنفسه .

ص ١٩ س ١١ — (فلينعم ربّها وإصلاحها) قوله (ربّها) اي ربّ الدواة ولعل الأيوب (ربّها) من الريّ : اي ان على الكاتب ان يعتني بتزوية دواته بالخيز ويتعهدها بسائر ضروب الاصلاح .

ص ٢٠ س ١٥ — (وترك الشكل على الخطأ) ضُبط (ترك) بالرفع والصواب جره عطفاً على (الكسوف) ليكون مما يتحرز منه الكاتب لا مما يحتاج اليه .

ص ٢٤ س ١ — قال في صفة أقلام (شاكنت الذهب في ألوانها . وضاعت الحرير في لمعانها . بطيئة الحفا . نمرّة القوي) صوابه (مُمرّة القوي) اسم مفعول من أمرّ الحبل فتله فتلاً شديداً . والممرّ الحبل المقتول كذلك . والقوي جمع قوة الطاقة من طاقات الحبل . والمراد وصف الأقلام بالقوة والصلابة واشتداد الأمر .

ص ٢٥ س ٢ — وقال في صفة الأقلام ايضاً (نثرت الواناً تُزري بورد الحدود . وأبدت قامات تُفصح بأود القدود) صوابه (تُفصح أود القدود . اي ان استقامة هذه الاقلام تجعل وتفصح ما في قدود الحسان من الأود والاعوجاج . وبذلك يحصل التماسك بين (تزري) و (تفصح) .

ص ٣٤ س ١٦ — سرد المؤلف ما يحتاج اليه الكاتب من الامور . ومنها معرفته للأحكام السلطانية « فانه قديماً امرّ باسم فيعرف منها (اي من الأحكام السلطانية) كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة) صوابه (الى حكم) لان فعل (خلص) بمعنى (وصل) وهو يتعدى بحرف الجر (الى) اي انه بمعرفته الأحكام السلطانية يهتدي قلمه الى حكم الشريعة ولا يضلّ عنها . ومن شواهد تعدية فعل خلص ما جاء في حديث البخاري من قول هرقل (فلو أعلم اني أخلص اليه لتجشمت لقاءه) ويحتمل ان يكون التحريف

فی (یخلص) ویکون أصلها یحض قلبه علی حکم الخ .

ص ۳۷ س ۷ - (یقع فیہ کالواقف بمکان غیرہ) لعل صوابہ یقف فیہ کالواقف الخ .
ص ۴۹ س ۱۲ - (مع طرح ذکر المشبه من البین لفظاً وتقديرًا) هكذا ضبطت
(البین) بتشديد الياء فعاقى المصحح علی ذلك قائلاً انه غير ظاهر ولعل صوابه « من
الشئين يريد الطرفين » . انول انما جاء الاشكال من تشديد ياء « البين » وهي غير
مشددة اذ هي (بين) مخففة الياء بمعنى وسط واكثر استعمالها ظرفاً وتستعمل اسماً فتدخل
عليها اللام فقوله (مع طرح ذكر المشبه من البين) اي من بين الكلام وتضاعيفه . نعم
قد يكون هذا الاستعمال من صنيع المولدين . ويظهر انه قديم من عهد المؤلف . وما زال
مستعملاً في كلامنا الدارج الى اليوم .

ص ۶۱ س ۱۴ - (بل جعل الانطلاق والبسط الخ) صوابه (بل جعل البسط)
باسقاط كلمة (الانطلاق) لان بيت الشعر الذي فيه كلمة الانطلاق وهو قوله :
(لا يالف درهم المضروب صرنا لك يمر عليها وهو منطلق)
لم يسبق له ذكر بعد . وانما ذكرت آية (وكلهم باسط ذراعيه بالوعيد) فلعل
البيت كان متقدماً فأخر سهواً أو ان الناسخ سبقه قلبه فكتب كلمة (الانطلاق) .
ص ۹۷ س ۱۶ - (حدا بابي ام الرئال فأجفلت نعامته من عارض متلب)
قال المصحح تعليقا على كلمة (متلب) حيف الاصل متلب وما اثبتناه عن كتاب
(حسن التوسل) اذ هو المناسب لما هنا ولعل ما سيفي الاصل مقلوب عن متلب اي متوقد
غيره وحمة . والمتلب المتحزم بالسلاح يريد المتعب للقتال اه قول المصحح . اقول كان
الواجب على المصحح وقد ارتقى نسخة (المتلب) ان يصحح كلمة (عارض) بفارس لان
الفارس هو الذي يتلب ويتحزم بالسلاح . أما وقد ابقى كلمة (عارض) على حالها -
والعارض هو السحاب المعارض في الأفق - فلم يبق في إمكاننا قبول كلمة (متلب)
وانما نعول على ما جاء في الاصل من كلمة (متلب) : فتكون (متلب) اسم فاعل من تهاب
اي انتسب الى آل المهلب لان الممدوح بالقصيدة هو المهلب بن ابي صفرة . او ان كلمة
التهاب محرفة عن (متهلل) والعارض المتهلل هو المتلألأ بلمعان البرق وانصباب المطر .
قال ابو كبير الهذلي يصف تأبط شرأ :

(واذا نظرت الى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل)
 وتمكن معرفة حقيقة الكلمة إن كانت (متهلل) او (متهلل) بالرجوع الى القعيدة
 التي منها البيت فيرى ان كانت بائية او لامية .
 ص ٩٨ س ١٢ — قول المتنبي :

(فقلقت بالهم الذي قلقت الحشا فلاقل عيش كلهن فلاقل)
 صوابه (فلاقل عيس) بالسين المهملة وهي النيباق . يقول انني حركت بسبب الهم
 الذي حرّك أحشائي فلاقل عيس اي ابلاً خفاناً في السير والضرب في البلاد . والا
 فان (العيش) ليس له فلاقل . ثم لا يحسن ان يرجع ضمير (كلهن) الا لفاقل الاول .
 على ان الشائع على ألسنة الناس (فلاقل عيش) بالمعجمة .
 ص ١٠٨ س ٦ — (فان زادت القرائن على اثنين) صوابه على اثنين لان القرائن
 جمع قرينة .

ص ١٢٥ س ١١ — ذكر المؤلف من أنواع البديع (عتاب المرء نفسه) وقال ان
 هذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم يُنشد (اي ابن المعتز) عليه سوى بيتين ذكر ان
 الآمدي أنشدهما عن الجاحظ . هذا ما قاله المؤلف وعلق عليه المصحح قوله : « ان الذي
 في نسخة تحرير التعبير (الآمدي) مكان (الآمدي) قال ولم نقف فيما بين ابدينا من
 المظان على ما يرجح احدي الروايين . اقول ولكن الظاهر ترجيح رواية الآمدي لأن
 (الآمدي) مات سنة ٣٧١ هـ وكان ابن المعتز مات قبله بنحو ٧٥ سنة اي في سنة ٢٩٦ هـ
 فكيف يروي عنه .

ص ١٤٠ س ١٥ — (هل لا سألت جموع كنه مدة يوم ولوا أين أيننا)
 صواب (هل لا) ان تكتب متصلة (هلاً) لانها أداة تحضيض . وهي في الاصل
 مركبة من (هل) و (لا) واذا دخلت على الماضي أفادت اللوم على ترك الفعل كما هنا .
 ص ١٥٩ س ١٥ — (اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قلبي . وتجمع بها امري .
 وتلم بها شعثي . وتصلح بها غايقي . وترفع بها شاهدي) . ثم قال المؤلف (فنادى صلى الله
 عليه وسلم بين قلبي وامري وغايقي وشاهدي الخ) ولكن اين المناسبة بين غايقي وشاهدي
 فصوابه اذا (وتصلح بها غايقي . وترفع بها شاهدي) وان المناسبة بين الغائب والشاهد

ظاهرة . كأنه قال أصل برحمتك باطني وظاهري . أو مري وعلائي . أو ما غاب عني فلم أستطع إصلاحه كما تصلح ما شهدته ووقع تحت حواسي .

ص ١٦٤ س ٩ - (وكان ابن عبيد الله قد اختلفت حاله) صوابه وكان عبيد الله بدليل قوله في السطر قبله (كقول عبيد الله) . ثم ان الرقم (١) ينبغي ان يوضع في السطر الذي قبله على قوله (عبيد الله بن عبد الله) .

ص ١٨٦ س ٨ - (وليكن ما نتختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل « نأل الله دفع المحذور الخ » قوله (بمثل) صوابه مثل باسقاط الباء لان مثل خبر (يكن) والمعنى وليكن ختام فصولك في هذا المقام مماثلاً لهذه الجملة . وليس الموضع هنا من المواضع التي تزداد فيها الباء لان الكون غير متني .

ص ١٨٨ س ٧ - (فتخير في الألفاظ ارجعها وزناً الخ) صوابه من الألفاظ وهو ظاهر .

ص ١٩٣ س ٨ - (وراق التوسيع فيه . وعذب بسط الكلام فيه) لعل الصواب التوسع منه وبسط الكلام فيه او التوسع فيه وبسط الكلام عليه . وبذلك يُجنب التكرار .

ص ١٩٥ س ١٠ - يصف استسلام عدو (فلاذ بالالتجاء الى رسلنا . وعاذ بآسناد الرجاء الى كفنا عنه رحمتنا) ضبط (اسناد) بكسر اده مصدر (أسند) ولكننا لا نرى المعنى يستقيم عليه فاعلم الصواب فتح همزة (أسناد) على انه جمع (سند) وهو ما يلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما : فالندو التجأ الى صلحنا فكان ذلك ملاذاً له وعاذ برجاء صلحنا عنه ورحمتنا فكان ذلك الرجاء سنداً وموتلاً له . ولكن ما قلناه لا يستقيم مع قوله (الى كفنا عنه) فاعلم أصله (من كفنا) ونكون (من) بافية أبانت المراد من أسناد الرجاء .

ص ١٩٨ س ١٥ - (استدرجنهم الى مصارعهم واستجربناهم ليقربوا في القتل من مضاجعهم) قال النصح لعل صواب (استجربناهم) (أجربناهم) يعني من الجري بمعنى العدو والركض . اقول بل لعل الصواب ان أصله (استجربناهم) يعني جربناهم وهو الماء . وبأقوله قبله استدرجنهم .

ص ١٩٩ س ١٧ - (وجر لنفسه بموالاة النصارى) كان عنه في غنى . وأوقع

روحه بمظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اوليائه من هنا ومن هنا (قوله بمظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه . أما ظافره بالظاء فلم نجد له اتي بمعنى عاونه . نعم اختلف علماء اللغة في (تظافروا) بالظاء من التفاعل هل يكون بمعنى (تضافروا) بالضاد اذا تعاونوا ؟ وعليه اقول هل صحة (التظافروا) تستدعي صحة (المظافرة) بمعنى المعارضة وان لم يذكرها في المعاجم . هذا فعل (التواصي) مثلاً ورد في فصح الكلام : فهل نحمل عليه فعل (المواصاة) فتستعمله بمعنى التوصية وان لم يذكره ؟؟ .

ص ٢٠١ س ٨ — ذكر المؤلف انه يجب أن يراعى في النقايد والمناشير والتواقيع امور (منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة اولقب صاحب النقايد) قوله (او الحال) لعل صوابه (او المال) لان تواقيع الملوك كما تصدر بالخالع والرنب تصدر ايضاً بالمال والصلاات .

ص ٢٠٤ س ١١ — (وأظللنا بواذر الفتوح . وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح) لعل صوابه (وأطلت على الاعداء) بالطاء المهملة لان (الايظلال) بالطاء المعجمة للرحمة والسيوف لا تظللهم برحمتها . وانما تطل عليهم بصواعق نقمتها . على أن فعل (الايظلال) انما يتعدى بنفسه لا بعلي .

ص ٢٠٥ س ١٥ — يصف العدو الذي استسلم (فأبصر بالخدمة . رغم رشده وأدرك بسعيه نافر سعيه) قوله (بالخدمة) صوابه (بالخذق) فان الخدق هو سبب إبصاره رشده . كما ان سعيه هو سبب ادراكه سعيه . اما (الخدمة) فانما تصح ارادتها على استكراه وتكلف .

ص ٢١٤ س ١٥ — يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابا بكر أرسلها الى سيدنا علي : (هي والله من بنات الحقائق . ومخبات الصنادق) صوابه (من بنات الحقائق ومخبات الصناديق) اما الحقائق فجمع حقيقة . وهي بمعناها العلمي قلما استعملها اهل اللسان في ذلك العهد . فصوابها اذاً (الحقائق) بكسر الحاء جمع (حُقة) بضمها وعاء من عاج او خشب تصان به الطيوب والجواهر . والصندوق معروف وجمعه صناديق لا صنادق . وذلك المكان اذوا قبل آخر مفردة . ولم يرد (صندق) من دون واو حتى يجمع على صنادق . وما قلناه في ضبط الكتبتين : (الحقائق) و(الصناديق) هو الثابت في نسختنا المخطوطة من كتاب (مخاضرة

(الابرار) لابن عربی . واراد بقوله في صفة الرسالة انها من (بنات الحقائق) انها من جنس ما يحفظ في الحقائق من الجواهر . وكرائم التجف . وفي بعض نسخ هذه الرسالة (درر الحقائق) مكان (بنات الحقائق) والمعنى واحد .

ص ۲۱۵ س ۴ — (أنبأنا ابو النفاح) وهو مولى ابي عبيدة . قال المصحح انه كذلك في نسخة (محاضرة الأبرار) المخطوطة المحفوظة في دارالكتب المصرية قال : والذي في الأصل (ابن المتاح) . أقول وفي نسخي (محاضرة الابرار) المخطوطة ذكر اولاً باسم (ابي الشياح) ثم جاءت في نسخي المذكورة زيادة لم اجدها في غيرها من النسخ وفي هذه الزيادة قوله (وذكر مولى ابي عبيدة ابو النفاح بالنون والفاء) هكذا ضبطه بالحرفين النون والفاء . ثم جاء في الزيادة المذكورة قوله (قال ابو حامد قال ابو الشياح) : فاسم مولى ابي عبيدة اذا تصحف الى اربع صور (ابو النفاح) (ابن المتاح) (ابو الشياح) (ابو الشياح) وأوثقها الصورة الاولى لما مر من ضبطها بالحرفين النون والفاء صراحة .

ص ۲۱۷ س ۴ — (والباطل عنوف عسوف) قال المصحح (لم تقف على هذه الصيغة فيما لدينا من الكتب) أقول وفي بعض النسخ (نسوف عسوف) فالنسوف إما من قولهم (عقبه نسوف) اذا كانت طويلة شاقة ثعب سالكها . واما من (بعير نسوف) اذا كان يقتلع النبت من أصله بمقدم فمه . و (عسوف) هي الريح الشديدة .

ص ۲۱۷ س ۵ — (والتعريض سجال الفئنة) قال المصحح (السجال) جمع سجال وهو الدلو العظيمة . أقول ولعل الصواب ما في نسخي المخطوطة (شجار الفئنة) و (الشجار) من شجر الطيب فم المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار . وفي حديث سعد رضي الله عنه ان أمه قالت له (لا أطمع طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تكفر بمحمد) (ص) قال فكانوا اذا أرادوا ان يطعموها او يسقوها شجروا فاما اي ادخلوا فيه الشجار ففتحوه وصبوا فيه الطعام والشراب . ومعنى كون (التعريض شجار الفئنة) ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم وسبب اعمالهم تثير الحفاظ وتوجب الأحقاد ويكون ذلك كالشجار يفتح به فم الفئنة بعد ان كانت مطبقاً فتلتهم الأخضر واليابس .

ص ۲۱۸ س ۷ — (ويسري فيه ظمئك) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى

(و يستشري فيه ضعفك) من استشري الامر عظم وثقاقم او من استشري الرجل سب في الامر لج وتماذى . و(الضعف) الحقده ومعنى الجملة هذه يلتم بمعاني الجمل التي قبلها وبعدها باكثر مما يلتم معنى جملة (و يسري فيه ضعفك) .

ص ٢١٨ س ١٠ — (او مثلك يتقبض عليه الفضاء) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى (يُفص عليه الفضاء) من قولم غص المكاث بالقوم امتلاً بهم وضاق عليهم وأغص فلان علينا الارض اذا ضيقها .

ص ٢١٩ س ٩ — (ولا يبلغ مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه) الصواب إسقاط احدى الكلمتين : اما إسقاط (الى شيء) واما إسقاط (مراداً) كما في نسختي المخطوطة وعبارتها هكذا: (ولا يبلغ الى شيء الا بعد جرع الفحص معه) وكأنه ضمن (يبلغ) معنى نصل ولذا عداه بحرف الجر (الى) وقد قرئت في هذه النسخة (الفحص) بالجرع وهو أشبه بكلام البلغاء : فانهم اكثر ما يقرنون (الدوق) بالعذاب فيقولون (ذاق العذاب الواناً) و(الفحص) بالجرع والتجرع . قال بعض الأذكياء . في تعريف الدماء : هو (تجرع الفحص . وثقوب الفرس) .

ص ٢٢٠ س ١ — (ولولا سنك) الاظهر ما في نسختنا المخطوطة (ولولا حادثة سنك) . ص ٢٢٠ س ٢ — (وانهض الخير لك) لعل الأصوب ما في نسختنا المخطوطة (وأرهض الخير لك) قال في الأساس (ومن المجاز أرحض الشيء أثبتته وأسهه . وأرهض الله فلاناً لخير جعله معدناً له وما أتى) فعلى المعنى الثاني يكون في عبارة الكتاب قلب و يكون الأصل (وأرهضك للخير) .

ص ٢٢١ س ٨ — (وخصه بمزية وأفرده بمحالة) لعل الأصوب ما في نسختنا المخطوطة (وأفرده بمحالة) اذ المقام يقتضي الافراد بالمزايا الحسنة . وكلمة (المحالة) تشمل القبيحة . و (الجلالة) بالناء عظم القدر اما (الجلال) من دون ناء فهو التناهي في عظم القدر ورفعة الشأن . ومن ثم استعمل المتأخرون (الجلالة) في جانب الملوك و(الجلال) في جانب المولى عز وجل .

ص ٢٢٣ س ٤ — (قال ابو عبيدة فلما تأهبت للنهوض قال لي عمر : كن لدى الباب هنيئة فلي معك دور من القول) اول ما خطر ببالي عند قول عمر (دور من القول)

انه شاهد لقول كتاب هذا العصر « وانا اقول في دوري » ترجمة للعبارة الافرنسية (A mon tour) ولا تبقى حاجة الى المدول عن كلمة (دور) الى كلمة (نوبة) . لكن خاب ظني لما رجعت الى نسختي المخطوطة فوجدت العبارة فيها هكذا (فلي معك ذرة من القول) فعلت اذ ذاك انها الصواب وان كلمة (دور) محرفة عن (ذرة) بالهمزة او عن (ذرو) بالواو وكلاهما بمعنى واحد قال القاموس وشرحه (ويقال بلغني ذرة من خير اي شيء منه وطرف منه . والذرة ايضاً الشيء اليسير من القول : قال الشاعر :

(أناني عن مغيرة ذرة قولٍ وعن عيسى فقلت له كذا كا)

وقالوا في مادة ذرو (بلغني عن فلان ذرة من القول) اي طرف منه و (أخذ في ذرو من الحديث) اي انه عرض ولم يصرح . فلا جرم ان تكون كلمة (دور) محرفة عن كلمة (ذرو) . ومثل هذا التحريف فلما يمكن التحرز منه .

ص ٢٢٣ س ٥ — (لحقني بوجه يدي تهلاً) قوله (يدي تهلاً) ليس من جنس كلام العرب فلعل صوابه ما في نسختي المخطوطة (يسدي تهلاً) بالنون من ندي الشيء ابتل . ويستعمل مجازاً في مثل قولهم (فلان ندي الكف) اذا كان متخبياً جواداً . واذا نسبت النداة الى الوجه كان المراد بها الحياء او التهلل والبشاشة (ووجهك من ماء البشاشة يقطر) .

ص ٢٢٥ س ١١ — (يمض إهابك . وبورك ادنيك) (الإهاب) الجلد ولا معنى لمضه : لاحقيقة ولا مجازاً فلعل صوابه ما في نسختي المخطوطة (يمض) بالضاد الموحدة من مضه أو أمضه الامر اذا أحرقه وأوجعه وآلمه . ولا ريب ان قولك لا خير فلان يمض جلدك اي يوجعه خير من قولك له (فلان يمض جلدك) ويؤيد ما ذهبنا اليه قولهم (فلان أمضه جلده فذلك) اي شعر في جلده بحكة وأكال فحكه وفركه .

ص ٢٢٥ س ١٤ — (فتود أن لو ـ قيت بالكأس التي أبيتها . ورُدوت الى حالتك التي استغويتها) لا معنى للاستغواء هنا ولعل صوابه ما في نسختي المخطوطة (الى حالتك التي استبرأتها) من استبرأ الشيء اذا طلبه الى النهاية ليعرفه ويقطع الشبهة عنه . فعمرو يقول لعلي رضي الله عنهما : نمتني الرجوع الى حالتك التي كنت على بينة منها ووثوق بها .

ص ٢٢٨ س ١ — (ولقد سمعت أمائلك التي لغزت فيها الخ) . مضط (لغزت)

بالتشديد وقال مصححه « كذا ورد الفعل بتشديد الغين في اساس البلاغة » اقول لكنني لم أجده جاء بالتشديد في كتب اللغة بل انت بعضها اقتصر على (ألغز) كلسان العرب وبعضها ذكر ما يفيد انه جاء ثلاثياً ايضاً وهذا كلقاموس فانه قال (الألفز ميملك بالشيء عن وجهه) فتفسير اللفز بالميل دليل على انه انما يفسر صدر الثلاثي . نعم في اساس البلاغة طبعة دار الكتب المصرية (سنة ١٩٢٣م) قال : (ألغز ولغز) وشدد الغين لكن بالشكل لا بالحرف . وعندني ان في هذا التشديد نظراً . فاعلمه سهو من الناسخ او الطابع .

ص ٢٢٩ س ١٢ — (وفي الله سلوة عن كل حادث . وعليه التوكل في كل الحوادث) .

لعل الأصوب ما في نسختي المخطوطة (وفي الله سلوة عن كل كارث الخ) وبذلك يجنب التكرار او شبه التكرار بين (الحادث) و (الحوادث) .

ص ٢٣٣ س ١١ — (حتى قاءت « اي الارض » أكلها معناه أخرجت خبزها) هكذا في الأصل أكل بالخبز ولعل صوابه (الخبز) وبيانه ان الأكل بمعنى الثمرة ومنه قوله تعالى (أكلها دائم) و (كلنا الجنين آتأكلها) ويستعمل في كلام البلغاء مجازاً بمعنى الحظ والرزق الواسع ومنه قوله (انت فلاناً لعظيم الأكل من الدنيا) اي هو ذو حظ ورزق واسع منها . وجملة (حتى قاءت أكلها) من كلام السيدة عائشة في صفة عمر رضي الله عنهما نقول انه في خلافته ذل الارض حتى قاءت اي لفظت ما فيها من الكنوز وأخرجت ما استقر في جوفها من الرزق والخير للمسلمين . ولعمري ان تفسير الأكل بالخبز يقلل من شأن الأكل ويحقر من مجهود عمر بل لو قال قائل ان المراد بالخبز الحنطة لم تكن الحنطة شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الخير العظيم المختلف الألوان الذي ناله المسلمون في عهد عمر . فالصواب اذاً تفسير الأكل بالخير لا بالخبز .

ص ٢٤٠ س ١٠ — (واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيئاً يكفبك وفادة الوفود واستراحة الممتاح) قوله (شيئاً) لعل صوابه (شيئاً) اي اجعل من عدلك وانصافك شيئاً الى طائفة رعيتك وهدوئهم في منازلهم واكتفائهم بذلك عن تحمل مشقة السفر اليك للسؤال والاستراحة .

ص ٢٤٠ س ١١ — (فان كل امرء انما يجمع سيفه وعائه الا الأقل النخ) صوابه الأقل باسقاط (الا) .

ص ٢٤١ س ٣ — (لم اكن والله زورته قبل ولا رويته بعد وانما كانت كلمات
نفثهن لساني حين الصدمة) زورت الكلام هيأته سيفه نفسي قبل التصريح به . وقوله
(رويته) ضبط بتحقيق الواو ولعل الأ صوب فيه تشديدها ويكون أم له (روت أنه) مهموزاً : يقال
روتاً في الامر وروى فيه اذا نظر فيه وتأمل وتفكر . ومنه (الروية) . وهذا المبنى تصح
الجملة اشد التماماً بما قبلها وبما بعدها .

ص ٢٥٤ س ٣ — (فما الذي يبرد غلبك . ويشني إجاج صدرك) قال المصحح
في تفسير (الإجاج) انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوجهه . وهو كما قال غير ان استعمالها
بجاءاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قليل الورود في كلام البلاء . ودليل ذلك ان الزمخشري
لم يشر اليه في أساسه . فالكلمة اذاً مصحفة عن (أحاح) بهزة مضمومة وحائين مهملين
ومعناه العطش . وقد كثر استعماله بجاءاً في الغيظ وحرارة الغم . وهاك ما قاله القاموس
وشرحه (والأحاح بالضم العطش والغليظ وقيل اشتداد الحزن او المعاش . وسميت له
أحاحاً اذا سمعته يتوجع من غيظ او حزن قال الشاعر : (يطوي الحيازيم على أحاح)
والأحاح حرازة الغم كذا بخط الجوهري يزائين (معجمتين) وفي نسخة حرارة يرائين
(مهملين) اه .

اقول ومنه ايضاً قول الحماسي عبد الشارق بن عبد العزى :
(فباتوا بالصعيد لم أحاح ولو خفت لما الكلى مريئاً)
وقد فسر شراح الحماسة (الأحاح) بالعطش وفسره آخرون بالانين المنبعث عن
الألم .

ص ٢٥٥ س ١٧ — (نفر عنه القلوب . ونفض عنه الأ بصار) لعل صوابه (نفر
منه) لا عنه . تجنباً للتكرار مع (عنه) الثانية .

ص ٢٦٠ س ٥ — (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان)
صوابه (بانسان) لأن الوصاة اسم مصدر لا وصي وهو يتعدى بالباء لا بعلي .

ص ٢٦٦ س ١٠ — (في ظل ظليل . ونسيم عليل . وريح بلبل . وهواء ندي . وماء
روي) لعل صوابه (وهواء عذري) بالذال المعجمة والياء الخفيفة وتشديد داي طيب ملائم للصحة
واكثر استعماله في المكان يقال (ارض عذية) كما تقول طيبة المناخ بعيدة عن الوخم

ويقول عامتنا اليوم (عدي) بالبدال و (نجد العديّة) . اما قوله (ندي) فمعناه المبتل . وعلى فرض صحة استعماله في كلام البلغاء يكون مكرراً مع قوله قبله (ريج بليل) ولا ينبغي ان التأكيد خير من التأسيس .

ص ٢٦٧ ص ٥ — (فذاك والله اكنف ظلالك في العاجلة . وأروحيها في الآجلة)
لعل صوابه (اكشف) بالشاء المثناة . وان توصيف الظل بالكشف أشبه بكلام البلغاء
من وصفهم له بالكشف : فان (الكنف) حياطة الشيء من أكنافه وجوانبه . والظل
انما يكون من فوقه . فبين الكنف والظل شبه تضاد .

ص ١٦٧ ص ٩ — (وهل حلا يصدرك ان تغفر بفوت مزيج او موت مزيج) قوله
(حلا) بالالف من (حلا يحلوا) من الباب الاول اذا صار حلوأ . وهو في كلام البلغاء انما
يستعمل لما يكون مذاقه حلوأ في النعم . أما ما يكون حلوأ في الصدر او القلب او العين
فيستعمل معه فعل (حلّ في يحلّ) من الباب الرابع : يقال حلّ في الشيء في عيني وحلي في
قلي وحلي في صدري . قال الاصمعي (حلّ في عيني بالكسر وحلا في في بالفتح) وقال
في اساس البلاغة (ومن المجاز حلّ في فلان في صدري وفي عيني قال الشاعر :
(فلم يحل بالعبتين بعدك منظر)

ص ٢٦٧ ص ١٣ — (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى حلقه) قال
المصحح الاصل (مكاثرة من ينسب) باسقاط الباء والسياق يقتضي اثباتها . اقول ولكن
فعل كاثرا انما يتعدى بنفسه لا بالباء . يقال كاثروهم فكثروهم اي غلبوهم بكثرة العدد .
وليس المراد بالمكاثرة هذا المعنى هنا انما المراد المعنى الآخر وهو كما في القاموس (كاثره
الماء اذا أراد لنفسه منه كثيراً ليشرب منه) فالصاحب ابن عباد الذي كتب هذه العبارة
كأنه يقول لصديقه : من يزهد في الاستكثار من التمتع بنضارة الربيع ؟ لا أحد .
كذلك انا أريد لنفسي مكاثرة ربيع خلق صاحبي كما بكثرة العطشاة غيره الماء عند
الورود مريداً لنفسه الكثير منه ليروي : فقوله (مكاثرة من ينسب) من اضافة المصدر
الى مفعوله الثاني . هذا اذا لم تكن مكاثرة محرفة عن كلمة أخرى .

ص ٢٦٨ ص ٤ — (ونحو لي اعمال واشغال لا يسلم معها فكر . ولا يسلم بينهما طبع)
لا يسلم ولا يسلم تكرار يتجنبه البلغاء عادة فلعل صواب احدهما (لا يسلس) اي لا يتقاد ولا بطبع .

ص ٢٧٠ من ١٦ — (ولا مجال للعتب عن هذه الاحوال) صوابه على هذه الاحوال
 ص ٢٨٠ من ٦ — قوله في رسالة ابن زيدون (واظهر واضمر . وابتدأ واخبر .
 واستفهم وأهمل وقيد . وارسل واسند) الصواب اسقاط كلمة (واستفهم) فقد طالت بها
 السجعة عن تاليتها خلافاً لاصول السجع . وكأن هذه الكلمة هنا من رواية أخرى جاءت
 في بعض النسخ وهي (واظهر واضمر . واستفهم واخبر) مكان (وابتدأ واخبر) .
 ص ٢٨١ من ٩ — (فكدمت غير مكدم وتخت في غير نخم) صوابه كما سيأتي نسخنا
 (مسرح العيون طبعة المنيجي ١٣٢١ هـ) (فكدمت غير مكدم واستسخت ذا ورم وتخت
 في غير خرم) وبذلك استقامت السجعة وصح المعنى . والا فان النفخ في النخم لا يوري
 ناراً كالنفخ في الرماد بخلاف النفخ في الضرم فانه يزيد وقوداً واشتعالاً .

ص ٢٨٤ من ٤ — (وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان . وشعرت ان ناديني
 المؤمن والكافر لا يتراءيان) ناديني بالبدال ثنية نادى وهو مجتمع القوم والمعنى عليه صحيح
 ومع هذا فالصواب فيه (نارِي) ثنية نار يالراء لان ابن زيدون انما يريد التلميح الى الحديث
 الشريف . وهو كما في النهاية (قال صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم مع مشرك)
 قبل لم يارسول الله ؟ قال : (لا تراءى ناراهما) اي يلزم المسلم ويجب عليه ان يبعد
 منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالموضع الذي اذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك
 اذا أوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم . وانما كره مجاورة المشركين لانهم
 لا عهد لهم ولا امان وحث المسلمين على الهجرة . والتراثي تفاعل من الروبة واسناد
 التراثي الى النار مجاز من قولهم داري تنظر الى دار فلان اي تقابلها اه .

ص ٢٨٥ من ٥ — (وما أمتك ان تكون وافد البراجم . او ترجع بصحيفة التمس .
 وافعل بك ما فعله عقيل الخ) صواب (أفعل) (او افعل) كما هو في نسخي المذكورة لان
 (او) للتقسيم والمقام هنا يتنضيه .

ص ٢٨٦ من ٧ — (ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد . ولا لأمتطي الثور دون
 الجواد) الأصوب فيه (بعد الجواد) اي ان تعرف ولا دة ابن زيدون الثور بعد ان طاشت
 والفت ابن زيدون الجواد . على ان الكاتب انما اراد التلميح الى قول المتنبي في بيته
 المشهور وهو :

(ومن ركب الثور بعد الجوا د انكر أظلاقه والغيب)

يريد انه وجد الفرق يدينا في معاشرة كافور الاخشيدى بعد ان عاشر سيف الدولة وكفى عن هذه المعاشرة والخلطة بالركوب وقد عابوا عليه ذلك في مخاطبة الملوك .
 من ٢٨٧ ص ٦ — (وان كنت انما بلغت قعر نابوتك . وتجايفت لقميصك عن بهض قوتك) . قوله (لقميصك) يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير موجودة في نسختي الملية .

من ٢٨٨ ص ١ — (وحللتك مارية بالقرطين . وقلدك عمرو بالصمصامة) صوابه (الصمصامة) من دون باء الجر لان فعل (قلد) يتعدى بنفسه يقال قلده سيف فنقلده .

من ٣٠٨ ص ٦ — (فإما ان تبهرني بيجعة فأنصل عندك . وإما ان أنفي بحقيقة فاستديم خلعتك . وإما ان تأزم على يأسك فأقطع جبلي منك) فتر المصحح (الأزم) بالمواظبة والدأب وأبقى كلمة اليأس على حالها فلم يتعرض لها . وبذلك بقي الكلام اذ التقسيم غير مستقيم : لان الكاتب يعاتب صديقه فهو يقول له : إما ان تأتي ببرهان على خطاي فاعتذر اليك . وإما ان تعترف بحقيقة خطاك فأدوم على صداقتك . والحالة الثالثة — كما هو ظاهر العبارة — ان تواظب انت على يأسك . فأقطع جبل الود بيني وبينك . ومواظبته على اليأس لا معنى له وليس هو من جنس كلام البلغاء وصوابه (وإما ان تأزم على فأسك) و (الأزم) العزم وهذا هو معناه اللغوي و (الفأس) الحديدية المعترضة في حنك الفرس : قال سيبويه القاموس والاساس : (أزم الفرس على فأس اللجام اذا عزم عليه) . ومنه قول يزيد بن الحكم من شعراء الحماسة :

(والليل أجودها المناسا هب عند كبتها الأزوم)

يعني بكبتها حملة الحرب وازدحامها وقالوا في تفسير (الأزوم) هو العضوض على اللجام لفراط قوته وشدته . وقد كثر بقوله هنا (وإما ان تأزم على فأسك) — عن لجاج صديقه وإصراره على ذنبه : فلا هو يحتاج لنفسه . ولا هو يعترف بخطاه . بل بقي راكبا رأسه حاضا على فأس لجأه كما يعض الفرس الشديد الشكبة على شكبته فهو لا يلين لراكبه . ولا يرفق بصاحبه .

« المغربي »

أمم تسود وأمم تبيل^(١)

« أم تسود وأم تبيل » — سلسلة طويلة عديدة الحلقات من قبل التاريخ بقرون الى اليوم . ولكن هذه السلسلة كلما تقدمت عهودها كانت صغيرة الحلقات . وبالعكس كلما كانت أحدث عهداً كانت حلقاتها اكبر واطول .

فمنذ قبل التاريخ تماقت على دلتا النيل ودلتا دجلة والفرات وما بينهما من البلاد التي كانت مهد التمدن أم عديدة قبل ان تأسست دول الفراعنة ودول بابل واشور ومادي وفارس وفينيقية والعرب . وليس عندنا من اخبار تلك الام المنقرضة الا خيوط ضئيلة جداً غزلت من آثارها في العصرين الفراني والمعدني .

ولما كان الغرض من هذه المحاضرة ان نستخرج من حوادث المجتمع الانساني المسلسلة المتشعبة نواميس نشوء الام واستحالتها وانقراضها بكيفية ان نستشهد كلما دعنا داع للاستشهاد بالام التاريخية التي اتصلت اليها اخبارها .

اما ان الام تنشأ وتتم وتسد في التاريخ كله شواهد ناطقة عليه ونحن نشاهد اليوم كثيراً منها مشاهدة عيان . واما ان الام تنقرض انقراضاً تاماً فممننا خبر عاد وشمود والعرب البائدة في الجاهلية وقبلها وناهيك غيرها مما يرد ذكره هنا في سياق هذا المقال . اما انقراض أمة او قبيل من الناس فله ثلاث كفيات :

١ — الاولى ان تنقرض السلالة بومتها لحماً ودماً وهو اشنع كفيات الانقراض وذلك بان تغزوها سلالة او سلالات اقوى منها جداً ، فاما ان تطردها من البيئات الخصبة الى البيئات القاحلة حيث تفني تدريجاً بقلة الرزق كما ان القبائل التي وفدت قبل التاريخ الى اعالي النيل عن طريق البحر الاحمر من جزيرة العرب طردت القبائل القديمة التي عمرت وادي النيل قبلها بعض العمرات ، ثم دفعتهما الى سلسلي الجبال والصحراء وواحاتها ، وحلت محلها ، وانشأت دول الفراعنة ، فانقرضت تلك الامة القديمة ؛ وان

(١) محاضرة الاستاذ تقولا حداد التي القاها في بهو المجمع العلمي سنة ١٤٠٤ هـ

سنة ١٩٢٩ م .

كان قد بقي منها بقية فهم يقيمون في بعض الواحات القصية التي اكتشف بعضها حديثاً
او ربما تسرب بعضهم الى اواسط افريقية حيث امتزجوا بزنجها وهم اقرباؤهم في السلالة .

والا فاذا لم تكن وسيلة الانقراض الطرد على نحو ما تقدم تبيانه فهناك وسيلة الاسترقاق
القاسي ومعاملة الغزاة للمغزوين كمعاملة البهايم فينقرض هؤلاء تدريجاً لسوء المعيشة فضلاً
عن الشقاء في الخدمة .

مثل هذا الانقراض في المملكة الحيوانية كثير فان كثيراً من الحيوانات البائدة التي
لم يبق لها اثر الا عظامها انقرضت على هذا النحو امام حيوانات اقوى منها بدناً وادى
حيلة او امام الانسان الذي اخذ محلها ولم يستطع ان يدجنها لخدمته . فالبلاد
العامرة الحضرية الآن خالية من جميع الحيوانات الضارية والشرسة التي توجد اليوم في
اواسط افريقية . كما انها خالية من القبائل المتوحشة التي طفت عليها قوى الحضارة
فأفنتها .

٢ — هذه اولى الكيفيات التي تنقرض بها السلالة او القبيلة انقراضاً فعلياً اي لحماً
ودماً . اما الكيفية الثانية فهي اندماج السلالة المغزوة بالسلالة الغازية واندغامها فيها
بواسطة المزاوجة اذا كانت عادات هذه لا تحظر المزاوجة . ولهذه الكيفية الثانية اسلوبان:
الاول : ان يتخذ رجال الامة الغازية من نساء الامة المغزوة المستعبدة او المسيبة
المسترققة زوجات او خلائل فتقل ، واليد العبيد لقلة نسائهم وبالتدريج ينقرضون . فيكون
الاندماج من جهة النساء فقط . ولذلك يكون تلوث دم الامة الغازية بدم المغزوة قليلاً .

والثاني : ان يباح التزاوج الشرعي لكلا الفريقين الغازين والمغزوين اذا لم تكن
العادات والتقاليد مانعة وكان الفريقان متعادلين في القوى الاجتماعية والادبية ودرجة
الانحطاط او الارتقاء .

مثل هذا وذاك حدث كثيراً في الازمنة التاريخية والحديثة في القبائل العجمية .
ومن أمثلة ذلك الآن هنود اميركا . فانهم ينقرضون تدريجاً على هذا النحو .
ينقرضون حتى في جمهورية الولايات المتحدة الاميركية التي تعاملهم بكل رفق وشفقة .
فقد هيات لم كل وسائل الرقي . فمن رقي منهم اندمج بالشعب الاميركي . وقد زادت

الحكومة على ذلك ان اعلنت انها تمنح كل رجل ابيض يتزوج هندية مزرعة ذات ١٦٠ فدانا كمكافأة له او كهر للعريس .

هذه الكيفية الثانية لانقراض السلالة تنصل بالكيفية الثالثة وهي اندماج الام المخلطة بعضها ببعض وهي التي تجاوزت طور الهجينة واخذت تتجاذى في الحضارة فزالت الفوارق بينها . فاختلطت في المعاملات وامتزجت بالتزاوج فاندمج بعضها ببعض . وانما بقي الاسم فيها للامة المتغلبة قوة او عدداً او رقباً او جميع هذه . فهذا الانقراض لا يمد انقراضاً حقيقياً بل هو تطور اجتماعي وسلالي ايضاً .

فالكنعانيون والحثيون انقضوا على هذا النحو اذ تدفعوا امام الاسرائيليين واندمجوا بالفينيقيين وغيرهم من الامم المجاورة . والفينيقيون بدورهم اندمجوا باجدادهم العرب ثم باليونان والرومان . والمصريون الاخيريون اندمجوا بالرومان والعرب .

واما السلالات التي لم تبج لها تقاليدھا التزاوج بغيرھا بل بقيت محافظة على كيانھا وسلامة سلالتها من الامتزاج ، فالتى استطاعت منها البقاء جددت كيانھا ، كأمة اليهود الذين عادوا الى بلادهم بعد سبي بابل وجددوا مملكتهم ثم تبعثروا مرة أخرى . وعادوا اليوم يحاولون تجديد مملكتهم . واما التي لم تستطع البقاء فأخذت تنضال تدريجاً كأمة السامريين التي لم يبق منها الى اليوم الا ١٩٤ نفساً معظمهم في نابلس . وقدرى لي رئيس كمنتهم ان عندهم ١٩ شاباً لا عرائس لهم . وهم مضطرون ان يأخذوا لهم عرائس من نساء اليهود ولو من ضالتهن . فهم صائرون الى الانقراض الفعلي الا اذا شاء ربك ان يبقوهم اثراً جياً في متحف التاريخ الاجتماعي وكاهنهم يتنبي ذلك .

هذه هي الكيفيات الثلاث لانقراض الام . وما هي موضوع مقالنا بالذات وانما الموضوع الرئيسي الذي نحوم حوله هو استخراج النواميس الاجتماعية لنشوء الام وسوددها ثم انقراضها . ولأجل ذلك نأتي على بيان تفاعل الام في احوال اصطداماتها واحتكاكاتها في الغزوات والحروب والاستعمارات وعلى بيان نتائج هذا التفاعل .

في حالة تفاعل الام على نحو من الانحاء المتقدمة لا بد من وجود ثلاث حالات :

الاولى : ان تكون الامة الغالبة ارقى من الام المغلوبة .

- الثانية : ان يكون العكس ، اي ان الامة المغلوبة ارقى من الغالبة .
الثالثة : ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي وربما كانتا متشابهتين فيه .

١ - اما الحالة الاولى وهي ان تكون الغالبة ارقى من المغلوبة فهي الحالة الراجحة في التاريخ وهي طبيعية لان الرقي يغلب الانحطاط والعلم يغلب الجهل والحضارة تغلب البداوة . ونتيجة هذه الغلبة ان تكسب الامة الغالبة تمدنها للامة المغلوبة اذا كانت هذه في درجة من الرقي تقدرها على قبوله .

فمن امثلة ذلك الامة الاشورية التي تعاضم امرها واستنحل سؤددها حتى غزت سوريا وفلسطين الى ان بلغت الى مصر . ومن العرب طغت الى اليونان وسائر شرقي البحر المتوسط . وقد عظم تمدنها في ذلك العهد وارثت معارفها وصناعاتها . وبذلك نشرت تمدنها على جميع هذه الممالك ولا سيما على بلاد اليونان التي كان تمدنها حديث عهد فنضج بما اكتسبه من تمدن اشور وبابل وصار مصدراً لتمدن الامم الاربية في الغرب . فالتمدن الذي نراه في الغرب الآن مسلسل من التمدن السامي .

ثم جاءت اليونان في دورها وجعلت توسع نطاق نفوذها في الشرق وفي الغرب فردت صدى مدنية اشور وبابل بمزيج مدنيتهما ومدنية اشور الى آسيا الصغرى ثم الى رومة وسائر البلاد اللاتينية .

ثم جاءت نوبة رومة وفعلت فعل اليونان كما هو معلوم لكل من له اقل الملم بالتاريخ .

٢ - نأتي الآن الى الحالة الثانية وهي ان تكون الامة المغلوبة ارقى من الامة الغالبة . وهو اقل حدوثاً في التاريخ من الحالة الاولى لانه لا يكون الا في حالة ان الامة الغالبة المنحطة اكثر عدداً واشد بطشاً . وفي هذه الحالة يغلب ان تقتبس الامة الغالبة من تمدن الامة المغلوبة . ثم قد تفوقها .

ومن امثلة ذلك الامة البابلية . فقد نشأت هذه الامة من مزيج سكان وادي الفرات الاصليين المسمين سمريين مجهولي الاصل ، ومن قوم من السلالة السامية هاجروا من بلاد العرب وكانوا بداءة واكل تمدناً من السمريين ولكنهم كانوا اذكاءً نشيطين . فاحتلوا البلاد وتعلموا لغة اهليتها وصناعاتهم واقتبسوا حضارتهم . وعلى تمادي الزمان

نفوقوا عليهم . ومن هذا المزيج نشأت الامة البابلية التي كانت لها شأن في تاريخ الحضارة الاول .

ثم ظفت مملكة عيلام المتاخمة لبابل من جهة الشرق وغربها مع انها احط منها . واستولت عليها عدة قرون . واكتسب العيلاميون كثيراً من تمدن البابليين المغلوبين لهم . ثم ما لبثت ان ظهرت دولة عربية في بابل نفوقت لعهد حمورابي فغلبت العيلاميين وضمت عيلام اليها فاتسعت المملكة البابلية .

والغريب انه في تلك العصور وفي تلك البلاد كان الانحطاط دائماً بغلب الرقي . فبعد ان قبضت بابل في عزمها التجدي فحو ١٥٠٠ سنة من عهد حمورابي غزاهها احد الملوك الاشوريين سنة ٧٢٨ ق م مع ان اشور كانت منخطة زمناً طويلاً ومن ثم جعلت اشور الغالبة تقتبس من تمدن بابل المغلوبة حتى نفوقت عليها .

ثم بعد ذلك جاءت دولة الفرس واجتاحت اشور وكلدنيا وهي احط منها ايضاً واستولت عليها . وما لبث الشعب الفارسي الآري الاصل ان اقتبس من المدنية الاشورية كثيراً . فترى مما تقدم ان الآريين اقتبسوا مدنية الاشوريين والبابليين السابقة من الشرق بواسطة الغلبة والفوز ومن الغرب بواسطة الانقلاب كما سبق القول . اظن ان هذه الامثلة كافية للاستشهاد على الحالة الثانية اي ان الامة الغالبة المنخطة تقتبس من مدنية الامة المغلوبة الراقية .

٣ — بقي التمثيل للحالة الثالثة وهي ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي . وهو امر كثير الحدوث في الحياة الاممية الاجتماعية ونتيجته على الغالب : اولاً ان تقتبس كل من الامتين محاسن مدنية الاخرى . وثانياً ان الاصطدام بينهما قلما يكون عنيفاً بحيث يبقى لكل أمة كيانها اذا لم يتيسر اندغامها بالتزادج والاندماج الشعبي .

فمن امثلة ذلك ان سبي الاسرائيليين الى بابل لم يضرهم كثيراً . فقد نالوا حظوة في عيني بلشاصر اذ رأى من علومهم ورفيهم ومعارفهم ما جعله يحترمهم . ولا ريب ان البابليين اقتبسوا كثيراً من علوم الاسرائيليين وشرائعهم كما ان هؤلاء اقتبسوا من البابليين في كل احتكاك حدث بينهم . وفي شريعة موسى كثير من شريعة حمورابي . كذلك الفينيقيون الذين كانوا اقل الامم ميلاً للحروب وخوفاً لها كانوا يستعمرون

شواطئ البحر المتوسط استعماراً اقتصادياً أكثر منه سياسياً . فكانوا واسطة لنقل المدنية من موطن الى موطن ومن الشرق الى الغرب . كانوا ككريات الدم الحمراء التي تنقل أكسجين الهواء الى جميع خلايا الجسم . كانوا يقتبسون ويقبسون ولذلك استطاعوا ان يحفظوا كياناتهم زمناً طويلاً بقليل حروب . لان سلاح دفاعهم عن كياناتهم كانت ما يحملونه من نبراس التمدن ويطوفون به في اقاصي العالم . فكان العالم حارساً لكياناتهم لحاجته اليهم اولاً لتفاديه منهم . وما انتفض كياناتهم الا بعد ان اسسوا دولة قرطبة واصبحت تنازع رومة السوداء السياسي والاستعماري .

بعد استيفاء التمثيل على الحالات الثلاث للاصطدامات والاحتكاكات الأهمية ماذا نستخرج من التواميس الاجتماعية لسودد الأمم وانقراضها ؟ :
لا ريب انكم قد لاحظتم يا سادتي مما تقدم انه حيث توجد مدنية راقية فهناك كيان أمة ثابت . فالأمة التي تعتصم بالتمدن الارقي تعيش وتعمر سواء أكان هذا التمدن في الاصل لها ام انها اقتبسته من غيرها غالبية او مغلوبية . فسر بقاء الأمة هو اعتصامها بارقي حضارة موجودة في زمانها واقتباسها كل جديد نافع من الحضارة سواء أكانت حاكمة ام محكومة .

وهنا لا بد من تفسير معنى الحضارة او التمدن او المدنية او العمران فهي الفاظ مترادفة ومعناها مما اختلفت يشتمل على ما يأتي :

- ١ - الاخلاق المتينة أساس العدل في المعاملات .
 - ٢ - العلم الأقرب الى الحقائق اساس التهذيب والعمل .
 - ٣ - العمل المنطبق على العلم وهو يطلق على الصناعات والفنون والمعاملات .
- لفظ الحضارة او مرادفه يتضمن هذه القضايا الرئيسية . فاذا انتقضت احدى هذه القضايا تزعزعت الحضارة وتقوضت اركانها واشرفت أمتها على الانقراض انقراضاً كيانياً على الأقل . وكانت حضارة جميع الامم التي نمت واستعلت وسيطرت على غيرها شاملة جميع هذه الاركان ، كأمة الرومان التي لا تزال آثار نبوغها في الشرائع والعلوم والفنون والصناعات باقية الى اليوم . ولكن لما جعل الترف والبذخ يفسدان حضارتها

تزعزعت اركانها وسقطت بين ايدي البربر . وقد قال المؤرخون انه في ذلك الحين انطفأ مشعال المدنية القديمة وسادت على العالم ظلمة نحو خمسة قرون او اكثر .
والحقيقة غير ذلك فان مشعال التمدن الذي انتقل من المشرق الى المغرب عن يد البربر لم ينطفئ في ايدي البربر والا لباد تماماً . بل بقي مدة تحت المكيال الى ان رفعت اوربا المكيال عنه واستضاءت به .

ذلك لان هؤلاء البربر لم يكونوا ممججا متوحشين بل كانوا على شيء من التمدن الفطري فهم قبيلة الطوط من قبائل الجرمان . وكانت لهم آداب اجتماعية واخلاق جيدة . وانما لم يكن لهم من الفنون والعلوم والفلسفة والأدب ما كان للرومان . ولذلك كان لهم من الحرية والاستعداد للرقى ما خولهم قبول كثير من حضارة الرومان .
فلما فقد الرومان الاخلاق ، وهؤلاء الجرمان عندهم منها الكفاية بالرغم من تلقيهم بالبربر ، سقطت الدولة الرومانية المنهضة في يد اودوسر زعيم قبيلة جرمانية سنة ٤٧٦ .
وبعد ذلك شرع التمدن الروماني ينتشر في اوربا تدريجاً الى ان جعل نوره يشع ساطعاً في العصر المسمى بعهد النهضة او التجديد كما تملوت .

ثم كان حظ البقاء لكل أمة ان تقبس هذا التمدن وتثيد عليه . والا فالقضاء يتهددها سلالة او كياناً . اي اما انها تعرض للانقراض لحماً ودماً او للتفاني في أمة اخرى .

بقي امر آخر لا يستوفي الموضوع الا بالالتفات اليه . وأعني به نتيجة هذا البحث القصوى وهو :

ان العصر الحالي غير الاعصر القديمة في الانظمة الدولية . والفرق بين ذاك وهذه هو في ضخامة الدول او صغرها . ففي الاعصر القديمة كانت بلاد ك فلسطين تشمل عدة ممالك صغيرة مستقلة الدول يحارب بعضها بعضاً . ولا تضطر للتحالف الا اذا مهددها خطر دولة بعيدة . وكذلك كانت بلاد ما بين النهرين قبل از نشأت بابل واشور ممالك صغيرة عديدة يغزو بعضها بعضاً . ومثلها كانت اليونان ورومة واني كان يتيسر لدولة ك آشور ان تسيطر نفوذها على البلاد التي تفتحها . وذلك :

اولاً - لان وسائل المواصلات كانت ضعيفة وبطيئة جداً فلا تستطيع الدولة

المسيطرة ان ترسل قوة حربية لقمع الثورة قبل ان تستفحل الثورة وتطرح النير . حتى ان اخبار الثورة لم تكن تصل الى مركز الدولة قبل ان يكون الثوار قد نجحوا .
وثانياً = لان العدد الحربي لم تكن شديدة القتلك كعدد اليوم فكان المعول عليه في الحروب كثرة عدد الجيش . لذلك كان كدلعومر الباسلي بدوخ البلاد الاسيوية حتى حدود مصر ثم بتقاضي منها غرامة ويفرض عليها جزية ويمضي . وهيئات انت يستوفي الجزية .

وما تعاظمت الدول الى ان صارت امبراطوريات تجبكم الممالك المفتوحة حكماً فعلياً مباشراً الا منذ استفحال الدولة الرومانية التي كانت تستعين بالملاحة الراقية على الاتصال باطراف ملكها .

واما في عصر النهضة الاخير الممتد الى اليوم فقد وفرت وسائل النقل السريع والمواصلات العاجلة وجاءت الكهرباء ونموها تقصر المسافات وتختزل اشهر المخاضات الى دقائق . وبذلك امكن ان تنضم الدول والامبراطوريات تضخماً لا مثيل له . ثم ان عدد الحرب الجبهية جعلت الحروب اشد هولاً واوسع ميادين حتى كادت الحرب العظمى تستغرق كل أم الارض .

فن ذلك ترى انت الفرق بين الدورين القديم والحديث عظيم جداً : ذاك صغير ضئيل ضعيف . وهذا ضخم عظيم قوي . فالدولة القوية تزداد قوة والضعيفة تزداد ضعفاً . وبالنتيجة فالامة الاحط حضارة تكون دائماً تحت خطر الامة الارقي حضارة . ذلك لان الحضارة مصدر القوة .

ولذلك لا يستبعد ان اقوى الامم وارقاهن حضارة نطل تستفحل حتى تبسط كل نفوذها على معظم الكرة الارضية حيث تنشر حضارتها وتصبح جميع الامم بصيغة مدنياتها . او اذا لم ينس لها انت تسيطر على العالم سيطرة مباشرة فتسيطر على ائتحاد دولي يجمع كبريات الدول . وهذا الائتحاد الدولي يسيطر على العالم كله بجمعية الامم ويبتلعه .
ففي هذه الحال ماذا يكون مصير الامم الضعيفة والمخططة ؟ وهنا النقطة الماسة في الموضوع يكون مصيرها على ثلاثة اشكال .

١ = الشكل الاول : ان الامة التي تستطيع ان تقبل الحضارة السائدة تسلم من الاتقراض السلالي لانها بقبولها هذه الحضارة تستطيع ان تسليح بنفس السلاح العلمي والاخلاقي والصناعي والاقتصادي الذي تسليح به الامة المتفوقة المسيطرة . وبذلك لا يستطيع تيار الحضارة المستفحل ان يجرفها بل تظل قائمة فيه وسائرة معه . وبذلك ينسني لها ان تكون متحدة مع الامة المسيطرة ومشاركة لها في السيطرة على العالم مع حفظ كيانتها القومي .

٢ = واما الشكل الثاني : فهو ان الامة التي لها قسط من الرقي والتقدم والتي تظل مصرّة على قديمها محافظة على جمودها ولا تقبل الحضارة السائدة فتظل ضعيفة السلاح الذي أشرنا اليه اي السلاح العلمي والاخلاقي والاقتصادي والصناعي . وبذلك لا تستطيع ان تصد التيار المتقدم الجارف بل ولا تستطيع ان تقف فيه لانه يقلبها ويسحقها ويفتت قوميتها فتضطّر ان تندغم فيه اجزاء وثلاثى قومية . اي انها لا تنفي لجمّاً ودماً بل تنفي قومياً او أمة . يذوب افرادها في ذلك المحيط العظيم كما يذوب الملح في الماء .

٣ = واما الشكل الثالث : فهو ان الامم المنحلة التي لا تستطيع ان تجاري الحضارة السائدة بوجه من الوجوه كالبائل العجيبة المتوحشة فهذه تنفي فناء فعلياً بالتدريج كما فنت قبائل أخرى عديدة قبلها .

وبالاجمال اقول ان الجماعات او الافراد الذين لا يستطيعون ان يقتبسوا الحضارة الجديدة او الذين لا يريدون ان يقبلوها لاصرارهم على ثقاليدهم التي لا تتفق معها فليس امامهم الا الفناء التدريجي لانهم لا يستطيعون ان يزاحموا في معترك الارتزاق فينقضون فقراً وشقاء .

بعد هذا البيان لا يتعذر عليكم يا سادتي ان تفهموا كيف يمكن ان يكون مصير الشرق أمام تيار حضارة الغرب . فمستقبله في يده .

ولعل بعضنا يقول : اننا اخذنا نخمس حضارة الغربيين منذ قرن . فأزياؤهم اصيحت ازبائنا . وعندنا علومهم ومصنوعاتهم . عندنا تلفرافهم وتلفونهم ولاسلكيهم وسياراتهم

وقطارهم وفونوغرافهم وسيناتوغرافهم الخ . وما هو الذي عندهم وليس عندنا ؟ وقد قيل لي ان سيدة اوروبية شهدت عرساً وطنياً فرأت فيه السيدات الوطنيات في ازياء اوروبية حتى خيل لها انها في حفلة عرس باريسية .

فأقول : نعم . عندنا كل ما عندهم . ولكن ازياء نساءنا من مصانعهم لا من مصانعنا وسياراتنا من معملهم لا من معملنا وقطارنا وتلفوننا وتلفرافنا الخ كل ذلك من صنع ايديهم وليس من صنع ايدينا . حتى العلم الذي نتعلمه هو من بنات افكارهم وفوق ذلك نتعلمه بلفتهم . فنحن اذاً ، اقتبسنا ثمرة حضارتهم ولكننا لم نقتبس حضارتهم من اساساتها . فلا نعد اذاً متسلحين بمثل سلاحهم الا اذا كنا ننشئ الحضارة الجديدة عندنا من اساسها الى قبتها وحينئذ لا يستطيعون ان يستعمرونا بل نكون مثلهم معمرين نبادلهم بضاعتهم ببضاعتنا لا بضاعتهم باستقلالنا ولا سلعتهم بحريتنا .



أربد طبرية

غير إربد عجلون

جاء في كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار تأليف احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م في باب بقية المزارات الاخرى ما يلي^(١) :

« قبر ام موسى بن عمران . بقرية يقال لها إربل من اعمال طبرية عن يمين الطريق وبها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وابساخور وذبولون وكاذ » .

وقد علق صديقنا العلامة الاستاذ احمد زكي باشا في التصويبات والتصحيحات التي ذيل بها الكتاب بقوله :^(٢)

« قرية إربل تعرف في ايامنا هذه باسم إربد بالدال المعملة في آخره وهي الآن من اعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأزدن العربي وكانت في ايام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون وبها مسجد ومراي (بُنيت سنة ١٨٨٤) ومناخها طيب ولها مستشرف يدبغ على الصحراء يمتد شرقاً لغاية بادية الشام ويطل من الجنوب والجنوب الشرقي على جبل عجلون بغاباته التي يتكاثف بها شجر البلوط العتيق . وفي ساحاتها حوض يملأه المطر فيسقي منه اهلهما على طول السنة وهي قائمة على موقع المدينة القديمة اربلا وسكانها قبل الحرب العامة زهاء ١٢٠٠ نسمة وهم الآن اكثر عدداً .

وانما جعلها الأتراك « إربد » بالدال المعملة للتمييز بينها وبين مدينة إربل الشهيرة بارض الموصل » الى آخر ما هنالك .

وقد قرأنا الكتاب فبين قرأه من العلماء الاعلام صديقنا الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بتقريب طويل تستأمله مادة الكتاب وقدّم الاستاذ زكي باشا الراسخة في العلوم والآداب فلما وصل الى اربل خالفه في رأيه بما ملخصه :^(٣)

(١) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٢١٨ . (٢) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٦ من التصويبات والتصحيحات : (٣) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٦ ص ١٨٩ .

أن لفظ أريد بالدال لم يتغير منذ الزمن الأطول واستند على ما أورده ياقوت في معجم البلدان في مادة أريد وزاد على هذا بقوله « ونظرت أن ياقوت وهم في أريد فجعلها بفتح الالف وإن كان تحريف العامة اليوم وقبل اليوم لا يعتد به قال وفي هذه القرية مات يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ واستشهد بقول الطبري أنه مات بأريد من أرض البلقاء إلى أن يقول وهذه أريد من جبل عجلون بعينها ثم نقل مادة « بيت أريثيل » من قاموس الكتاب المقدس وفيها أنها تسمى أريد وأنها شرقي بحيرة طبرية وختم كلامه بقوله « وقد أخطأ الأستاذ بول (Buhl) بقوله في المعلة الإسلامية أن أريد أو أريد هي أيضاً أريثيل القديمة وهي في البلقاء على ١٢ ميلاً غربياً من بيسان وهي التي هلك فيها الخليفة يزيد الثاني فإنه ليس في تلك الجهات بهذا الاسم إلا أريد هذه ولعله تسرب إليه الهم من قول الطبري « والذي أراه أن الصديقين الصدوقين والعالمين العاملين قد وهما في تعيين موقع أريد الذي قصد إليه ابن فضل الله العمري وغيره من الجغرافيين فإن أريد التي من عمل طبرية وعن يمين طريق مصر لا يمكن أن تكون أريد التي بالشرق العربي والتي تبعد عن طبرية مسيرة يوم كامل - وللوصل إلى هذه النتيجة يجب علينا أن نستعرض أولاً أقوال الجغرافيين لتبين بجللاء ووضوح موقع أريد الواردة في أقوالهم ثم ننقل إلى أقوال المؤرخين عن مكان وفاة الخليفة يزيد ونستخرج منها أين كانت وأين يجب أن تكون ؟ ونذكر هذه الأقوال بحسب سني وفيسات المؤلفين لتسلسل الروايات ومعرفة الناقلين من المتقول عنهم فنبدأ بما قاله الرحالة ناصر خسرو القبادياني المروزي المتوفى بعد سنة ٤٣٤ هـ ١٠٤٢ م في رحلته المؤلفة باللغة الفارسية المسماة (سفرنامه) قال ناصر خسرو يصف طريقه من عكا إلى طبرية : ^(١) ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حطين ^(٢) وفي غربها وادٍ صغير ينبع منه من الصخر عين صافية وقد بني مقابل هذه العين

(١) مجلة المجمع العلمي العربي (م ٦ ص ٧١) (٢) في تعريب مجلة المجمع عن الترجمة الأفرنسية لشيفر المطبوعة سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م قال عنها حاضرة في الترجمة الانكليزية للإستراخ المطبوعة سنة ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م ذكرها باسم حظيرة أو هذيرة وهي لاشك معرفة من حطين كما يقتضيه رسم كلمة حطين وسياق كلام الرحالة ووصفه .

في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر وباب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران متناوحيان احدهما الى جانب الآخر وسب في الاول شعيب وفي الثاني ابنه التي كانت امرأة موسى . يعنى سكان القرية بهذا المسجد وبهذه القبور كل العناية ويعملون فيها مصاييح وفرشا .

وبعد ذلك اتجهت جهة اربيل (او اربد) وفي جهة القبلة جبل قام في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف ولما انتقلنا من هذا المكان رأينا أكمة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت .

ونزلت في وادي رأيت في اقصى بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها الخ . وهذا هو اول رحالة مسلم اتصل بنا اخبار رحلته في بلاد الشام . وقال علي بن ابي بكر بن علي الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ ١٢١٤ م في رحلته المسماة الاشارات الى معرفة الزيارات :^(١)

ومن اعمال طبرية قرية يقال لها اربد (وقد تقرأ اربل) بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام عن يمين الطريق وبها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وايسارخان وزيدون وكادو .^(٢)

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م :
« أرْبَدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وايسارخان وزيدون وكادو فيما زعموا :^(٣)

(١) من هذه الرحلة نسخة في دار الكتب المصرية ونسختان في الخزانة التيمورية لصاحبها صديقنا العلامة الجليل احمد تيمور باشا احدهما قديمة العهد والثانية حديثه ومن الزائد ان نقول ان هذه الرحلة لا تزال مخطوطة لم تُنمَل بالطبع وهي من الكتب المفيدة في تعيين مواقع الزيارات في الشام ومصر والحجاز والعراق وسائر البلدان الاسلامية التي غشيها السائح الهروي . (٢) في النسخة الجديدة اربد وابناء يعقوب دان وايسارخان وزيدون وكادو . (٣) معجم البلدان طبع ليبسك (ج ١ ص ١٨٤) .

وياء في كتاب مرصد الاطلاع على أسماء الاماكن والبقاع لصفي الدين بن عبدالحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨ م وهو اختصار معجم البلدان المتقدم ذكره^(١) :
 أرْبَدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق مصر بها قبر ام مومي بن عمران وقبر اربعة زعموا انهم من اولاد يعقوب » .

فيتضح معنا من هذه الأقوال ان اربد قرية بالقرب من طبرية على قارة الطريق المؤدية الى مصر ولم تكن طريق دمشق الى مصر في تلك الايام الا من ناحية الأردن بدليل ما قاله عنها ثقات الجغرافيين نورد من ذلك ما قاله احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة ٢٧٨ هـ ٨٩١ م قال^(٢) :
 « ومن مدينة دمشق الى جند الأردن اربع مراحل اولها جاسم^(٣) من عمل دمشق وخسفين^(٤) من عمل دمشق وفيق^(٥) ذات العقبة المذكورة ومنها الى مدينة طبرية وهي مدينة الأردن » .

واستكمل المراحل من جند الأردن الى جند فلسطين حتى بلغ بها مصر .
 وما ذكره ابن خرداذبة المتوفى في أواسط القرن الثالث للهجرة واواخر التاسع للميلاد فقد قال ان الطريق :

-
- (١) مرصد الاطلاع طبع ليدن (ج ١ ص ٤١) .
 (٢) كتاب البلدان طبع ليدن سنة ١٨٦٠ م ص ١١٥ والكتاب ذاته طبع ليدن سنة ١٨٩١ م بذيل كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته ص ٣٢٧ .
 (٣) جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الاعظم الى طبرية ذكرها ياقوت الحموي في معجمه .
 (٤) خسفين قرية من اعمال حوران بعد نوى في طريق مصر بين نوى والاردن وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخا ذكرها ياقوت .
 (٥) أفيق بزيادة الالف قرية من حوران في طريق الغور في اول العقبة المعروفة بعقبة أفيق والعامية نقول فيق تنزل في هذه العقبة الى الغور وهو الأردن وهي عقبة طويلة نحو ميلين ذكرها ياقوت .

من دمشق الى الكسوة^(١) اثنا عشر ميلاً ثم الى جاسم اربعة وعشرون ميلاً ثم الى فيق اربعة وعشرون ميلاً ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة أميال^(٢) .
وأتمها على هذا الوجه حتى انتهى بها الى مصر .

وما ذكره قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م فقد قال ان الطريق الدارج الى طبرية يأخذ من بعلبك^(٣) الى عين الجر^(٤) عشرون ميلاً ومن عين الجر الى القرعون^(٥) وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ميلاً ومن القرعون الى قرية يقال لها العيون تمضي الى كفرلبي^(٦) عشرون ميلاً ومن كفرلبي الى طبرية خمسة عشر ميلاً .

ثم أردف ذلك بقوله وان اخذ الطريق الى جبال الأردن من دمشق فالطريق المستقيم من دمشق الى الكسوة الى آخر ما ذكره ابن خرداذبة وقد تقدم^(٧) .

وما ذكره محمد بن البشاري المعروف بالمقدمي المتوفى بعد سنة ٣٧٥ هـ ٩٨٥ م :

(١) الكسوة على ما قاله ياقوت قرية هي اول منزلة تترطها القوافل اذا خرجت من دمشق الى مصر وهي اليوم اول محطة للسكة الحجازية بين دمشق واذرعات على الكيلومتر ٢٥٠ (٢) المسالك والممالك ص ٧٨ . (٣) يقول ياقوت بعلبك مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لانظيرها في الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة ايام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل . قلنا ولا تزال آهلة بقصد اليها السياح من أقطار الارض لمشاهدة آثارها وهياكلها البديعة الصنع الغربية الوضع وهي محطة للسكة الحديدية السورية على بعد ١٠٨ كيلومترات عن دمشق بين رباق وحلب . (٤) عين الجر موضع معروف بالبقياع بين بعلبك ودمشق ذكره ياقوت في معجمه قلنا وهي اليوم القرية المعروفة بعنجر وكانت من قلاع الشام الحصينة قديماً . (٥) لا ذكر للقرعون في معاجم البلدان وانما ذكر ياقوت القرع وقال اسم لاودية في بادية الشام سميت بذلك لانها لا تثبت شيئاً والقرعون اليوم قرية من قرى البقياع . (٦) لم يذكر في المعاجم العيون وكفرلبي وذكر ياقوت مرج عيون بسواحل الشام وقال العيون جمع عين الماء وهي في مواضع . قلنا ونظن انهما باقيتان الى الآن ويقطن الثانية مهاجرة الشركس على ما قبل لنا . (٧) نبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة المطبوع بذيبل المسالك والممالك ص ٢١٩ .

وتأخذ من دمشق الى الكسوة يزيد بن ثم الى جاسم مرحلة ثم الى أفيق مثلها ثم الى طبرية يريد^(١) .

فلما كان من دمشق وما إليها الى مصر طريقان مطروقان أحدهما يدعى بالدارج والآخر يعرف بالاعظم والى يوم الناس هذا تسمى العامة الاول المدرج الغربي والثاني المدرج الشرقي .

ولم يقل هؤلاء ولا غيرهم بطريق آخر يسلك فيه من دمشق الى مصر .

ولنرجع الى أقوال المؤرخين والرواة الذين ذكروا موضع وفاة الخليفة الأموي يزيد ابن عبد الملك بن مروان : قال ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ٨٩٥ م :^(٢)

« توفي يزيد بن عبد الملك بالبلقاء من ارض دمشق وكانت وفاته سنة ١٠٥ »

وقال محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م ما ملخصه :

وفي هذه السنة اي (١٠٥ هـ ٧٢٣ م) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك يوم الجمعة لخمس ليل بقين من شعبان قال وقال الواقدي كانت وفاته ببلقاء من ارض دمشق وقال علي بن محمد مات باربد من ارض البلقاء^(٣) .

وقال علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م

وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من ارض البلقاء من أعمال دمشق^(٤) .

وقال علي بن الحسين المشهور بابي الفرج الاصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ٩٦٦ م :

نزل اليزيد بيت رأس بالشام^(٥) ومعه جاريته حباية وخلا بها فأتيا بما يأكلان .

(١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٠ . (٢) الاخبار الطوال طبع مصر

ص ٣٢٠ . (٣) تاريخ الامم والملوك ج ٨ صفحة ١٧٨ . (٤) التنبية والاشراف صفحة ٣٢٠

ومروج الذهب بهامش تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٧ صفحة ١٣٣ . (٥) بيت رأس قرية

شرقي نهر الأردن كانت تُنسب إليها الخمر الجيدة ولا تزال صهاريجها وآثارها ماثلة للعيان .

وقد ذكرت في معجم ياقوت بأنها قرية وقيل كورة بالأردن وفي كتاب المشترك وضعا والمفترق

مقعا قال ناحية بالأردن وهي اليوم مأهولة واسمها باليونانية (Capitolas) .

فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأتتنت وهو يشمها ويرشفها فعاتبه بعض ذوي قرابته واصدقائه وعابوا عليه عمله فأذن في غسلها ودفنها وعاش بعدها اياماً معدودات ومات فدفن الى جنبها ^(١).

وقال علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م :

خرج اليزيد بحبابة جاريته الى ناحية الاردن ينتزهان فرماها بحبسة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت فتركها ثلاثة ايام لم يدفنها حتى اتتنت فكأنم في امرها حتى أذن في دفنها وعاد الى قصره كثيباً حزينا وتوفي بعد ذلك وكان مرضه السل ^(٢) وقال علي بن محمد بن عبد الرحمن الروحي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وتوفي يزيد بمحراب ^(٣).

وقال غريغوريوس بن هرون الطبيب الملطي المعروف بابن العسيري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م في صدد يزيد وجاريته حبابة :

« وخرجت معه الى ناحية الأردن ينتزهان فرماها بحبة عنب فاستقبلتها بفيها فدخلت حلقها فشرقت ومرضت بها وماتت وتوفي يزيد بعدها بخمسة عشر يوماً ومات ودفن الى جانبها سنة خمس ومائة » ^(٤).

وقال محمد بن عيسى المعروف بكال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م :
وتوفي يزيد بن عبد الملك بابل من ارض البلقاء وقيل بالجلولان وحمل على أعناق الرجال الى دمشق ودفن فيها وكان مرضه بالسل ^(٥).

وقال حسين بن محمد الحسن الديار بكرلي المتوفى بعد سنة ٩٨٢ هـ ١٥٢٢ م .
ومات يزيد بسواد الازدن بمرض السل قاله هيثم بن عمرو ^(٦).

(١) الاغانى ج ١٣ صفحة ١٥٧ . (٢) كامل التواريخ ج ٥ صفحة ٤٥ .
(٣) بلغة الظرفاني ذكرى تاريخ اخلقا صفحة ٢٥ . (٤) تاريخ مختصر الدول
صفحة ١٩٩ . (٥) حياة الحيوان ج ١ صفحة ١٢٧ . (٦) تاريخ الخلفاء ج ١
انفس نفيس ج ٢ صفحة ٣٥٥ .

وقال احمد بن منان بن يوسف بن احمد القرماني المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م .
وتوفي يزيد بن عبد الملك بمرض السل باربيل من ارض البلقاء وقيل بالجولان وحمل
على أعناق الرجال الى دمشق وقيل مات باذرعات ودفن فيها ^(١) .

وقال محمد بن احمد بن عبد الغني بن علي الاسحاقي المتوفى بعد سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م :
وتوفي يزيد بنجران في شهر شعبان سنة خمس ومائة ^(٢) وكأنه نقل هذا عن الروحي
فجعل حران بنجران . وحران هذه قرية بغوطة دمشق وبنجران من قرى حوران
ذكرهما ياقوت في معجمه .

وأغرب ماورد في هذا الباب هو قول ياقوت الحموي في مادة إزبد بالزاي :
إزبد : قرية من قرى دمشق بينها وبين اذرعات ثلاثة عشر ميلاً . فيها توفي
يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة بعد عمر بن عبد العزيز في شعبان وقيل في رمضان
سنة ١٠٥ واختلفوا في سبب مقامه هناك . فقال اهل الشام كانت متوجها الى بيت
المقدس فمرض هناك . وقال آخرون بل خرج للترعة وانقص كما ذكر في خبر وفاته
القطيع الشنيع فحمل على أعناق الرجال الى دمشق فدفن في مقبرة الباب الصغير وباب
الجابية وقيل بل دفن حيث مات ^(٣) . ولزيادة الايضاح وتحليل الحادثة وتعليلها نذكر
ما رواه اهل الجغرافية عن الأردن والبلقاء والجولان التي نسبت اليها حادثة الوفاة .

فالأردن احد أجناد الشام الخمسة وهي كورة واسعة منها النور وطبرية وصور
وعكا : والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمات :
والجولان قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران وقال بعضهم يقال للجبل
جارت الجولان وقيل حارت قلة فيه .

هذا ما روي عنها باختصار أوردناه لنستعين به في اثبات نظريتنا في ان اربد عجلون
هي غير اربد طبرية .

وبعد فان اربد الواردة في مسالك الابصار وغيره من الكتب هي اليوم قرية دارة .

(١) اخبار الدول وآثار الاول ص ١٤١ . (٢) اخبار الاول فيمن تصرف في مصر

من ارباب الدول صفحة ٥٦ . (٣) معجم البلدان ج ١ صفحة ٢٣١ .

تحت قرية حطين بينها وبين مدينة طبرية ويحيرتها وبين قرية المجدل وهي على عيّن القادم من دمشق إلى مصر يعرفها العامة إلى اليوم بهذا الاسم وفي جوارها قلعة متهدمة واليك ما قاله عنها الدكتور بوست من المعاصرين الأحياء في مادة بيت أربيل « (بيت دار الله أو مكن الله سفرهوشع الاصحاح ١٠ : ١٤) أربلة وهي أربد الحالية شرقي بحر طبرية^(١) » قلنا والصواب شمالها .

وقال القس اسعد منصور :

« بيت أربيل أخرجها سلمان ملك آشور وقتل كل سكانها (هو ١٠ : ١٤) هي الآن أربد خربة على نحو ثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن ذكرت في سفر المكابيين الأول باسم أربلا (١ مكاب ٩ : ٢) بقربها كهوف حصينة اتخذها اللصوص مكنًا لهم حتى شنت عليهم هيرودس الكبير^(٢) » .

وفي تعاليق صديقنا الاستاذ السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل^(٣) :

« وقيل المجدل تروى وادي الحمام إلى الغرب وعلى شفا جرف عال قلعة أربد أو أربلا فيها مغارات يتصل بعضها ببعض بممرات وفي المغاور آبار ويصعب الصعود إليها من الشرق وهي محاطة بسور من الراء ولقد ذكرت في التلمود بانها بين صفورية^(٤) وطبرية وذكرت في تاريخ يوسفوس باسم مغاور أربلا ولقد حاربها تيطس الروماني واقتاد أهلها بحيلة المزيمة إلى السهل وهناك دار عليهم وكسروهم وبدد شملهم » .

على أن يذكر صاحب الدليل المعروف باسمه يقول عند ذكره الطريق من طبرية إلى تل حوم وصفد :

على بعد نصف ساعة من المجدل إلى الغرب في السفح الجنوبي من وادي الحمام خربة

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢٦٣ . (٢) مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب

صفحة ٢٢٢ . (٣) تعاليق مخطوطة عن البلدان الفلسطينية .

(٤) صفورية في معجم البلدان كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية

وهي اليوم قرية كبيرة على جانب الطريق بين الناصرة وطبرية وفيها كنيسة بنيت على أنقاض كنيسة قديمة وقد كانت كرسي أسقفية للنصارى .

اربد وهي اربلا القديمة وهناك اطلال معبد يهودي وهو الذي ذكر في التلمود وهذا المعبد يقع على طرفه الوادي ^(١) .

وهذه الأقوال تؤيد ما قاله الاستاذ بول (Buhl) في المعلة الاسلامية ان اربد هي اربيل القديمة وانها في البلقاء على اثني عشر ميلاً غرباً من بيسان وهو القول الذي خطاه الاستاذ كرد علي كما سبق بيانه ونعل الاستاذ بول اخذ باقوال المؤرخين العرب الذين قالوا ان الخليفة يزيد قضى باربد من ارض البلقاء فجاءهم على نعر بفهم والا فان اربد الحالية هي من الاردن والاردن يحاوره من ناحية البلقاء ومن أخرى الجولان فاذا التبس الامر على المؤرخين في تعيين الجند او الكورة فقال بعضهم ان اربد في البلقاء وقال الآخر انها في الاردن وقال غيره انها في الجولان فلا غصاصة عليهم في هذا . ومادنا قد وصلنا الى اخبار التبراة التي استشهد بها من نقلنا عنهم ، فلنصحح اسماء ابناء يعقوب الاربعة الذين ذكرهم ابن فضل الله ومن تقدمه من الرحالة والجغرافيين وهم :

دان : وكان يحكم ملكه شرقاً يهوذا وبنيامين وجنوباً يهوذا وغرباً يجرالروم وشمالاً افرايم
يساكرك : = = = = الأردن = منسى = اشير = زبولون
زبولون : = = = = بحر الجليل والاردن = يساكر = اشير = نفتالي
جاد : = = = = عمون والبادية = زاوبين = الاردن = منسي

وبحر الجليل هو بحيرة طبرية .

بقي علينا ان ننظر في المكاتب الذي توفي فيه الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بالاستدلال مما تقدم .

لم يذكر لنا الجغرافيون قرية او بلدة باسم اربد في جهات البلقاء على ما حدودها من انفسهم وكان حرياً بهم ان يذكروها اذا صح ان خليفة توفي فيها ولما ذكر ياقوت مكان هذه الوفاة قال عنها ازبد بالزاي كما سبق بيانه فاذا لم يكن الخليفة قد توفي بازبد كما زعم ياقوت

(١) دليل يذكّر الطبعة الافرنسية لسنة ١٩١٢ صفحة ٢٥٢ (Baedeker)
(page 252)

وعدها بجاورة لاذرعات^(١) — ونظنه قد وهم في اعجام الراء فيكون صوابها أربد التي قرب عجولون لان هذه القرية تبعد اليوم ٢٥ كيلومتراً عن اذرعات — وكان النيس على باقوت الامر بين إربد وأربد فيترجح معنا ان هذا المكان هو أربد المجاورة لطبرية للاعتبارات التالية :

(١) = ان إربد عجولون شديدة البرودة في موسم الشتاء فلا تصلح لان تكون منزهاً او متجماً للخليفة في شهر شعبان من سنة ١٠٥ هـ الموافق لشهر يناير — كانون الثاني — من سنة ٧٢٣ م لان البرد فيها وفي نواحي البلقاء يكون على أشده في ذلك الشهر .

(٢) = ان اول مؤرخ ذكر أربد هو الطبري كما تقدم بيانه ولما ذكرها فتح الباء منها فقال أربد مما يؤيد رأينا في ان مكان وفاة الخليفة هو أربد التي بقرب طبرية فان التي بعجولون سواء أكانت بالزاي المنقوطة ام بالراء المهملة فهي بكسر الباء .

(٣) = ان أربل او أربد او إربل او إربد هذه قد عريبها العرب عن أربلا او أربيل وهي واقعة على يمين الجادة السابلة من دمشق الى مصر ومن القرى التي لها شأن مذكور في التاريخ الاسرائيلي .

(٤) = سواء أكان الخليفة قد جاءها للنزعة ام للاستشفاء ام وصل اليها في طريقه الى بيت المقدس فانه يجب ان يأتيها من الطريق المسلوكة وهي محاذية لها .

(٥) = ان بحيرة طبرية وما جاورها من الاراضي البركانية معروفة بخفاف الهواء وهي تصلح لسكنى المصدورين فلا يستبعد ان يكون الاطباء قد اشاروا على الخليفة المريض بهبوطها عندما اشتد البرد والبرد بدمشق . وطبرية معتدلة الهواء في فصل الشتاء لا يكاد يشعر ساكنها بتأثير القر وهي شديدة الحرارة في الصيف لانخفاضها عن سطح البحر ٢٠٨ أمتار فهي من المشاتي الجميلة التي يوصي بها الاطباء لمثل هؤلاء المرضى والأعلاء .

(٦) = ان أربد طبرية واقعة بجوار سهل جنيسارة ومطلّة عليه من عل وهذا المرج الممتد على شاطئ البحيرة التي كانت تنسب اليه قبلاً والذي يسميه العرب اليوم

(١) اذرعات من المدن الكبرى جاء ذكرها في أشعار القدماء وقد ذكرت في معجم باقوت وهي تعرف اليوم بدرعا ولها محطة على الكيلومتر ١٦١ من حيفا الى دمشق في السكة الحديدية الحجازية ومنها تنفرع الى ناحية الحجاز .

بالقوة ويرتفع الغور كان مضرب المثل في خصب التربة والجمع بين أشجار المناطق الحارة والباردة لا اعتدال جوده وجودة ثماره ويقول له الى حد ان اليهود كانوا يحرمون نقل تلك الثمار الى بيت المقدس في الأعياد الثلاثة التي كان يفرض عليهم فيها السعي الى زيارة الهيكل مشاة على الأقدام لثلاثتهم تلك الثمار الطيبة عن العبادة (مكنذا يقول يوسفوس المؤرخ اليهودي) . وقد استولى المسلمون على هذه الارض وهي في حالة حسنة من الخصب والنمو واستجار العمران فلاغربة في ان يكون الخليفة قد أقام في هذا المكان المرتفع للنزعة أو أقيم فيه ليشتمع بجفاف الهواء وجمال المنظر .

(٧) = قد يكون الخليفة قدم طبرية مستشفياً او في طريقه الى بيت المقدس — وهذا ما استبعد لاضطراب باله واختلال حاله بعد وفاة حبابه والعهد على الرواة — فاشتدت عليه وطأة الداء وهو في طريقه وقضى نحبه فنقل الى اربد الى ان أخذ التساير اللازمة لاعلان موته ونولية ولي عهده خوفاً من حدوث حادثة او وقوع واقعة .

(٨) = اذا سلمنا جدلاً ان الخليفة توفي باربد او اربد عجلون في طريقه الى بيت المقدس وقد كانت اذذاك طريقاً أخرى تصل دمشق ببيت المقدس من ناحية اذرعات ومنها الى الزرقاء فعمان فبيت الرام فأريحا فبيت المقدس فما الذي أوصله الى اربد وهي تبعد زهاء ٢٥ كيلومتراً عن اذرعات ؟ .

هذا ما عني لنا ابداءه في هذا الشأن وقد لا نكون من الاصابة على طرف النعام ولكنها خطرات افكار مبنية على حقائق واعتبارات جدية بالاهتمام .

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي

ابن خلدون

هو حكيم المؤرخين ، وعلم المحققين ، الفقيه الكاتب الشاعر المصنف القاضي ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون .

وبين عبد الرحمن وجده الاكبر خلدون آباء يقدرهم ابن خلدون نفسه بطريق الجدس بنحو عشرين أباً وان لم يحفظ من أسمائهم الا عشرة .

وينتهي نسبه الى وائل بن حجر من أقبال حضرموت ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه ، ودعاه ولولده . ثم كان في شيعة معاوية ، ونزل خلدون من ولده (ويسمى خالد بن عثمان بن الخطاب) بلدة قرونة من الاندلس في رهط من قومه . ثم انتقلوا الى اشبيلية ، وأسسوا فيها بيتهم الشهير ، وخدموا في الجند وقيادة الجيوش زمن بني أمية ، واستبد بحكمها بعضهم ، وبقوا يتعاقرون أعمال الولاية والقيادة وخدمة السلطان زمن ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين ، فلما ضعف شأن الموحدين بالاندلس ونشأت دولتنا بني هود وبني الاحمر ولم تستطع هذه الدفاع عن اشبيلية وادشك الاسبان ان يستولوا عليها ، رحل عنها آل خلدون الى سبتة ، ثم انتقلوا الى افريقية في جوار اميرها ابي زكريا الحفصي ، فأسسوا بيتاً جديداً بتونس يعيش بخدمة الدولة الحفصية في الشؤون العسكرية والسياسية ، الى ان انصرف آخرهم محمد ابو المترجم عن وظائف السيف والحكم ، وانقطع الى طلب العلم والادب والرباط للعبادة ، فشب ابنه عبد الرحمن على مذهبه أولاً ، ثم نزع به عرق الوراثة فنقضى في الحكم والسياسة اكثر عمره كما سنبينه . ولد عبد الرحمن بن محمد مترجماً في غرة رمضان سنة ٧٣٢ بتونس ونشأ بها ، فحفظ القرآن وتلقى على ابيه مبادئ العربية والأدب والفقه ، وحفظ المعانيات والحجاسة وكثيراً من شعر القدماء والمحدثين ، ثم اخذ عن كثير من فحول علماء تونس ومن جلا اليها من علماء المغرب الافصى والاندلس ، وقرأ القرآن بالروايات السبع ، ودرس النحو واصول الفقه وفروعه على مذهب مالك ، وقرأ الموطأ وصحيح مسلم ، واخذ بالمنطق وتعاليم الفلسفة والحكمة على طريقة ابن رشد وغيره ، والحساب وفن الكلام على مذهب الاشاعرة على العلامة الايلي الاندلسي .

وانفق ان دم افريقية طاعون جارف مات فيه أبواه واكثر ذوي قرابته واشياخه فكسف باله ، ومال الى الاشتغال باعمال الدولة ، فتولى كتابة العلامة عن السلطان ابي اسحق الحفصي وهي (الحمد لله والشكر لله) تكتب بالخط الغليظ بين البسملة وما بعدها من مخاطبة او مرسوم ، وسنه لا يتجاوز العشرين .

وكأنه استصفر هذا العمل فعزم على الخروج الى المغرب الأقصى لعله يجد عملاً أرفع ، فما كاد يخرج مع سلطانه في غزاة انهزم فيها حتى يم المغرب قاصداً السلطان ابا عنان المريني بفاس فلقبه في طريقه امير بجاية (عنابة) الا ان فصرقه عن قصده ، وأخذه معه الى بلده في خدمته ، الا ان شهرته بالفضل كانت قد بلغت ابا عنان ، فطلبه منه ، فأرسله اليه ، فضمه الى مجلسه العلمي الذي كان يعقده للعلماء والادباء يناظرون فيه ويشاركون في البحث ، وعهد اليه بمثل عمله في تونس الا ان ابن خلدون انتهز فرصة لقاء هؤلاء الأعلام فأكسب على التحصيل والاخذ عنهم واستكمال علمه عليهم ، وازداد حظوة عند السلطان ونفوذ جاء ، فأوغر ذلك صدور المقربين للسلطان ، فاتهموه عنده ان صدقاً وان كذباً بمالاة امير بجاية على الدولة ، فقبض عليه وعلى امير بجاية وأودعهما السجن . ثم أطلق الامير ، ولبث ابن خلدون في السجن نحواً من سنتين مات في نهايتهما السلطان ، فأخرجه الوزير الحسن بن عمر من السجن ، وقلده عمله القديم الا ان ابن خلدون لم يختبر العافية وعيشة الهدوء بل سعى في تدبير الامر للامير ابي سالم المريني (وكان منفياً الى الاندلس) حتى سهل له الاستيلاء على ملك المغرب . وعندئذ أغدق عليه الأموال الطائلة وقلده كتابة السر وانشاء الرسائل السلطانية . فعدل عن مألوف كتاب المغرب من الكتابة المسجوعة البديعية ، وآثر المرسل من الكلام البليغ على طريقة القدماء . ثم ولاه خطة المظالم ، وهي وظيفة جلية في الدولة ، فهاج ذلك حساده ووشوا به الى السلطان ، فنكر له . وأحس ابن خلدون ذلك منه فتآمر هو والوزير عمر بن عبد الله على خلعه ، فخلع واستبد الوزير بالملك ، وكافأ ابن خلدون بعمل لم يعجبه ، فانقطع عن خدمة الديوان لفرط الدالة وتزق الشباب ، نجفاء الوزير ، فاستأذنه في الخروج ، فأذن له بعد مشقة .

وكان ابن خلدون قد ادى للسلطان محمد بن الاحمر وزيره اسات الدين بن

الخطيب خدمات جليلة ايام نفيها الى المغرب ، فأراد ان يستغل ما قدمه اليهما فكتب اليهما بالقدوم الى الاندلس ، فلقياهما بالحفاوة والكرامة ، واسفروا ابن الاحمر الى ملك قشتالة الاسباني باشبيلية في مهمة ، فنجح فيها ، وحظي عند السلطان واختص به في اكبر مجالسه ، فأحفظ ذلك صدر ابن الخطيب ، فشعرا ابن خلدون بالامر ، وتخوف العاقبة . فاستأذن السلطان ان يرحل الى بجاية لخدمة اميرها فأذن له على كره ، فولاه امير بجاية اكبر عمل في دولته ، وهو منصب الشجاعة ، ولكن سوء حظه حول مجرى الامور ، فخرج عليه ابن عمه وقتله ، فلم ير ابن خلدون بأساً في تسليم المدينة له جلباً لمودته ، ولكن مودته لم تدم ، فأوقع الرشاة بينهما .

فخرج من بجاية وعزم على الانقطاع عن السياسة والاشتغال بالعلم والتدريس بمدينة بسكرة ، الا ان ريح السياسة عصفت به ، فخرج الى فاس ، فلم يطب له فيها العيش ونكر له المستبدون بها ، وظنوا انه يمالئ عليهم اعداءهم بالمغرب ، فاستأذنهم في الخروج الى الاندلس ، فعاد اليها ولاقاء ملكها محمد ، ووزيره ابن زمرك بعد مقتل ابن الخطيب غير ان اعداء ابن خلدون بالمغرب والاندلس ابلغوا ابن الاحمر انه كان يسعى في خلاص ابن الخطيب من نكبته ، ويحطب في جبله ، فطرده ابن الاحمر من بلاده ، فخرج منها بائساً لا يدري اين يذهب ، حتى أذن له ملك تلمسان ابو حمو بدخولها مع انه كان حاقداً عليه لمظاهرتة لاعدائه ، وبعد مدة كلفه الخروج الى بعض اهل البسوة لاستئذانهم الى طاعته فتبروجه قصده ، ونزل ضيقاً على اولاده عريف في كنفهم ، وبات العزم على الانقطاع عن اعمال السياسة والشروع في التأليف ، فمكث بينهم اربع سنوات الف في خلالها معظم تاريخه العظيم ، وصود مسودة مقدمته في خمسة اشهر منها ، ثم احتاج الى مراجعة الكتب الكبيرة فاستأذن سلطان افريقية من الحفصيين بدخول تونس وطنه القديم ، فأذن له فدخلها وألهاه مراجعة الكتب والاشتغال بالتدريس والتأليف عن زيارات السلطات ومدحه في المواسم بالقصائد ، واشتهر امره في تونس واقبل عليه الطلاب والمستفيدون من كل فج ، وانصرفوا عن دروس العلماء بتونس الى درسه فوشوا الى السلطان بانه يتكبر عليه ولا يمدحه ، ومع ان ابن خلدون بعد ذلك مدحه وأهدى اليه ما أتم من تاريخه لم يصف له وجهه . فاستأذنه في الرحلة الى المشرق للتحج واستكمال

تاريخه فأذن له ، فخرج الى مصر بطريق البحر فدخلها سنة ٧٨٤ في مبداء حكم الملك الظاهر برفوق اول ملوك الشراكسة ، فجلس للتدريس بالجامع الازهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ فأظهر العدل والصراحة في أحكامه والضرب على ايدي المزورين والمتقاضين من الاعيان فعز ذلك على بعض الرؤساء وحسده العلماء والقضاة وسعوا به لدى السلطان ، وصادف ذلك غرق اهله وأولاده عند قدومهم اليه من المغرب ، فانقبضت نفسه عن الدنيا واستقال من القضاء وخرج الى الحج سنة ٧٩٧ . ثم رجع الى مصر وتولى التدريس حتى خرج مع كثير من علماء مصر في جيش السلطان فرج بن برفوق لمداقة تيمورلنك عن الشام ولكن برفوق رجع بجيشه الى مصر دون ان يلاقي تيمورلنك لفئنة حدثت في مصر وترك تيمور يحاصر دمشق . فخرج ابن خلدون منها في جماعة من العلماء الى مرادق تيمور ، وسأله تيمور عن حاله ، فخلبه بسحر بيانه ودهائه وأظلمه على ما كتبه في تاريخه من أعماله وفتوحه ، واستأذنه في الذهاب الى مصر فأذن له ولم يعد اليه . وبقي مشغلاً بالتدريس والقضاء حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ وهو قاض للمرة السادسة . ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وجعل قبره .

اخلاقه = يستنبط القاري أسيرة ابن خلدون وتقلبه في البلاد والمناصب على اختلاف أنواعها أنه اشتمل على أخلاق من شأنها ألا تجعل حياة صاحبها هادئة هنيئة ، لا يكدر صفوها كيد الحساد ولا منافسة النظراء .

فأولها : علو الهمة والطموح الى اقتراع كبار المناصب في الدول ، ولا جرم أن هذه المناصب في الدول قليلة العدد ، عزيزة المنال تقتضي أن يتفرد متوليها في الدولة بالمجد والجاه ، وهو ما يتطلع اليه كل عظيم النفس ذكي الفؤاد ، ويبذل في سبيل الوصول اليه النفس والنفيس ، ويترخص اليه كل عظمة من سماعة وغش وخديعة وتزوير لاسقاط متوليها من منصبه وعظيم جاهه لينخلو له الجو او يقارب .

وثانيها : انه كان عظيم الثقة بنفسه الى مدى بعيد أغفله عن مراقبة خصومه ، والنتبه لكايدهم ليحبط أعمالهم ، ويرد كيدهم عليهم ، فما كان يقطن لكيدهم الا وقد وقع في الشرك الذي نصبوه له ، وقلما نجا منه . وربما حمل ذلك على احتقار من هم دونه وقلة المحاملة لنظرائه والدهان لرؤسائه فيمل مقامه بينهم ، ويتربصون به الدوائر وربما جره

ذلك ايضاً الى الاعجاب بنفسه والدالة على رؤسائه والتحدث عن أعماله وآرائه بما لا يروق المنافسين له .

وثالثها : قلة الوفاء لمن جذبوا بضيمه الى المعالي من الملوك والامراء والوزراء والرؤساء الذين خدمهم في دولتهم ، وسمحت له نفسه بمظاهرة اعدائهم عليهم عندما يتوقع ركود ريجهم ، وانتقاض ملكهم : ايشاراً للسلامة ، وتوفيقاً للمكروه الذي قلما سلم منه ، وحرصاً على مرتبة أسمى وجاء أرفع ، وذلك الخلق متولد من الطرف في الخلق الاول وهو علو الهمة .

ورابعها : انه كان كثير الملل والسامة كثير التبرم بالا كفاء والنظراء وربما كان ذلك ناشئاً عن الخلق الاول ايضاً .

ذكاؤه وتفوذ خاطره في سنن العمران والاجتماع البشري = كان ابن خلدون احد نوابغ العالم الذين عاشوا افذاذاً في عصور مظلمة لم يعضدهم فيها مشاكل ، او تعرف قدرهم أمتهم ، فكانت حياتهم بين الامة التي عاشوا فيها كلها شقاء ومحنة ، فقد أهد نفوذ خاطره وصدق نظره الى الاهتمام الى كثير من علل الحوادث التي تفتاب الاجتماع البشري وعرف ما بينها من الارتباط والتشابه حتى وفرت في نفسه بصور قوانين عامة وأيدية مطردة سال بها قلبه دون ان يفتن لها كثير من اهل قرنه ، ولم ينكشف سرها ويتضح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع الا بعد انقضاء عدة قرون . وهذا الذكاء الفائق في ابن خلدون مراتب الذكاء المعتاد فيمن نشأ على نظام التربية والتعليم المنبع في عصره هو الذي جعل تفكيره يتسامى الى أفق أعلى من أفق التفكير عند اهل عصره ، فبعدت الشقة بينه وبينهم فزالت المؤالفة والتراخي وحسن الاغبط بالصحة ، والى هذا يرجع شقاء كثير من أذكاء العالم على ايدي القرن الذين نشئوا بين ظهرانيهم ، فلم تثر أعمالهم في عصرهم ، وقد يحفظها التاريخ لمن يفتن لها بمن يأتي بعدهم ، ويقتبسون من نورها في حياتهم وآرائهم ، كما فطن هو بثائب نظره الى آراء كثير من فحول التفكير الذين سبقوه بقرون وباحوا بما جاشت به نفوسهم من قوانين وحقائق لم يشعر بها اهل زمانهم ، فمخضها واستخرج منها زبدة آراء لم يعرفها العلماء الا بعد تهذيب

العلوم وترقية شؤون التعليم والتثقيف ، فكان وجوده سابقاً بذكائه المتوقد للعصر الذي
بلا ثم تفكيره بنحو أربعة قرون .

وقد يخطر بالبال المجرد من التأمل ان ابن خلدون لو لم ينهمك في أعمال السياسة
ويتول الكثير من مناصب الدولة والرياسة وكان قد توفّر على التعمق في البحث والتحقيق
لكان للناس من ثمرة ذكائه أضعاف ما اثر عنه ، ولكن لا يعزب عن التأمل ان ما وصل
اليه ذهنه من القوانين والآراء التي قررّها في مقدمته انما كان أكثرها بسبب احتكاكه
بالناس حاكماً ورئيساً ومرؤوساً وطالباً ومطلوباً وملابساً لآحوال الملوك والمستبدين على
اختلاف نزعاتهم وأباين أعمهم ونحلهم وأنسابهم وبلادهم .

علمه وتصرفه = قد منا ان ابن خلدون درس في شبابه من علوم القرآن والفقه
واصوله والكلام والعربية والآداب وتعاليم الفلسفة والتصوف ما اعتاد كثير من الحاصلين
من اهل زمانه ان يجودوه ، بل ربما قل عنهم فيه ، لان نظامه في سلك الاعمال السلطانية
قبل ان يطر شاربه ، وانما العبرة في ابن خلدون وأضرابه من أذكاء العالم في امرين :
الاول الانتفاع بالقليل من المعرفة بحسن تصرفه في كثير من وجوه العلم ، والثاني دوام
الاستزادة من المعرفة كلما سحت الفرصة وتبها لم الفراغ ، فيكونون على اتصال دائم بالعالم
فلا تخمد جذوة ملكتهم فيه ، ويفزر علمهم ، وينسج اطلاعهم اذا بارك الله في عمرهم
وانفسج اجلهم ، فقد وجدناه يقوم بوظيفة خطية هي كتابة العلامة فيجودها ، ويستغل
بصناعة كتابية من كتابة السر وانشاء الرسائل فيجدد من محاسنها ، ويندب للسفارات
ونأديب البغاة واسمالة العصاة فينجح فيها ، ويتولى الحجابة فيرفه من شأنها ، وتسند اليه
خطة لمظالم والقضاء (وهما ثمرة الفقه والاضطلاع بالدرف) فلا يتخرف عن جادنها ،
ويصنف في التاريخ والأدب والفلسفة فيعد من المبكرين والأئمة الواضحين فيها والرافعين
من قواعد هيكلها ، ويجلس لتدريس الفقه والاصول والكلام فتنبال عليه الطلاب من
كل حذب ، ويخل له ما تعقد من صناعة التربية والتعليم ، ويصبح قدوة فيهما . وبذلك
يسقط قول الامام الجليل ابن عرفة المالكي في ابن خلدون عندما قدم مصر الى الحج

« كنا نعد خطة القضاء أعظم المناصب ، فلما بلغنا ان ابن خلدون ولي القضاء عدنا بالضد من ذلك » على انه كان من المنافسين له في المغرب .

* * *

ابن خلدون باعتباره كاتباً مترسلاً = نشأ ابن خلدون في زمان يسلك كتاب الرسائل السلطانية فيه طريق الكتابة المسجوعة المحلاة بأنواع البديع على طريقة ابن العميد وكانت طريقة القاضي الفاضل التي أساسها التورية والتوجيه والجناس قد دب ديبها الى المغرب منذ حين حتى لا يست افلام كثير من بلغائه كابن الخطيب ، وهي الطريقة التي سماها ابن خلدون بالشعر المنشور ، فشب ابن خلدون في كتابته على هذه الطريقة وكتب بها ردحا من الزمن حتى ظهر له فسادها في الرسائل السلطانية ، وعدل عنها الى طريقة بلغاء الاوائل كابن المقفع واحمد بن يوسف والجاحظ ، فأحيا بذلك في عصره الكتابة المرسلية الفطرية الخالية من السجع وتكلف البديع في عصر بلغ فيه ذلك غاية ، قال عن نفسه عندما كتب للسلطان ابي سالم المريني :

« واستملي في كتابة سره والترسل عنه والانشاء لمخاطباته ، وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بدون ان يشاركني احد ممن ينتحل الكتابة في الاسمجاع لضعف انتحالها وخفاء المعاني فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل ، فانتقدت به يومئذ وكانت مستغرباً عند من هم من اهل هذه الصناعة » .

وقد عرفت رأيه مفصلاً في استهجان هذا الشعر المنشور والنثر المسجوع والنعي على مستعمليه في كتابة الرسائل مما قدمناه لك عند الكلام في كتابة الرسائل زمن الماليك منقولاً من مقدمته فراجعه ثمة وتأمل تعليله لذلك تعرف وجه انصرافه عن هذا النوع من الكتابة في الرسائل السلطانية والرجوع الى طريقة القدماء من البلغاء نعم ان ابن خلدون بقي الى آخر حياته تصدر عنه بعض المكاتبات لآخوانه المؤثرين طريقة البديع كابن الخطيب بمجاملة لم وجرياً معهم في ميدانهم الا انه راعى فيها القصد ، ولم يتكلف البديع ، وخاصة التورية والتوجيه كما تكلفها ابن الخطيب وغيره من فتنوا بطريقة المشاركة حتى حاكوهم فيها بتأليف كتب العلم والتاريخ مسجوعة ، كالفتح ابن خاقان في قلائد العقيان والمطمحين وكابن بسام في الدخيرة وكابن الخطيب في الاحاطة وكتاب

الحب الشريف وغيرهما ، فربما ابن خلدون بنفسه وتزع نير التقليد من كتابة الرسائل ومع المام ابن خلدون بكثير من العلوم ذات القواعد والاصطلاحات من عقلية وعقلية لم تظهر على رسائله السلطانية والاخوانية مسحة الكتابة العلمية وأساليب العلماء كما ظهرت في ابن الخطيب .

• مؤلفات ابن خلدون و كتابته فيها = ذكر لسان الدين ابن الخطيب بعض مؤلفات ابن خلدون قبل ان يؤلف تاريخه العظيم ومقدمته النفيسة فقال (شرح البردة شرحاً بديعاً دل به على اتساح ذرعه وثقن ادراكه وغزارة حفظه وخلص كثيراً من كتب ابن رشد وعلق للسلطان « محمد بن الأحمر » أيام نظره في العقلية تفهيداً مفيداً في المنطق وخلص محصل الامام الفخر الرازي^(١) والف كتاباً في الحساب وشرع في هذه الايام في شرح الرجز الصادر عني في اصول الفقه بشيء لا غاية بعده في الكمال) وقال صاحب نفع الطيب بعد نقل هذا الكلام من الاحاطة هذا كلام لسان الدين في حق المذكور في مبادئ امره واوسطه فكيف لو رأى تاريخه الكبير .

ونحن وان لم يعثرنا الزمان على جميع مؤلفاته لنعرف معالم كتابته في مختلف العلوم لنستطيع قياس الغائب على المشاهد من كتابة مقدمته وتاريخه نرجح ان كتابته في الاصول والكلام والفلسفة لا تبعد كثيراً عن الفصول التي كتبها في المباحث الكلامية والفقهية والفلسفية من مقدمته الجليلة وفي بعض مواضع من تاريخه . وعلى ذلك نبدأ بالكلام على المقدمة والتاريخ فنقول :

مقدمة ابن خلدون = نكمل على المقدمة من حيث عبارتها واثرها في افلام المنشئين ومصادرها والآراء التي انفرد بها مؤلفها فيها واثرها في ايجاد مؤلفات من نظائرها .
(عبارتها) : أما كتابتها فيمكننا وصفها بما يأتي :

(١) هو محصل افكار المتقدمين والمتأخرين في علم الكلام على طريقة الاشاعرة وهو كتاب عظيم القدر .

أولاً — خلوها من السجع الا في النادر كخطبة الكتاب .

ثانياً — جزالتها في الفاظها وبلاغتها في أكثر أساليبها ، ويظهر ذلك في كثير من فصول مقدمته لا في جميعها فجاءت كتابته في هذه الفصول بمنزلة من البلاغة لا نقل عن كتابة فحول القرن الثالث . وقد يسف في كتابته في بعض الفصول ، فيغلب عليها التعقيد وأساليب المناطق ، فيعتاص فهمها على من لم يرض ذهنه على فهم عبارات المتكلمين والمتفلسفة .

ثالثاً — الاسهاب البالغ حد التكرار الممل في بعض المواضع والايجاز المخل المفضي الى الاستغلاق والغموض في آخر وينشأ كلاهما في احدى خصلتين : اما من اضطراب أحوال النفس في انبساط وانقباض ، واما من اضطلاع وملاءة ببعض المسائل والدعوي دون بعض . ولا يبرأ التأليف من معرة هاتين الخصلتين الا بمعاودة المؤلف النظر اليه في أوقات صفائه واستجهاه خاطره والانحاء عليه بالثقيف والتهذيب ومراجعة الاشياء والنظائر من الكتب الباحثة في مثل موضوعه ، وكل ذلك لم يكن يمتيسر الوقوع لابن خلدون فيما لدينا من كتبه ، اذ من المعلوم ان المقدمة التي هي وليدة كد خاطر وقدح ذهن واستقصاء في بحث كتبت في نحو خمسة أشهر ، وهذا التاريخ كتب في أقل من اربع سنين ، وكأن المؤلف لم نهي له نكبات الايام ولا مكاييد الخصوم عيشاً رغداً ولا بالاً صالحاً لمعاودة كل ما كتب منها للتحصيل والتهذيب . وغاية ما علمناه من ذلك انه راجع المقدمة فقرأ نسخة كتبت في مصر فنقم من بعض عبارتها ، وأعاد كتابة بعض فصولها من جديد ، ولكن ذلك قد كان بعد ان سارت بها الركبان وحملت الى اقاصي البلدان . وقد اطلعت على صورة شمسية نقلها العلامة الفضال احمد زكي باشا عن النسخة الخطية التي تقمها المؤلف بخطه والمودعة احدى دور كتب القسطنطينية ، فوجدت ان هذا التنقيح لم يعد لها ، وبقي مدفوناً معها في هذه القبور قبور الكتب اكثر من خمسة قرون ، ويظهر ان المؤلف تقمها في آخر حياته ، وأغفل امرها الى ان حملها السلطان سليم مع ما حمل من الكتب والدخائر والعتباد الى حاضرة ملكه ، فاحتجبت عن قراء العربية دهرأ طويلاً ، وطبعت مراراً في كثير من الممالك عن الاصل الذي لم يتقم .

اما التاريخ فيظهر ان المؤلف لم يتقمه بل يظهر ان ما طبع منه في مصر نسخة منقولة

عن مسودة لا عن مبيضة لكثرة السقط واليباض فيه .

رابعاً — استعمال المؤلف فيها بعض كلمات لم ترد في معجمات اللغة او صرفت على غير مجاز عن معناها ، واستعماله أساليب تأبها قواعد العربية في نثر الكلام ، او لا يمكن تصحيحها الا بتأول لا داعي اليه ، فيستعمل المتخال اسم آلة لرفع الأجسام ، ولا اصل لاشتقاقها في اللغة ، وكذلك الهندام وهو معرب ومعناه غير ذلك ، ويستعمل الجبل بمعنى القرن واللدات ، والهرج بمعنى الاضطراب ، ويستعمل انتشوا بمعنى نشطوا في الامر ولا أصل له في اللغة ، ويدخل الوار في خبر لا بد فيقول (لا بد وان) ، ويدخل باء التعمية في فعل استبدل على غير المتروك ، ويمد ي تعود بعلى ، ويجعل الخبر او جواب الشرط استثناء او استدراكاً فيقول (فانه وان كان كذا الا انه او لكنه) ، ويؤنث الخلق ، ويستعمل التليذ اسم جمع ، ويجمع العصية على عصائب وغير ذلك كثير في كلامه . وقد تعدته هذه الاغلاط الى قراء مقدمته المحاكين لانشائه في اول عصرنا الحاضر ، ومنهم انتقلت الى كتاب الجرائد وقرائنها . وبالرغم من هذه الاغلاط لم يكن الانتفاع بمقدمته وأسلوب كتابته فيها في وقت أظهر منه في اول العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون المرسل المجرد عن تكلف البديع والمحسنات اللفظية في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية هو القدوة الحسنة للمصلحين والمجددين للنهضة الادبية العربية والسياسية من كتاب العربية في مصر والشام وتونس وخاصة من الف منهم في مثل موضوعاته او كتب في الجرائد والمجلات لقلة المطبوع من الكتب ، ولانه أرحب أسلوب علمي أدبي للنقطة والمترجمين عن اللغات الاجنبية المحافظين على اصل المعنى ، ففي الاستاذ الاكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الاخيرة ، وربما انضم اليها في ذلك كتاب كلية ودمنة .

ولم يعد للمقدمة في الثلاثين سنة الأخيرة من هذا العصر ما كان لها من عظم الشأن والقدوة الحسنة في اوائله لكثرة ما طبع من الكتب العظيمة وسهولة اقتنائها على الغني والفقير من اهل الادب لرخص ثمنها ، فشارك المقدمة في تثقيف الكتابة الادبية والتأليف كتاب الاغاني وكتب الجاحظ وتاريخ الطبري وغيرها من الكتب البليغة الممنعة . على ان كثيراً ممن يعيشون في عصرنا يكتسبون في مؤلفاتهم وجرائدكم وقد

استخلصوا زبدة هذه الأساليب ما لا يقل فصاحة و بلاغة عن ابن خلدون او يزيد مع صحة عبارة وانتقاء لفظ .

(مصادرها) : واما مصادرها فمن الغمط لفضل ابن خلدون والجحود لمواهبه وعبريته ان تقول بان اكثر مباحثه فيها منقول من كتب المتقدمين فللرجل فيها فصول ونظريات هو ابو عذرتها ومبتكرها وخاصة ما كان متعلقا بالسياسة والاجتماع والعمران والاقتصاد حتى لا يعد مبالغاً من يقول انه واضع علمي العمران والاجتماع ، وانه من اسبق من تكلم في الاقتصاد السياسي ، وان ما كتبه في مسائل هذه العلوم يربو على نصف المقدمة . ولكن من المسلم ان الفصل الاول من العمران البشري اخذه من أمثال رسائل اخوان الصفا وكتب الجغرافيين من العرب النافلين لجغرافية بطليموس ، واخذ مباحث ادراك البشر للغيب بالفطرة او الرياضة من كتب النصوص والكلام والفلسفة دون ان يكون له كبير رأي فيها ، واخذ مباحث الخلافة والامامة ومذاهب الشيعة والخوارج فيها من كتب الكلام وكتب الملل والنحل للشهرستاني وابن حزم ، وكتاب الفرق بين الفرق والكامل للبرد والعقد الفريد وغيرها . واخذ مباحث تاريخ العلوم والصناعات من مثل كتاب الفهرست لابن النديم ، وكتاب طبقات الامم لهاءد الاندلسي ، ومن مقدمات الكتب المطولة في التفسير والحديث ، ومن كتب التاريخ لطبقات الرجال في كل فن ، واخذ مباحث السحر والطاسمات والسيما والكيمياء من كتب مسلمة المجريطي والكتب المنسوبة لجابر بن حيان ورسالة ابن بشرون . واخذ التنجيم وأسرار الحروف والزائجة من كتب البوني وابن عربي والسبتي صاحب اللامية وكلهم مغاربة .

واخذ الكلام في مقامات الصوفية من مثل مقامات المحبة والمجاهدة والتوجه والفناء وفناء الفناء من كتب الصوفية من أمثال ابن عربي الاندلسي وغيره . واخذ الكلام في خطط سياسة الدولة والاحكام السلطانية والجبابة من أمثال كتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي وكتاب الاحكام السلطانية للماوردي وسراج الملوك للطرطوشي وكتابي مروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودي وكتاب الخراج لابن يوسف ،

واخذ كثيراً من مباحث إبطال الفلسفة والشيخيم والكيمياء من كتاب الغزالي وغيرها .

وما بقي من مباحث المقدمة وهو كثير خطير فهو من أبكار أفكاره أوصله إليه كدخايطه وتعمقه في فهم العلوم والتنبيه لأسرار الكون والخليقة وطبائع البشر في بداوتهم وحضارتهم ونشاطهم وضمولهم هذا الى كثرة تجاربه ومزاولة العمل في ممالك شتى مما أوضح له ارتباط اسباب نشوء الدول وسقوطها بمسبباتها علاوة على حسن الترتيب والتقسيم والنقد والتعليل لما ليس من مبتكراته وما كل ذكي الفؤاد بقادر على النقد والاستفادة مما يشاهد ويحس في البيئة التي يحلها ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي
احمد الاسكندري



آراء وافكار

استبدال الحروف العربية

« بالحروف اللاتينية »

منذ استبدال الاثرانك الحروف العربية بـ في كتابتهم بالحروف اللاتينية انتهت الافكار في الشرق الادنى عامة الى وجوب اصلاح الحروف العربية ايضاً وظهرت اقتراحات عدة بهذا الموضوع وفي جملتها انتهاج الخطة التي قبلها الاثرانك وابدال الحروف العربية باللاتينية وآخر ما طالعناه مقال نشر في المقطم بتاريخ ١٠ تموز سنة ١٩٢٩ من ان عالماً مستشرقاً هولندياً اقترح على الحكومة المصرية كتابة العربية بالحروف اللاتينية وهذا هو المقال المذكور :

مهما بلغ من نزعة التجديد ونشاط المجددين عندنا فالرجاء ان لا يسمح لهم بان يحاولوا احلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية فهذا مشروع لا يقابله الناطقون بالضاد بالارتياح ولا يشير به المستشرقون الاوربيون انفسهم ولو ان بعضاً منهم رأى هذا الرأي من اكثر من ربع قرن وعولجت القضية باسهاب كثير في المقنطف فقد روى وكيكنا الاسكندري الآن ان عالماً من علماء هولندا أرسل يقترح على وزارة المعارف عندنا ابدال الحروف العربية بحروف لاتينية وحذف سبعة حروف متشابهة من الالهجية . اما اذا عدنا الى اختبار سوانا فان مشروع تركيا اوقع بلادها في فوضى علمية وادبية واجتماعية لم ير لها مثيل والاخبار التي ترد من الامتانة تدل على ان هذا التبديل أدى الى اشكال عظيم كانت الصحافة في مقدمة ضحاياه .

لقد نفرجت الشعوب العربية في اشياء شتى بعضها حسن والبعض الآخر قبيح ولكن هل معنى هذا ان يعم النفرنج كل شيء .

والظاهر ان الذين يشيرون باصلاحات جوهرية كهذه في اللغة العربية ينسون ان الترك شعب واحد في بلاد واحدة وان العرب شعوب في بلدان شتى فالذي يستقر عليه قرار واحد منها لا يسهل تطبيقه على سواء من هذه الشعوب وهي منتشرة من الاوقيانوس

اللاتينية الى حدود فارس ومن جبال طورس والبحر المتوسط الى خط الاستواء .
ان اللغة العربية في حاجة الى اصلاحات شتى يستطيع ان يعالجها مجمع لغوي عام
كالذي فكرت وزارة المعارف المصرية في انشائه ولم ينشأ . واما القضاء على تاريخ لغة
عظيمة عريقة في القدم وحافلة بالآثار النفيسة بابدال حروفها بحروف أخرى فاقترح
لا يخلو من الفكاهة ولكنه يجب ان لا يتجاوز هذا الحد ولا ان يكون موضع اهتمام من
احد فالشعوب العربية تكافح وتسى لمحاربة الامية فهل تعمل على خالق أمية جديدة ونقطع
صلتها بالماضي قطعاً كهذا .

فلا غرو والحالة هذه ان يكون رجال وزارة المعارف قد أجمعوا على رفض اقتراح
العالم الهولندي فقد قيل قديماً للعرب (خذوا لغتكم من أعجمي) . فهل يراد اليوم ان
يقال (خذوا حروفكم من أعجمي ايضاً) اه كلام المقطع .

وكان المستشرقان الافرنسيان السيدان ماسنيون وهو من اعضاء مجعنا وبينار رئيس
البعثة العلمانية في الشرق قد قدما بمثل هذا الاقتراح ونصحا أصدقاءهما العرب بكتابة
لغتهم بالحروف اللاتينية ، فرد عليهم الاساذ فارس الخوري احد اعضاء مجعنا بمقال
نشرته صحف سوريا في أواسط كانون الاول سنة ١٩٢٨ تأخذ منه الخلاصة الآتية :
الاساذان العالمان ماسنيون وبينار الافرنسيان قد اشتهرا بصداقتهما للعرب عامة
وللسورين خاصة والراجع عندي انهما حسنا النية في النصيحة الجريئة التي أسدياها
للسورين في حفلات التكريم المقامة لهما في بيروت باستعمال الحروف اللاتينية في الكتابة
العربية . فهما يحسان بما أظن ان هذه الطريقة تسهل على عمال المطابع تضيد الحروف
وفكها وتوزعها وتخفف عناء القراءة العربية على أبناء الغرب وتيسر نقل الألفاظ الافرنجية
وإدماجها في المطبوعات العربية وتجعل القراءة العربية الصحيحة في مقدور كل قارئ
بإدخالها الحركات بين الحروف .

هذه هي المزايا الاربع التي يمكن الادلاء بها في جانب اقتراحها لتأييده ولكن هناك
من المساوي ما يفقد هذه المزايا قيمتها ويجعلها اموراً تافهة لا يؤبه لها .

نحن لا نستطيع احثاء حذو الأتراك من هذه الجهة لان بين لغتنا ولغتهم بونا

شاسعاً وفروقاً جمة تجعل متعذراً علينا ما اختاروه لانفسهم . وهاتنا نسرد بعض الاسباب الجوهرية التي تحملنا على عدم الأخذ بنصيحة السيدين الافرنسيين :

١ — عندنا الحروف ث ح خ ذ ص ض ط ظ ع غ ق وهي احد عشر حرفاً ليس لها مقابل في الحروف اللاتينية . فتبقى مضطرين عند قبولنا هذا الاقتراح لوضع اشكال جديدة لهذه الحروف وبذلك نفقد مزية سهولة القراءة على الاجانب عن اللغة وتصبح كتابتنا شكلاً جديداً تختلط فيه الحروف اللاتينية برموز أخرى على مثال ما هي الحال في كتابة اللغة الروسية .

هذه العقبة هان على الأتراك اجتيازها لانهم لا يلفظون هذه الحروف بمخارجها العربية الاصلية بل يخففونها ويجعلونها دانية مما يقاربها من الحرف اللاتيني فهم يلفظون الذال والزاي والضاد والظاء بصوت واحد ويكتبونه بالحرف اللاتيني Z ويلفظون الشاء والسين والصاد بصوت واحد ويكتبونه S والتاء والطاء بصوت واحد يكتبونه T والحاء والطاء والهاء بصوت واحد يكتبونه H والقاف والكاف بصوت واحد يكتبونه K والغين جيماً حاقية يكتبونه G واما العين فيلفظونها همزة او الفا ويكتبونها كذلك .

فجميع الحروف التي استعاروها من العربية او الفارسية وليس لها مقابل في الابجدية اللاتينية ادجوها بحروف أخرى تقاربها ووجدوا اللفظ بينها .

اما اللغة العربية فلا استطاع فيها هذا التبديل والتلاعب ولا بد لكل حرف منها من شكل خاص به يصاحبه لفظه الخاص ايضاً وبدون ذلك لا تبقى القراءة الفصحى التي هي المزية العليا لهذا اللسان الرنان بل تنقلب فصاحتنا الطلية رطانة أعجمية .

٢ — خزائن الكتب العربية هي ثروة قيمة ليس للعرب وحدهم بل للمدنية والثقافة القديمة كلها فاذا اخذنا الابجدية اللاتينية نفقد هذه الثروة النفيسة ونفقد معناها العالم أجمع ولا يمكن ان يعاد طبع جميع هذه الآثار الغالية بالحروف الجديدة فتبقى الكتب الموجودة جميعها مجموعة الغاز ومعميات لا يحل رموزها من ابناء الجيل الآتي الا المنقبون عن الآثار وبارتكاب هذه الغلطة الفادحة نقطع علائقنا مع الماضي ونسف كل جسر يوصلنا به بدون ان يكون عندنا جديد يصلح للحلول محله . اما الاتراك فليس في خزائهم هذه الثروة الثمينة وبالفصل بين حاضرم وغابرم لا يخسرون شيئاً مذكوراً .

٣ — حروف العلة في العربية ؟ ثلاثة فقط تكون طويلة وهي أ ، و ، ي وتكون قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة لكل منها شكل واحد في اللفظ ايضاً وجدت الله ما عدا الامالة المقول بها في بعض القراءات المهجورة فلسنا والحالة هذه بحاجة ماسة للاستعانة بالحرف العلة اللاتينية للتمكن من اللفظ الصحيح على حين ان في التركيب صوتين للعلة لا يمكن اظهارهما بالحرف العربي وهما (u) (eu) فما كان عندهم باملاء متشابه مثل (كول) صاروا يكتبونه اليوم بحسب لفظه gul و geul وتبقى كل كلمة لمعناها .

٤ — الكتابة العربية الحاضرة هي نوع من الاختزال لتوفر فيه السرعة والاقتصاد وما يكتب منها في سطر واحد يقتضي سطرين او اكثر بالحرف اللاتيني فما هي الفائدة التي نؤخاها من تركها واتخاذ طريقة أخرى تكلفنا وقتاً وقرطاساً أضعاف ما نحن ملزمون به الآن ؟ . طلب اليّ رجل انكليزي مرة ان أقرأ له مكتوباً عربياً جاءه من صديق له وثناوات المكتوب وهو بضعة أسطر دقيقة وبدأت أتلو مضمونه عليه بالانكليزية وهو يستغرب طوله وغزارة محتوياته حتى ارتاب بصحة الترجمة ولم يصدق ان هذه الأقوال الكثيرة والجل الطويلة يمكن وجودها في تلك الأسطر القليلة .

٥ — الحرف العربي أجلى للنظر بسبب التباعد بين أشكال حروفه فلا يلتبس الواحد منها بالآخر وتستطاع قراءته بالنهار والليل وعلى النور الضئيل بدون الاستعانة بالعوينات وهذا يعرفه كل مصاب بقصر البصر او يبعده ، انا اليوم اقرأ الكتابة العربية بدون صعوبة واما الكتابة الافرنجية فقد أصبحت مضطراً للاستعانة بالعوينات على قراءتها . وهذه مزية للحروف العربية لا يستهان بها بل تكفي وحدها لتفصيلها على غيرها فانك لنظر الى الصفحة الافرنجية فلا تكاد تتبين حرفاً من حرف الا بعد امد ان النظر واجهاد البصر وهذا هو السبب في ما اعتقد لاضطراب اكثر الاوربيين لاستعمال العوينات وهم بعد في عهد الشباب بينما قراء العربية يبقون قادرين على قراءتها بالعين المجردة حتى في سن الشيخوخة .

٦ — نحن الصوريين لسنا مستقلين باللغة فليس من حقنا ان نستأثر بهذه البدعة المنكرة ونقطع مع اخواننا في العراق ومصر وجزيرة العرب وشمالي افريقية تلك الصلات الراحمة التي تربطنا بهم .

فمن لا ننكر ان الكتابة العربية في حاجة الى شيء من الاصلاح فلا يبقى عليها سبيل
لانتقاد او متهم وهذا الاصلاح يتدمج في امرين :

الاول : الحركات ، وهي في حالتها الحاضرة متذرة الادخال عند لزومها بين الحروف فتوضع فوقها او تحتهما وهذا لا يستطاع نقله للطبع الا بصعوبة عظيمة ، لان المطابع غير مجهزة بحروف محركة في قوالها واذا تجهزت بها اقتضت لهذه الغاية مثات من القوالب فوق الموجود منها وهذا يربك الطباعة ويجعل تفقاتها فوق الاحتمال مع هذا الكساد فلاجل تلافي هذا النقص يمكن تحويل الحركات الى أشكال حرفية يدخلها الكاتب في كتابته عندما يكون واثقا من صحتها و يرى لزوما لادخالها فننقل الى المطبوعات بدون عناء و تهون القراءة الصحيحة على ابن اللغة وعلى الاجنبي عنها . اما الحركات النخوية الاعرابية فلا بأس من اهمالها في الكتابة لان اكثر القراء يعرفونها او يهملونها .

الثاني : تعديل الحروف المطبعية ليكون لكل منها قالب واحد سواء وقع طرفاً او وسطاً فلا يبقى احدها راجعاً فوق الآخر كما هي الحالة الآن . فانك ترى حرف اللام مثلاً عدداً كبيراً من القوالب بحسب انفرادها او توسطها او تطرفها او مع حرف آخر يسفلها مثل ل ل ل لي ل ل ل لم ، فيجب ان يكون في المطبعة قوالب لكل واحد من

هذه الأشكال وغيرها مما لا يعرفه إلا أهل هذه الصناعة وإي إرباك أعظم من هذا في تنفيذ الحروف وفكها وتوزيعها ؟ كانت المرحوم علامة اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي قد وضع اشكالاً للحروف لا تختلف عن أوضاعها الأصلية وإنما يمكن صفها الواحد لصق الآخر بدون حاجة إلى تراكيها وتنوعها فبقى للحرف الواحد شكل واحد أبنا وقع وهكذا لا يكون أمام المرنب في المطبعة سوى ٢٩ بؤرة للحروف بدل المئات الموجودة أمامه اليوم . وقد طبع نماذج عنها في مجلة الضياء فكانت جميلة مناسبة وتمنى رواجها كل من رآها ولا أدري ما الذي أقعده عن تعميم العمل بها سوى ضيق ذات اليد وفقد المناصرين .

إذا تم للأبجدية العربية الإصلاح من هاتين الجهتين تصبح سالمة من العيوب وإفية بالغرض وقد اشرت على الخطاط الشهير نجيب بك هواويني أن يحف الناس بشيء من آثار نبوغه في هذا الباب فلا يكون حظه من التقدير والتدوين بعيداً عن حظ ابن مقلة . فهل له أو لغيره من الخطاطين وأصحاب المطابع أن يضع اشكالاً لقوالب الحروف المطبعية نفي بهذه الأغراض وتزبد الكتابة العربية رونقاً وجمالاً وكما تفوقت هذه اللغة بفصاحتها وبلاغتها تبقى متفوقة بجمال كتابتها ؟

لا أريد أن أترك القلم قبل أن أسأل الاستاذين الفاضلين ماسنيون وبينار لما إذا خصافاً بالنصيحة بتبديل حروفنا لإصلاح كتابتنا ولم يقترحوا على قومهم إصلاح الأملاء الأفرنسي الذي هو أحوج إلى التنقيح من أي كتابة أخرى . جميع اللغات تقريباً تقرأ كما تكتب ماعدا الأفرنسية (وبعض الألفاظ الانكليزية) فإن بين أملائها وقراءتها بوناً شامعاً إذاً حروفاً كثيرة في كل كلمة تقريباً نكتب ولا نقرأ وبعض الحروف تلفظ بغير الصوت الذي وضعت له . وقد اكد لي العارفون أن تسعين بالمئة من الأفرنسيين أنفسهم يفلطون بالأملاء وكل الأجانب عنهم ونحن من جملتهم يشكون صعوبة التهجئة والقراءة الصحيحة بهذه اللغة . خذ لك مثلاً كلمة (temps) فإنها تلفظ طانت ولو لفظتها كما تكتب لوجب أن تلفظتها (تمبس) وهو فرق غريب بين اللفظ والمجاء وأكثر الكلمات الأفرنسية على هذا النمط كما أن اللفظ الواحد عندما تمكن كتابته بأشكال متعددة بدون أن يتبدل لفظه وهذا ليس له مثيل في لسان آخر وهو من الصعوبة بمكان .

اذا كانت القراءة الصحيحة عندنا صعبة على غير الراستخين في علم اللغة بسبب إهمال الحركات فإن الاملاء الافرنسي متعذر على غير الراستخين ايضاً . وقد كان الاولى بمحضرة الاستاذين الكريمين ان يسميا اولاً باصلاح كتابة لغتهما قبل ان يعمدا لهذه النصيحة الجريئة في بلاد الشرق ونحن على كل حال نشكرهما اهتمامهما بشؤوننا وعنايتهم بمصالحنا .

— — — — —

كتاب مناقب بغداد

« هو لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ »

تلوت تلك المعركة القلمية التي قامت بشأن كتاب مناقب بغداد وهل هو للامام عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ام لحفيده المسمى باسمه وكنيته ولقبه المقتول مع ابيه يوسف سنة ٦٥٤ .

فتصفحت كتاب الدر المنضد في رجال الامام احمد للعلامة عبد الرحمن بن محمد العمري وهو من مخطوطات المكتبة الاحمدية في حلب وقد قال في اوله انه اختصره من طققاته الكبرى المسماة بالمنهج الاحمد فوجدت فيه ترجمة للامام عبد الرحمن بن الجوزي في عشر صفحات فاستنسختها وقد عدد فيها ١٩٦ مصنفاً له ولولا خوف الإطالة لسردتها ههنا وقال بعد ان عددتها : وتصانيف أخر غير هذه وقبل ان له حواشي على صحاح الجوهري وما أخذ عليها واختصر فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلداً .

وقد وضعت فيما نقلته ارقاماً لمصنفاته التي ذكرها فبلغت مائتة فحاء في رقم (٨٣) مناقب بغداد مجلد . فلم يبق هناك من ريب في ان الكتاب هو لعبد الرحمن المتوفى سنة ٥٩٧ هـ لا لحفيده عبد الرحمن المتوفى سنة ٦٥٤ .

وقد قدمت ان الدر المنضد هو مختصر من المنهج الاحمد فيغلب على الظن ان المؤلف هناك سر د اسماء مصنفات ابن الجوزي فالمرجو من الاستاذ الشيخ عبدالقادر المبارك عضو جمعية العلمي الذي عنده نسخة من هذا الكتاب ومن الأديب يوسف اليان مركيس الكني في مصر الذي نقل نسخة من هذا الكتاب بالمصور الشمسي ولا أدري في خزانة من هي ومن

الاستاذ الشيخ سعيد الكرعي الذي عنده قطعة كبيرة من هذا الكتاب كما ذكر ذلك الأديب عيسى اسكندر المملوك في مجلة المجمع قديماً ان يرجعوا الى هذا الكتاب ويفيدونا هل بين هذه المصنفات ذكر لكتاب مناقب بغداد .

ويطلب على ظني ان صاحب المنهج اخذ ترجمة ابن الجوزي من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ومنه استخانت في المكتبة الظاهرية فالمرجو من الاستاذ حسني الكسم مدير هذه المكتبة ان يفيدنا هل لهذا الكتاب ذكر بين مصنفاته .

فاذا كان قد ذكر في هذين الكتابين او في احدهما فلا يبقى هناك مجال للشك في نسبة الكتاب الى الامام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ونقطع جبهة قول كل خطيب ويكون ما ذكر في كتاب المناقب من حوادث سنة ٦٥٤ من زيادات الحفيد او غيره وهذا مما لا يستغرب فقد رأينا لذلك نظائر : هذا كشف الظنون لكانب چلي فان صاحبه توفي على ما أذكر الآن حول سنة ١٠٧٠ وقد أدرج فيه ذيله وطبعاً معاً بدون تفرقة بين الأصل والدليل فتري فيه من توفي من المؤلفين في وسط القرن الثاني عشر وقل من الناس من يعلم ذلك .

عضو المجمع العلمي

محمد راغب الطباخ



مطبوعات حديثة

كتاب

« فلسفة اللغة العربية وتطورها »

الاستاذ جبر ضومط طبع في مطبعة المقتطف والمقطع بمصر سنة ١٩٢٩ م

في ٢١٣ صفحة

هذا الكتاب يتضمن ما أنشأه الاستاذ جبر ضومط عضو مجمعنا العلمي بين سنتي ١٨٨٨ و ١٩٢٨ م من المقالات والخطب القيمة التي تبحث في تاريخ اللغة العربية ونهضة الأقوام المتكلمين بها وفلسفة نشوئها وتطورها ووسائل ترقيتها وهي نحو ٢٣ فصلاً مفتحة بمقدمة بقلم المرحوم الدكتور يعقوب صروف هي بعض الخطبة التي كان أعدها قبيل وفاته لتقرأ في اليوبيل الذهبي الذي أقيم لتكريم الاستاذ جبر . على ان المقالات التي تضمنها الكتاب لم تكن كلها في موضوع فلسفة اللغة وتطورها بل ان بعضها في موضوعات أخرى تاريخية واجتماعية وادبية لكن جمهرة المقالات متعلقة بالموضوع المذكور وكل ما كتب فيها يرمي الى تزيين رأي المؤلف في فلسفة اللغة العربية وتطورها . وخلاصة ما يرمي اليه في ذلك هو ان الامة العربية دخلت في طور جديد من الحياة فيجب ان تدخل لغتهم ايضاً في طور حياة جديد ينطبق على اجتماعهم ويناسب طورهم الجديد والا فان وقوف اللغة موت لها فتضار الامة اذ ذاك الى ان تلبس لغتها قميصاً من اللغات الاخرى يساعدها على تطويرها وقد شرح المؤلف هذه الطرق التي تحيي اللغة العربية وثمن في ذلك ما شاء وشاءت براعته . وان أسلوب الاستاذ يمتاز بالسهولة وجودة التقسيم وحسن ايراد الشواهد على ما يريد اثباته . وقد أعجبنا من قوله — وكل أقواله معجبة — ما جاء في خطبته التي تلاها في جامعة بيروت الاميركية وجعل عناوينها (اللغة العربية : ما أخذت وما أعطت) وقد أورد قوله هذا مستندلاً به على سعة اللغة العربية وغزارة مادتها ومواطناتها لما يطلب منها من اصطلاحات العلوم اذا أحسن هذا الطلب وعرفت الطرق الموصلة اليه : فذهب الى ان علماء العرب ان كانوا احتاجوا الى علوم الاوائل فنقلوها الى لغتهم كعلم المنطق والفلسفة

وغيرهما فان لغتهم نفسها لم تحتج في هذا النقل الى لغات الاوائل بل كانوا يتقلون مباحث العلوم و يفرغونها في كلمات من عند لغتهم وخرب لذلك مثلاً فقال : « ان علماء العربية اخذوا علم المنطق عن علماء اليونان إما رأساً وإما نقلاً عن السريانية ولكنهم لم يأخذوا الفاظ هذا العلم كما هي عن اليونان بل قالوا : موضوع ومحمول . وقضية وقياس واستنتاج . ومقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة . والمقولات العشر . والقول الشارح . والتصور والتصديق . وكلي وجزئي . وقضية كلية . وقضية كلية معاملة . وقضية كلية مسورة . وهلم جراً من مصطلحات هذا العلم » ثم قارن بين مافعله علماء العرب وما فعله علماء الغرب فقال : « وأخذ العلماء الغربيون علم المنطق عن اليونان كما أخذ علماء العرب إما رأساً او عن اللاتينية وأخذوا لغاتهم ايضاً عن اللغة اليونانية او اللاتينية لانهم قالوا : « سيكت وبرديكت » للموضوع والمحمول . وقالوا : كتيغوري إي المقولات العشر وهلم جراً اي ان لغتهم اخذت نفس الحدود عن اللغة اليونانية بخلاف اللغة العربية فانها استغنت عن ألفاظ تلك الحدود اليونانية بألفاظ من لغتها العربية ادت معانيها تمام التأدية من غير صعوبة ولا التباس . وما قبل في المنطق يقال في علوم الفلسفة فان علماء العربية اخذوا هذا العلم عن غيرهم اما لغتهم فلم تحتج الى لغة القوم ورأت فيها من الألفاظ ما يؤدي معاني ألفاظ ذلك العلم فقالوا : موجود ومعدوم . وعرض وجوه . وحال وكسر وانكسار . وتأثر وأثر . وماهية وهوية . ومقتضي ومانع ومعارض . وقالوا : الماهيات بمعمولة بجعل جاعل وغير معمولة . والعقل الاول والمبدأ الفياض . وغير ذلك من مصطلحات الفلسفة كثير . ولا يخفى ان كل هذه الألفاظ من صميم الألفاظ العربية . ومن عرف هذه المصطلحات بالفرنسوية او الانكليزية علم ان أغلب هذه الألفاظ مأخوذة عن اللاتينية او اليونانية بل علم ان علماء هاتين الأمتين ، ما زالوا يؤلفون في اللغة اللاتينية الى عهد قريب لعدم استطاعة لغاتهم اولاً ان تجمل هذه العلوم بنفسها بخلاف اللغة العربية فانها تحماتها حالاً وأصبحت تلك العلوم كأنها موضوعة فيها ابتداء وكان من علماء اللاتين والجرمان انهم ترجموا في بادئ امرهم أكثر تلك العلوم عن اللغة العربية .

وهكذا كان الامر ايضاً في علوم الطبيعة كالطبيعات والطب والكيمياء والفلك

والنبات والحيوان : فالت اللغة العربية لم تعج في كل هذه العلوم الا الى الالفاظ التي تستعار استعارة لان مسمياتها من نبات وحيوان لم تكن معروفة في البلاد العربية لانها لا تعيش فيها وتعيش في غيرها من البلدان . فأخذوا الامم باخذ المسمى وهكذا الحال فيها لو كان اللفظ المأخوذ اسماً لآلة مخصوصة صنعها صناع تلك الامم قبل ان عرفها العرب والعربية بمئات من السنين » اه .

فلاذ ذر المؤلف ما أقدره على تصوير سعة لغتنا العربية وامغنائها ومبلغ طاقتها على تمثيل العلوم التي تترجم اليها .

هذا نموذج مما كتبه ويكتبه العلامة جبر صومط في خدمة لغتنا العربية منذ اكثر من خمسين سنة وما زال على بلوغه الكبر يدأب ويعمل في خدمة هذه اللغة الشريفة والدفاع عنها واثنيها ابناء قومه الى الاستفادة من مواهبها . فنسأل الله ان ينسأ في عمره ليري ما يحبه لها من الرقي والازدهار . « المغربي »

حياة محمد

La vie de Mohamet

par

Emiel Dermenghens

بين الشرق والغرب جدل يرجع معظمه الى ماركب في طبائع البشر من المطامع . فاي منهما قوي شوكته ، واستد ساعده ، نازل صاحب بعندي عليه ، ويسلبه استقلاله ، سنة القوي في الضعيف .

وقديما كانت هذه الخصومة ، بد انها كانت خصومة صريحة ، ومن آيات الشرف الصراحة . يهاجم الشرق الغرب ، والغرب الشرق باسم الدين ، ومن اجل السلب ، ويسمي كل منهما عمله : جهاداً او حرباً مقدسة ، وغزواً . من غير موارد ولا مدهنة . ودارت الايام دورتها ، فتهذبت مظاهر الناس ، وظلت نفوسهم على ما كانت عليه من الطمع والجشع ، وسلب القوي حق الضعيف ، واعتدائه عليه . ولكن باسم التمدن وهو اسم جديد أطلقته سياسة العصر الحاضر على الغزو والحروب الدينية . والغريب ان الامم من قبل — اي في هيجيتها . . . — كانت تقاتل من اجل دينها ، فاذا بعض

أم الغرب اليوم تقاتل مأجورة حتى في سبيل دين غير دينها .
وهذا الاعتداء الطريف في برودة التمددين ، يتطلب «دعاية» لتقدم الفتح تمهيداً
لمقاصده ، او تتبعه تثبيتاً لقواعده ، تظهر الضعيف في ثوب خالق من الجهل والشقاء ،
فيعذر القوي في التغلب عليه « لتمدينه » . وما هو الا ان ننشئ فيه أظافره حتى يمزق
أديمه ، ويمتص دمائه .

لذلك انطلقت السنة رجال العلم من الأقوياء ، ومن يمت اليهم بسبب ، يؤلفون عن
المستضعفين التأليف المبكية المضحكة . يلقون لهم تاريخاً غير تاريخهم ، ويخلقون لهم قوميات
غير قومياتهم ، وينكرون عليهم حقهم في الحياة ، ويسمون عملهم بعد ذلك علماً وتاريخاً .
حال يدعو المستضعفين — ونحن منهم — ان يتدبروا ما يقال فيهم بحذر وبقظة ،
ليعرفوا ما الذي يراد بهم مما يؤلف عنهم .

كانت هذه الفكرة تملأ رأسي وانا أنظر في الصفحة الاولى من كتاب (حياة محمد)
ومررت بالمقدمة فاذا المؤلف يقول :

« أردت ان أرسم لمحمد صورة صحيحة على قدر ما يمكن ، وذلك كما رأيته حياً في
حديث الكتب ، وفي النفوس الحية من اولئك المؤمنين به » « واتخذت في
كلامي عنه خطة وسطاً ، بين اولئك المستشرقين المفرطين فيه والمفرطين . فمنهم
من يجعله فوق اهل زمانه ، يختلف عنهم في كل شيء ، ومنهم من يجعله شبيهاً بهم في
كل شيء ، وبعضهم يزعمه مات من الأنهم ، وآخر من الصوم » .

« وما يؤسف له ، ان الاب لامنس — وهو من أحدث المؤلفين ، واكبر الادباء
المتخصصين — كان من اكثرهم نفراً فجاءت كتبه القيمة الممتعة مشوهة بكرهه الاسلام ،
ونبي المسلمين . واقد طبق هذا العالم اليسوعي على هذا التاريخ تلك الاساليب الانتقادية
القاسية التي وجهها بعضهم الى النصرانية » .

قرأت هذا كله في مقدمة الكتاب ، فلم يغير الا قليلاً مما كان علق بنفسي . اذ
المقدمات شيء ، وما يكتب بعدها شيء آخر . ولشد ما يختلفان .

على اني ما اخذت في قراءة الصفحات الاولى حتى رأيتني مسوقاً الى المغي حتى آخر
صفحة من هذا الكتاب . فاذا المؤلف صادق في قوله ، ماض على الخطة التي اختطها

لنفسه من الصراحة والاعتدال . نزه قلبه عن التعصب على النبي ، وتجانف عن التسليم
الاعمى . فصوب حيث رأى صواباً ، وخطأ حيث ظن خطأ .

سرد (حياة محمد) بأسلوب قصصي — وكتابه هذا حلقة من سلسلة سماها (قصص
العظماء) — فكان أسلوبه شائفاً ، وعبارته سهلة على مانتقضي الرواية ويلتذ القاري .
وصف نشأة محمد (ص) الاولى وصفاً دقيقاً ، وأفاض في ما لقيه من العقبات والأحوال
في نشر دعوته ، وأشار بثباته وعزمه ، وعفوه وحلمه ، وعظمته وتسامحه ، وأتى بمثال
على ما كان يوصي به رجاله في الغزوات من معاملة الضمءاء والشيوخ والاولاد والنساء ،
معاملة حسنة ، وان لا يعتدوا على ساكن . ولا يتلفوا زرعاً . ولا يقطعوا شجراً . ويقول
المؤلف : وهذا ما يقل في التاريخ مثله .

ونوه بترقيته لقومه ، ونظم شملهم على أساس جديد لا سابق عهد لهم به .
وقال : اذا لم يأت الرسول بالمعجزات التي أتى بها غيره من الرسل ، فحسبه معجزة
انه جمع اليه اولئك العرب الجفأة الذين طبعوا على الفوضى ونشأوا على الخصام والقتال
فلم يعرفوا الحياة العامة قبل مبعث الرسول .

ونوه كذلك بما كان من عمل محمد في رفع مستوى المرأة ، وبما أوجده لها من حقوق .
وانه أوجب معاملتها بالحسنى ، ومنعها العزوبة وهو اكبر خطر يهدد حياتها اليوم . وأثنى
على خديجة وعلى جهادها الى جانب النبي وذكر مكانتها عنده .
وأعجب بما كان يرضه الرسول من شرائع يأتيها على مهل ، مما ينفق وروح التشريع ،
والغرض منه . قال وكان محمد رسولاً ومشتجعاً وسياسياً وعسكرياً .

قال : وصدق محمد ثابت لا يمكن ان يوضع اليوم موضع الشك والريبة ، وحياته
على ما فيها من هفوات — لم يكن ينكرها — تشهد له بأنه كان على ثقة من رسالته .
ولقد تحمّل هذه الرسالة بشجاعة ، كأنها عبء كاث عليه ان يكون اول من يستقل
بائقل نصيب منه .

وذكر جهود المهاجرين في مهاجرهم . وانهم دخلوا يثرب ضعافاً فقراء ، فعملوا
وجهدوا حتى أثنى نفر منهم . نازعوا اليهود في تجارتهم فغلبوهم على جزء منها .
وأدخلوا على المدينة روحاً جديداً من الهمة والسعي . وبخيل اليك وهو يصور هؤلاء

المهاجرين في كدحهم ، انه يصف فريقاً من الامة الاميركية بنشاطها وجهادها .
ويمتدح عمل الاسلام في الفن والحضارة في صفحات ربما نقلنا شيئاً منها في
مقال آخر .

وهو مع هذا يأخذ على الرسول فتكه ببعض من فتك بهم ويقول : « وكنا نود ان
لا نسجل مثل هذه الحوادث على الرجل الذي جمع في نفسه ما جمع من الشرف والعظمة .
ولعل محمداً من حيث هو انسان ، كان مضطراً للدفاع عن نفسه ذلك الدفاع الذي تجبزه
حقوق عصره وبلاده ، غير اننا كنا نريد لرسول الله ، الباعث بني قومه من بعدهم ،
ان يكون أكثر صفاء ، وأكثر ترفعاً عن التأثر بالعوامل البشرية ، حتى لا يقع شيء من
الظل على هذه الصورة الوضوءة من كل ناحية أخرى من نواحيها » .

ويقول ان المسلمين كانوا في فجر الاسلام اقرب الى النصارى منهم في القرون التي
تلت . وبلقي تبعة ما وقع من خلاف على المفسرين والمحدثين من المسلمين الذين خرجوا
عن الاستثلاف والقربي للذين ارادهما الرسول . ولا يبري النصارى مما رمى به
المسلمين ، فهم في تأليفهم قد رموا المسلمين بما هو لاء منه براء ، وانهم وارسلهم تعماً كاذبة
شنعاء .

والذي ننكره عليه انه اخذ ببعض خرافات لا يجوزها العقل ، ولا يقول بها من
المسلمين غير العامة . وهذا قليل جداً .

وانه أراد ان يجعل الاسلام صورة كاملة عن النصرانية ، لذلك يزعم ان الاختلاف
بين الدينين انما نجم عن تحريف في القرآن ويعلل ذلك تعليلاً غير مقبول . وهذا
الزعم يحمل القاري على اتهام المؤلف بانه استمد رأيه هذا من شعور ديني ان لم يكن فيه
مخناً فقد غلب عليه .

وعلى الجملة فهذا الكتاب من خير ما أخرجته غربي عن محمد (ص) . فنشكر المؤلف
جهوده في العمل وصدقه في الرواية .
عارف النكدي

احاديث المجد والوجد

— لابي الفضل الوليد —

« قرنة الحمراء — المتن »

ابو الفضل الوليد عربي بلقبه واسمه اللذين اختار ، عربي ببلده (المتن) وببلدته (قرنة الحمراء ^(١)) . وهو فوق هذا عربي بلسانه وروحه ، ثابت على عقيدته العربية : مقيماً ومهاجراً ، في الدورين الغابر والحاضر .

وكم من اخواننا الذين كانوا عرباً ابام الدولة العثمانية لاصرياً ، عملوا على هدم اركان هذه الدولة بحجة النصر للعرب وللقضية العربية ، فلما قضى الامر عاد كل منهم الى حقيقة التي كانت يخفي ، وأنسته المرتبة التي يشغل ، والسياسة التي انحل ، تلك المؤتمرات ، وهاتيك العهود .

(١) لما فتح خالد بن الوليد مشارف الشام ثم تغلغل الى داخله ، هاجر الى بعض جبال لبنان قبائل عربية نصرانية تستعصم به . وبعد ان فتح العرب لبنان كله هاجرت اليه قبائل أخرى هجرة ثانية نزل اكثرها في الشوف ثم المتن .

ولقد أبقى العرب للاماكن القديمة اسماءها القديمة — واكثرها مريباني — كما فعلوا في سائر الشام . وأطلقوا الاسماء العربية على ما حدثوا من القرى والساكنين . من ذلك : المتن : وهو ما ظهر من كل شيء . ومن الارض ما ارتفع . وقيل ما ارتفع واستوى ومن نظر الى المتن في لبنان علم ان من سمى هذا الموضع انما كان عربياً حقاً .

والقرنة : الطرف الشاخص من كل شيء . يقال (القرنة الحمراء) على الوصف كما يقال (قرنة الحمراء) على الاضافة الحقيقية او على حذف المضاف . وقد جرى العرب كثيراً في مسمياتهم على مثل هذه الاضافة او على حذف المضاف . فمن الاول باب الصغير (بدمشق) ووادي الكبير (بالاندلس) . ومن الثاني وقف العثمانية اي المدرسة العثمانية فقولنا (قرنة الحمراء) قد يراد به الاضافة الحقيقية الى الحمراء او ان هناك محذوفاً هو الهضبة او الراية كأن نقول : (قرنة الهضبة الحمراء) او (قرنة الراية الحمراء) وما شبه او ان العامة استثقلت اداة التعريف فقصت عليها .

ومن شاء ان يعرف كيف يكون إخلاص الرجل لامته ، وحبه لوطنه ، صادقاً رصيناً فدونه « أحاديث المجد والوجد » فهي صفات من القصة القومية ، ومن الوطنية الصحيحة ، تعرفها الام الحية الراقية لا الجماعات المستعبدة . مكتوب ذلك كله بعبارة تغلب عليها الجزالة في كثير من الاحيان وتندفق منها الجرأة والشتم والاباء .
عارف النكدي



جزء من صحيح البخاري

اشهر روايات صحيح البخاري في المغرب من طريق الحافظ البذر ، واشهر الروايات عن ابي ذر رواية الحافظ ابي عمران موسى بن سعادة المتوفى سنة ٥٥٦ ، بواسطة الصدي عن الباقي عنه ، وقد كانت نسخة ابن سعادة المعتمدة والمنسوخة بخط يده في أواخر القرن الخامس موقوفة في مكتبة جامع القرويين بفاس الى ان فقدت من هذه الخزانة من نحو ستين سنة ثم انما ظهرت اخيراً واخذ عنها فرع بالتصوير الشمسي بهمة الاستاذ [لافي بروفنسال] مدير معهد الرباط وكان في مقدمة الساعين بذلك الاستاذ المحدث السيد محمد عبد الحفي الكتاني الحسيني الادريسي الذي اهدى اليها المجلد الحاوي الخمس الثاني من الاصل اوله كتاب الحج وآخره كتاب الجهاد والسير على ورق في غاية المثانة ، وعليه مقدمة بقلمه نحو اربعين صفحة في تاريخ هذه النسخة ، وبها بالفرنسية من الطابع الموما اليه في ثلاثين صفحة ، فلعليها الشكر على همتها الشاء في نشر الآثار العربية القيمة .

عضو المجمع العلمي

مسعود الكواكبي



« تنبيه » = بها منضد الحروف فلم يضع توقيع صاحب المقال المنشور في الجزء الخامس ص ٣٠٨ بعنوان (تحفة تاريخية نادرة) وتوقيعه (وامي شكري) وهو احد ادباء الاستانة المقيمين فيها كما انها ايضا اذ كتب على الغلاف ان المقال للسيد زكي مقامز وليس كذلك .



مَجْلَمُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

(دمشق) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر و ربيع الاول سنة ١٣٤٨ هـ

كتاب المداخلات (١)

او المداخل

لابي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز غلام ثعلب

بسم الله الرحمن الرحيم

١ (باب الظليل^(٢)) — الظليل^(٢) الحَصِيرُ والحَصِيرُ الحَبَسُ^(٣) والحَبَسُ الجَبَلُ^(٤)
الْأَسود والأَسود سواد العين والعين مطرُ أيام لا بُدَّ لِمَجِّ والمطر^(٥) كثرة السواك
والسواك مشي الجائع . والسواك ايضاً مشي بضعف يقال تساوكت الابل تساوكةً
وساوكت غيرها مساوكةً وسواكةً والمشى النخمة والنخمة حركة الصائد في الناموسة

(١) (المجمع) أرسل الينا بهذا الكتاب (او الرسالة) المفيدة في اللغة الاستاذ
عبد العزيز الميني الراجكوتي اخذها عن نسخة فريدة ميخانة أباله رامبور الاسلامية بالهند
بعد ان اعنتني بتصحيحها وعرضها على المعاجم وجمع أخبار مؤلفها (ابي عمر) وقدمها الى جمعنا
العلمي لتكون كأطروحة على انتخابه عضواً في المجمع وسننشر في هذين الجزئين كتاب
(ابي عمر) نفسه ثم نشر ترجمته في الجزئين التاليين .

(٢) في الاصل الظليل في الموضعين مصحفاً . (٣) يريد المحبس والسجن . (٤) في
الاصل الحبل مصحفاً . (٥) الموجود في لسان العرب الممطر والمطريرة للرجل والمرأة
الكثيري السواك . ابن الأثير المطيرة المطيرة المنظفة بالماء أخذ من لفظ المطر كما فيها
مطرت (وهذا مما زيد على المعاجم) ولم يذكر المصدر بهذا المعنى .

والناموس صاحب مرّ الخير والجاموس صاحب مرّ الشرّ والسرّ قرّج الرجل وأنشد^(١)
للاّفوه الأودي :

لما رأت مرّي تغير وانثني من دون أهمة شبرها حتى انثني

قال ابو عمر والآنهمة الشهوة والحركة . والحركة^(٢) منع البحر الصيد . والمنع^(٣)
السرطان . والسرطان داء البيل^(٤) وهو انتفاخ الفخذ والساق . والساق النفس^(٥)
والنفس^(٦) الماء وأنشد ثعلبة عن ابن الاعرابي فقال :
أجعل النفس^(٧) التي تُديرُ في جلد شاة ثم لا تُديرُ

قال ابو عمر : اما قولم الساق النفس فمن ذلك قدح في ساقه وقت في عضده فالساق
النفس والعضد القرابة^(٨) ومن ذلك ايضا قول امير المؤمنين فنظرت فاذا ساق قد أخذت
وينيني فسمعت وأطمت قال كان أخذت عليهم اليمين التي^(٩) اخرج نفسه من الشورى انه

(١) في الاصل شادها وفي اللسان شبرها حين . والشاد لامعني له . (٢) الذي في
اللسان عن ابن الاعرابي حرك اذا منع من الحق الذي عليه . نعم يوجد في مختصر الوجوه
والنتاج الفعل والحركة (وهذا مما زيد على المعاجم) ويتكرر في الباب ال ١٦ .
(٣) يتكرر في الباب ال ٢٧ . (٤) لم أجده ولعله مصحف الدبيلة فني التاج السرطان
دائه يشبه الدبيلة اه وفي اللسان الدبيلة خراج ودُمْل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها
غالبا ثم جزمت بانه داء الفيل وفارصيته بيل والعصمة لله . (٥) اللسان ومنه قول علي في
حرب الشراة لا بد لي من قتالهم ولو تلفت ساق . التفسير لابي عمر الزاهد عن ابي العباس
(النهاية واللسان) . (٦) البعوضة يقال اكرع في الامناء تراك او تفسين (محركا من
النفس) اللسان وفي مختصر الوجوه ص ١٠٠ انه الماء (فهذا مما زيد على المعاجم) .

(٧) في اللسان والنتاج النفس من الدباغ قد ردبغة اودبغتين مما بدبغ به الاديم من القرظ
وغيره يقال هب لي تفسا من دباغ ثم انشد الشطرين . (٨) والأعوان والانصار وهذا
التفسير يوجد في اللسان حرفا حرفا . (٩) العبارة قلقة البنية والمعنى معلوم واهل الشورى
الذين عينهم عمر عند موته وكان علي* اخرج نفسه من بينهم كما اشار به العباس عليه
رضوان الله عليهم .

مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُ فَإِذَا سَأَلْتِ أَيْمَنِي أَيْ إِنْ خَالَفَتْ أَخَذْتُ سَأَلْتِ وَهِيَ النَّفْسُ لِلْيَمِينِ الَّتِي أَخَذْتُ عَلَيَّ .

٢ (باب الكِرِّ بِز) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن^(١) الاعرابي قال الكِرُّ بِز القشاة الكبار والكبار^(٢) جمع الكِبَرِ والكِبَرُ الطُّبْل والطُّبْل^(٣) السد والسدة الساة والسلة^(٤) الناقة لم يبق لها سن من الكِبَرِ اي الهرم والسن الثور^(٥) والثور السيد والسيد الزوج والزوج الدباج والدباج^(٦) الناقة الينة المس والمس الجنون والجنون^(٧) سواد الليل والليل فرخ الكَرَوَان قال ابو عمر قال المبرد^(٨) وجمع الكَرَوَان كروان وكذلك الباب^(٩) كله قال ابو عمر وانشدني ابو احمد الكاتب قال انشدني الجُريري هذا :

أَكَلْتُ^(١٠) النَّهَارَ بِنِصْفِ النَّهَارِ وَلَيْلًا أَكَلْتُ بَلِيلَ بَيْمٍ
وَالنَّهَارَ فَرَخَ الْحُبَارَى وَاللَّيْلَ فَرَخَ الْكَرَوَانَ وَالسَّاةَ السَّرْقَةَ وَالسَّرْقَةَ بِالْفَتْحِ^(١١)
وَالكُسْرِ وَاحِدَةُ السَّرْقِ وَالسَّرْقُ الْحَرِيرُ الْاِبْيَضُ وَالْاِبْيَضُ^(١٢) عَرَقٌ فِي الْقَفَا وَانْشَدَ ثَعْلَبُ
عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَوْلَهُ^(١٣) :

(١) وكذا في اللسان عنه . (٢) وأكبار ايضاً والكِبَرُ معرَّب . (٣) الطبل والسدة
ساة الطعام : اللسان ومختصر الوجوه . (٤) كذا في المعاجم . (٥) اي الوحشي .
(٦) الذي في اللسان عن ابن الاعرابي الفتية الشابة فكأنت هذه مما زيد على
المعاجم . (٧) مصدر جن عليه الليل . (٨) اي في كامله (طبعة لبسيك ص ٢٦١)
وهذا لفظه الكِرَوَان جمع كروان وهو ظائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكامله
ولكنه على حذف الزيادة فالنقدير كرى وكروان كما نقول أخ وإخوان الخ .
(٩) كشة ذان وشية ذان انظر طبقات ابن قتيبة أخبار طرفة . (١٠) البيت في
اللسان ايضاً خير معزوف . (١١) فتح راء السرقة (وهذا مما زيد على المعاجم) .
(١٢) في اللسان الابيضان عرقان في حالب البعير وفي البطن وعرقا الوريد (وهذا
مما زيد على المعاجم) وفي مختصر الوجوه انه عرق سيف العنق . (١٣) الرجز لهذين
ابن قحافة وتمايه (وفرَّبوا كلَّ جمالي عَصِيَّةً ، قَرِيْبَةً نَدْوَتِهِ مِنْ مَحْمُضِهِ ، بَعِيدَةً مَسْرُوتِهِ
مِنْ مَنَرِ خِيَمِهِ ، كَأَنَّمَا يَجْمَعُ عِرْقَا اِبْيَضِهِ ، وَمِلْتَقَى فَائِلِهِ وَأَبْيَضُهُ) والندوة بالضم موضع
شرب الابل (اللسان) (بيض وندا) .

(لا يتشكى ضربان أبيض قربة ندوته من مخضه) .

قال الندوة اكلة بين شريئين للابل والمخض موضع الحمض .

٣٣ (باب الفرسكة) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الفرسكة^(١) الخوخة والخوخة الثوب الاحمر^(٢) والاحمر الذي لا سلاح معه والسلاح شحم^(٣) الابل والشحم البياض^(٤) والبياض اللابن والابن وجع العُنق من الوسادة والعُنق جماعة من الناس والناس^(٥) [ابو] قبيلة والقبيلة رقعة يرقع بها^(٦) قُبُ القميص والقميص غلاف القلب والقلب العقل والعقل ضرب من الوشي والوشي كلام الواشي بين المحبّين والواشي ضرب اب الدنانير وجمعه وشاة واشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

فما^(٧) هبرزي من دنانير ابلة بايدي الوشاة ناصع بتا كَل
باحست منه يوم اصبح غاديا وتفتني فيه الحمام المعجل

قال ابو عمر تفتني اعني رغبتني وناقسني راغبني ومنه قول الله عز وجل :

(فَيُتَنَافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ) اي فليترغب المترغبون .

٣٤ (باب الشاصونة) — اخبرنا ثعلب عن^(٨) ابن الاعرابي قال الشاصونة البرنية والبرنية ديك^(٩) الذبَط والذبَط البلق الذي يبلغ الى البطن والبلق السطاط والفسطاط^(١٠)

- (١) الذي في اللسان الفرسك فهذه مما زيد على المعاجم . (٢) الذي في اللسان عن الازهرى ثوب اخضر يسميه اهل مكة الخوخة فهذه مما زيد على المعاجم ولا مجال للتصحيح . (٣) يخالفه ما في اللسان اخذت الابل سلاحها سميت وليس السلاح اسما لسمن ولكن لما كانت السمينة تحسن في عين صاحبها فيُشفق ان يخرها صار السمن كأنه سلاح لما فهذه مما زيد على المعاجم ويوجد سيف مختصر الوجوه . (٤) لا يوجد هذا على إطلاقه في اللسان فالوجود الشحم بياض البطن نعم وجدته في مختصر الوجوه (فهذه مما زيد على المعاجم) . (٥) لعل صوابه ابو قبيلة وهو قيس عيلان اخو الياس بن مخر .
- (٦) ما يدخل في جيب القميص من الرقاع . (٧) يوجدان في اللسان بلفظ ومالخ .
- (٨) وفي اللسان عن ابي عمرو . (٩) مثله عن ابن الاعرابي في اللسان ايضا وقيل البراني بلفة اهل العراق الديكة الصغار حين تدرك . (١٠) غيره مجتمع اهل الكورة .

الجمع الكثير من الناس والجمع النخل^(١) الذي يحمل رطباً كبير النوى . والديك ايضاً
العظم الذي يكون خلف^(٢) أذن الفرس والأذن الذي يسمع من كل احد لكرم فيه والكرم^(٣)
البنات الطاهرات والبنات اللعب^(٤) واللعب الخوالس والخوالس^(٥) بهوت الاربعة عشر
والبهوت العرائس واحدها بيت والبيت العروس^(٦) وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :
عض^(٧) على شبدعه الأديب فظل لا يلحى ولا يحوب

قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الشبدع العقرب والشبدع ايضاً اللسان
والشبدع الداهية ويلحى بلام ويحوب يأثم .

○ (باب الكلاواذ) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي الكلاواذ نابوت التوراة
والتابوت مجتمع^(٨) الأضلاع في أعلى البطن والبطن من بطون العرب والعرب النفوس
واحدها آعربة^(٩) يقال أصبحت طيب العربة والنفوس الدماء والدماء معروفة والمعروفة
الجارية تخرج عن يدها العرقة^(١٠) وهي البثرة والعرفة الريح والريح الغلبة ومنه قول الله
عز وجل (ونذهب ريحكم) اي غلبكم قال وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

(١) هذه مما زيد على معاني اللسان ففيه النخل خرج من النوى لا يعرف اسمه
وقيل تمر مختلط من أنواع متفرقة وليس مرغوباً فيه ثم وجدته في مختصر الوجوه .
(٢) وهو الخششاء (اللسان) . (٣) جاء في قول قطري (فنبو العين عن كرم عجاف)
ولا اختصاص له بالبنات فهو مصدر يوصف به الواحد والثنائية والجمع والمذكر والمؤنث
سواء بلفظ واحد . (٤) التماثيل الصغار تلعب بها الجوارى . (٥) الكلمة فانت اللسان
وهي في التاج ومنته . ونظمه : الخوالس أعبة لصبيان العرب تخط خمسة أبيات في ارض
سهلة ويجمع في كل بيت خمس بعرات وبينها خمسة أبيات ليس فيها شيء ثم يمر البعر
اليها . كل خط منها حالس قاله ابن السكيت وقال الفنوي هي أعبة مثل اربعة عشر .
(٦) اي المرأة التي بني بها .

(٧) اي الأديب يكف من لسانه ولا يلاحى ولا يأثم .

(٨) (اللسان) الأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد وغيرهما تشبهاً بالصندوق .

(٩) بالفتح . (١٠) فرحة تخرج في بياض الكف .

يا^(١) صاحبي ألا لاجي بالوادي إلا عبيد وآم بين أذواد
 أنظرون قليلاً ريث غفلتهم أو تعدّوان فان الريح للعادي
 (باب العرار) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال العرار البهار الاصفر
 والبهار^(٢) كَبَب الفرس واللَّبب المسترق من الرمل والرمل نسج العُدْمُر والحصر جمع
 العَصُور والحصور الذي لا يجب النساء والمحب البعير المتعَب والمتعب المملوء من الآيسة
 والمملوء المزكوم والمزكوم الولد الملقى يقال زكمت به أمه فهو زُكْمَة وهو موحد في جميع
 الحالات قال انشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :
 زُكْمَة عُمَار بنو عمار مثل الحراقيص على الحمار
 الحرقوص دويبة مثل القراد تدخل في أرقاغ الأَبْكار وانشدنا ثعلب عن ابن
 الاعرابي :

ويحك يا حرقوص مهلاً مهلاً أَيْبَلَا أعطيتني ام نخلا
 ام انت شيء لا تبالي جهلاً
 وانشدنا ايضاً ثعلب^(٣) :

مالني البيض من الحرقوص يدخل بين الغلق المرصوص
 بهر لا غال ولا رخيص

√ (باب الحرقوص) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحرقوص^(٤)
 نواة البُسرة والنواة الحاجة والحاجة^(٥) الشوكة والشوكة^(٦) النقاية التي يقال لها الدويبة

(١) للسليك وقيل لتأبط شراً ابن برّي وقيل لاعشى فهم وذكر من اول الكلمة
 بيتين (اللسان) (أمو، روح) . (٢) (اللسان) البياض في لب الفرس .
 (٣) لأعرابية والشطر الثاني في (اللسان) من مارد لص من الصوص . (٤) فات
 (اللسان) وذكره المجد وصاحب مختصر الوجوه ص ٣٥ . (٥) من (ح ي ج)
 ولا يوجد في المعاجم على إطلاقه فلفظ (اللسان) نبت من الحمض وقيل من الشوك ابن سيده
 الحاج ضرب من الشوك وهو الكبر الخ فهنا (زيادتان) في اللفظ حاجة وفي المعنى انه كل
 شوك وجدتهما في مختصر الوجوه . (٦) ليس في معاني الشوكة النقاية ولا في معاني

والنقابة الطوافة والطوافة الجارية والجارية السفينة قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي:

واقدر رأيتُ مطيةً معكوسةً تمشي بكلكها وتزجيها الصبا

يصف السفينة الطوافة والطوافة ايضاً (١) السطور والسطور (٢) عظم حلق الفرس

والحلق (٣) الشؤم والشؤم التكد والتكد منع الخير وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي:

نكدت (٤) ابا زينة اذ سألنا بحاجتنا ولم تنكده ضباب

تجنبت الجيوش ابا زبيب وجاد على منازلك السحاب

زبيب نصغير زنب وهو الرسم قال ثعلب قلت لابن الاعرابي امدا دعاء عليه ام

له قال بل عليه فقلت لم قال لان الاعرابي اذا كان له مال وأثاث جاءته الجيوش (٥)

الى الفسارة واذا كان له ابل وغنم وجاء الغيث ونبت الكلأ رعى فيه واذا لم تكن له ابل

ولا غنم وجاء الغيث اشتكت كبده من الغم كيف لا تكون له ابل نرعى ههنا وههنا .

اخبرنا ثعلب عن ابي نصر عن الاصمعي قال العرب تقول (٦) في صفة الكلأ كلاً تينج

منه كبد المهنرم والمهنرم صاحب الهزيمة والهزيمة قليل من الغنم وسائر

الحيوان قال ابونصر قال الاصمعي في مثل هذا كلاً الحابس فيه كالمقيم وكلاً المقيم فيه

كالمسافر .

النقابة الدويبة ومعاني الشوكة في مختصر الوجوه (٦٢) واحدة الشوك والأذى والحمة

تعلو الوجه وطينة يُغرّز فيها سلاً . النخل ويخلص بها الكتان وفرحة بالجوف وجماعة

القوم ومثله في (اللسان) وفي (تاج العروس) .

(١) ومنه الحديث (انها من الطوائف عليكم او الطوائف) . (٢) يتكرر في

الباب الـ (٢٥) . (٣) وكذا في تاج العروس عن ابن الاعرابي ومنه قولم في الدعاء عقرا

حلقاً . (٤) (اللسان) البيت الاول برواية ابا زبيبة (مصحفاً) عن ثعلب قال عداه بالباء

لانه بمعنى يخل وفي مادة (زنب) البيتان برواية ابا زبيبة مصغر زبيب ان سألنا قال واما

زبيب مرختم — نعم الزآب السمن ولكن لا يظهر ان يكون زبيب في البيت مصغره .

(٥) كذا في الاصل موضع «للغارة» . (٦) يوجد القول مع التفسير في (اللسان)

«صرم» .

٨ (باب المِجَنَّة) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال المِجَنَّة طبق (١) الخيزران والطبق (٢) الحال والحال الحماة والحماة (٣) عظم الساق والساق ساق حرّ والحر حيّ (٤) من العرب والحر الرماد والرماد (٥) الهلاك والهلاك الشرّ وانشد (٦) :

أتبعته الرمح اذ مالت عمامته
تحت الغبار ولم أهملك الى اللين

اي طلبت بثأري ولم اشره الى دية . والشره اكل (٧) الشولقي والشولقي الطفة يلي اكله بالعجلة لثلاثي والعجلة الطينة وجمعها العَجَل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :
والنبع (٨) في الصخرة الملساء منبذته والنخل ينبت بين الطين والعجل
ومنه قول الله عز وجل (خلق الانسان من عجل) قال ابن عباس من طين .

٩ (باب الحياء) — الحياء (٩) فرج المرأة والفرج الثغر والثغر الاسنان وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي :

وسرب ملاح قد رأيت وجوهه
إناث أدانيه ذكور أواخره

السرب ههنا أسنان (١٠) الجارية والاسنان تؤث والاضراس تذكر واراد بالسرب ههنا

(١) المعروف انها الترس (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٢) قال تعالى (لنركبن طبقاً عن طبق) . (٣) غير مهموز وانه عضلة الساق كما في اللسان ومختصر الوجوه ص ٣٣ فيجب ان تسهل الهمزة في (والحال الحماة) . (٤) لم اجد معنى حرّ في اللسان والتاج ومختصر الوجوه (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٥) المعروف في المعنى الرمادة (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٦) (اللسان) انشده الكسائي في نوادره وروايته (بطلته سيف اذ مالت كوارته — تحت العجاج الخ) والمعنى مجاز . (٧) في الأصل اكل الشولقي والشولقي الصفي مصحفاً . والذي سيف اللسان (مصحفاً) والتاج والأساس الشولقي المحب للعلاوة المولع بها (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٨) يوجد في اللسان بلفظ الصخرة الصماء . . . بين الماء والعجل . (٩) المجمع عليه انه فرج ذوات الظلف والخفّ والسباع (وهذا مما زيد على المعاجم) نعم عن الازهرري في (اللسان) الحيّ فرج المرأة .

(١٠) كما في مختصر الوجوه ص ٥٥ والمعنى فات (اللسان) و (التاج) (وهذا مما

زيد على المعاجم) .

اسنان الجارية لاجتماعها وكل مجتمع مربوب . قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحياء هو من الاستحياء والحياء فرج كل أنثى بهيمة او إنسية محدود (١) ومقصود وبعد المدافصح والحياء الغيث مقصور لا غير .

• (باب اللواص) - اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال اللواص العسل والعسل عدو الذئبة والذئبة كوة (٢) السرج والسرج الحسن (٣) واخبرني السيارى قال سمعت المبرد يقول الحسن والحسن (٤) العظيم الذي يلي المرفق مما يلي البطن والقبيح (؟ القباح) (٥) والقبيح العظيم الذي يلي الكنف قال السيارى وانشدني المبرد لبعضهم :

الحسن والقبيح في عضو من الجسد فوق الذراع وتحت المنكب العضد

وبطن مصدر بطن العير أبطنه بطناً اذا ضربت بطنه والعير (٦) الناقى في وسط الأذن بين الروم والحجارة (٧) والروم (٨) شحمة الأذن والوسط خيار الأمة والأمة القامة والقامة (٩) الخشبة التي تكون على رأس البئر تعاق عليها البكرة وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

- (١) لا يرى الأزهري قصره الا ضرورة وغلط الليث في إطلاقه المد والقصر .
- (٢) كذا في مختصر الوجوه ص ٤٦ وفي كتاب السرج واللجام لابن دريد الذئبتان باطنا العضدين ففي كل قربوس عضدان وذئبتان وعضدان رجلاه اللتان ثعلبان على الدفتين وفي اللسان هو ما تحت مقدم الخنوين وهو الذي بعض على منسج الدابة الخ . (٣) في الاصل الحسين مصحفاً . والمعنى (ما زيد على المعاجم) فالمدكور جبين سارج كالسراج في الحسن فقط . (٤) في الاصل الحسين مصحفاً والحسن كالتقبيح ذكره المجددون (اللسان) .
- (٥) الذي في التاج واللسان قباح لغة في التقبيح بهذا المعنى وفي تفسيره خلاف وقال الأصمعي في خلق الانسان له (ص ٢٠٥) رأس العضد الذي يلي رأس الذراع قبيح .
- (٦) في خلق الانسان (ص ٢٠٤ و ٢٢٧) الحاجز الذي في وسط الكنف يقال له العير وعير القدم الشاخص في وسطها . (٧) في الاصل الحارة مصحفاً ومحارة الأذن صدفتها كما في خلق الانسان (ص ١٧٠) وفي (ص ١٩٦) واعلى الحنك المستدير . (٨) بالفتح ويضم .
- (٩) هذا التفسير في كتاب صفة البئر عن ثعلب عن ابن الاعرابي للدعامة . والدعامة والقامة كأنهما شيء لا والأشطار في اللسان (دعوم وقوم) بلفظ وائتي موف وفي صفة البئر أيضاً .

لما رأيت أنها لا قامه . وأنتي ساق على السامة

تزعّت تزعّا زعزع الدرامة

قال قلت لأبي نصر ما سمعت الأصمعي يقول قال قال هذا مثل لم يكن ثم قامه . ولكنه نزع ببديده أي استقى استقاء لو كانت ثم درامة تزعزعت . قال أبو العباس قلت لابن الأعرابي ما معنى هذا الكلام كان فيه مطالبة وقد نفي وأوجب وقلت له ما قال الأصمعي فقال أخطأ الجاهل قال قد كانت ثم قامه وكانت ثم درامة ولكنه كان شيئاً ضعيفاً . وقوله قامه لم يرد الخشبة وإنما أراد قولهم قائم وقامة (١) كما نقول بائع وباعة وهم (٢) المُمِينون فلذا فقدم نثسط (٣) واستقى فزعزع الدرامة التي كانت ثم ومنه قوله : وقامة ربعة بن كعب حسبك أخلاقهم وحسبي

|| (باب الأوفت) — أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال الأوفت (٤) اليفنة واليفنة الحامل (٥) من البقر والبقر التخير ويقال بقر ويمر وبعل وعقر (٦) كله إذا تخير من الفارق والفرق (٧) تباعد ما بين ثنابا الإنسان والثنابا الطريق في الجبل والطرق جمع الطريق والطريق (٨) الطوال من النخل وهي الكنائل وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي : قد أبصرت (٩) سُعدي بها كنائلي مثل الجواري الحُسُرى العطابل

(١) يوجد القول في اللسان عن ثعلب قال كأنه أراد لافائين على الحوض يستقون منه ومثله فيما ذهب إليه الأصمعي (؟؟؟) وقامني ربعة الشطرين .
(٢) في الأصل وهو . (٣) في الأصل نثسط .

(٤) الذي في المعاجم الأوفت بالكسر أو الفتح الكريم من الأوبل والأفث بالفتح وبكسر السريع الذي ينلب الأوبل على السير وليس هذان المعنيان من جملة معاني اليفنة (فهذه ما زبد على المعاجم) . (٥) أو هو البقر . (٦) كان في الأصل عقر وقد أوقعنا سيفه أنساب وكل هذه الأفعال توجد في التاج واللسان . (٧) والوصف أفرق ثقله تليد أبي عمر ابن خالويه في كتاب (ليس) له . (٨) الواحدة طريقة (اللسان) .

(٩) في اللسان والثاني والثالث :

طويلة الأقساء والعنساء كل مثل العذاري الخُرُود العطابل

الحصير اللاتي لا ثياب عليهن والعطابل جمع عطبول وهي الطويلة من النساء .
١٢ (باب المصاب) — قال واخبرنا (١) ثعلب عن ابن نجة عن ابي زيد قال
 المصاب (٢) قصب السكر والقصب قصب السباق في الحلبة وغيرها والسباق سباق (٣)
 الصقر والصقر الدبس (٤) والدبس الخلق (٥) الكثير والخلق الفري والفري الاصلاح
 وانشد ثعلب عن ابن نجة عن ابي زيد :
 ولأنت (٦) تفرى اذ خلقت به من القوم يخلق ثم لا يفرى
 يخلق بقدر روبري يقطع (٧) وأفرى الأديم اذا شقه للفساد [و] فراه بغيرالف
 اذا شقه للاصلاح .

١٣ (باب الموشق) — اخبر ثعلب عن ابن الاعرابي قال الموشق (٨) غلاف القوس
 والقوس الكتلة من التمر تبقى في البجامة للقلنا والقلنا والقفيز كلة الجلة والقفيز الجلفاء (٩)
 الطعام بلا أدم والأدم الخياط والخياط تصغيره خليط (١٠) وانشدنا ثعلب عن
 ابن الاعرابي :
 وكنت أخاطي في الجمال فأصيح جمالي ذوالى ولأها من جمالك
 اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال يقال مرذا من ذا ووال ذا من ذا وزل (١١)
 ذا من ذا .

١٤ (باب الحادور) — قال ابو عمر اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال قال

(١) كان في الاصل انشدنا مصحفاً . (٢) بلفظ المصاب بمعنى المصيبة . (٣) قيده
 من سير او غيره . (٤) عند اهل المدينة . (٥) الناس . (٦) من قصيدة للاعشى تراها
 في زيادتنا على ديوانه ونسب للسيب بن طس والبيت يوجد في قصيدة لزهير ابناً .
 (٧) هذا قول الجوهري وخالفه غيره . (٨) غيره قراب القوس . (٩) ويسمى القفار
 ايضاً . (١٠) كأنه ظن خلط في البيت مصغر خلط وليس كذلك فانه مقصور وهو
 مشدداً ومخففاً بمعنى الاختلاط وكان في الاصل (خلطاً في الجمال) وفي اللسان ان البيت
 انشده الحماني ذوالى تميز (اللسان) (ولى) وفي الاساس وال غنمك من غنمي اي اعزها
 وميزها . (١١) زاله يزيله لغة في أزاله .

الحادور (١) القُرْط والقُرْط (٢) الحَمَامَة والحَمَامَة القُرْط والقُرْط (٣) الذي في الأَوْع والأَوْع السعدانة (٤) التي حول الثدي والسعدانة الحمامة والحمامة البكرة التي يستقي (٥) عليها وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

لو أن من يزجُر بالحمام يقوم يوم وردها مقامي إذا اضل سائر الاحلام

٥ (باب البسل) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال البسل الحرام والحرام (٦) النملة والنملة قروح تخرج في الجنب والجنب القُرْب والقُرْب الخاصة وهو واحد الاقرب والخاصرة الجارية التي تجد البرد كثيراً والبرد النوم قال ثعلب ومنه ان جارية كانت تجب رجلاً وكان يحبها فيخلو معها بلا فساد فجاء ذات يوم يسأل (٧) عنها فقال اولياؤها ادخل اليها واقعد معها لحظة واخرج فدخل وخرج بالعجلة فقال له اولياؤها اقبلتها واحدة وخرجت . قال لا معنى البرد . قال فدخلوا فاذا هي ميتة والنوم الموت والموت الهدوء والسكون عند العمل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي قوله (٨) :

يا قوم من يحلب شاة ميتة قد حلبت خطبة جنباً مسفته

قال يقال مسفته للبقيرة وهو السفت (٩) والزفت والقيز قال واخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي قال العرب تقول لعن الله غنماً خيراً خبطة وكثة (١٠) وبطان (١١) قال وهذه شرار الغنم ولا تنصرف ويقال للعلبة جنبه وجنب ويقال لها السمراء . «لليحث صلة»

(١) غيره القرط في الاذن . (٢) وهي نبات كالرطوبة الا انه اجل منها واعظم ورقاً . (٣) اي حمة الثدي واللوعة السواد حول حمة المرأة . (٤) غيره سعدانة الثدي دوة حلتها . (٥) في الاصل يستقي . (٦) لا يوجد في غير مختصر الوجوه ص ٣٤ قال محشيته لم ار ذلك غير هنا (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٧) في الاصل يسأل مصحفاً . (٨) البيت في اللسان (خطط) ميتة ساكنة عند الحلب . والجنب العلبة . ومسفته مدبوغة . والشطران مع التفسير والمثل الآتي يوجدان في الميداني طبعاه الثلاث (٢ : ١٠٨ ، ٨٥ ، ١١٥) ولقاء والمسكرى بطبعتيه (١٦١ و ٢ : ١٢٣) والمستقهي (مخطوط) ونوادر ابي زيد (ص ٢٤١) وشرح المفضليات (ص ٣٣٥) . (٩) لغة في الزفت اولثفة . (١٠) كان في الاصل كثة بالثلثة وأوقعنا في عناء . (١١) ككتاب .

ابن خلدون

- ٢ -

(آراؤه الخاصة في المقدمة) = ولاين خلدون في مقدمته آراء في طبيعة العمران وطبائع الامم في اجتماعهم بنفرد باستنباطها او بكاد . ولما كان مجتثا في آثار الرجل انما هو من الوجهة التاريخية الأدبية لا من الوجهة العمرانية والاجتماعية وفلسفة التاريخ كان استيعابنا لكل آرائه وتحيصها بالنقد نقضا واثباتا تعرضا لما لا يعني الأديب .

على انه لم تعد كل آرائه التي ذكرها في مقدمته في سياسة الممالك مطردة في عصرنا هذا اذ أصبحت طريقة الحكم فيه دستورية وكلامه في الدول الاستبدادية المطلقة ، علاوة على ان معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة وسهولة مواصل الامم بالسكك الحديدية والبواخر والبرق والسلكي والاثري والمسرة وكل ذلك يختلف كثيرا عما كان قبل .

ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نشير بشيء الى آرائه المسئلة التي لم تنقض بعد وآرائه المتخلفة بحكم المدنية الحديثة فمن الاولى :

- (أ) ان الاجتماع البشري لا يخلو من بداءة وحضارة .
- (ب) ان البداءة والاضطراب اصل لكل حضارة .
- (ج) ان البداءة تستلزم بالطبع العصية .
- (د) ان العصية تستلزم الاستقلال وفقدانها يسبب الاضمحلال .
- (هـ) أن البداءة تستلزم الخشونة والنشاط ، ومما يستلزمان الغلب والاستيلاء على اهل الحضرة والاندماج فيه .
- (و) ان نشوء الحضارة او اضمحلالها لا يكون طرفة بل يقتضي انقضاء نصف قرن او اربعين سنة على اقل تقدير حتى يكون تأثير كل قد شمل النشء والشبان والكهول .
- (ز) ان تأسيس الدول او غلبة أمة على أمة لا يكون الا بدافع ديني او سياسي .
- (ح) ان غلبة أمة على أمة لا يكون الا بدافع نتيجة ضعف المغلوبة ضعفا لا مقاومة فيه بعصية او قوي أخرى معنوية .

(ط) ان التغلب على الأمم القوية بالعصبة او كثرة العدد يكون بالمطاولة لا بالمناجزة .

(ك) ان المغلوب مولع ابدآ بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وعاداته .
(ل) ان الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها (من كل وجه) أسرع اليها الفناء .

(م) ان الأوطان الكثيرة القبائل والمصائب قل ان تحكم فيها دولة .
(ن) ان الحضارة في الأمصار تدوم وترسخ بمرسوخ الدول وطول عمرها .
ومن الثانية اي الآراء المختلفة التي لا تطرد على إطلاقها :
(أ) ان الدول لها أعمار طبيعية كالأشخاص وان عمرها لا يزيد على مائة وعشرين سنة فان ذلك منقوض بالدولة العباسية والعثمانية وانجلترا وفرنسا .
(ب) ان التنافس والنزاع ضروريان بين الملك وأشراف الدولة وزعمائها وان ذلك ينهي بتغلب الملك وذلك منقوض بالدول الدستورية كإنجلترا .
(ج) ان العرب أبعد الناس عن سياسة الملك .
(د) ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط .
(ح) ان العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الفساد .
(ك) ان المياني التي تحتلها العرب يسرع اليها الخراب .
(ل) ان العرب أبعد الناس عن الصنائع .

وآراؤه هذه في العرب من أشنع اغلاطه واوهامه ، وكلامه فيها مضطرب مفكك ليس صادراً عن اعتقاد راسخ او ضمير مخلص ، ولعل الذي حمله على الانحاء على العرب امران : الاول انه كان يخدم دولاً بربرية ثم جركسية سلبت العرب ملكهم .
الثاني ما رآه من عرب المغرب الجالين اليه أوائل القرن السادس للهجرة وما بعده من التخريب والتدمير ناسياً عن ان هؤلاء كانوا من أجيال البدو الجاهلين تعليمات الاسلام وخلال العرب القديمة زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية في الشرق والاندلس والعباسيين والفاطميين بله دول اليمن القديمة والحديثة ، اوغانلاً او متغافلاً ان هذا التخريب كان منمداً منهم ، وكانوا مأجورين عليه من قبل الدولة الفاطمية بمصر انتقاماً

من المعز بن باديس الذي خلع طاعتهم .

ويدافع بعضهم عن ابن خلدون في حكمه على العرب بهذه الأحكام انه لا يريد دول العرب في صدر الاسلام وانما يريد هؤلاء البدو غزاة المغرب في القرن السادس . وليس ذلك بصحيح فانه كما يخلط بالاستشهاد هؤلاء الاجلاف من هلال وزغبة ورياح وجشم يذكر العرب الفاتحين الاولين في اختطاط الكوفة والبصرة والقيروان عند بدء تكوين الدول الاسلامية وفي مواضع أخرى مختلفة

(هـ) ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم من الأعاجم وهو منقوض بالاحصاء يقتضيه كتب التراجم لأئمة المذاهب الاسلامية والعلوم اللسانية . نعم انه كان يكثر في صدر الاسلام من بني أمية وأوائل الدولة العباسية المتشرفون بالعلم من الأعاجم لاشتغال أشرف العرب بأعمال السلطان من الولاية والجبابة وقيادة الجند وإدارة الملك فلما ضمنت شوكة العناصر العربية في تولي أعمال الدولة اشتغل معظمهم بالعلم وبدؤوا الأعاجم فيه ، على ان كثرة العلماء من الأعاجم لم تكن غالبية في أي عصر من عصور دول العرب وخاصة دولتهم في الاندلس . ونولا الاطالة لا تبنا ثبت إحصاء لأئمة العرب وعلمائهم وقابلناه بمثله من أئمة الموالي وعلمائهم .

(و) ان اخلاق التجار منخطة عن أخلاق الأشراف من الملوك والرؤساء والولاة وذلك منقوض في عصرنا بتجار اوربا واميركا هذا الى كثير من الآراء المنقوضة المتعلقة بالدول الاستبدادية المتباعدة الأطراف .

(أنظر المقدمة في عالم التأليف) = أسبغنا الكلام في تأثير المقدمة في كتابة التأليف والمصحف منذ أوائل العصر الحاضر ، ونقول هنا ان موضوع المقدمة بشكلها الشامل لاصول السياسة والعمران والاجتماع والاقتصاد وتاريخ العلوم والآداب في الملة الاسلامية مبتكر لابن خلدون ، وان ذكر غيره في مقدمة تاريخه او عمله بعض هذه الاصول والقوانين العامة كابن الطقطقي وغيره وابتكاره البحث في هذه المسائل ارشد من اتى بعده من مؤرخي الدول والعلوم من العرب والترك والاوربيين الى مجاراته في بعض بحوثه او معظمها ، فنحاجي خليفة نحموه في تاريخ العلوم والحضارة في كتابه كشف الظنون

وكذلك حسن صديق خان ملك باهوبال بالهند في كتابه انجندالعلوم بل استرق منه فصولاً
برمتها . وكذلك العلامة طاش كبري زاده في كتابه مفتاح السعادة . وكذلك القاضي
عبد النبي بن عبد الرسول الهندي في كتابه دستور العلماء أو جامع العلوم في أربعة
مجلدات ضخام .

وكذلك خير الدين باشا التونسي في مقدمة تاريخه ضخام . في الامور السياسية
والاجتماعية .

ولجودت باشا التركي المؤرخ المشهور مقدمة لتاريخه باللغة التركية طرقت اكثر
ابواب المقدمة وترجمت الى العربية .

وقد قرأت كتابي روح الاجتماع وتطور الامم لغستاف لوبون الفرنسي اللذين
ترجمهما المرحوم احمد فتحي زغلول باشا فرأيت قد عقد فصولاً كثيرة مقتبسة من
المقدمة وانما طبق احكامها على الجماعات والامم بدل تطبيقها على القبيلة والدول كما يفعل
ابن خلدون .

على انه لا ينكر منصف ان مقدمة ابن خلدون هي باكورة المؤلفات المفصلة في علوم
الاجتماع وال عمران والاقتصاد السيامي .

وقد ترجمت المقدمة الى عدة لغات شرقية واوربية بتعليق وبغير تعليق .

(تاريخ ابن خلدون) = يعتبر تاريخ ابن خلدون احد المراجع التاريخية الكبيرة
التي تغلب عليها صحة النقل وتحري الحق في اللسان العربي ، وان لم يخل من ذكر بعض
التهاويل والغرائب التي نعى عليها في مقدمته .

ويمتاز بانه التاريخ الوحيد الذي أسهب الكلام بما لا مزيد عليه في تاريخ أمة البربر
في شمالي افريقية ، وألم بغارة أعراب المشرق من سليم وجشم ورياح وهلال وزغبة على
دولتي صنهاجة وابادتهم غصراءها وعلى أطراف ممالك الموحديين فأبشخوا فيها زمن الدولة
الفاطمية وبايعازها .

وقد كان من نيته عند الشروع في تأليفه ان يقصره على تاريخ الامتين اللتين هما
الشان الاكبر والاثر الظاهر في حوادث وطنه ، وهما أمة العرب وأمة البربر ثم بدا له

بعد أن اتم الكلام عليها وبعد أن أزمع الهجرة الى المشرق فضم اليه بعض تاريخ أم المشرق لتوقع العثور فيه على الكتب المشرقية التي لم يتيسر له الاطلاع عليها في المغرب وكتب أول نسخة منه على صورة غير مستوفاة واهداها الى سلطان المغرب الافقي من بني مرين ابي فارس عبد العزيز واهدى نسخة منه غير تامة الى ابي العباس احمد من ملوك الدولة الحفصية بثونس وهو آخر ملك لقيه من ملوك المغرب .

ولما جاء مصر ونزل القاهرة وزاول التدريس والقضاء مراراً كان يشتغل في اوقات الفراغ والعزل عن القضاء باكمالها الى ان تم على النحو الذي طبع عليه غير ان النسخة التي طبع منها بمصر لم تكن اصح النسخ او انها نقلت من مسودة لم يكن ابن خلدون ملأ كثيراً من الفراغ والبياض الذي يتخللها بكثرة . هذا الى تحريف كثير في الفاظها وبخاصة الاعلام الاعجمية التي لم تضبط فيها على سقط كثير واختلال في بعض التراكيب . ولم يتعرض ابن خلدون كثيراً الى ربط اسباب الوقائع بمسبباتها وعلل سقوط دولة وقيام أخرى ، وبيان العبرة من ذلك لدارس تاريخه كما كان ينظر منه كل من قرأ مقدمته ، وكأنه اكتفى بما ذكره فيها من القوانين السياسية والاجتماعية وطبائع العمران ، وأحوال القاري لتاريخه على استنباط علل الحوادث منها وتطبيق الوقائع على قواعدها ، وذلك مما جعل بعض الذين لا يقدرון أعمال الرجال حق قدرها ان يقول « مقدمة ولاتاريخ » . وزعم بعض الباحثين من معاصرينا ان ابن خلدون اول من عدل عن كتابة حوادث التاريخ مقرونة بسني وقائعها ومرتبطة بتتابعها متداخلة فيها حوادث أم ودول مختلفة لوقوعها في زمن واحد كما يفعل الطبري وابن الاثير وانه بوب كتابه على ذكر تاريخ كل دولة في فصل خاص به . وليس ذلك بصحيح فانه قد سبق ابن خلدون الى هذه الطريقة المسموذي في مروج الذهب وفي التنبيه والاشراف ، ولعل هذه كانت طريقته في كتابه الكبير أخبار الزمان والاولسط ومثله ابن واضح البعقوبي ، وابن الطقطقي في الفخري والآداب السلطانية وغيرهم بل كانت هذه ولا تزال طريقة المغاربة في تواريتهم . وقد ترجم كثير من أقسام هذا التاريخ الى لغات مختلفة وعلق عليه بعض الباحثين آراء شتى .

(نموذج من كتابته) = فمن ذلك صدر رسالة كتب بها الى لسان الدين بن الخطيب ردّاً على كتاب وبغلب فيه السجع .

سيدي مجدداً وعلوا ، وواحدى ذخراً مرجوا ، ومحل والذي برأ وحنوا ، ما زال الشوق مذناً بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك ، ويخيل اليّ من أبدي الرياح لتساؤل رسائلك ، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع ، وعهد غير مضاع ، وود ذي أجناس وأنواع ، فنشر بقلبي ميت الشوق وحشر أنواع المسرات وقدح للقائك زناد الأمل . والله أمال الامتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك ، ويسني أمانى وأمانيك ، وحيثه تحية الهائم لموقع الغائم ، والمدج للصباح المتلج الخ . ومن سجمه في خطبة في فضل التاريخ :

وان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الايام وجمعوها ، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخططها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتنى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها اليأس كما سمعوها ، ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقى قليل ، وطرف الشقي في الغالب قليل ، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخيل ، والنقل يدعوى في الآدميين وسلب ، والتطفل على العلوم عريض وطويل ، ومرعي الجهل بين الأنام وخيم وبيل ، والحق لا يقاوم سلطاناً ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل انما هو عجلي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل ، والعلم يحلوها صفحات الصواب ويصقل الخ . .

ومن فصوله غير المسجوعة من المقدمة .

وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتيجانهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب البسر من المال فلا يصل اليه ، فغلبوه على امره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ، وغمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واحتازوها عن سوام من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . ويقال انه كان يدار الرشيد من ولد يحيى

ابن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم : زاحموا فيها اهل الدولة بالناكب ، ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابهم يحى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة ، حتى شب في حجره ، ودرج من عشه ، وغلب على امره ، وكانت يدعو : يا أبت ! فتوجه الا بشار من السلطان اليهم ، وعظمت الدالة منهم ، وانبط الجاه عندهم ، وانصرفتم نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال ، وتخطت اليهم من اقصى القنوم هدايا الملوك وتحف الامراء ، وسيرت الى خزائهم سيف سبيل التزلف والاستمالة أموال الجسابة ، وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القراية العطاء ، وطوقوهم المنن ، وكسبوا من بهونات الاشراف المعدم ، ومُدحوا بما لم يمدح به خليفهم ، واسنوا لعفاتهم الجوائز والصلوات ، واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والأصوار في سائر الممالك ، حتى آسفوا البطانة ، وأحققوا الخاصة ، واغصوا اهل الولاية ، فكشفت له وجوه المنافسة والحسد ، ودبت الى مهادم الوثير من الدولة عقارب السعاية ، حتى لقصد كان بنو قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم ، لم تعطنهم لما قر في نفوسهم من الحسد — عواطف الرحم ، ولا وزعتهم أوامر القراية ، وفارن ذلك عند مخدوهم نواشي الغيرة ، والاستنكاف من الحجر والائفة ، وكان من الحقوق التي بعثها منهم صفائر الدالة الخ .

* * *

(منزله في الشعر) = كان ابن خلدون شاعراً طويلاً النفس وشعره بالاضافة الى شعر اهل عصره وخاصة المشاركة منهم غاية في الجودة ، وان وصفه هو بأنه متوسط بين الجودة والقصور تواضعاً منه : اذ لم يكن ام بضاعته التي كان يقصد بها الى الملوك ويخدم بها دولتهم ، كما كان شأن الكثير ممن يقول الشعر . وكأنه مما يهتته الى غاية لا يكون الشعر الموصل الوحيد الى مداها . واول ما أمعن في قول الشعر والاعراب فيه ايام خدمته السلطان ابا سالم المريني حيث يقول : ثم اخذت نفسي بالشعر ، وأنشال عليّ منه ببحر توسطت بين الاجادة والقصور . ويظهر ان اشتغاله بالسياسة والتأليف والتدريس جعل فرض الشعر أصعب مثلاً عليه من التمرل والتأليف . قال عن نفسه في ذلك : (ذاكرت يوماً صاحبنا ابا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الأحمر ،

وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة ، فقلت له : اجد استصعاباً عليّ في الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلاً ، وانما أثبت (والله أعلم) من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية ، فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول ، وجمل الجونجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس . فاثلاً محفوظي من ذلك ، وخذش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ والجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاوز القريجة عن بلوغها . فنظر اليّ ساعة معجباً . ثم قال : لله انت ! وهل يقول هذا الا مثلك .

فلم يكن لذلك الشعر من اهم مميزاته لا لانه مختلف فيه عن غيره كما يقول ، بل لان تميزه بما هو اعلى كعباً في العلم والفلسفة وحسن التأليف وصدق النظر غطى على منزلته في الشعر . وكل ما يؤخذ عليه في الشعر انما هو تناوله المعاني المطروقة للشعراء وقلة ابتكاره فيها . وان كل ما أثر له من شعر كان في غرض واحد هو مدح رسول الله في الاحتفال بمولده ، ومدح الملوك . ومن تغلب عليهم صناعة الشعر يتناولون كل اغراضه الحسنة والقيية واليك نماذج من شعره :

(نماذج من شعره) = فمن نسيب قصيدة له قوله :

وامرئ في هجري وفي تعذيبي	واطلن موقف عبرتي ونحبي
وأبين يوم البين موقف ساعة	لعواد مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا	قلي رهين صباية ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح	فشرت بعدم بقاء غريبي
ياناقماً بالعتب غلة شوقهم	رحماك في عزلي وفي تأنيبي
يستعذب الصب الملام وانني	ماء الملام لدي غير مشروب

وله من قصيدة أخرى :

صحب الشوق لولا عبرة ونحيب وذكرى تجد الوجد حين ثوب

وقلب أبي الالفاء بعده وإن تزحت دار وبان حبيب
 والله مني بعد حادثة النوى فواد بتذكير العهود طروب
 يورقه طيف الخيال اذا مسري وتذكي حشاه نفحة وهبوب
 خليلي لا تستدعيا قد دعى الالمى فاني لما يدعو الالمى لحبيب
 الما على الاطلال يقض حقوقها من الدمع فياض الشؤون مكوب
 ولا تعذلاني في البكاء فانها حشاشة نفس في الدموع تدوب

* * *

(الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون) = اري الا تكون الموازنة بين رجلين
 تامة الا اذا توافرت فيها هذه الشروط :

- (١) اشتراكهما في امر او امور تغلب على صفاتها من علم او عمل على تفاوت بينهما
 طبعاً فلا يوازن بين كاتب وشاعر ولا بين مؤلف وخطيب بل بين كاتبين وشاعرين الخ .
- (٢) تقاربهما من بلوغ الغاية في الامر او الامور التي يوازن بينهما فيها فلا يوازن
 بين مختلف لا اثر له خالد في صناعة وبين تابه خالد الاثر فيها .
- (٣) تعاصرهما او تقارب عصرهما وتشابه بيئاتهما التي نشأ فيها .
- (٤) ان تقصر الموازنة على تقدير التفاوت بينهما فيما اشتركا فيه فلا يدخل فيها
 ما كان خارجاً عنه كشرف النسب كما كانوا يدخلونه بين جرير والفرزدق كما لا تدخل
 في ذلك الزندقة وصحة العقيدة اذا لم يكن لكل منهما اثر بهن فيما يوازن فيه .
- (٥) ان ينظر في نتيجة الموازنة والحكم النهائي فيها الى مجموع مزايا كل واحد من
 الموازن بينهما في صناعة لا الى مقابلة مزينة واحدة نبغ فيها احدهما ولم ينبغ الاخر .
 والى تأثير ذلك المجموع في ترقية هذه الصناعة .

- فاذا اردنا الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون على هذا النمط وجدنا انهما عظيمان
 متعاصران من بيئتين متقاربتين زاو لا تدبير الملك والسياسة والسفارة والتدريس وتوليا
 كتابة السر والوزارة والفاني فنون شتى اهمها التاريخ ، وانما نريد في درس تاريخ الادب
 الى ان نميز بما قدر بينهما من التفاوت أيهما كان أبين أثراً وأطول عائدة على العلم

والادب في زمانها وما بعده فتحصر الموازنة في صناعتي الكتابه والشعر والتاريخ لان
الاخير من ام فروع الادب فنقول :

اما الكتابة فقد رأينا من درس مزايا الرجلين فيها ان ابن الخطيب يؤثر السجع
وصناعة البديع في ترسله وبكثر منه في عبارة تأليفه في التاريخ والتصوف وتقيس ما لم
نره على ما رأينا ، وهو في هذه الصناعة من أروع اهل زمانه ان لم يكن أروعهم جميعا وانه
غزير المادة في اللغة وغريبها منفتن في آهاليها الا ان تكلف هذه الصناعة ، وهي
لبست طبيعة لازمة للبلاغة العربية في ذاتها بقطع النظر عن كل زمن وجيل — غطى على
محاسن هذه البراعة وقصر محاسنها على اهل زمانه ومن قاربهم ، فلم تكن قدوة حسنة
لكل اهل زمن وجيل ما دامت لغة العرب (صانها الله) قائمة البراعة بالكتابة المرصلة
ككتابة ابن المقفع والجاحظ .

وان ابن خلدون في صناعة السجع والبديع اقل براعة وفي غزارة المادة اللغوية
والفتن في أساليب الكلام اقصر باعاً من ابن الخطيب الا ان اكثر ما أثر عن ابن خلدون
من الكتابة كان من النوع القريب من طبيعة البلاغة العربية النظرية وهو الكلام المرسل
وبذلك تكون كتابة ابن خلدون أدوم أثراً وأبقى نفعا .

واما الشعر فاذا اعتبرنا ان الشاعر الفائق هو المكثّر المجيد الجائل في كل ميدان
من فنون الشعر المصنوع لاكثر أغراضه المليح الخيال فيه الكثير الاختراع من معانيه
شهدنا ان ابن الخطيب هو فارس الحلبة في رأينا وفي رأي ابن خلدون نفسه فيما تقدم
فتأثير براعة ابن الخطيب في الشعر كانت في اهل زمانه ومن بعدهم بقليل بينا لا في
عصرنا هذا .

واما التاريخ فالموازنة بينهما أشبه بالموازنة بين خائض نهر وعابر بحر .
لان ابن الخطيب كتب في نوعين خاصين من التاريخ تاريخ دولة واحدة ، ومدينة
واحدة ، والاولى دويلة قصيرة ارخ فيها دولة بني نصر بن الاحمر فلم يكتب فيها الا
تاريخ نحو قرن من الزمن ومن الناس . والثانية وهي مدينة غرناطة لا ننكر انه ترجم في
اكثر من عشرة اجزاء لكل من سكنها او مر بها من الاعلام بكلام بديع منحوت من

فكره نحتاً وذلك ما لا يبلغ اليه الا بعصب الريق وكذا الخاطر الا ان اثره بلاشك خاص
باهل بلد واحد او صقع واحد .

ولان ابن خلدون كتب في التاريخ العام وفيه تاريخ دولة بني نصر في كل منها
وفصل جد التفصيل تاريخ أمة البربر بحيث أصبح المرجع الاعظم فيه ، وكان احسن
التواريخ واقلمها خطأ في تاريخ قدماء العرب ، وأمم العجم ، وكتب له تلك المقدمة العجيبة
التي عدت من مفاخر الامة العربية بما وضع فيها من اصول علوم العمران والاجتماع
والاقتصاد وفلسفة التاريخ والتي بقيت رديحاً من الزمن أستاذاً لكل كاتب ومؤرخ من
العرب ومن غيرهم وكان أسلوبها قدوة لكتاب الصحف في عصر نهضتنا الأدبية الحاضرة
ثم هي البرزخ التي عبرت عليه الكتابة العربية بأخرة من المسجوع الى المرسل فتكون مجموعة
مزايابا ابن خلدون وما ترك من الثروة للأدب وفن التاريخ والفلسفة الاجتماعية أنعم
وابقى فتكون كفته ارجح .

وهذا ما عليه نقاد زماننا ، ورأيت كثيراً من فضلاء الزمان الغابر كالقلائق شندي
والنويري والسبوطي والمقرئ يرحل هذه المنزلة فرحمة الله عليهما وعليهم اجمعين .

عضو المجمع العلمي

احمد الاسكندري

نظرة

في قواعد علوم العربية وآدابها

— ما ينبغي التنبيه الى معالجته وتمهيد سبيله —

قبل ان أتناول قواعد علوم العربية وآدابها في هذا البحث اود القاء كلمة موجزة بشأن اختيار الفاظ فنية اصطلاحية للمعاني المستحدثة مما اوجدته شؤون المجتمع الحديثة واتساع نطاق العلم والفن والصناعة فيه فأقول :

ان الحرص على سهولة اللفظ وانطباقه في وضعه واشتقاقه على المعنى المستحدث المقصود او على ما يقاربه امر يعلمه الجميع فليس ذلك مما اريد التنبيه عليه هنا . ولكنني أنبه القوم عند ارادة التواطؤ على لفظ اصطلاحى جديد ان يراعوا فيه فوق ما ذكر اجتناب اشتراك اللفظة على قدر الامكان في معنى آخر مألف شائع الاستعمال . لان الالفاظ المشتركة في كل لغة من لغات البشر هي مظهر ضعف فيها بما تولده من الالتباس لا مظهر قوة خلافاً لما يتوهمه كثيرون حتى انهم ليفتخروا بوجود هذه الالفاظ المشتركة سيفي لفهمهم . على ان أوسع اللغات مادة لا تستغني عن هذا الاشتراك لان الالفاظ محدودة والمعاني والافكار غير محدودة فلا بد ان تزيد هذه على تلك ومن ثم يقع الاشتراك . فكما يمكن خدام لغة ان يتخلصوا من الاشتراك عند احتياجهم الى لفظ جديد وجب عليهم ان يغتنموا فرصة اجتنابه . وهو المبدأ الذي أشير اليه وبناءً على ذلك كان اقرب الى الصواب ان يسمى التلفون مهتفاً او مهتافاً او مهتقةً بكسر فسكون في الجميع على اوزان اسم الآلة القياسية او مهتفاً بفتح فسكون على صيغة اسم المكاتب عوضاً عن تسميته هاتفاً الذي له معنى آخر شائع الاستعمال . وهكذا قل عن اختيارهم لفظ الحاكى للفونوغراف وكان أقرب الى الصواب اختيار لفظ (محكى او محكاً او محكاة) بكسر فسكون او محكى بفتح فسكون وقد اصابوا في تسمية البيانو معزفاً ولم يقولوا عازفاً . وقس على ذلك كثيراً من نظائره .

« في الصرف » = اما الصرف ففيه أبواب سماعية عظيمة الخطر وقد ذكروا لها دلائل وضوابط ثقريبية فما ضرت علماء لغتنا اليوم ان ينعموا فيها نظرهم فعساهم ان يروا قسماً كبيراً من هذه الدلائل جديراً بحسبانه قياسياً مطرداً بحيث يقل السماع في هذه الأبواب وتخف الصعوبة الى مقدار ثلثها او ربعها . واهم الابواب المقصودة بالبحث هي ما يأتي :

مزيدات الأفعال والمعاني المختلفة الناشئة عنها من مبالغة ومطاوعة ومشاركة ونحو بل وسلب وتكلف واصابة الشيء على صفة وهلم جرا . اوزان المصادر الثلاثية . اوزان الجمع المكسر . لزوم الفعل وتعمديه وتعيين حرف الجر لل لازم . اختلاف حركة العين في المجرد الثلاثي ماضياً ومضارعاً . النحت — سواء كان من جملة او من لفظ جامد — ووجوب التوسع فيه على منهج قياسي بين حدوده بحيث يكون لنا من هذا الباب كنز ثمين مكشوف على ان معظمه لم يزل مدفوناً الى الآن . وجل فائده حينئذ تكون في اعتبار الالفاظ الاصطلاحية الجديدة مما يحسب لنا في ذلك ركناً عظيماً ثالث اثنين هما الاشتقاق والتشبيه . ومعلوم ان باب النحت مفتوح على مصراعيه في اللغات الاوربية . والاقوام هناك يستغلونه احسن استغلال فلماذا يقتصر العرب على غلته الضعيفة الضئيلة المحصورة في الفاظ منحوتة قليلة وصلت اليهم من اسلافهم اذا كان يمكنهم التوسع في هذا الباب توسعاً يلائم اذواقهم ولا يخالف طبيعة لغتهم .

ويضاف الى ذلك ازالة غموض واقع في قواعد كتابة المحزة واريد به كيفية حسابان المحزة في نحو انشأوا لاننا اذا اعتبرناها طرفاً بحسبان اللفظة ككتبن الفعل انشأ والضمير الواو كتبناها بصورة الالف كما اثبتناها هنا واذا اعتبرناها واقعة حشوا بحسبان اللفظة كلمة واحدة تبعاً لصورتهما الخطية كتبناها بصورة الواو هكذا انشؤا وذلك طبقاً للقواعد المقررة . ومن هذا القبيل همزة مسألة فالتقاءة تقتضي كتابتها بصورة الالف كما يراها القاري هنا على ان فريقاً من جلة علمائنا اللغويين يكتبونها هكذا : مسألة . فما وجه ذلك وهل كلا الوجهين وجيه ولماذا ؟ وعند وصولي الى هذه السطور تذكرت ان كثيرين من كتابنا اليوم يكتبون همزة هيثة بصورة الالف هكذا هيأة ظانين انها مثل نشأة وجرأة وايس الامر كما نوهموا فان همزة هيثة مسبوقة بياء في آخر كلمة مختومة بتاء

التأنيث وهذه الحالة تقضي بحمل الياء كرسياً للهمزة ومثل هيئة الخطية وخطية
وبينة ومبينة ولم جراً .

وينخرط في هذا السلك وجوب ازالة كل نطع شديد الظهور في قواعد الاعلال
ومن أمثله انهم زعموا حذف حرف العلة يحذف من نحو قُمْ واصلها قَوْمٌ ونحو خَفْ واصلها
خَافٌ ونحو مَضَتْ واصلها مَضَاتٌ دفعا للقاء الساكنين وهو قول حق في ظاهره
ولكنه لا يثبت على محك النقد في جميع احواله . لان المانع الذي ذكره اي اللقاء
الساكنين قد يزول ويبقى بعد زواله حرف العلة محذوفاً فلا يمد الى الكلمة فنحن نقول :
قُمْ الْآنْ بكسر ميم قَمْ لا قوم الْآنْ ومثلها خَفِ اللهُ لا خافِ اللهُ . ومضتِ الايامُ لامضاتِ
الايامِ . ولا يضر الحركة في هذا المقام كونها عارضة مادام اللقاء الساكنين المحسوب سبباً
لاعلال الحذف يزول بها ثم اننا نقول المرأتان رمتا ومضتا يحذف الالف لا مضاتا ولا
رماتا . فالجدير بعلماء الصرف في مثل هذه المآزق ان لا يعولوا على تعليل ناقص بل ان
يسندوا الامر الى ما عرفوه بالاستقراء من كلام العرب القدماء اصحاب اللغة فيشيروا الى
مواضع حذف او اثبات احرف العلة دون ان يجتهدوا كل مرة في تحويل العلم النقلي
الى علم عقلي . فهذا التحويل يؤانهم تارة ويعصهم تارة أخرى كما رأينا .

ثم اني أعرض امراً آخر صرفياً لعل اهل النظر والتحقيق يستجيزون فيه تساهلاً
ونسامحاً واريد به بناء افعال التفضيل ما فوق الثلاثي او من الفعل المبني للمجهول فقد حذر
الصرفيون ذلك ولكن الأمثلة في كلام فصحاء العرب اكثر من ان تحسب ندوراً او شذوذاً
عن هذا القيد . ومنها قولهم : العودُ أَسْمَدُ من حُمُرِ المجهول . وقولهم : هذا الكتاب
أخْصَرُ من ذاك . هو اعطاهم للدينار . اننا أحوج الى امير فتال الخ ببناء افعال التفضيل
من الأفعال المزيدة اختصر واعطى واحتاج . فما رأي مجامعنا اللغوية في ذلك ؟

« في النحو » = اما النحو فيجب فيه قبل كل شيء تتبع المذاهب الضعيفة التي نكاد
نراها مندسة في جميع ابوابه فيقتضي عليها قضاء مبرماً ويجعل حكمها وحكم الممنوع واحداً
بحيث لا يصح ان يعجز بحكمها احد حين يرتكب شيئاً منها سهواً او جهلاً او ضرورة .

وينبغي ان يدخل في هذا الحظر بابان سماعيان نص النحاة عليهما واولهما باب التضمين ومن أمثله قولهم :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني اسد ما هذه الصوت

وكان حقه ان يقول ما هذا الصوت ولكته ضمن الصوت معنى الضجة والجلبة فجاز له ان يقول هذه الصوت كما يقول هذه الضجة او الجلبة .

والباب الثاني المجاورة ومن أمثله : هذا (جحر ضب خرب) بخفض خرب لمجاورته ضب وهو مخفوض وكان حقه الرفع فيقال خرب لأنه نعت جحر وهو مرفوع . ومن أمثلة هذا الباب البيت المشهور :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

قال شغفن لمجاورته الديار وكان الوجه ان يقول شغف قلبي بافراد الفعل وتذكيره لانه عائد الى حب وهو مفرد مذكر . وكل ذلك من فلتات كلام العرب النقطة مدونو اللغة وبني عليه النحاة بابي التضمين والمجاورة فكنا مزلة ومعترة لبعض الاقلام او حجة لاهل التحمل والمحاكة فما أحرانا بالتصريح في ايراد البابين ايراداً محكماً لا يدع مقالاً لقائل . نعم ان النحاة اشاروا الى حظر القياس فيهما ولكن اشارتهم تلك لم تزل محتاجة الى تعزيز من قبل مجمع لغوي عام او مجامع لغوية متفقة الأحكام .

وهناك باب سماعي ثالث هو باب القلب وأراه أخف خطباً من بابي المجاورة والتضمين ولا بد ان يرى الباحثون فيه شيئاً يقبله الذوق والعقل وشيئاً آخر ينكرانه ولا يصعب عليهم ذكر علامات تفرق بين القسمين ثم اجازة القياس في المقبول منهما وضعه في المكروه ومن امثلة المقبول في نظري (عرضت الحوض على الابل) والاصل : عرضت الابل على الحوض . وقول عنزة العبسي :

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذي نعال السبت ليس بتوأم

قال : كأن ثيابه في سرحة اي شجرة عالية على القلب والاصل ان يقال : (كأن سرحة في ثيابه) . ومن أمثلة القلب المكروه قولهم : (خرق الثوب المسمار) يرفع الثوب وجعله فاعلاً عوض ان يقال خرق المسمار الثوب .

وأما باب النحت وهو باب سماعي رابع فقد مر الكلام عليه في المباحث الصرفية من هذا المقال :

بقيت لي كلمة في مسألتين من مسائل النحو : الأولى مسألة افراد الفعل مع الفاعل المثنى او المجموع ومع نائب الفاعل المثنى او المجموع . نحو : رحل الضيفان ورحل الضيوف وأكرم الضيفان وأكرم الضيوف . فقد اوجبوا الافراد في ذلك وحظروا ثنية الفعل وجمعه حظراً شديداً لئلا يكون للفعل الواحد فاعلان . ثم اوردوا من القرآن الكريم ومن كلام فصحاء العرب امثلة تخالف هذه القاعدة التي سماها بعضهم « لغة اكلوني البراغيث » لان في هذه الجملة مخالفة للقاعدة المذكورة . وسماها آخرون لغة : اسروا النجوى الذين ظلموا . او لغة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار : وخرجوا امثال هذه الآيات على جعل جملة الفعل خبراً مقدماً لما بعده او على جعل الواو في الفعل علامة جمع لا ضمير جمع والاسم المرفوع بعده فاعلاً وكذلك لو ورد الفعل بصيغة الثنية فالالف فيه حينئذ علامة لا ضمير واقع فاعلاً او على جعل يتعاقبون ونحوه فعلاً وفاعلاً والاسم المرفوع بعده بدلاً من الضمير اللاحق به .

وقد قلت انه كثير ورود الفعل بصيغة الثنية والجمع مع الفاعل او نائب الفاعل المثنى والمجموع خلافاً للقاعدة النحوية مما دل على انها قاعدة اغلبيّة لا مطردة وان ما خرج عنها لا يعد شاذاً او ضعيفاً بل فصيحاً مقبولاً . والذي أذكره ان الامير ابا فراس الحمداني استعمل ذلك في ديوانه مراراً عديدة وهو ذو قدم راسخة في الفصاحة وسحر الكلام العربي فشعره ما يستأنس به ولو تقدم عصره قرنين لكان ما يحتاج به كما يحتاج كثيرون بشعر بشار بن برد ويحتاج الجميع بمن قبله قليلاً . وهم فصحاء العصر الأموي . وما اني اكتب هذا المقال وانا مصطاف في جبل الاكراد بعيد عن كتيبي وغيرها من الكتب أراني مضطراً الى إغفال ما كنت اود ابراده من الشواهد والأمثلة على هذا الامر وعلى غيره من محتويات الموضوع وانما اوردت من ذلك ما ساعدتني الذاكرة عليه واقتصرت من الملاحظات على ما استحضره ذهني لساعته ما عدا ذكر الأجناس الشاملة لأنواع البسديع ما سيمر به القارئ فقد كنت متبرأ اليها في مذكرة خصوصية صحتني في مصيبي .

كذلك رأيت في ثنية الفعل وجمعه مع الفاعل او نائب الفاعل الغير المفرد ولكنه

رأي لم اجسر على العمل به الى الآن لاني لا اجزم بصحته فهو قابل للنقض والابرام فهل لأفاضل علمائنا فحص هذه المسألة وتحصيلها .

واما المسألة الثانية التي أرد ان اشير اليها فهي لنلقض المعنى الممكن استخراجها من فعل مضارع منصوب بمد الفاء السببية في جواب النهي نحو : لا تفعل كذا فلنندم . فقد يكون الندم مترتباً على فعلك ذلك الشيء وقد يكون مترتباً على عدم فعلك اياه . وهذا تناقض ظاهر . واذا كانت القرينة العقلية تساعد على تعيين احد النقيضين في بعض الجمل . فانها لا تساعد على تعيينه في جمل أخرى لانفائها منها كالجملة التي اوردناها هنا ومن الأمثلة المشتملة على القرينة العقلية المساعدة قولهم : لا تقترب من النار فتحترق . اذ يفهم منه ان احتراقك مترتب على اقترابك من النار . وقولهم : لا تقترب من النار فتسلم فالمفهوم ان سلامتك مترتبة على عدم اقترابك من النار . ولعل معظم ما ورد من اقوال العرب في هذا الباب معلق على ايجاب القضية لا على سلبها . ومن ذلك قولهم : لا تطعم العبد الكراع فيطعم في الذراع . اي ان طعمه مترتب على اطعامه لا على عدم اطعامه . وقولهم : لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر . اي ان انعصارك وانكسارك متربان على كونك رطباً او يابساً لا على عدم كونك بهاتين الصفتين . غير ان ترجيح الاثبات الذي المحه ساعة كتابة هذه السطور ولو صح لا يمنع وجه الاضطراب والالتباس في هذا الباب فلا بد لنا من معالجته باجتهد لعلنا نهتدي الى ما يدفع الشبهات من طريقه وهي موضع حزازة في الصدر .

« في العروض والقوافي » = في العروض جوازات ضعيفة مستهجنة يستندون فيها الى ما ورد من امثالها على ندور في الشعر العربي القديم وارى من الصواب ايراد بابها تماماً وعدّها خطأ محضاً لا جوازات ضعيفة على مثل ما اشرت به في المذاهب النحوية الضعيفة . ومن هذه الجوازات العروضية الضعيفة الاشباع والاختلاس في غير مواضعها المعروفة عند ارباب الفن . ومنها على ما تذكر استعمال قولن بكسر العين عوض فاعلن . في عروض السريع الى غير ذلك .

ثم ان كثرة الزحافات والعلل في علم العروض واسماء دوائره الخمس واستخراج البحور

منها . كل ذلك مدعاة تعسير لطالب العلم لا تسهيل وتمهيد سبيل وهو امر يحس به جلياً كل من عانى هذا العلم تلميذاً او تلميذاً . فأني طالب لا يجسد قولك له ان فاعلن يجوز حذف الفه في الموضع الفلاني اسهل على ذهنه وذاكرته واخصر لوقته من قولك له ان فاعلن . في الموضع الفلاني يدخل عليه الخبن . و يكون قد تمنى في معرفة الخبن كيف يكون وكثيراً ما يخلط بينه وبين غيره من الزحافات . وهكذا لو قيل له ان فاعلن تحذف نونه جوازاً او وجوباً في الموضع الفلاني والموضع الفلاني فذلك اسهل عليه كثيراً من قولك له ان فاعلن يدخله القبض وقس على ذلك خمسين او ستين تسمية من هذا القبيل ولو كانت تسع تسميات او عشرأمان خطيها واحتمالها . ومن ثم ارى الاستغناء عن هذه التسميات الطويلة العريضة التي لبس تحتها طائل كبير . ادام المتعلم يمكنه الوصول الى النتيجة المقصودة منها على طريق اسهل وارسخ . في الذهن بحفظه مواضع التغير في الاجزاء العروضية بجزاً بجزاً الا اذا كان له ميل خصوصي الى استيعاب تلك الحدود والمصطلحات القديمة او له غاية خصوصية من ذلك كراداة الاختصاص او التلذذ باثرفني من آثار السلف وكان في متسع من وقته وشواغله لقضاء هذه اللبانة فله ما يشاء . و يسرنا ان كثيرين من مؤلفي الكتب العروضية في عصرنا جروا في مؤلفاتهم هذا المجرى السهل ولعله عن قرب بصبح عاملاً في مدارسنا .

واما علم القافية فالذي اراه فيه امكان التساهل في سناد التأنيس نحو قابل بضم اللام وينقل بضم اللام . ومثله سناد الردف اذا اتصل بالروي حرف الوصل نحو يوصد وبعضه كما ورد في البيهقي المشهورين :-

اذا كنت في حاجة مرسلأ فأرسل حكماً ولا توصد

وان باب امر عليك التوى فشاور حكماً ولا تعصه

فان امثال ذلك واردة في كلام عدة فحول من القدماء والمولدين . واذا كانت الذاكرة لم تختفي فالحريري في مقاماته وابو العلاء المعري في الرسائل المنسوبة اليه ارنكبا صراراً سناد التأنيس . ولكن المسألة مع ذلك تحتل نظراً وبحثاً وتحتاج الى حكم المجامع العلمية . وعلى هذه النية عرضتها في بقية المسائل التي تناولتها في هذا المقال : وكيفما كان الامر فان توصد وتبصر وما جرى مجراهما . وقابل وينقل وما جاء

على وتيرتها أيسر تجوزاً وأقرب الى الذوق وأخف على السمع حسب رأيي من ارتكاب سناد التوجيه في نحو أدب: بفتح الدال وسكون الباء . ويجب بكسر الجيم وسكون الباء في تقنية و حدة مما أوقع به جل شعرائنا اليوم واثاء كثيرون غيرهم من شعراء العصور السالفة ومن ارتكاب المخالفة بين الواو والياء في المردوف الساكن نحو غدير وصبور بسكون الراء فيهما . وبما ان اساس علم القافية الفطرة والذوق الطبيعي فمن منا لا يرى ان أذواق العامة وفطرتهم تشهد لي وتشاركني في عدم استحسان هذه الارتكابات فهل لأدبائنا ان يعملوا فكراً في ذلك فلعلهم يتحملون قليلاً من العناء حين ينظّمون في تخلص منظوماتهم من هذه العجينة .

﴿ في علم البيان ﴾

« فتونه المعاني والبيان والبديع »

تعود مؤلفو الكتب البيانية ان يذكروا احوال المسند اليه في تقديم وتأخير . وتعريف وتنكير . وحذف وذكر . وافراد واجمال . واظهار واخمار . ثم يذكروا احوال المسند في هذه الامور ثم يقولوا ان كثيراً من هذه الاحوال وقواعدها ومتعلقاتها لا تقتصر على المسند والمسند اليه بل تعداهما الى سائر اجزاء الكلام كالمفاعيل وغيرها من الفضلات وكالمضاف اليه والمجرور بالحرف . فاذا كان الامر كذلك — وهو كذلك — أفليس الاسهل عليهم في التأليف والتصنيف والاسهل على متلقي الفائدة من كتبهم وأضمن لعدم تشتت أذهانهم ان يعدل عن هذا التبويب القديم المعتمد الى تبويب آخر اقرب الى التلازم والتناسب بحيث تذكر مواضع الحذف والذكر ثم مواضع التقديم والتأخير ثم مواضع التعريف والتنكير وهلم جرا .

واحوال هذه الابواب تتناول المسندين وسائر اجزاء الكلام الا . ما كان منها يتفرد ببعض دون بعض وهو شيء قليل ينه عليه المؤلف في موضعه . وأتذكر ان كتاب البيان المقرر للتدريس في معارف القطر المصري جار هذا المجرى ولكنه شديد الاختصار الى حد النقص والخلل فهو لا يشفي غلة أديب ولا متأدب . ولا شك ان ذلك ليس قصوراً ولا نقصاً من مؤلفيه الكرام بل اقتصاراً جملهم عليه المقترحون في مراجعهم الرسمية .

وسية كتب فتون البيان عندنا — المعاني والبيان والبديع — تداخل لا ارى له وجهاً سديداً بل اراه مدعاة تشويش واعنات للذهن . ولعل علماءنا يتنبهون الى معالجته فيزيلوا مواضعه او بعضها ثم اذا تعذر عليهم ازالة سائر ما فيها الدارس وجعلوه على بصيرة من امره .

فن مواقع التداخل نوع البسط والايضاح في البديع فليسا الا من باب الاطناب في المعاني ومثل ذلك الاحتراس والايغال والتثمين فهي من الاطناب ايضاً وقد ذكرت في المعاني وفي البديع . والقلب في باب مخالفة الظاهر من ابواب المعاني هو انفس التشبيه المقلوب في البديع . والاستعارة التهكمية في باب المجاز المفرد من فن البيان مذكورة ايضاً في باب المجاز المرسل من هذا الفن لانها هي نفسها التي قوامها تسمية الشيء باسم ضده . ومذكورة في البديع باسم التهم . ثم ان المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه هي اجناس كثيرة الفروع تستغرق فن البيان بجملة ونفصيله وقد وفاما هذا الفن حقها من التقسيم والتثيل فما معنى اعادتها باسمائها في فن البديع باعتبارها انواعاً بديعية كغيرها من تلك الجزئيات مع انها اجل شأناً من ذلك بكثير فهي مصدر واساس القسم الاكبر من الانواع البديعية .

ومن هنا يظهر للتأمل وجوب ادخال تهذيب وتشذيب على كتب البيان عندنا لاجل التخلص من هذه المغامر .

وصلت الى القاء كلمتي الخصوصية في فن البديع فأقول :

اول ما ظهر من أنواع البديع خمسة او ستة أنواع ثم اخذ المشتغلون فيه يستقرون عيون الكلام العربي نظماً ونثراً فيستخرج الواحد منهم عدة انواع يطلق على كل نوع منها اسماً ويعقبه آخر فيستخرج غيرها حتى أصبحت الأنواع البديعية اليوم من معنوية ولفظية نحو مثني نوع . وهذه كثيرة مزعجة نرى المتعلمين لا يطبقونها الا قليلين منهم ولم في تذرهم وتضجرهم عذر مقبول . لائب التأمل في هذه الأنواع يرى بعضاً منها حطيط المنزلة لا يستحق ان يعنى به ويطلق عليه اسم خاص . وبعضاً آخر حسناً او لا بأس فيه ولكنه مشارك لغيره فليس له ان يستقل عنه في التسمية . وبعضاً ثالثاً هو من شروط

البلاغة الأساسية كالتهذيب والسهولة والانجسام والوضوح فكيف يحسب من جملة الأنواع البديعية التي لا تخرج عن كونها شيئاً اختيارياً ولكنه مستملح مرغوب فيه لانه يزين الكلام اذا حذق الشاعر او الكاتب استعماله والا كان تافها وربما شوه القول وهجمته وجعله ثقیل الظل وخيم المرتع .

وقد فكرت في ذلك ملياً وقلت ان هذا الفن أصبح معرضاً لناموس رد الفعل فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلة ومتاهة ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى اجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة انواع فاذا أحاط الدارس بهذه الاجناس ومرن عليها واطرها على باله حين ينظم او ينثر كان محيطاً بكل انواع البديع وان فاته شيء منها فهو شيء زهيد لا يعاب به ذلك مع تخلصه من عناء الدرس والمزاولة لمثلي نوع وحفظ اسمائها وتربفاتها وشواهداها وامثالها فلا يلتقي من العناء في مزاولة هذه الاجناس والانتباه الى امثلة رئيسية منها سدس او سبع ما يلقاه من العناء ويخسر من الوقت في مزاولة تلك الأنواع وتوفيتها حقها على الطريقة المتبعة اليوم . وبعدما يستوعب الاجناس المذكورة اذا اراد الاكتفاء بها لم يحرمه اكتفاؤه شيئاً من جوهر البديع . واذا أراد ان يستقصى الانواع واسماؤها وحدودها فله ان يأتي ذلك على مهل كما رأى من وقته متسعاً ويكون ذلك الاجمال قد مهد له سبيل تلك التفاصيل فيستأنس بها ذهنه وترسخ فيه لما يربطها من التآلف والناسب بفضل تلك الاجناس التي احصيتها وظللتها .

ومع ذلك فاني لا ادعي ان ما قسمته هو حتماً الصواب كل الصواب وانه التقسيم الجامع المانع فقد يكون كذلك وقد يكون دون ما املته وتوخيته من الصواب التام غير بالغ حبة قلبه بل لا يزال يعوزه شيء من التعديل والتحوير . فاترك التميم حينئذ لقلم غير قلبي وحسبي اني مهدت السبيل وفجحت الباب وجريت سيفي باحة الدار شوطاً وان منمني العجز او النعب او كلاهما عن استقصاء مخادعها ودهاليزها .

واليك الآن الاجناس البديعية او الامهات البديعية التي نتهيت اليها :

« الموافقة . المخالفة . الترتيب . المبالغة . الاستدراج . التسليم . حسن التعليل . الابهام . التدقيق . التوليد . الكلام الجامع » .

اما الموافقة فننطوي على الأنواع الآتية : انواع الجنس . المراجعة . التوضيح . تشابه الأطراف . التفويف . التصدير . مراعاة النظر . التثيل . التوجيه . التردد . التكرار . المناسبة . التشبيه . التفصيل . المشاكلة . الجمع . التصريح . تشبيه شيئين بشيئين . الاشتقاق . الاتفاق . الماثلة . التسميم . التطريز . الترجيع . التفريع . السجع . التسميط . الالتزام . ائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن . ائتلاف المعنى مع المعنى . الحذف . التدبيج .

واما المخالفة فننطوي تحتها الأنواع الآتية : الطباق . المقابلة . ايهام التفساد . المناقضة . العكس . التفریق . السلب والایجاب . الرجوع . الاستدراك . واما الترتيب فننطوي تحته ما يأتي : الترتيب . الطي والنشر . ايهام التناصب . الاطراد . التقسيم . التفسير . الايضاح . حسن النسق . التشطير . التعميد . جمع المؤلف والمختلف . المزاوجة . الجمع مع التقسيم . الجمع مع التفریق . واما المبالغة فتشتمل على ما يأتي : التبليغ . الاغراق . الغلو . القاسم . تجاهل المعارف . الاستثناء . حصر الجزئي والحاقه بالكلية .

واما الاستدراج فتشتمل على ما يأتي : الاثنان . التذيل . الاستنباع . الادماج . حسن التخلص . عتاب المرء نفسه .

واما التلميح فيدخل في دائرته ما يأتي : التلميح . الاشارة . الاكتفاء . التوجيه . الاقتباس . التضمين . الابداع . الالغاز . براعة الطلب .

واما حسن التعليل ففيه ما يأتي : حسن التعليل . الالفاظ . المذهب الكلامي . الاتساع . المغايرة .

واما الايهام فهذه فروعها : التوهم . الايهام . المدح في معرض الذم . الذم في معرض المدح . التورية . الاشتراك . الاستخدام .

واما التدقيق فهذه فروعها : التشريع . الايفسال . الاعتراض . الاحتراس . الفرائد . التنكيت . التكميل .

واما التوليد فهذه مشتملاته : التوليد . سلامة الاختراع . حسن الانباع . واما الكلام الجامع ففيه الكلام الجامع وارسال المثل .

وعند التحقيق يظهر لنا ان هذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لا تقتصر على الانواع المختصة بفن البديع حسب تعريف هذا الفن بل تتناثر معظم الاساليب البليغة التي تشير اليها فنون البيان الثلاثة المعاني والبيانات والبديع ومن ثم يمكننا اضافة جنس ثاني عشر الى الاعد عشر جنساً المار ذكرها وهو جنس الكناية فانه يشمل على الكناية والتعريض والارداف والايضاح . القول بالموجب .

وبديعي اني حين اخترت لهذه الاجناس اسماءها قصدت فيها امتداد معناها اللغوي لكي تنطبق على ما تحتها من النزوع فلم اقتصر في اسم التوليد مثلاً على مدلوله باصطلاح فن البديع وهكذا حين اقول ان من فروع التوليد التوايد وكذا وكذا من الانواع اعني ان جنس التوليد وهو احد الاجناس التي استخرجتها وجمعت شتاتها بتفرع عنه نوع التوليد حسب تعريفه عند البديعيين كما يتفرع عنه كذا وكذا . وقس على ما ذكر قولي ان حسن التعليل فيه حسن التعليل اي ان هذا الجنس فيه نوع حسن التعليل البديعي الخ .

ولا يلزمني هنا ان اورد على الانواع او على بعضها شواهد وامثلة تبينها وتوضح كيفية اتصالها باجناسها فان هذا بسط يخرج عن طرق عمالة كعجالت الخاضرة . وانما يطالب به كتاب يصنف خصوصاً لهذا الغرض . على ان كل اديب ومتأديب يمكنه ان يمتحن الامر بنفسه الى المقدار الذي يثاره عارضاً على الاجناس التي ذكرتها امثلة من هذه الانواع إما من محفوظه وإما مما يقع تحت يده من كتب البديع والاديب . والله الهادي الى الصواب .

اللاذقية : ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ سليمان ظاهر

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

ان اللغة هي اداة للتعبير عن مرادات النفوس واغراضها التي هي في تجدد مستمر ، والام ليست سواء فيما يعرض لها من مقتضيات الحياة وفي مواد التفكير ، واخذ الفائد عن الواحد من طبيعة العمران ومدنية الانسان ، واستكمال أمة من الام وسائل علومها وحاجاتها دفعة واحدة غير معقول ، والعلوم والحاجات لا تنهاى فالأوضاع اللغوية والاتساع فيها للتعبير عن المتجددات من الضرورات التي لا مفر منها .

فلا جرم ان حصرها في منطقة ضيقة والوقوف فيها موقف التلقي عمن لم تقسع عندهم دائرة الحاجة الى متجدد الأوضاع اتساعها عمن خلفهم لم يضر من ضروب التعبير على جري الافكار في حلبة الاختراع والابتكار ، ومدد للعقول عن ولوج ما لا يتناهى من ابواب المدركات والمعلومات ، وما كانت اللغة العربية الا كغيرها من اللغات هجيرها التجدد والاتساع ، ودأبها السير في التعبير عن الحادثات حسب الدواعي والمقتضيات .

واذا ساغ للامة العربية وهي في جاهليتها والتغلب على البسائط هو كل ما يرمي اليه من الاهداف وهي امة امية . — اخذ ما لا يستقصى من اسماء المسميات التي اضطرت اليها وما لم تضطر اليه مما كان له مرادف في لغتها ، وكان لها الوضع ، وكان لها النحت والتعريب والمجازات والكنائبات والاستعارات وهي لم تكن امة علمية ولا صناعية . ولا كان للحصريين منها ما كان للام المعاصرة لها من اليونان والفرس والرومان من علوم وحضارات — واذا ساغ لها وقد استقبلت في عهد اسلامها . وقد بلغت المدى البعيد من مستعذب بيانها . علو بلاغة قرآنها . وفي عهد ازدهار سلطانها وقد جاست خلال الديار . وملك الامصار . حضارات الام المغلوبة لها وعلومها .

اذا ساغ لها وهي في هذه التطورات اخذ الكثير مما لم يكن له اسم ولا مسمى في لسانها . واخذ مصطلحات الفنون الطارئة وهي القابضة على زمام العرفان والصولجان

— أفلا يسوغ لنا وأمرنا بيد غيرنا ولسان حاله ومقاله ينشد في ربوعنا قول قائلنا الاول :
(أخذنا بآفاق السماء عليكم لانا قمرها والنجوم الطوالع)

احذاه مثالم واتباع طريقتهم في جاهليتهم واسلامهم . وما كان القوي في سلطانه .
الا قويا في لسانه . ومن غلبنا بآبده ومنته . أفلا يغلب لغتنا بلغته . (ومن عز يز) .
وهذا باب التعريب مفتوح لنا على مصراعيه . والنحت والاشتقاق لم يكونا حجراً على
أرائلنا . والنقل اللغوي من موضع الى موضع آخر حادث مما استعمله القرآن والاسلام
وقد ضبط الكثير منه الائمة . ودرج على هذه السبيل في النقل العربي بقليل من
المناسبة علماء العرب في كثير من مصطلحات العلوم والفنون . ولم يذهب ذاهب الى حصر
دائرة التعبير عن الأغراض بما سمع من العرب من حيث تراكيب الجمل ان حصر
بمناجيتهم بها من حيث نوعها والجري على أساليبهم . واذا ضممنا الى ذلك ما تلقيناه
عنهم من استعمال المطلق في المقيّد والخاص في العام والخاص وما الى ذلك من
ضروب التجويز ومما هو سنة من سنن اللغة تبين لنا ان مناجي التعبير أماننا واسمة النطاق
وان لغتنا كسائر اللغات الحية خاضعة لتاموس التكامل .

وهذه لغات الام تحمل الينا ما لا يحصى من اسماء المتجدد من فنون وصناعات وعلوم
وهي تزام برطاناتها المستحجة بيان لغتنا كما يزاحمنا حملتها على كل ناحية من نواحي حياتنا
وعلى كل مرفق من مرافقها . والزمان غير منسجم لنا لتخير الأوضاع لها من صاحبها . وهي
نسابق في تدفق إتيانها خطرات نفوسنا . ومجاري أنفاسنا . والحزم ان تدارك الامر
قبل بلوغ السيل الزبا والحزام الطيبين فنضع للجديد ما نجد سبيلاً الى وضعه من الالفاظ
ونعرب ما لا ننبو عنه لغتنا . وما يصح اندماجها فيها . ولا نفوته خفيها ورقتها مع مراعاة
أساليبها . ولا يذهب شيئاً من روحها وروائها . ولا نأبى المولد اذا لم نجد بداً منه .
ولا الدخيل اذا لم نلق عنه بديلاً . والا فلا نأمن تشويه محاسنها بما يتسرب اليها من
رطانات الغريب . ومن اندماج أساليبه بأساليبها . ومن انقطاع الصلة بين عاميتها
ونصحاتها .

وبعد فان لها من اتساع المادة ومن مرونتها ومن سننها التي لا تماثلها فيها لغة من
اللغات ما يداعد العاملين على انهاضها مع مراعاة سننها وقوانينها . والنقيد بما صرح به

الأئمة من منع أو جواز . وان لا يهجر استعمال ما سكتوا عنه اذا ورد في كلام البلغاء سواء أكانوا ممن حصر الأئمة الاحتجاج بأقوالهم ام كانوا ممن غيرهم ممن ذاعت شهرتهم في المنظوم والمنثور . وان لا يمنع استعمال ما تمس اليه الحاجة اذا لم يرد له نص لغوي ولا ورد في كلام البلغاء بضرب من التجوز او بالرجوع فيه الى قواعد الاشتقاق . وبعد هذا التمهيد أقول في الجواب على اقتراح حضرة الزميل العلامة المحقق الاستاذ المغربي . اما عن الصنف الأول فيجوز استعمال تبدى بمعنى ظهر (١) لورودها في شعر ذلك العربي القم . (٢) لورودها في الحديث النبوي مرتين كما جاء في تاريخ الامام الطبري (جزء ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٩) من الطبعة المصرية . (٣) لاستفاضة هذا الاستعمال بشعر غير واحد من فحولة الشعراء فقد استعملها عمر بن ربعة الخزومي من شعراء صدر الاسلام في قوله :

(فتبدت حتى اذا 'جن' قلبي حال دوني ولائد بالثياب)

وابو تمام الطائي في قوله :

(اذا تبدى عليّ في كئابه لم يحجب الموت عن روح ولا بدن)

وابو سعيد الرستمي من شعراء الشيعة في قوله :

(تبدت لنا والريح داج ظلامه)

الى كثيرين غيرهم . وما كان سكوت المعاجم عن ذكرها حجة على عدم الجواز . ودعوى استيعابها كل لغة العرب مدفوعة بما أورده الامام ابن فارس في كتابه الصحاح قال : ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الاقل قال ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير . وأحر بهذا القول ان يكون صحيحاً . ومدفوعة ايضاً بما زاده كل لاحق من رجال المعاجم عن سابقه من مفردات لم تذكر واشتقاقات أغفلت .

ولقائل ان يقول ان تركهم ما تركوه لعله ناشي عن عدم استيفائهم بصحته وباعراضهم عنه ايماء الى ذلك . والا فما كان ليفوتهم العلم باستعماله . وجوابه ان ما عرف من أمانتهم في النقل . واحتياطهم للغة من ان يتطرق اليها غير المسموع من العرب وبخاصة في الشعر السائر . بذكرهم في مطاوي ابحاثهم ما كان غير صحيح منه

او ما كان مولداً وما الى ذلك لدليل على صحة استعمال ما سكتوا عنه والا لم يتركوا التنبيه على فساد استعماله . وما كانوا اقل احتياطاً بتصحيح ما صح من الكلم المستعمل والحكم بفساد الفاسد منه من ثقات الحديث بنقل الحديث ومراعاة آسانيته وخروجه . ولعل المسكوت عنه مما لم يبلغهم وقد فات الكثير منهم الكلام الكثير وكم ترك الاول للآخر .

لم يذكر في المعاجم اقاح غير معتل مع انه ورد في قول ابي تمام الطائي :

(وتبسم العقل ابتسام اقاحه متزاهراً عن باكر الانداء)

ولا نقصده بمعنى قصده او أقصده اي قتله الواردة في قول ابي الطيب المنيني :

(نقصده المقدار بين صحابه على ثقة من دهره وامان)

فهل يحجر علينا ترك استعمال اللفظتين لانهما لم يذكر في المعاجم وهل ابوتام والمنيني وهما الحجة في اللغة والبيان واليهما انتهت امرة الشعر والاول صاحب الحماسة وشعر القبائل والحافظ الكبير والثاني هو الذي شهد له ابن جني من الأئمة بسعة الاطلاع . هل هما اقل وثوقاً من اصحاب تلك المعاجم . وهل يستجيزان استعمال ما لا يجوز ان لم يكن لهما حريجة في النقل تمنعهما من ذلك الا يتخوفان شر الحسدة وتزييف النقدة الذين يحاسبونهما على الخطير والنقير .

وعن الثاني (١) بعدم جواز استعمال (أقص الخبر رباعياً) بمعنى قصه ثلاثياً لوجهين الاول لعدم النص عليه في المعاجم . والثاني لاحتمال تحريف أقصه من أقصصته الوارد استعمالها في كلام الامام الطبري في موضع آخر من تاريخه (ص ٣٧ جزء ٢) من الطبعة المصرية . والاحتمال يبطل الاستدلال . (٢) وبعدم جواز استعمال نفيم بمعنى نفم لعدم وروده في كلام النحباء والمولدين والمحدثين الذين هم في زمانهم أقرب من زمان سلامة اللغة من الفساد . (٣) وبعدم جواز استعمال صدفة مكاث مصادفة للعلة التي ذكرت في نفم .

وعن الثالث بلزوم الترخيص باستعماله وبخاصة ما يتعلق منه بالمصطلحات العلمية متابعة للأئمة باستعمال نظائره . قال العلامة ابن ابي الحديد في خاتمة شرحه لنهج البلاغة . « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكام خاصة الفاظ القوم مع علمي بان العربية لا تميزها . نحو قولهم المحسوسات . وقولهم الكل والبعض .

وقولهم الصفات الذاتية . وقولهم الجسمانيات . وقولهم إما أولاً فالحال كذا ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب ولكننا استعجنا بتبديل الفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلم قوماً كلهم باصطلاحهم (ومن دخل ظفار حمار) .
أما لفظ كيفية فهي صحيحة لورودها في البيت المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) :

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار ذي القدم
ورودها جمعاً في دعائه المعروف بدعاء الصباح وهو من أبلغ كلامه . قال في وصفه
تعالى (وجلّ عن ملائمة كفياته) .

وعن الصنف الرابع يمنع استعمال المخابرة بمعنى المراسلة (١) لعدم النص اللغوي .
(٢) لعدم ورودها في كلام فصحاء المسلمين الذين لا أرى مانعاً من الاحتجاج بأقوالهم إذا كانوا ممن تباعدت عصورهم عن عصور فساد اللغة الأخيرة . (٣) لعدم الضرورة .
(٤) لانتفاء علاقة المجاز بين معناها اللغوي والمعنى الحادث إذا حاولنا تصحيح استعمالها بضرب من التجوز وذلك لأنها من مادة خبرت الأرض أي شققتها للزراعة فأنا خبير . ومنه المخابرة وهي المزارعة على بعض ما يخرج من الأرض (كذا في المصباح) . وأصرح من هذا في المنع ما جاء في نهاية ابن الأثير قال (جزء ١ ص ٣١٤) من الطبعة المصرية « وفيه : أنه نهي عن المخابرة . قيل هي المزارعة على نصيب معين كالثلث والرابع وغيرهما . والخبرة النصيب . وقيل هو من الخبار (الأرض اللينة) . وقيل أهل المخابرة من خبير لآل النبي صلى الله عليه وسلم أقرتها في أيدي أهلها على النصف من محصولها فقيل خابروهم أي عاملهم وانت خبير إن شيئاً من ذلك لا يناسب معنى المراسلة الجديد .
وبمنع استعمال احتار مكان حار وتخير لعدم النص ولعدم ورودها في كلام الفصحاء .
ولعدم الضرورة الداعية .

ويجوز استعمال تفرج على الشيء للعاجة الداعية ولشيوع استعمالها . وبعدم التردد في جواز استعمال تنزه (١) لشيوع استعمال الفصحاء لها . (٢) لتصريح الزمخشري في الأساس بقوله « وخرجوا ينتزهون بتطلبون الأماكن النزهة . وهم في نزهة ونزه » وقال ابن قتيبة : ذهب بعض أهل العلم في قول الناس (خرجوا ينتزهون) إلى البسائين أنه

غلط وهو عندي ليس بغلط لان البساتين في كل بلد انما تكون خارج البلد فاذا أراد احد ان يأتيها فقد أراد البعد عن المناسزل والبيوت . ثم كثر هذا حتى استعملت في الخضر والجنات .

وقال ابن القوطية وجماعة تزه المكان فهو تزه من باب تعب . وتزه بالضم تزاهة فهو تزيه . كذا جاء في المصباح وكأنها حقيقة عند المخشري بهذا الاستعمال لانه لم يذكرها في المجاز على طريقته في الاساس .

وكيف كان فانه لا مجال للتعدد بالجواز بعد شيوع الاستعمال مع هذه النصوص الصريحة واذا كانت حقيقة في التباعد ولم نشأ ان نجعلها حقيقة في المعنى الثاني فهي مستعملة فيه مجازاً والمناسبة بين المعنيين جلية .

وعن الصنف الخامس يجوز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل فلم وبالون ان افنضت الضرورة . وتعذر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية . واما ما ثقل لفظه فلا استجيز استعماله الا مع مراعاة مكان الحاجة والضرورة ومراعاة سنة العرب في تعريب الدخيل والباسه ديباجة العربي ولا ارى مانعاً من اقرار المستعملين على استعمال ما كان من الاول اذا تعذر ارجاعهم عنه .

وعن الصنف السادس يجوز استعمال الاساليب او التراكيب الأعجمية اذا كانت جارية مجرى الاساليب او التراكيب العربية كالأثلة التي اوردتها الاستاذ المقترح ولا مجال للتعدد في جواز استعمال نظائرها والا وقعنا فيما قررنا منه من الجحود وعلى هذه الطريقة نهج فصحاؤنا المتقدمون والمحدثون كما ينضج ذلك كمال الوضوح لمستقري طبقاتهم وعصورهم ومحدثاتها من علوم وفنون وما اليها مما تسرب اليهم من اختلاطهم بالامم المغلوبة والغالبة .

وعن الصنف السابع يمنع البتة الا ما كان عامياً فصيحاً مهجوراً او محرفاً بعد ارجاعه الى اصله الفصيح . ولو أجزنا فتح الباب لاستعمال كل عامي لا خلط الحابل بالنابل ولشوهنا محاسن الفصحى .

كتاب الديارات

« تأليف أبي الحسن علي بن محمد الشاشتي »

نسخة محفوظة في دار الكتب الملكية ببرلين وافق الفراغ منها في ليلة صباحها يوم
الخميس السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وستمائة .

ورقة ١٢٤ — ١٣٥ : ديارات مصر التي تقصد للشرب فيها والنزه بها .

فمنها « دير القُصير » — وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن
البناء يحكم الصنعة نزه البقعة فيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة في الشجر يستقي الماء
منها ، وفي هيكله صورة صريم في حجرها صورة المسيح عليه السلام والناس يقصدون الموضع
لأنظر الى هذه الصورة وفي اعلاه غرفة بناها ابو الحسن خمارويه بن احمد بن طولون لما
اربع طافات الى اربع جهات وكان كثير الفتيان لهذا الدير معجبا بالصورة التي فيه يشرب
على النظر اليها وفي الطريق الى هذا الدير من جهة مصر صموبة ، فاما من قبله فسهل
الصعود والنزول والى جانبه صومعة لا تخلو من جليس^(١) يكون فيها وهو مطل على القرية
المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهذه القرية المذكورة قرية كبيرة عامرة على شاطئ
البحر ويذكر ان موسى صلى الله عليه ولد فيها ومنها القته أمه الى البحر في الثابت ، فدير
القصير هذا احد الديارات المقصودة لحسن موقعه وإشرافه على مصر واعمالها وقد قال فيه
شعراء مصر وذكروا طيبه ونزهته ، ولابي هريرة بن ابي العصام فيه :

اذ كرنتي يا دير من قد مضى من اهل ودي ومصافاتي
كم كان لي فيك وفيهم معا من طيب ايام وليلات
اشكو الى الله مصابي بهم وفقدنا اهل المروءات
ولمحمد بن عاصم في هذا الدير :

ان دير القصير حاج ادكاري لهو ايامي الحسان القصار
وزماناً مضى حميداً مربعا وشباباً مثل الرداء الممار

(١) كذا في الاصل ولعل صوابه جليس .

عرفتني ربوعه بعد نكر
فلوان الديار تشكو اشتياقاً
ولكادث نخوي تسير لما قد
اذ صعودي على الجياد اليه
بصقور الى الدماء صواد
منزلاً لست محصياً ما قلبي
منزلاً من علوه كسماء
فكان الرهبان في الشعر الام - ود سود الغربان في الأوكار
غربه ذو البحار والانهار
غردت بيننا الطيور فطارت
كم خلعت العذار فيه ولم ار
كم شربنا على التهاوير فيه
صورة من مصور فيه ظلت
أطربتنا بغير شدة قاغت
واشاراتها الى من رآها
لا وحسن العينين والشفة الا - ياء منها وخدها الجلناري
لا تخلفت عن مزارعي لدير
فأقصرا عن ملاهي اليوم اني
فسق الله ارض حلوان فالنخل
كم تثبت من لداذة نومي
والنواقيس صائحات تنادي
قبل ان يبلي الجديد الجد - يذان بليل معاقب لنهار
انما هذه الحياة عوار وعلى المستمير رد المعار .

« دير مار حنا » - وهذا الدير على شاطئ ويرة الحبش قريب من البحر والى جانبه بساتين انشأ بعضها الامير تيم اخو امير المؤمنين العزيز بالله عليهما السلام ومجلس على

عمد حسن البناء مليح الصنعة مصور انشاء الامير تميم ايضاً وبقرب هذا الدير بئر تعرف ببئر
نجاتي عليها جميزة يجتمع الناس اليها ويشربون عندها فهذا الموضع من مواضع اللعب ومواطن
اللاه والطرب تزه في ايام النيل وزيادته وامتلاء البركة حسن المنظر تزه البقاع وكذلك
في ايام الزرع والبوار ولا يكاد يخلو من المتطرحين والمنزهين وقد ذكرت الشعراء حسنه
وطيبه ولا ين عاصم فيه :

يا طيب ايام صفحت مع الصبي	طوع الهوى فيها بسفح المنظر
فالبركة الفناء فالدير الذي	قد هاج فرط صباي ونفكري
فاحش كدوسك يا غلام واعفني	فلقد سكرت وخمر طرفك مسكري
وارى الثريا في السماء كأنها	تاج تفصل جانباه بجوهري
فاشرب على حسن الرياض وغنني :	انظر الى الساقى الاغن الاحور
فلعل ايام الحياة قليلة	ولعلني قدرت ما لم يقدر
وقال ايضاً :	

أأياي بشاطي البركتين	سقاك الله نوء المرزمين
لقد أذكرني طربي ولهوى	وكلت الفؤاد بلوعتين
ترى ايامنا فيك المواضي	يعود وصالحا من بعد بين
سقى الله البقاع ملت قطر	واعطش منزلاً بالجلهتين
وطل الطيلسان بصوب طل	الى النخلات فالجميزتين
ودار على المدار رهام مزن	يسير الى جنسان السروتين
وخص الربوتين فكم غزال	ريب بين تلك الربوتين
منازل قد شهدنا اللهو فيها	باكرم معبدتين ومألفين
فكم من بعة عقدت لقصف	وعزف في رياض البقعتين
وكم من مدنف قد حاز وصلاً	ونال مناه وسط المنبتين

« دير نيا » — ونهيا بالجميزة وديرها من احسن الديارات وأنزهها وأطيبها ، عامر
برهبانه وسكانه وله في النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف
الماء وزرع اظهرت اراضي غرائب النوار واصناف الزهر فهو من المنزهات الموصوفة

والبقاع المشهورة وله خليج يجتمع اليه سائر الطيور فهو ايضا متصيد حسن وقد وصفه الشعراء وذكرت حسنه وطيب موضعه . ولعباس بن البصري فيه :

يا من اذا سكر النديم بكاسه	غربت لواحقه بسكر الفيق
ظلم الصباح فاسقني تلك التي	ظلمت فسيه لونها بالزئبق
قلبي الذي لم يبق فيه هواكم	الابقيه نار شوق قد بقي
او ما ترى وجه الربيع وقد زمت	انواره بهساره المتألق
وتجاوبت اطياره وتبسمت	اشجاره عن ثغرها مورك
لم يندھا طلل الرذاذ يرده	حتى تفتح كل جفت مطبق
والبدر في وسط السماء كأنه	وجه ملىح في قباء ازرق
يا للديارات الملاح وما بها	من طيب يوم مر لي بشوق
ايام كنت وكان لي شغل بها	واسير شوق صباقي لم يطلق
يا ديرنيها ما ذكرتك ساعة	الا تذكرت السواد بمنفرق
والدهر غص والزمان مساعد	ومقامنا وميئتنا بالجوسق
يا ديرنيها ان ذكرت فاني	اسعى اليك على الخيول السبق
واذا سئلت عن الطيور وصيدها	ووحوشها فاصدق وان لم تصدق
فالغر والكروان والفسارور اذ	يشجيك في طيرانه المتخلق
اشهدت حرب الطير في غيطانه	لما تحرق منه كل محرق
ورأيت للبازي سطوة موسر	ولغيره ذل الفقير المملق
كم قد صبت بغرتي في شرقي	وقطعت اوقاتي يرمي البندق
وخلفت في طلب المجون حبائلي	حتى نسبت الى فعال الاخرق
ومهاجر ومكابر ومناقر	قلاتي الفؤاد به وان لم يقلق
لو عاين التفاح حمرة خده	لصبا الى ديباج ذاك الرونق
يا حامل السيف الغداة وطرفه	امضي من السيف الحسام المطاق
رافق بعبدك لا تطل اشجانه	وارفق به يا صاحب الثغر النقي

وكان ابن البصري هذا من الخلاء الجبان وله شعر يجري مجرى الهزل والطيب .
 وخدم ابا القاسم اوتوجور بن الاخشيد فأحسن اليه وكساه وصار يركب معه وكان يلبس
 طيلساناً أزرق يتشبه بالقضاة وكان اوتوجور قد حمّله على يردون اصفر غليظ بطي السير
 فكان اذا سار مع اقوام من اخوانه قال لهم صفوا لي موضعكم حتى الحق بكم وكان يبيع
 المجالسة كثير المنادمة

« دير طمويه » — وطمويه في الغرب بازاء حلوان والدير راكب البحر وحوله
 الكروم والبساتين والتخيل والشجر فهو تزه عامر أهل وله في النيل منظر حسن وحين تغمر
 الارض فانه يكون بين بساطين من البحر والزرع وهو احد منزهات مصر المذكورة ومواضع
 لها المشهورة . ولا ين عاصم فيه :

واشرب بطمويه من صها صافية	تجري يخمر قري هيت وعانات
على رياض من النوار زاهرة	تجري الجداول منها بين جنات
كان نبت الشقيق المصيري بها	كاسات خمر بدت في اثر كاسات
كان نوحها من حسنه حدق	في خفية يتناجي بالاشارات
كانما النيل في مر النسيم بها	مستلم في دروع صابريات
منازلاً كنت مفتوناً بها ينعما	وكن قدما مواخيري وحاناتي
اذ لا ازال ملحاً بالصبوح على	ضرب النواقيس صبا بالديارات

الديارات المعروفة بالعجائب على ما ذكره اهلها ووصفوه عنها فمنها دير الخنافس وهو
 بين الموصل وبلد ٠٠٠ كثير الرهبان له يوم في السنة يجتمع الناس اليه من كل موضع فتظهر
 فيه الخنافس ذلك اليوم حتى تغطي حيطانه .

« دير الكلب » — وهو بين الموصل وبلد ٠٠٠ يعالج فيه من عضه كلب كلب فمن
 عضه كلب كلب بادر اليه فعالجوه منه يرى ومن مضت له اربعون يوماً من العضة لم ينجع
 فيه العلاج .

« دير القيارة » — وهو ليعقوبية على اربع فراسخ من الموصل في الجانب الغربي
 من أعمال الحديثة مشرف على دجلة تحته عين قبر وهي عين نفور بماء حار تصب في دجلة

ويخرج منه القير فما دام القير في مائه فهو لين يمتد فاذا فارق الماء ويرد جف وهناك قوم يجتمعون فيجمعون هذا القير يعرفونه من الماء بالقفاف ويطرحونه على الارض ولم قدور حديد كبار وينخل له الرمل فيطرح عليه بمقدار يعرفونه وتوقد تحته حتى يذوب ويختلط بالرمل وهم يحركونه نحر بكاً دائماً فاذا بلغ حد استحكامه قلب على الارض قطعاً بحدة ويصلب ويحمل الى البلدان فمنه قير السفن والحمامات وغير ذلك مما يستعمل فيه القير والناس يكثررون القصد لهذا الموقع للتنزه فيه والشرب ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج معه القير لانه يقوم مقام الحمامات في قلع البثور وله قائم وكل دير للبعقوبة والملكية فعنده قائم فاما ديارات النسطور فلا قائم لها .

« دير يرقوما » — وهذا الدير بيمافارقين على فرسخين منها في جبل عال له عيد يجتمع الناس من كل موضع ويقصده اهل البطالة والخلاعة للشرب فيه وتحتة برك تجتمع فيها الأمطار و يرقوما هذا هو الشاهد الذي تزعم النصارى ان له سبعمائة سنة وانه ممن شهد المسيح وهو في خزانة خشب لها أبواب تفتح ايام أعيادهم فيظهر منه نصفه الاعلى وهو قائم وانفه وشفته العليا مةطوعان وذلك ان امرأة احتالت حتى قطعت أنفه وشفته ومضت بهما فبنت عليهما ديراً في البرية في طريق تكريت .

« دير باطا » — وهذا الدير بالشرق وهو دير حسن عامر تزه في ايام الربيع ويسمى ايضاً دير الحمار وشاهده يعرف بمر يكس وهو ناء عن دجلة وعن المدينة وله باب حجر . ذكر النصارى ان هذا الباب يفتح الواحد والاثنان حتى يتجاوز السبعة فان تجاوز السبعة لم يقدر احد منهم على فتحه ولا يفتحه حينئذ الا سبعة وذكروا ايضاً ان فيه غرابين ثنائلا هناك لا يخلو منهما فرماً طرقه اللصوص فدخلوه فان حصل فيه احد منهم صعد الغرابان على برج الدير فاذا أقبل اليه احد ممن بطرقه او بقصده تلقاه الغرابان بصيخان في وجهه كالمندرين له . فيعلم ان في الدير قوماً فيرجع فان لم يكن في الدير احد لم يفعل شيئاً من ذلك .

« دير يربار بلبون بنواحي الس » — في هذا الدير كرسي الاسقف وفيه ايضاً بئر فمن لحقه بهق قصده واغتسل من البئر لم يبرح حتى يزول عنه .

« دير العجاج » — وهذا الدير بين تكريت وبيت عامر كثير الرهبان وخارجه

عين ماء تصب الى بركة هناك وفي البركة سمك اسود وهو طيب عذب الطعم وحوله
مزارع وخضر تسقى من تلك العين .

« دير الجودي » — والجودي هو الجبل الذي استقرت عليه السفينة وبين هذا الجبل
وجزيرة ابن عمر سبعة فراسخ وهذا الدير مبني على قمة الجبل يقال انه بني منذ ايام نوح
عليه السلام وزعموا ان فيه اعجوبة حدثت بها بعض نصارى الجزيرة وهي ان سطحه يشبر
فيكون عشرين شهراً ثم يعاد قياسه فيكون ثمانية عشر شهراً ثم يعاد فيكون اثنين وعشرين
شهراً . في كل دفعة يشبر يختلف عدده ومن اعتبر ذلك رقاصه وجده كما ذكر .

« كنيسة الطور » — وطور سيناء هو الجبل الذي تجلى فيه لومى عليه السلام وصعد
فيه والكنيسة في اعلى الجبل مبنية بحجر اسود وعرض حصنه سبعة اذرع وله ثلاثة
ابواب حديد وفي غربيه باب لطيف قدامه حجر لم اذا ارادوا رفعه رفعوه وان قصدوا احد
ارسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخلها عين ماء وخارجها عين أخرى
وزعم النصارى ان بها ناراً من نوع النار الجديدة التي كانت بالبيت المقدس بقدون منها
في كل عشية وهي بيضاء ضعيفة الحر لا تحرق ثم تقوى اذا اوقد منها السرج وهو عامر
بالرهبان والناس بقصدونه لانه من الديارات الموصوفة .

ولا بن عاصم فيه :

يا راهب الدير ماذا الضوء والنور فقد اضاء به سيف دبرك الطور

هل حلت الشمس فيه دون ابرجها او غيب البدر عنه فهو مستور

فقال ما حله شمس ولا قمر لكن تقرب فيه اليوم فورير

« بيعة ابي هور » — وهذه البيعة بسر يا قوس من اعمال مصر عامرة كثيرة الرهبان
لها اعياد بقصدها الناس وفيها على ما ذكره اهلها اعجوبة وهي ان من كانت به خنازير
يقصد هذا الموضع ليعالج به فيأخذه رئيس الموضع فيخجمه ويأتيه بخنزير فيرسله على
موضع الوجع فيأكل الخنزير الذي فيه لا يتمدى ذلك الموضع فاذا نظف الموضع ذر
عليه من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ومن زيت فتدبل البيعة قهراً ثم يؤخذ
ذلك الخنزير فيذبح ويحرق وبعد رماده لمثل هذه الحال .

« دير يوحنا » — هذا الدير بدمشقر من اعمال مصر اذا كان يوم عيده اخرج

شاهده من الدير في تابوت فبسر التابوت على وجه الارض لا يقدر احد ان يمسكه ولا يجلبه حتى يرد البحر فيغطس فيه ثم يرجع الى مكانه .

« بيعة اتريب » — وعيدها اليوم الحادي والعشرون من بونة يذكرون ان حمامة بفضاء تجيشهم في ذلك العيد فتدخل المذبح لا يدرون من اين جاءت ثم لا يرونها الى يوم مثله .

وبنواحي اخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفي موضع من الجبل شق اذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق من الطير المعروف ببوقير شيء في ذلك المكان وهو به كثير حتى يبجي الى الموضع فيكون امر أعظم الكثرة هذه الطيور واجتماعها وصياحها عند ذلك الشق ثم لا تزال واحداً بعد واحد يدخل رأسه في ذلك الشق فيصيح ويخرج ويبجي غيره فيفعل كفعله الى ان تعلق رأس احدها وينشب في الموضع فيضطرب حتى يموت فحينئذ يتفرق الباقي وترجع الى مواضعها فلا يبقى منها طائر . والله أعلم » هـ وهو آخر الكتاب .
توفيق ابيكار يوس



آراء وافكار

عدة الكاتب (١)

قالوا كتب الكتاب وكتبه نكتبها ورقه رقماً وذيرة (—) ذيراً وذيرة نذيراً
وإكتبه ولمقه لمقاً ولموقاً ونمقه نمقاً ورسمه رسماً وإزدیره وطرسه وسطره سطرأ ولقمه
لقماً ونبقه نبقاً ورقته رقيقاً ووحاد يحيه وحياً وسفره سفرأ ورقته :

وقد نزل المحاسب الرقم اي رقمه . ونقر في الحجر نقراً : كتب . وانتقر الشيء : كتبه
يقال ، ما ترك عندي نقارة الا انتقرها اي ما ترك عندي شيئاً الا كتبه .

واودع كتابه كذا : كتبه فيه ، ووقع الكاتب في الكتاب أجل بين تضاعيف
سغوره مقاصد الحاجة وحذف الفضول . وزبر الكتاب كتبه وقيل كتابة غليظة وكذا زيره
تزييراً وقد سطر الكاتب سطرأ : كتب وكذا خط بقلمه او غيره وخط الشيء : كتبه
بقلم او غيره . ورسم على كذا : كتب وخط .

ورشم (—) رشم ورشم ترشياً : كتب . ورقش الصحيفة : سطرها . وخطط
عليه اعماله ، سطرها . وعثر المصاحف ، جعل العواشر فيها . ونفت القلم ، كتب .
وقد عين العين تعييناً ، كتبها ومثله غين غيناً وكوف كافاً ولوّم لاماً وظياً ظاءً وموّم
مباً ونوّن نوناً وبيّأ باءً ، وفي التاج ياءت ياء حسنة . وصوّد صاداً وتياً تاءً وذوّل
ذالاً ووّي واواً وأواها الخ .

وهي الكتابة والتزيرة والسطر والنميمة والزير ، والفيل وهو الخط بخطه على
الشيء وقالوا اشهد على رسم القبالة اي على كتابة الصحيفة وفي الاساس كل من تقبل بشيء
مقاطعة وكتب عليه بذلك الكتاب فعمله القبالة والكتاب المكتوب عليه هو القبالة .
واكتب فلاناً قصيدة ، املاه اياها ، واستكتبه القصيدة ، استملاها . وأملت
الكتاب على الكاتب املاً وأملته عليه إملاء . القيته عليه اي قلته له فكتب عني .
واستملاه استملاء ، سأله الاملاء وفي اللسان استملته الكتاب ، سأله ان يمليه عليه .

(١) ما لم يذكره الاستاذ الجندي اتماماً للفائدة .

والقى عليه القول ، أملاه . ودبر الكتاب ، اكتتبه وهو كالتعليم . والامالي ، الاقوال
والمختصات وما على .

وكاتبه مكتوبة ، كتب احدهما الى الآخر — وفلاناً : كتب معه . وتكاتب القوم
كتب بعضهم الى بعض .

واكتب الرجل إكتاباً ، وجده كاتباً . واستكتبه اخذه كاتباً .
وشكل الكتاب وأشكله ، أعجمه كأنه أزال عنه الإشكال والالتباس . ومثله
قيده تقييداً أي شكله بما يزيل الاختلاط ويمنع الالتباس فهو كتاب مقيد . وضبط
الكتاب كتابه ، صححه وشكله . ورقم الكتاب ، أعجمه وبينه . ورقن الخط ترقيناً ،
أعجمه ليتبين — ونقطه . وأعجم الكتاب ، أزال عجمته وابهامه بوضع النقط والحركات
والاعراب — وخلاف أعربه . وقيد الخط ، نقطه وأعجمه وشكله . ونون الكلمة ،
ألقها التنوين .

ونقط الحرف نقطاً ، أعجمه وجعل له نقطاً فهو ناقط والحرف منقوط . ومثله
نقطه ثنقطاً — وثوبه بالمداد ، لظفه بنقطه منه . ووكت الكتاب يكت وكتا وذبره
وذبره ورقن الخط . وقد عجم الكتاب والحرف عجماً وأعجمه وعجمه أي نقطه بسواد
والنقطة اسم من النقط — وعلامة شبه كرة صغيرة تجعل فوق الحروف المعجمة او تحتها
ليتميز بعضها من بعض ج نقط ونقاط . ونقط عليه ، وضع عليه نقطة . وقد أهمل الحرف
ضد أعجمه . وجرد الكتابة تجريداً عماها من الضبط .

وهذا كتاب مُدْمَق أي لطيف . وخط رشيق ، ظريف . وكتاب التماسين ،
ما كتب بالتأني ومراعاة النظام والقاعدة خلاف المشق . والرقش ، الخط الحسن . وقد
جود خطه ونمقه وحسنه وتأنق وثنوق فيه .

وطرس الكتاب ، سواده . والمسودة عند الكتاب والطباعين ما يكتب او يطبع
ابتداءً بقصد المراجعة ويقابلها المبيضة .

وطرس الكاتب نظرياً أعاد الكتابة على المكتوب . وجندر الكتاب ، امره القلم
على ما درس ليتبين .

ونسخ الكتاب ، نقل صورته المجرودة الى كتاب آخر يقال ما نسخ هذا الكتاب

الكتاب بل مسخه وكذلك انسخه واستنسخه ونقله نقلاً وقد استنسخ الكتاب ، طلب نسخه . والناسخ من صنعته نسخ الكتب . والنسخة ، الكتاب المنسوخ ج نسخ — والكتاب المنقول لانه قام مقامه .

وعمس الكتاب عمساً ، درس ومثله مع محاً ومحجاً (—) ومحوحاً ومحوحة . وامحاً امحاحاً . وقد مصحح الكتاب مصححاً ومصوحاً اي درس اوقارب ذلك . والاعور ، الكتاب الدارس .

وقابل الكتاب بالكتاب ، قرأه عليه ليرى أهو منطبق عليه ام غير منطبق فيطبقة مثل عارض الكتاب بالكتاب وفص ختم الكتاب وفص الخاتم عن الكتاب ، كسره وفتحه . وضرب على المكتوب ، ختم . وطان كتابه بطين طيناً ، ختمه بالطين ومثله أطانه . وقد ختمه اي جعل عليه الختم ومثله لطمه تلطياً .

ووقع العهد ، رسم عليه طغراء السلطان . وتوقيع السلطان ، طغراؤه . والموقع . حافظ التوقيع — وكانبه . والامضاء في اصطلاح التجار والكتاب اسم الرجل او علامته يكتبه بيده في ذيل الصك او الكتاب ثبیتاً له . والتوقيع ، ما يوقع في الكتاب — والحاق شيء في الكتاب بعد الفراغ منه .

ولخص الكتاب تلخيصاً ، احكمه .

ومسخ الكاتب ، صحف فأحال المعنى في كتابته يقال فلان ماسخ لا ناسخ اذا كان ممن يكثر الخطأ في كتابته . وهذا اللفظ مصحف عن كذا ، اي مغير عنه ، والشطبة ، خط يمد على الغلط الواقع في الكلام وقد شطبه اي مد عليه خطاً .

وطمس الكتاب ، محاه ومثله لقمه وطرس الكلمة ، ازال كتابتها . وكشط الحرف ، ازاله عن موضعه . وطرمس الكتابة ، محاهها وكذا اطمل الدقتر والنجل الصبي لوحه مثل نجله وقد نطأس الكتاب اي انغى . والنجل شئ . تمحى به الواح الصبيان .

ورمل الكاتب خطه ترميلاً ، رش عليه الرمل ليشرب فضلة الحبر منه (مولدة) . وسلاسل الكتاب ، مسطوره يقال ما قوم سلاسل هذا الكتاب ومثله بابات الكتاب وكتاب مرقوم ، مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير منه .

وحرر الكتاب تحريراً ، قومه وحسنه باقامة حروفه واصلاح سقطه ، وصححه
تصحيحاً ، ازال سقطه .

ويرادف الحق ، التوقيع والذنب . والاوزار عند اهل الديوان ما يكتب في آخر
الكتاب من نسخة عمل او فصل في بعض المهمات تقول ازّر الكتاب بكذا وصدّره بكذا
وجمع الاوزار آزره وازر .

والمكتوب ، الرسالة تبعث من واحد لاخر ج مكاتب . وكذا المظلة مأخوذة
من معنى الالحاح والملازمة . والوصل ، الرسالة ترسلها الى صاحبك ج وصول (محازبة)
والمُنْزَعِلُ والمُنْزَعِلُ ، المكتوب او المتقارب الخط . والوسحي المكتوب ايضاً وكذا
الملاك والملاكة والألوك والألوك والمألك والمألك . والرسالة وهي الصحيفة التي
يكتب فيها الكلام المرسل ج رسالات ورسائل ومثله الرسول ج رُسُل ورُسُل
وَأَرْسُلُ ورسلاء ، والرّسيل . والمرسوم ج مراسيم ومراسم . والرقم والرقين .
والمُتَمَلِّغَةُ وهي الرسالة المحمولة من بلد الى بلد تقول أبلغ فلاناً مغلغة .

ويسمى جواب الرسالة الرّجيم والرّجعي والرّجسان والرّجعة والرّجوعة والمرجوع
والمرجوعة .

والأُسْطُور والأسطور والأسطير ، ما يُسْطَر أو يكتب ويشتمل في الحديث
الذي لا نظام له والحكايات ج أساطير .

والمصحف مثله الميم ، الكراسة ورقةتها جمع الصحف او ما جمع منها بين دفقي
الكتاب المشدود ج مصاحف . والمصنّفات والتصانيف ما صنّف من الكتب واحدها
مُصَنَّف ونصيف . والمختصر ، السجل .

والفصل من الكتاب ، قطعة منه مستقلة منفصلة عن غيرها ج فصول ويطلق الفصل
في الاصطلاح على طائفة من المسائل فصلت عن غيرها لغرض . والمقالة ، القطعة من
الكتاب . الكراس الجزء من الكتاب يحتوي في الغالب على ثمان ورقات ج كرaris
والكراسة ، الكراس وربما أريد بها مجموعة صغيرة دون الكتاب . وقد كسّر الكتاب
على عدة أبواب اي جعله عدة أبواب .

وحشي الكتاب تحشية ، علق عليه حاشية فالكتاب محشي . والعليقة ما علق

على حاشية الكتاب من شرح ونحوه ج تعاليق . والحاشية ، جانب الكتاب — وما علق على حاشيته من الشروح والزيادات ج حواشٍ ومثل الحواشي التلويحات . وهذا كتاب مخدوم اي كثرت عناية الناس به فشرحوه وعلقوا عليه الحواشي . وقد ذيل الصحيفة تذييلاً اي كتب شيئاً في ذيلها زيادة عما فيها .

ووقع الرجل في اضعاف كتابه اذا وقع بين سطوره وحواشيه . والضعف واحد اضعاف الكتاب اي اثناء سطوره ومثل الاضعاف التضاعيف ويقال انفذته درج الكتاب وطيه وثنيته ورصمته ورعطفه . واحطوا الكتاب ، اثنأوه .

وعنى الكتاب نعية ، وسمه بالعنوان وكذا علاء تعلية وعذونه وعلونه علونة وعلواناً اي كتب على ظهره اسم المكتوب اليه . وعنه وعذنه وأعناه وعناه يعنوه عنواً . وهو العلوان سمي به لانه يعلو الكتاب وقيل الصواب العنوان ويسمى ايضا الهليمان والمعنى يقال معنى هذا الكتاب جميل . والصدر وهو عنوان الكتاب واوله .

وهي الصحيفة والصحيف والمأنيكة والعجوز . والدرج وهو الصحيفة يكتب عليها وتطوى او تلف . والطومار والطامورج طوامير . والرجل وهو القرطاس الابيض . والمجلة وهي الصحيفة فيها الحكمة .

ورق الكتاب قيل هو اسم لجلود رفاق يكتب فيها وهو مستعار من ورق الشجر اوراق . والقائمة ، الورقة من الكتاب ج قائمات وقوائم . واللائحة ، ورقة مفتوحة تدرج فيها الاعمال الحسابية او غيرها ج لوائح . والطحية ، الورقة من القرطاس . والجُرْزاة ، ورقة تعلق فيها الفوائد ج جزازات . والمدرجة ، الورقة التي تكتب فيها الرسالة — وبدرج فيها الكتاب . والرقعة ، القطعة من الورق تكتب .

والاضبارة ، الحزمة من الصحف ج اضابير نقول عنده اضابير من الصحف وكذلك الضبارة والضبارة والاضمامة وقد خبر الكتب خبراً اي جعلها اضبارة او جمعها . والدفتر جماعة الصحف المضمومة ج دفاتر .

ومقدمة الكتاب ، فصل يعقد في اوله ومثلها خطبته . وأم الكتاب ، القائمة او اصله . ودباجة الكتاب وترجمته ، فاتحته . وقد صدر المؤلف كتابه اي جعل له صدرأ اي دباجة .

وفهرس الكتاب فهرسة ، عمل له فهرساً وهو الكتاب يجمع فيه اسماء الكتب — ودقتر في اول الكتاب او آخره يتضمن ذكر ما فيه من الابواب والفصول ومواضعها منه ليسهل الوقوف على المطلوب منها وهو المتعارف الآن معرب فهرست ج فهارس .
والثبات ، الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه قيل هو من اصطلاحات المحدثين .

والصك كتاب الاقرار بالمال وغيره ج صكوك وأصك وصيكاك . والوخصر ، الصك الذي يكتب فيه السجلات كالإصر ويطلق غالباً على كتاب الشراء وهو المعروف اليوم بالحنة ج أوصار ومثله الوصيرة والأوصر والوصرة . ويسمى الصك ابضاً ، ذكر الحق ج ذكور الحق وذكور حقوق .

ووضع الكتاب وضعاً ، ألفه وصنفه . وسطر ألف الاصاير . وبقى الكتاب سطره منقاً منقاً مرتباً — او جمعه وجوده . والمصنف ، مؤلف الكتاب . والفنل الكتاب الذي لم يسم فاعله .

ورقم الكتاب ، جعل على رقاع ديوان الخراج وتوقيماته وحساباته علامة لثلاثتهم انها يتنصت كي لا يقع فيها حساب وكذلك رقت ترقيناً .
ومرفع الكتاب ، شيء ترفع عليه .

وجداول الكتاب جدولة ، عمل له جدولاً وهي كلمة مولدة يراد بها شبكة من خطوط تحتوي مجموع قضايا على وجه مختصر يمكن الوقوف عليه دفعة واحدة كجدول الكليات في المنطق وجدول الضرب في الحساب .

وجعل الكتاب قودين ، طوى اعلاه على أسفله حتى صار نصفين . ويقال ان كتبه سفاتج اي رائجة رواج السفينة . وان كتبه لي طبقة اي متواترة . وهذا كتاب مبروز اي منشور . وهذا قرطاس ذو أكل اي صفيق .

النبك : سالم خليل رزق

حول الجزء السابع والرابع « من ارشاد الأريب^(١) »

باشرت منذ عهد قريب بطبع كتاب (الارفصاح عن معاني الصحاح) لعالم الوزراء يحيى بن محمد بن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ وهو كتاب جليل ذكر فيه مؤلفه ما اجمع عليه فقهاء المذاهب الأربعة وما اختلفوا فيه بصورة سهلة قريبة التناول فدعاني ذلك ان ابحث عن ترجمة المؤلف فوجدت من جملة من ترجمه العلامة ابن رجب في ذيل طبقات الخنابلة وهذا الكتاب منه نسختان خطيتان في المكتبة الظاهرية بدمشق فاستنسخت لي بواسطة بعض اهل الأدب والفضل ولما تلوتها وجدت في اواخرها مانعه :

وذكر ياقوت في كتابه معجم الأدباء ان الوزير عرضت عليه جارية فائقة الحسن وظهر له في المجلس من ادبها وحسن كتابتها وذكائها وظرفها ما أعجبه فأمر فاشتريت له بمائة وخمسين ديناراً الخ .

فهذه العبارة نفيد ولا ريب ان الوزير ترجمة في معجم الأدباء فتصفحت الجزء السابع الذي نجز منذ عهد قريب وكتب عنه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي كلمة في (م ٧ ص ٢٣٣) وفيه حرف الياء فلم اجد ذكراً للمترجم في حين انه قد ذكر جميع من اسمه يحيى وذكر بعده من اسمه يزيد وبعقوب والبيان ويموت ويوسف ويونس .

فعدم ذكر ترجمة الوزير يحيى بن هبيرة بين هؤلاء مع ما لاحظته السيد محمد كرد علي من قصر التراجم فيه وفي الجزء الرابع الذي نشر بعده حيث قال هنا وقد حوى هذا الجزء الاخير ٢٠٧ تراجم ليست في طولها على مثال ماورد للمشهورين من نوعها في الاجزاء السالفة . وقال في كلامه على الجزء الرابع (ص ٥٦٨) وقد لاحظنا في اكثر تراجم هذا الجزء اختصاراً لم يكن مألوفاً لياقوت ولعله كتبها ولم يعاود النظر فيها .

يحملنا تشك في صحة نسبة هذين الجزءين لياقوت الرومي وان تغلب الظن انهما

(١) ارشاد الأريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الرومي الذي

نشره المستشرق (د . م . صرجليوث) .

ملفقان لفقهما من باعها لحضرة الاديب مارجليوث علماً منه بشغفه في احياء هذا الكتاب
الجليل ورغبته الشديدة في تميم اجزائه .

فعمى ان يأتينا نأشره بما يزيل هذا الارتياب وعلى كل فأننا له من الشاكرين على
ما بذله من الجهود في سبيل نشره له والمأمول منه ان يواصل البحث عن الجزء الخامس
الذي لم يعثر عليه بعد فتكمل بذلك اجزاء هذا الكتاب وتم فائدته .

حلب : محمد راغب الطباخ

عضو المجمع العلمي



مطبوعات حديثة

النهضة العلمية في المغرب الأقصى

«وشي من آثارها الدالة عليها»

كنا نعلم أن في تونس من بلاد المغرب نهضة علمية أدبية . وكنا نتمنى مثلها للجزائر ومراكش فلم يخيب الله ظننا : فقد أخذ ببلقنا من وقت إلى آخر : تارة بالآثار العلمية القيمة التي يصنفها أبناء هذين القطرين العظميين وتارة بما نسمعه من أفواه القاصدين إلى بلادنا من ذينك البلدين — وجود نهضة علمية وقيام علماء مصلحين يعملون على تنوير بلادهم وإن كان الدهر فجعنا بمضو مجعنا الكريم الأستاذ أبي شنب الجزائري فقد عوض الله تلك البلاد عنه بالأساتذة التجوي والكتاني والجرجاني والجزولي وغيرهم من أبناء مراكش والجزائر . وإن للأستاذ محمد بن الحسن التجوي الثعالبي (مندوب المعارف العامة في مملكة مراكش ووزيرها وأستاذ العلوم المالية بالقرويين) اهتماماً عظيماً بامر نشر العلم في تلك البلاد وتثبيته الأفكار إلى وجوب إحداث نهضة علمية تمشي مع النهضة الأخرى في سائر الأقطار العربية وهو يعمل من دون ملل في هذه السبيل فيكتب ويؤلف ويخطب ويلقي المحاضرات الممتعة في الموضوعات المختلفة .

ومن آثاره القيمة ما أهداه إلى مجعنا العلمي وهو :

(١) — كتاب (الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي) « التي المؤلف ملخص كثير منه بشكل محاضرات في نادي الخطابة الأدبي بالمدرسة الثانوية بفاس . وموضوعه : كيف نشأ الفقه الاسلامي إلى ان صار لما هو عليه الآن فيبين فيه كيف كان فقه العرب ثم مرتبته من العلوم في الاسلام وأطواره الأربعة التي تطورت فيها الاسلام :

(١) طور الطفولة . (٢) طور الشباب . (٣) طور الكهولة . (٤) طور المشيب والهرم .

ثم يعقب ذلك الطور العنيد طور التجديد هذا إلى ما يتعلق بالاجتهاد والنقليد وقد وثق المؤلف كتابه بتراجم المجتهدين الثلاثة عشر مجتهداً وهم الذين دونت مناهجهم في

صدر الاسلام وتراجم فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من نخبة علماء المذاهب المقلدة وبالجملة فان مضمون هذا الكتاب فلسفة تاريخية اصولية للفقه الاسلامي وتاريخ لأشهر مشاهير فقهاء الاسلام ، ففيه تبيان لاصول الاجتهاد وتدريب عليه مع بيان اصول المذاهب الاربعة مملوء بالفوائد التي تعلق بذلك جميعه .

فالقاري الفطن بفهم مما تقدم فضل الاستاذ المؤلف ومبلغ الحاجة الى تأليفه لا في البلاد المغربية فقط بل في البلاد الاسلامية التي نهضت اليوم من مرقدتها تبغي لنفسها مكاناً اجتماعياً رافقاً بتلائم مع الامكنة التي تنبوءها أمم العالم .
هذا وكتاب (الفكر السامي) المذكور يتألف من اربعة ارباع كل ربع منها يتضمن طوراً من الاطوار الاربعة الآتية الذكر .

وقد طبع منها ربعان فقط كل منها في جزء مستقل ، (الربع الاول) طور الطفولة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم وفاته ، و (الربع الثاني) طور الشباب من زمن الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .

أهدى المؤلف الى مجمعا هذين الربعين او الجزئين : الاول منها في (١٦٠) صفحة والثاني في (٢٤٠) صفحة وقد طبع في مطبعة النهضة بتونس وانا لآرجو ان يوفق المؤلف الى طبع الربعين الآخرين .

(٢) — ومن آثار الاستاذ الحجوي المهداة اليها (المحاضرة الرباطية في اصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية) وقد ألقى الاستاذ هذه المحاضرة في معهد الدروس العليا بالمؤتمر الذي انعقد برباط الفتح سنة ١٩٢٢ م وقد نشرتها جريدة (النهضة) التونسية ومن يوم القائها ونشرها تقدم تعليم البنات بسرعة مذهشة : حتى في المدينة التي كانت متعصبة كفاس كان عدد التليذات ٣٧٤ فبلغ الآن نحو ١٤٠٠ تليذة رغمًا عن معارضة بعض الاعيان في ذلك عندما سمعوا المحاضرة تلقى جهرًا في المؤتمر . وكل من يهمه موضوع المرأة المسلمة وتعليمها ينبغي له مطالعة هذه المحاضرة المفيدة وقد طالعتها واستفدت منها .

(٣) — رسالة جيدة الطبع والورق في (٤٦) صفحة تتضمن طائفة من المحاضرات التي ألقى في معهد الدروس العالية وذلك حينما افتتحت ردهة المحاضرات السنوية بالعربية

والفرنسية بصورة رسمية في المعهد العلمي برباط الفتح وذلك في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٤ . وقد حضر الاحتفال المارشال ليوتي وهو الذي ترأس الحفلة وافتتحها بخطاب مسهب ارتجله ارتجالاً فني هذه الرسالة مقدمة وصفت فيها تلك الحفلة والذين خطبوا فيها . وبعد المقدمة صورة خطاب الصدر الاعظم لدولة مراکش الفقيه سيدي محمد المقرئ ثم خطاب مندوب المعارف سيدي محمد الحجوي . ثم مسامرة (اسية محاضرة) الفقيه السيد محمد السائح وموضوعها (رسو الارض بالجمال) . ثم مسامرة الشريف المؤرخ مولاي عبدالرحمن بن زيدان العلوي المكتاسي وموضوعها (مبادي علم التاريخ) ثم خطاب الدكتور ليني بروفنسال مدير القسم الخطي من المكتبة العلمية ومدير القسم العربي بالمعهد العلمي وهو ختام الحفلة . ومن مضامين هذه الرسالة يتبين للقاري مبلغ النهضة العلمية في الشرق الأقصى وحسن اتجاهها الى ما يرقى الفكر ويشقف العقول .

(٤) — رسالة تتضمن محاضرة القاها الاستاذ الحجوي وزير المعارف المشار اليه في نادي المسامرات (المحاضرات) بمحاضرة فاس وموضوعها (مستقبل تجارة المغرب) وقد ضمنها أفانين من الاحوال التجارية من الوجهة الدينية والاقتصادية والتاريخية وقد اول كلام المؤرخ ابن خلدون في تاريخه (ان التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة) فقال ان المراد بها تجارة اولئك الضواطرة الذين ينزلون الأسواق وليس معهم من آداب التجارة وعلومها سوى الختل والخديعة . « المغربي »



كتاب الالبان

« الأستاذ عمر الترماني مدرس علم الألبان في مدرسة سلمية الزراعية »
« وصاحب مجلة (الزراعة الحديثة) وهو يقع في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط »
هذا أحسن كتاب عربي رأيناه في الالبان وما يصنع منها وقد يبحث فيه المؤلف عن الحليب وبنائه وخواصه واستعمال المقاييس لمعرفة نسبة الماء والسمن فيه منعاً للغش وفرز الكشاة عنه والفراغات المستعملة لهذا الغرض والماخض والمعاجن اللازمة في صناعة الزبد ، ثم صنع انواع الجبن المختلفة وصنع اللبن الرائب والمشروبات التي أساسها الحليب الخ .

وقد وفق المؤلف في سرد الأبحاث وسلسلة الجمل ولم ينس أن يذكر المصنوعات التي تصنع في بلادنا مما لا يراه المرء في اللغات الأجنبية أو يراه فيها مقتضياً كالجينة الحليبية وجينة قشقوال والجينة الشوكية واللبن الرائب والسمن . والكشك والجينة السوداء (شكليس) والأقط وغيرها . ومن رأيي أنه أسهب في ذكر بعض أنواع الجبن الأوروبية مما يصعب جداً صنعه في إقليم الشام وعلى العكس أوجز في ذكر بعض المصنوعات البلدية كاللبن الرائب مثلاً فهو لم يبحث عن إمكان صنعه بدقة اللبن الرائب الخفيف (وكثيراً ما استخضر هذا الدقيق في البيت وأروب الحليب به) أو باللاكوجن أو اللاكتوباسيلين ومما يردان من أوربة .

ولم يذكر المؤلف في بناء دور الحلابة ما يجب لاثقاء ارتفاع درجة الحرارة وهو امر هام في بلادنا وإن كانت لا يهتم الأوروبيين . ولم يذكر أيضاً السم الذي تولده بعض الطفيليات في الجبن الطري لا سيما وهذه المسألة قد اشغلت إدارة الصحة كثيراً في أيامنا هذه .

وانت الكتاب ناصعة في الجملة لكن هنالك بعض هفوات كثيراً ما يقع المؤلفون بمثلها كعدم اعرابه الفاعل الاوزان الفرنسية في بعض الأماكن وجعلها مؤنثة مع انها تستعمل مذكرة وكقوله حامض الكلورودريك والصحيح الحامض الكلورودريك وكإيراد الجملة الآتية هكذا (فيها ٨٣٠ / ٣ كيلوغراماً) بنصب لفظة كيلوغرام والصحيح كسرهما لان هذه الجملة تلفظ على الشكل الآتي (فيها ثلاثة كيلوغرامات وثلاثمائة وثلاثون في الألف من كيلوغرام أو من الكيلوغرام) .

وسمى كدرة الفرازة أو ثفلها أو بقاياها أوحالاً والصحيح استعمال احد تلك الألفاظ (ص ٩٧) . وقال ان الفرجنة بالفراحي مع انها تكون بالفرجون (ص ٢٢١) هذا اذا صح استعمال الفرجنة في هذا المقام . واستعمل لفظة غُبيرات لما يسمى بالفرنسية (Spores) في علم النبات . وهي لفظة كنت وضعتها منذ نحو ثماني سنوات في درس امراض الزروع ولا أظن ان احداً استعملها قبلي . ولا أزال أراها موافقة لما وضعتها له .

وفي الخلاصة ان الاستاذ الترماني لم يكتف بالترجمة عن الأوروبيين بل درس الصناعات المذكورة عملياً وخبرها بنفسه وحقق عن أصل الألفاظ العربية في الكتب

القديمة فكتابه إذن يسمى كتاباً . وكنت رغبته في طبعه فطبعه ورغبته من جديد في تأليف كتاب موجز في الطيور الدواجن وتربيتها وهو من الأبحاث التي بدرتها في سلمية فحبذا لو قام بهذا العمل وهو اهل لذلك . وحبذا ايضاً لو اقتدى به بعض معلمي تلك المدرسة كل فيما يتقنه وأخص منهم الذين كنت أرسلتهم لتلقي الدروس الزراعية العليا في فرنسا عندما كنت مديراً للزراعة .

عضو المجمع العلمي
مصطفى الشهابي



القاموس المصري «عربي إنكليزي»

اعاد السيد الفاضل ايلياس انندي انطون الياس طبع هذا القاموس للمرة الثانية بعد ان نقيه واكمل ما كان في الطبعة الاولى من النقص واهدى بجمنا نسخة منه فوجدناه مجلداً ضخماً يقع في نحو ٧٥٠ صفحة من الورق الصقيل والقطع الكبير والطبع المحكم ، مزينا بالرسوم لايفضاح اشكال بعض الحيوانات والنباتات والآلات والادوات ولعله اصبح بعد هذا التنقيح والاضافة اجمع القواميس العربية الانكليزية الموجودة وادفاها بالغرض لسد حاجة طلاب العربية من عارفي اللغة الانكليزية .

وقد جرى المؤلف الفاضل في اختيار الالفاظ العربية على قبول جميع الكلمات الشائع استعمالها بين العلماء والكتاب وعدما عربية فصيحة بدون ان يشير الى المولد والدخيل والمعرب منها بعلامات خاصة ، وهو معذور على هذا التساهل لان مثل هذا القاموس لا يتسع لمثل هذه البيانات . وانما اشار الى الكلمات المصرية الدارجة املاً بتعميم استعمالها بين العرب او بتمهيد السبيل لابدالها بما يؤدي مراعاة من العربية الفصحى .

اما الالفاظ الانكليزية فقد اختار المؤلف اقربها الى مدلول الكلمات العربية وتوخى ان يفسر الكلمة بكلمة واحدة ثقابها بالانكليزية وليس كما فعل اكثر مؤلفي القواميس الاخرى من تفسير معنى الكلمة العربية بمباراة انكليزية وقد لاحظنا انه عند تفسير الكلمات غير المألوفة بالاستعمال لا يكتفي بذكر مقابلها الانكليزي فقط بل يفسرها بمترادف مألوف ،

مثل قوله « حيدر » اسد — (Lion) • حذف — طائر كالبط صغير (Teal) • وهذا أسلوب حسن لا يضاح المعنى وإزالة الابهام •
وفي هذا القاموس مزايا كثيرة يجعله راجعاً على غيره • وتوجب المؤلف الحازم شكر طلاب اللغتين فانهم يجدون فيه كل ما يتفنون من السهولة والابضاح • (ف)

الجامعة العربية

« تأليف السيد انطونيوس جمل طبع في سانتياغو عاصمة تشيلي سنة ١٩٢٨ »

« ص ١٦٠ مجسم صغير »

مؤلف هذه الرسالة منشيء مجلة العواطف في سانتياغو ومن كتاب السور بين في المهجر • ذكر رحلته الى كثير من بلاد الجنوب في اميركا واجتماعه بطبقات مختلفة من الشاميين يدعوهم الى الجامعة العربية اوالى تأليف ولايات عربية متحدة دستورية فكتب مالتى في هذه السبيل بحرية دل بها انه تحرر من قيود كثيرة فكانت كتاباته مرآة انعكست عليها اخلاق الشاميين وراء البحار • وهي حرية بان ينظر فيها كل من تهمة مثل هذه الموضوعات الاجتماعية • م • ك

كتاب الفراسة لفليمون

« وجمل احكام الفراسة للرازي »

طبعها وصححها الشيخ محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب

سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٩ الاول في ٤٧ ص والثاني في ١٠

هذا الفن من جملة ما خاض عبا به بعض علماء العرب وقل ما نشر منه وهو ان لم يكن من العلوم المقررة المحررة بفيدنا نشر بعض ما كتب فيه في الاطلاع على مذاهب القوم في هذا الشأن وأسلوبهم في وضعه وما استعملوه من مصطلحاته ولذلك يستحق الناشر الثناء على مmente بنشر فراستي فليمون والرازي • م • ك

ابطال الاسلام

« تأليف السيد زكريا احمد رشدي الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ - ١٩٢٨ »

« مطبعة الرشديات بالاسكندرية ص ٩٥ »

للمؤلف عدة كتب في الاجتماع والتربية وهذا المختصر هو في ميرة الخلفاء الاول
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) وما تخلل ايامهم من المبادئ الاجتماعية
الخطيرة بمباراة منسجمة وتنسيق جميل . وحبذا لو اكمل المؤلف هذه السلسلة المفيدة
للناشئين واستوفى جميع رجال الاسلام على هذا الطراز . م . ك

سورية ولبنان

« على عهد الاحتلال والانتداب الفرنسي »

— من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٧ ص ٣٣٦ —

La Syrie et le Liban sous l' occupation et le mandat français
1919-1927.

Berger-Levrault, Editeurs. Nancy - Paris-Strasbourg.

هذا كتاب بالفرنسية بل وثيقة رسمية في اعمال الانتداب الفرنسي في سورية
ولبنان بدأه مؤلفوه بالكلام على جغرافية البلاد ومساحتها وحدودها ومناخها ومياهها
وكيف كانت البلاد بعد الحرب العامة على عهد الاحتلال الانكليزي ثم الفرنسي ثم
ايام الانتداب الفرنسي وكيف نظم الانتداب البلاد فقسمها الى اربع دول وكيف
اصحح القضاء والمحاكم والسجون والامن العام والمالية والمسكوكات والتعليم والآثار القديمة
والاشغال العامة من السكك الحديدية والكهربائية والمياه والبلديات والكمارك والزراعة
والتحريج والصناعات والتجارة والاصطياف والاقواف والصحة والشرطة الخ . وبالجملة
فكل ما له علاقة بتنظيم البلاد بالنظام الاخير . كل ذلك بالارقام التي ننطق بصراحة
وحبذا لو تصدى بعضهم الى نقله الى العربية ليستفيد منه ابناء البلاد ايضا . م . ك

مجلد الجمع العلمي العربي

(دمشق) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر و ربيع الاول سنة ١٣٤٨ هـ

عبد الحميد الكاتب (١)

منشؤه وأصله

هو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري من عامر بن لوئي . ولوئي ينتهي اليه عدد قريش وشرفها ومن ولده عامر بن لوئي وولده حسيل ومعيص . وقد قيل في نسبه انه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لوئي بن غالب . ومعظم الروايات ترجع ان والده كان من الموالي . واذا صح ذلك كان من اصل غير عربي . اللهم الا اذا ثبتت سلسلة نسبه التي انتهت بابن عامر بن لوئي بن غالب . وفي رواية ان جده من سبي القادسية يتلون عامر بن لوئي . وان كان اصله من سبي القادسية فهو فارسي الاصل لا محالة . واذا قلنا بانه من اصل فارسي فيكون جده انضم الى عامر بن لوئي ، وقد انضم الرجل الى غير قبيلته بالخلف والموالة فينسب اليهم . والاصطخري يقول ان عبد الحميد كان ممن يعلج من الفرس للدواوين من الكتاب والعمال والادباء . وكان له في بني أمية ولاء ينسب اليهم فنسبته الى عامر نسبة ولاء اذا .

وانت تعلم ان المولى عند العرب دون الحر الصريح ، وفوق العبد الرقيق في المرتبة . والمولى كالقريب ينزل منزلة ابن العم يجب على صاحبه ان ينصره ويؤثقه اذا مات ولا وارث

(١) المحاضرة التي ألقاها الاستاذ السيد محمد كرد علي في ردهة الجمع العلمي العربي

بتاريخ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٨ م .

له ، ومنه حديث الزكاة « مولى القوم منهم » والمولى هو صاحب والقريب والجار والخليف والجمع موالي . ويكون المولى مولى عتاقة ومولى تباعة ، فمولى العتاقة هو الذي يكون عبداً او اسيراً فيعتقه صاحبه فيصبح المعتق للمعتق مولى . ومولى التباعة هو من يصطنع او يحالف اي يستنبح . ومن الولاء ايضاً مولى الرحم من يتزوج في قبيل فينسب الى قبيلهم . ودية المولى نصف دية الحر وكذلك حكمه في العقوبات يناله منها نصف ما ينال الحر . اما في الموارث فمولى العتاقة يرث مولاه ولا يرث منه ، ومولى التباعة لا يرث ولا يرث . وحكم مولى الرحم لحكم الاحرار يرث ويرث .

وكان الموالي في الجاهلية من اجناس ونحل مختلفة ، فلما كانت الاسلام أصبح غير المسلمين ذمة . وكانت في الجاهلية دية المولى وهو الخليف نخساً من الابل ودية الصريح عشرآ . والصريح الخالص النسب . والولاء بفتح الواو القرابة ، وبالكسر ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه او بسبب عقد الموالاة . اذا عرفت هذا فليس أمامك ما يمنع من ان تجعل عبد الحميد من اصل عربي وان كان جده مولى تباعة لامولى عتاقة كأن يكون قد تزوج من بني عامر وانضم اليهم بسبب . هذا على شريطة ضعف الرواية القائلة بان أجداده من سبي القادسية . وهناك تكون الفارسية أعطى بيته من شعرات قصه . وكانت بنو أمية كثيراً ما يعتمدون على الموالي في كتابتهم ودواوينهم ، فلم تمنعهم اصولهم من تولي أهم مناصب الدولة . فقد ذكر ابن جرير الطبري ان من كتاب معاوية مولاه عبد الرحمن بن دراج . وكان على ديوان الرسائل لعبد الملك بن مروان ابو الزعيرة مولاه ، وكتب الوليد على ديوان الخاتم شعيب العماني مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات أُمّ يعجب بن ذؤيب مولاه . وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن ابي رقية مولى الحكم بنت ابي سفيان وعلى ديوان الخاتم أُمّ ابن سلامة مولى لاهل اليمن من فلسطين . وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن ابي فروة مولى أم الحكم بنت ابي سفيان وكتب له اسماعيل بن ابي حكيم مولى الزبير . وكتب الوليد بن يزيد على ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك وكان عمرو ابن الحارث مولى بني جُحَم يتولى ليزيد بن الوليد الناقص ديوان الخاتم — وكان من الموالي على ديوان الرسائل لمروان بن محمد عثمان بن قيس مولى خالد القسري .

أدبه وتأديبه

لا جرم ان ما اتصل بنا من اخبار عبد الحميد لم تصور لنا منه صورة صحيحة تامة ، فما عرفنا مولده ولا البلد الذي ولد فيه من بلاد الشام ، ولا نوع دراسته وأساتذته . ولكننا عرفنا انه شامي عاصر بعض الخلفاء من الأُمويين ممن أقاموا العدل ، ودوخوا البلاد وعمروها بالاحسان ، وكانوا أمة وحدم في الخير وفي دعمهم انتقلت سياسة الملك وحكم الرعية . مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . ويقول ابن خلكان ان عبد الحميد كان من اهل الأنبار وسكن الرقة فان صححت روايته كان عراقيا غير شامي . وأطلق عليه ابن عبد ربه اسم عبد الحميد الأكبر وعده من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا وقال انه كتب لعبد الملك بن مروان وليزيد ثم لم يزل كاتباً لخلفاء بني أمية حتى اتقضت دولتهم . وفي هذا القول نظر لان عبد الملك تولى سنة خمس وستين وتوفي سنة ست وثمانين فلا تكون سن عبد الحميد يوم مقتله اقل من سبعين او خمس وسبعين وهذا يناقض ما سمر بك من انه غمز عليه سنة ١٣٢ وهو عند ابن المقفع ولم يعرف الموكلون بالقبض عليه ايها عبد الحميد ، وابن المقفع اذ ذاك كان دون الثلاثين من العمر فلا يعقل الا ان يكون صاحب الشرطة العباسي عارفاً على الأقل بان صاحبه شيخ هرم . ونميل الى ان عبد الحميد كتب اولاً لهشام بن عبد الملك الذي ولي سنة ١٠٥ ومات سنة ١٢٥ ثم لمروان .

والارجح ان عبد الحميد تخرج بالكتابة بسالم مولى هشام وكاتبه وكان سالم خنثى أي صهره زوج اخته ، وكان سالم احد النصحاء البالغاء ، وقد نقل رسائل ارسطاليس الى الاسكندر وأقل له وأصلح هو ، وسالم رسائل مجموعة في نحو مائة ورقة . وبهذا يقال ان عبد الحميد اخذ عن رجل بليغ يعرف الاستخراج من ادب اليونان وسياساتهم . ولم يثبت انه كان يعرف اليونانية كما وهم بعض أساتذة العصر ، وربما شدا شيئاً من الارمنية مدة مقامه في ارمينية كاتباً لمروان . والارمنية قلما تفقه في تكوين ملكته . وارمنية كانت في انحطاط ، بيد انها لم تأت في باب المدنيات ، ولا في عصر من عصورها بشيء يقرب من المدنية الفارسية .

كتب عبد الحميد قليلاً عن هشام بن عبد الملك كما عرف من رسالة كتبها عن هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن ، وقد كان على اليمن منذ سنة ١٠٧ أي ان ديوان هشام كان المدرسة الأولى التي تخرج باسانتها عبد الحميد في علوم الانشاء . الا اذا صح انه كتب من قبل لعبد الملك بن مروان وهو بعيد . ويمكن ان يقال من ثم انه كان من اول نشأته على اتصال مع من يعرف الخلفاء ، وما يقتضي الخدمة الحكومات من الأدوات . وذكروا انه حدث عن سالم بن هشام ولعله سالم مولى هشام وحدث عنه خالد بن برمك . وقالوا ان عبد الحميد كان في حدائنه معلماً في الكوفة ، ولعله مرن على حفظ مسائل كثيرة من تأديبه الاطفال زمننا . والمؤدبون كانوا مطيعة راقية في القرون الأولى للإسلام ، لان المرء لا يضع في الرجل ثقته ويليقي اليه بمقاليد ابنه الا اذا آانس منه كفاءة وحسن اخلاق . وكانت الكوفة لما التقى بها عصا الترحال لأول امره محط رحال رجال العلم في الدين واللغة والنحو والصرف ، ولا شك انه ثاقف اهل البلاغة فيها وأخذ عنهم ، وهناك حدث له غرام بتمثل كلام علي ابن ابي طالب ، فقد سئل ما الذي خرجك في البلاغة فقال : حفظ كلام الاصلع يعني علي ابن ابي طالب . وكانت الكوفة من البلدان التي احبها امير المؤمنين واحب اهلها واحبوه .

وفي زمن لم ننسبته كثيراً اتصل بمروان بن محمد وهو وال على ارمينية يحارب الخارج فيها على الخلافة ، فكتب عنه وحظي عنده ، وانقطع اليه ، ولما عقدت البيعة لمروان في الشام سجد مروان واصحابه شكراً لله . الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا تسجدت . فقال : ولم اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة . فقال : اذا تطير معي فقال : الآن طاب السجود وسجد . وكان كاتب مروان طول خلافته .

نرى هل يكون الاختلاف في نسب عبد الحميد سبباً بدعونا الى ان نرجع ان اجدادهم كانوا من بني القادسية . والاحب ان يقال سواء صححت هذه النسبة ام لم تصح ، بانه تأثر لا محالة بعبادات الفرس وعرف اساليبهم في الكتاب والخطاب . يؤيد ذلك ما رواه ابو هلال العسكري قال : « فرت تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى امكنه فيها من صنعة الكلام ما امكنه في الاولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج امثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها الى اللسان العربي » . وعلى كل فإن

الحال الذي جال فيه عقل عبد الحميد كان فسيحاً بالنسبة لعصره واهل طبقتة ، وكان من اتصل بهم قبل ان يلي الكتابة عن الخليفة جماعة من المنظور اليهم في الالة . ولهذا ولغيره اي مولده في الشام ونقله في البلاد دخل كبير في اتساع عقله وتجاربه .

أخلاقه وعاقبة امره

كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية يمد من أعظم رجال الأمويين شهامة وحزماً وادباً ، وكان يحب عبد الحميد حباً جماً ، ويرفع منزلته بين الكتاب والعمال « ولا يرى الدنيا الا به » لعله ينبوغه وتفرده في صناعته ، وذهابه بفضل البلاغة وما ينبغي لها ، حتى تعرض عليه لما أيقن ان امره أدير ، وهزائمه تواترت ، وسلطانه صائر الى الزوال ، ان يكون مع اعدائه لتسلم حياته ، قائلاً انا نجد في الكتب ان هذا الامر زائل عنا لا محالة ، وسيضطر اليك هؤلاء القوم يعني ولده العباس لأدبك ، وان أعجابهم بك يدعوم الي حسن الظن بك ، فاستأمن اليهم ، واظهر الغدر لي ، فلملك تشفعني في حياتي او بعد مماتي . فقال له : وكيف لي بان يعلم الناس جميعاً ان هذا عن رأيك ، وكلهم يقول اني غدرت بك وصرت الي عدوك . وأنشد :

وذني ظاهري لا شك فيه لمبصره وعذري بالغييب

وأنشد ايضاً :

امر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بمذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين : ان الذي امرني به أنفع الامر من اليك ، وأقبحها لي ، ولكنني اصبر حتى يفتح الله عليك او أقتل معك . وهكذا تجلت سيف عبد الحميد فضيلة الوفاء العربي ، فأثر ان يقتل مع صاحبه على ان يتخلى عنه يوم الكربة والشدة . وتجلت فيه خلة الشجاعة والاعتقاد بالأقدار فهو الرجل الذي شارك سيده في سعادته وبلائه . وربما كان عبد الحميد ينجو من الهلاك بايدي العباسيين لو سار بسيرة غيره من رجال مروان ، ان صح ما روي من انه لما زال امر مروان اتى المنصور بخواص مروان ، وفيهم عبد الحميد والبهليكي المؤذن وسلام الحادي فهم يقتلهم جميعاً فقال سلام : استبقني

يا امير المؤمنين فاني احسن الحداء . قال : وما بلغ من حدائك . قال : تمهد الى ابل فتغشمها ثلاثة ايام ثم توردوها الماء ، فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحذاء ، فترفع رؤوسها وتدع الشرب ، ثم لا تشرب حتى أسكت . فأمر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الأمر كما قال ، فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه . وقال له البعلبي : استبقني يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع القرين قال : وما بلغ من أذائك . قال : تأمر جارية فتقدم اليك طستاً ، وتأخذ بيدهما ابريقاً ، وتصب الماء على يدك . فأبتدي بالأذان فتدهش ويذهب عقلها اذا سمعت أذاني ، حتى تلقي الابريق من يدها وهي لا تعلم ، فأمر المنصور جارية ففعلت ذلك واخذ البعلبي الأذان فكانت حالها كما وصف . وقال عبد الحميد : يا امير المؤمنين فاني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة . فقال : ما عرفني بك ، انت الذي فعلت بنا الأفاعيل ، وعملت لنا الدواهي . وأمر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . وروى انه سلمه الى عبد الجبار فكان يحمي له طستاً ويضعه على بطنه حتى قتله . واختلفوا في مقتل عبد الحميد فاليعقوبي يقول انه تخلف بمصر واستتر حتى دُل عليه صالح بن علي . وزاد غيره انه لما انهزم اختبأ في كنيسة في بوسير من ارض مصر وقال آخرون : انه استخفى بالجزيرة عند عبد الله بن المقفع فغمز عليه وكانت صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفاً على صاحبه . واوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع ، لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلاً ترفقوا بنا ، فان اكل منا علامات ، فوكلوا بنا بحكم ويمض البعض الآخر الى من وجَّهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا وأخذوا عبد الحميد .

وفي رواية ان عبد الحميد لم يحتمي في الجزيرة عند ابن المقفع بل قبض ساعة قتل مولاه مروان ، وان عامر بن اسماعيل المسلمي لما قتل مروان ظفر بعبد الحميد كانه فعرض عليه رؤوس القتلى ، لانه قتل في سنة او سبعة من خواصه ، وكانوا معه فعرفه رأسه وحمل عبد الحميد الى ابي العباس ، فسلمه الى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله . وهنا ايضاً اضطراب في رأي من ترجموا لعبد الحميد في نهاية امره ، كما وقع الاختلاف في اصله ، ولم يعقل انه تخلف عن سيده في الجزيرة والارجح انه قتل في مصر .

بلاغته وأسلوبه

كان عبد الحميد على ما قال صاحب العقد الفريد أول من فلق أكام البلاغة ،
وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر . ضربت الأمثال ببلاغته وقد أشار اليعتري الى
ذلك في قصيدته الى محمد بن عبد الملك قال :

وثقنت في البلاغة حتى عطل الناس فن عبد الحميد
وقال ابن الرومي لابي الصقر :

لو ان عبد الحميد اليوم شاهده
وقال ابن اسفنديار الكاتب :

وهو في الخلق والبلاغة في الت
وقال ابو اسحق الصابي :

أنبتم كتباً شئت فصولها
ورسائلًا تفدت الى اطرافكم
بفصول درر عندكم منقود
عبد الحميد بهن غير حميد

وقال ابراهيم بن عباس العسولي وقد ذكر عبد الحميد عنده : كان والله الكلام
معاناً له ، ماتميت كلام احد من الكتاب قط ان يكوزلي مثل كلامه . جاء عبد الحميد
بطريقة جديدة في الكتابة العربية ، شرعها لكل من يحمل القلم بعده ، فنقل الانشاء
من طور الى طور لم يكدر يتغير حتى عهد ابن العميد ، ولذلك بحق ما قالوا افثخت الكتابة
بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

وتعلمون انه فلما عهد التطويل في الرسائل على عهد الراشدين والأُمويين ، فكانت
نأتي رسائلهم على الأُغلب في السطر والسطرين والثلاثة . وفي رسائل عمر بن عبد العزيز
أواخر المئة الاولى نموذج ظاهر من هذا الأسلوب العجيب ، واذا طالت الرسالة كما هو
الحال في الرسالة المنسوبة لعلي بن ابي طالب الى الأُشتر النخعي فانها تكون بمثابة قانون
يضعه الخليفة للادارة والسياسة والقضاء اي تحتوي على أغراض شتى لاتتسع لها السطور
القليلة . فجاء عبد الحميد وابتدع أسلوبه الجديد الخاص به ، وكان ذلك عتبي تشعب
أغراض الخلافة ، وامتداد عمرانها ، وانبساط ظل سلطانها ، فعبد الحميد نهج للكتاب

سبل الانشاء ، واعلى في العالمين ذكرهم وشرف صناعتهم ، وكانت قبله في الغالب لا تعد عملاً شريفاً من أعمال الدولة وتبولاها على الأغلب الموالي ومن اليهم . فوقر هذا الفن الصعب في النفوس حتي كانت جودة الانشاء لنقل صاحبه من دواوينه الى ارقى دواوين الملك ، فكان لا يلي الوزارة غالباً الا من بعد في الذروة من طبقة الكتاب .

كان عبد الحميد اول من أطال الرسائل ، واستعمل التخميدات في فصول الكتب فتابعه الناس على طريقته . والتحميد حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة ، وكثرة حمد الله سبحانه بالحمد الحسنه وهو أبلغ من الحمد . وربما سبق عبد الله ابن المقفع الى التخميدات ولكنها لم تشتهر كما اشتهرت من ديوان عبد الحميد ، وهو ديوان الخلافة يتناقل الناس عنه أكثر مما يتناقلون عن غيره .

ولم يكن عبد الحميد يطيل كل مرة في رسائله ، بل يطيل مرة ويوجز مرات ، لكنه الى التطويل اميل . فصاحب هذا الانتقال في الكتابة حافظ على ايجازها ما يمكن ، لكن الزمان اقتضاه احياناً الاسهاب ، فأسهب وأجاد في الطريقتين ، خصوصاً اذا كانت الحال تقتضي ذلك ، مثل كتابه الى ابي مسلم الخراساني الذي كتبه على لسان محمد بن مروان لما ظهر ابو مسلم بدعوة بني العباس ، فكتب كتاباً يستميله ويغمنه ما لو قرئ لا وقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم ، وكان من كبر حجمه يحمل على حمل ، ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن بك ذلك والا فاهلاك . فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه ، وامر بنار فأحرقه ، وكتب على جازاة منه الى مروان :

محا السيف اسطار البلاغة وانتهى عليك ليوث الغاب من كل جانب
فان يقدموا نعمل سيوفاً شحيذة يهون عليها العنب من كل عاب

وقالوا ان من جملة فقرات هذا الكتاب « اذا أراد الله اهلاك ثمة انبت لها جناحين »

ومعنى قول الراوي ان كتابه من كبر حجمه حمل على حمل انه كان مكتوباً على رقي . وفي الرقوق تكتب الاسطر القليلة على الأغلب . وربما دعت كثرة الرقوق التي تضمنت هذا الكتاب ان لا ينهض رجل يحملها بل حملت لنقلها على حمل . وليس في هذا التطويل المأثور عن عبد الحميد من عيب لان البلاغة تقتضي بذلك . فقد قال ابن

قنينة : وليس يجوز لمن قام مقاماً في تخفيض على حرب ، او جمالة بدم ، او صلح بين عشائر ، ان يقلل الكلام ويختصره ، ولا لمن كتب الى عامة كتاباً في فتح او استصلاح ان يوجز . ولو كتب كاتب الى اهل بلد في الدعاء الى الطاعة ، والتحذير عن المعصية ، كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه تلكوه في بيعته (اما بعد فاني اراك تقدم رجلاً ونوراً آخرى ، فاعتمد على ايها شئت والسلام) لم يعمل هذا الكلام في انفسها عمله في نفس مروان . لكن الصواب ان يطيل ويكرر ، ويميد ويبدي ، ويحذر وينذر اه . وهكذا جرى عبد الحميد في رسالة ابي مسلم الخراساني ، فأطال وحمدت اطالته ، كما أطال في نصيخته الى عبد الله ولي عهد مروان فقد كتب كتابه هذا في نحو ثلاثين صفحة من الصفحات المتوسطة فوضع ببيانته الرائع خططاً حربية وطرفاً جديدة في النظام والادارة والسياسة ، وقواعد مهمة في التربية ولا سيما في تربية الملوك والعظماء ، واصولاً كلية في علم النفس والعادات المستحبة ومعاملة المرؤوسين وطلاب الحاجات وارباب السعادات واصحاب الاخبار .

نمذجات من مختصر رسائله

واذا جئنا نعرف عبد الحميد في مطالبه وحاجاته ، وشفقته على نفسه وولده ورحمه ، فلدينا نما ابلت الايام عليه من رسائله نمذجات يتجلى لها فيها روحه ، منها ما كتبه الى مروان في حاجة : « ان الله بنعمته علي لما رزقني المنزلة من امير المؤمنين جعل معها شكرها مقروناً بها ، فهي ثني بالزيادة ، والشكر مصاحب لها ، فليست تدخلني وحشة من ابتداء حاجتي ، وانا اعلم انه لو وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغثاني عن استزادته ، ولكنني تكلمتني مؤن استنفضت ما في يدي ، وكنت أغلف من الله منتظراً ، فاني انما انقلب في نعمه ، وأتمرغ في فوائده ، وأعتصم بسالف معروفه كان عندي » .

ومنها ما أنشأه الى اخ له في مولود ولد له وهو اول مولود كان : « اما بعد فان مما أعترف من مواهب الله نعمة خصصت بميزتها ، واصطفيت بخصيصةها ، كانت أسراً لي من هبة الله لي ولد أسميته فلاناً ، واملت ببقائه بعدي حياة وذكرى ، وحسن خلافة في حرمي ، واشراكه اباي في دعائه ، شافعالي الى ربه ، عند خلوته في صلواته وحجه ، وكل موطن من

مواطن طاعته ، فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدي ، وظهر به سروري ، وتعطفت عليه مني أنسة الولد ، وتوات عني به وحشة الوحدة ، فانا به جنل في مغربي ومشهدي ، أحاول مس جسده بيدي في الظلم ، وتارة أمانته ورأشفه ، ليس يعدله عندي عظيما الفوائد ولا منفسات الرغائب . سرني به واهبه لي على حين حاجتي ، فشد به أزرعي ، وحملني من شكره فيه ما قد أدني بثقل حمل النعم السالفة الي به ، المقرونة براؤها في العجب ببارأت ما يدركني به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجازبة المنايا اياه ، ووجلا من عواصف الايام عليه . فأسأل الله الذي امنن علينا بحسن صنعه في الأرحام ، تأديبه بالزكاة وحرصه بالعافية ، ان يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره ، وان يجعل ما يهب لنا من سلامته ، والمدة في عمره ، موصولا بالزيادة ، مقرونا بالعافية ، محوطا من المكروه ، فانه الملتان بالمواهب ، والواهب للمني ، لا شريك له . حملني على الكتاب اليك اعلم ما سررت به علي بحالك فيه ، وشركتك اياي في كل نعمة أسداها الي ولي النعم ، واهل الشكر اولى بالمزيد من الله جل ذكره والسلام عليك .

ومنها ما اتفذه الى اهله وهو منهزم مع مروان من فلسطين وهو آخر حرب ومواقعة كانت له . وكانوا ينزلون بالقرب من الرقة بموضع يعرف بالحمران يعز بهم عن نفسه « اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكفر والسرور ، وجعل فيها اقساما مختلفة بين اهلها ، فمن درت له بخلاتها وساعده الحظ فيها ، سكن اليها ورضي بها وأقام عليها ، ومن قرصته باظفارها وعصفه بانياها ، فلاها فافرا عنها ، وذمها ساخطا عليها ، وشكها مستزيدا لها ، وقد كانت أذاقنا أفاويق استجليناها ، ثم جمعت بنا نافرة ، ورعشنا^(١) مولية ، فملح عذيبا ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ، فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والايام تزبدنا منكم بعدا ، واليكم صباية ووجدا ، فان لثم البلية الى أقصى مدنها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاوسار ، والذل شر جار ، نسأل الله الذي يعز من يشاء ، وبذل من يشاء ، ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة ، تجمع سلامة الأديان والأبدان ، فانه رب العالمين وارحم الرايين . »

وفي رواية انه ختم هذه الرسالة هكذا : « فدارنا نازحة ، وطيرنا بارحة ، قد اخذت كل ما عطت ، وتباعدت مثل ما تقربت ، واعقبت بالراحة نصبا ، وبالجدل هما ، وبالأمن خوفاً ، وبالعز ذلاً ، وبالجدة حاجة ، وبالسراء ضراء ، وبالحياة موتاً ، لا نرحم من استرحمها ، سالكة بناسيبيل من لأدبته ، منقذين عن الأولياء ، مقطوعين عن الاحباء . »
ومن رسائله المختصرة ما كتبه عن مروان الى هشام يعز به بامرأة من حظاياها . « ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من انيسته وقرينته ، متاعاً مده الى اجل مشي ، فلما تمت له مواهب الله وعاريته ، قبض الله المارية ، ثم اعطى الله امير المؤمنين من الشكر عند بقائها . والصبر عند ذهابها ، انفس منها في المنقلب ، وارجع في الميزان ، واسني في العوض ، فالحمد لله وانا اليه راجعون . »

وكتب موصياً بشخص وهي من مختصراته « حق موصل كتابي اليك كحقه علي ، اذ جعلت موضعاً لامله ، ورآني املاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق امله . »
وكتب عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة « اما بعد فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه ، وبلائه عنده في ولده واهل لحمته واخص من اموره والعام والجنود ، والقواصي والثغور ، والدماء من المسلمين . على ما لم يزل ولي النعم يتولاه من امير المؤمنين ، حافظاً له فيه ، ومكرماً له بالحياطة لما احمه الله فيه من امر رعيته ، وعلى اعظم واكمل ما كان يحوطه فيه ، ويذب له عنه . والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب . أحب امير المؤمنين لعله يسرورك به ، ان يكتب اليك بذلك للحمد لله عليه وتشكره به . فان الشكر من الله باحسن المواضع وأعظم المنازل ، فازدد منه تزدد به ، وحافظ عليه تحفظ به ، وارغب فيه يهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم . فافراً على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ، ليسر به جندك ورعينك ، ومن حمله الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباد من سلامة امير المؤمنين في بدنه ، ورأفته بهم ، واعثنائه بامورهم ، فان زيادة الله نعلو شكر الشاكرين والسلام . »
ومن رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب ، حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية . « فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية ، من يد الفتنة العجمية ، وابتنوا ريثاً لنجلي هذه الغمرة ، ونصحو من هذه السكر ، فسبغ السيل ،

وتنهي آية الليل ، والله مع الصابرين ، والعاقبة للمتقين » .

ومن رسائله المفردات رسالته في الشطرنج والتنفير من اللعب به : « اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبيله ، وايضاح معاله باظهار فرائضه ، وبعث رساله الى خلقه ، دلالة لم على ربوبيته . واحتجاجاً عليهم برسالاته ، ومقدمات اليهم بانذاره ووعيده ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه ، وفقى به رساله ، وابعثه لاهياء دينه الدارس مرثياً له ، على حين انعمت له الاعلام مخفية ، واشتلت السبل متفرقة ، وعفت آثار الدين دارسة ، وسطم ريج^(١) الفتن ، واعتلى ققام^(٢) الظلم ، واستنهد^(٣) الشرك ، واسدف^(٤) الكفر ، وظهر اولياء الشيطانات لطموس الاعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق ، واستطرف الجور واستنكح^(٥) الصدوف عن الحق ، واقطر^(٦) نلب الفتنه ، واستفصرم لقاحها ، وطبقت الارض ظلمة كفر ، وغياية فساد ، فصدع بالحق مأموراً ، وبلغ الرسالة معصوماً ، ونصح الاسلام واهله دالاً لم على المرشد ، وفائداً لم الى الهداية ، ومنيراً لم اعلام الحق ضاحية^(٧) ، مرشداً لم الى استفتاح باب الرحمة ، وعلان عروة النجاة ، موضحاً لم سبل الضواية زاجراً لم عن طريق الضلالة عذراً لم الملوك موعزاً اليهم في التقدمة ضارباً لم على الحدود على ما يفتنون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويطلبون ضارباً نفسه على الاذى والتكذيب داعياً لم بالترغيب والترهيب حريصاً عليهم متحنكاً على كافتهم عزيزاً عليه عنهم^(٨) رؤفاً رحباً تقدمه شفقتهم عليهم وعنايته يرشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى يقبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحاً منصحاً اميناً مأموناً قد بلغ الرسالة وادى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميمله وذل الشرك واهله وأنجز الله له وعده واره صدق اسبابه في اكماله للمسلمين دينه واستقامة صفته فيهم وظهور

(١) الزيج الشنب او الفيار . (٢) القتام كسحاب الفيار . (٣) استنهد طلب ان

ينفض . (٤) اسدف الليل اظلم . (٥) استنكح غلب . (٦) اقطر اشتد . (٧) ضاحية

علانية . (٨) يقال وقع فلان في الفت اي فيها شق عليه .

شرائعهم قد ابان لهم موبقات الاعمال ومنظّمات الذنوب ومهبطات الأوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الأديان ونسبهم به الفوايات واوضح لهم اعلام الحق ومنازل المرشد وطرق الهدى وابواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخر لهم نصحا ولا مبتغ في ارشادهم غنا .

فكان مما قدم اليهم فيه نهي ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم امره ، وأوعز اليهم ناهيا وواعظا وزاجرا ، الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما في ذلك من عظيم الأثم ، وموبق الوزر ، مع مشغلتها عن طلب المعاش ، وأصرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات في موافقتها مع جميع المسلمين .

« وقد بلغ امير المؤمنين ان أناسا من قبلك من اهل الاسلام ، قد ألجهم الشيطان بها ، وجمعهم عليها ، والف بينهم فيها ، فهم متكفون عليها ، من لدن معيهم الى مسام ، ملهية لم عن الصلوات ، شاغلة لم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، واقترض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندبة والمجالس ، غير منكر ولا معيب ، ولا مستفزع عند اهل الفقه ، وذوي الورع والأديان والامتنان منهم ، فأكبر امير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ، وعلم ان الشيطان عندما يش من بلوغ ارادته في معاصي الله عز وجل بمقر المسلمين وجمعهم مراحا وجهارا ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرمهم بمكيدة حيلة ، ارادة لاستهوائهم بالخدع ، واجتياهم^(١) بالشبه والمرشد الخفية المشكلة ، وكل مقيم على معصية الله صغرت او كبرت مستحلا لها ، مشيدا بها ، مظهرا لا ارتكابه اياها ، غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها ، ولا خائف مكروها فيها ، ولا رعيب من حلول سطوته عليها ، حتى تلحقه المنية فتخلجه^(٢) وهو مصر عليها غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه اياها . فكم قد أقام على موبقات الآثام ، وكبائر الذنوب ، حتى مد به مخروم^(٣) اياه .

(١) اجتالتهم الشياطين صبرفتهم عن هدام الى ضلالتها وفي الحديث خلق الله عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين . (٢) نزع . (٣) المحرم كجلس المنقطع .

« وقد أوجب أمير المؤمنين أن يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم ، وأن ينذروهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما في أعناقهم عليها وما لهم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فأذن^(١) بذلك فيهم . وانشده في أسواقهم وجميع انديتهم وأوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك سيفه انذاك المعقوبة لمن رفع اليه من أهل الاعتكاف عليها والاضمار للعب بها وإطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين وإفطهم عما نهجوا به من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانها لك بالمعقوبة عابسه ثواب الله وجزاءه . واتباع أمير المؤمنين ورأيه ولا يجدن احد عندك هوادة^(٢) في التقصير في حق الله عز وجل والتعدي لاحكامه فتحل بنفسك ما تسوءك عاقبته وتعرض به لغيرة الله عز وجل ونكاله وأكتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام » .

ولقد أدركتم رعاكم الله ان عبد الحميد في رسالته هذه أشبه الوعاظ والفقهاء بلهجته هنا فقد رأينا يكسر كلامه حلة من حبل الزهد ، ويدخل مدخلا دينيا اورد فيه البراهين على قضيته ، ليتزع من النفوس حب التلوي بلعب يقطع صاحبه عن العمل ، وذكر لم أن اللاعبين بالشطرنج يذكرون خلال اميهم الفاظا لا تليق باللسان ان تلوكها ولا بالاصماع ان تنصت اليها ، وعرفنا من رسالته بمد هذا ان أناسا من المنظور اليهم من الفقهاء وغيرهم من الأئمة كانوا مولعين بهذا اللعب منذ اوائل القرن الثاني . جاءهم من العجم كما جاءهم العود وغيره من أدوات الطرب والتلوي .

ومن رسالة له في وصف الصيد كتب بها الى مروان فيما يظهر^(٣) :

« ... خرجنا الى الصيد بأعدى الجوارح ، وأثقف الضواري ، أكرمها اجناسا ، وأعظمها اجساما ، واحسنها الوانا ، واحدها اطرافا ، واطولها اعضاء ، قد اثقت بحسن الادب ، وعودت شدة الطلب ، وسبرت اعلام المواقف ، وخبرت الجاثم ، مجبولة على ما عوُدت ، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفرامة ، من

(١) آذن أعلم . (٢) هوادة لين ورفق . (٣) من كتاب اختيار المنظوم والمنثور

استشهد بها الاستاذ محمد بهجة الاثري في كتابه المجلد في تاريخ الادب العربي .

الشهيرة^(١) الموصوفة بالنجابة ، والجري والصلابة . فلم تزل باخفص سير واثقف طلب ، وقد امطرنا السماء مطراً متداركاً قربت الارض منه ، وزهر البقل ، وسكن القتام من مثار السنايك ، ومتشعبات الاعاصير ، مهلة اذمرنا غلوات ، ثم برزت الشمس طالمة ، وانكشفت (من) السحاب مسفرة ، فتلاأت الأشجار ، وضحك النوار ، وانجأت الابصار ، فلم نر منظراً أحسن حسناً ، ولا مرقاً أشبه شكلاً ، من ابتسام نور الشمس عن اخضرار زهرة الرياض . والخليل ترحب بنا نشاطاً وتجذبنا اعنيها انبساطاً ثم لم نلبث ان علنا ضباباً تقصر طرف الناظر وتختفي سبيل السلام تغشانا تارة وتتكشف أخرى ونحن بارض دمنة التراب أشبه^(٢) الأطراف مغدقة القجاج مملوءة صيداً من الطباء والشعالب والأرانب فأدانا المسير الى غابة دونها مألوف الصيد ومجتمع الوحش ونهاية الطلب قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب مضمون وبكل حرة^(٣) جونة متفرقون فرجع بنا العود على البدء وقد انجلت الضبابة وامتد النظر فاذا نحن برحلة من طباء وخلفة آرام يرتعن آنسات قد احالتهن الضبابة بن شخصنا واذملن انيق الرياض عن استماع حسنا فلم نهمج الا والضواري لاثمتن من بعد الغابة ومنتهى نظرا الشخص ثم مدت الجوارح اجنحتها واجتذبت الضواري مقاورها فامرت بارسالها على الثقة بحضرها وسرعة الجوارح في طلبها فمرت تحف خفيف الريح عند هبوبها تصف الارض صفاً^(٤) كاشفة عن آثارها طالبة غليارها حارشة^(٥) باظفارها قد مزقتها تمزيق الريح الجراد فمن صائح بها وتاعمز وهائف بها وناعق يدهو الكلب باسمه وينديه بابيه واه وراكض تحت مقره وخافق يطلبه الرمح وطامح يمنعه وسائح قد عارضه بارح قد حيرنا الكثرة والعجبنا القدرة حتى امتلاأت ابدينا من صنوف الصيد والله المنعم الوهاب .

ثم ملنا — يا أمير المؤمنين — بهداية دليل قد احكته التجارب ، وخبراً اعلام المذانب^(٦) الى غدير افج ، وروضه خضرة ، مستأجرة بتلاوين الشجر ملتفة بصنوف الخمر^(٧)

- (١) بكسر الشين ضرب من البراذين . (٢) أشبه ملتفة . (٣) ارض ذات حجارة سوداء . (٤) السفيف المرور على وجه الارض . (٥) مائدة . (٦) مسائل الماء . (٧) الخمر الشجر المتكاثف والمستأجرة كثيرة الشجر الملتف .

مملوءة من انواع الطير لم يذعر من صائد ولا اقتنص من قانص . تخفق لها بالطبول وصفر بتغير الخنف فتأرم منها ماملاً الاًتقى كثرتها وراعت الجوارح خفقات اجنحتها ثم اقتبرت البزاة لها صائدة والصقور كاسرة والشواهيض ضاربة يرفعن الطالب لها ويخفن الظفر بها حتى شمتنا من الذبيح وامتلأنا من النضح^(١) كأننا كنيبة ظفرت ببغيتها وسرية نصرت على عدوها والحقت ضعيفها بقويها وغلبت محسنها بمسيئها لانملك انفسنا صرحاً ولا نستفيق من الجذل بها فرحاً بقية يومنا والله المنعم الوهاب .

ثم غدونا — بأمر المؤمنين — الى ارض وُصف لنا صيدها بالكثرة ورياضها بالنزعة فزل واصفها عن الطريقة واعتمد بنا على غير الحقيقة فأتيناها فلم نر صيداً ولا عشباً ولا نزعة ولا حسناً فجعلنا نسلك منها حزوناً ووعوراً وجدوباً وقفراً حتى قصر بنا اليأس عن الطلب وقطع بنا عن الطعم النصب . فبينما نحن كذلك اذ بدالنا جاب^(٢) قد أوفى بنا على حائل دل على غابة من ورائها حمير وحش كثيرة فأبماها فلما نظرنا مشياً وتقربنا الى عاناه^(٣) توالى نهيقه وكثر شهيقه فالتفتن اليه فرمقن بأعينهن منا ما استكثرن شخصه واستهولن امره حتى اذا كنا بمرأى ومسمع انجذبن موليّات ومهين مسيئات فأجهدنا الركض في طلبهن تتبع آثارهن ونستشف بلاء بين احفار ودكادك^(٤) وأخاديد حتى اشقى بنا الطلب لها على واد هائل سائل يجنبه غابة أشبه قد سبقن اليها واستخفين فيها فنظمناها بالخليل نظم الخرز . ثم اوغلت عدة فرسان في نقضها ومعرفة احوالها والطبول خافقة والاصوات شامقة فكان وكاف والحمد لله على كل حال اه :

ومن رسالة له في الفتنه^(٥) : « فني طاعة الامة في الاسلام ومناصحتهم على امورهم والتسليم لما أمروا به فهم كل نعمة فاضلة وكرامة باقية وعافية مجللة وسلامة ظاهرة

(١) النضح البلل . (٢) حمير وحشي . (٣) العانة الاثنان والقطيع من حمير الوحش .
(٤) جمع دكدك وهي الارض فيها غلظ . والاخاديد جمع أخدود وهو حفرة مستطيلة في الأرض . (٥) مقتبسة من الجزء الرابع من كتاب التذكرة الحمدونية المخطوطة المحفوظة في دار الكتب العامة في الامانة .

وباطنة وقوة باذن الله مانعة وفي اختلاف لهم والمعصية عليهم ذهاب كل نعمة وتفرق كل كرامة ومحق كل قنية وهلاك كل سلامة وألفة وموت كل عز وقوة والدعاء بكل بلية ومقارفة كل ضلالة واتباع كل جهالة وإحياء كل بدعة وإمانة كل سنة واجلاب كل ضرر على الأمة وإدبار كل منفعة والعمل بكل جور وباطل وفناء كل حق . والمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي بيديه سيف أخيه الذي كان يعتمد عليه ويوهن عضده ويهدم حصنه وبفل عده ويهلك ثروته ويسطب من بدعوه وبفزع اليه ويكثر بمكانه ويحرسه من غفلته عن الاعداء اذا عمل ويكون عبثاً له من خلقه فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم بهراق بغير حقه وطفل من أبناء المسلمين قديم من أبيه ومذلة قد دخلت عليه ونعمة قد زالت عنه ووحشة قد أحدثت ضغائن في القلوب قد نشبت وشحناء قد ظهرت وأوتار قد بقيت وعداوة في النفس قد استقرت وخوف قد ظهر وسبل قد قطعت وامرأة قد أرميت وصيبة قد نمت . وبلا دعامرة قد خربت وعبد قد نقص وبلايا قد عمت وشملت وعدو قد شمت ومنافق قد رفع الى ما كان يؤمل رأسه وعدو من المشركين قد طمع وقوي بعد ضعف وعز بعد مذلة ورعية قد صاحت وناعية قد دولت وحميم قد قتل حميمه ومودة قد صارت عداوة واجتماع من الالهواء قد عاد الى فرقة وارحام قد انقطعت .

« فانظروا يا معاشر المسلمين ماذا تفعل الفتنه والمعصية وكيف بدب الشيطان لها ويسعى فيها ويحتال يخدبته ومكره ولطف مسالكه حتى يلهمها ويشملها ويرفعها من قلتها الى الكثرة ومن صغرها الى كبرها فانه انما بيدو الظفر على الولاة ثم يتراعى الى الشكاة والسخطه والغضب وزين لهم القتال فبلغ الهلاك الاعظم والشدة الاكبر بطرق امر صغير الخطر في الظاهر عظيم البلية في الباطن فلا يزال الرجل ينظر منهم الى قاتل أبيه وأخيه وحميمه وذوي قرابته واهل مودته والنافع كاث ثم تحمّل العداوة في قلبه والصفينة العظيمة عليه ويستعد للنقمة منه وطلب الذبحل عنده ، فبئس تلك الضغائن في الأبناء بعد الآباء فانظروا يا اهل الاسلام من اين دب الشيطان بلطف مسالكه وعلى اي شيء ورد والى اي امر نيامي . حتى عم بالمعصية اهل الاسلام عامة اه .

واستفدنا ايضاً من هذه الرسالة ان البلاد كانت تموج بالفتن او اخر عهد الخليفة

مروان بن محمد الأموي وان عبد الحميد يريد بتأثير قله ان يتزع اهل الاقطار من
التردي في مهالكها . ولكم كتب من مثلها منذ نادى اهل خراسان بشعار العباسيين
ياترى ؟ . وما نظن الا ان مجموعة رسائله تبلغ اكثر من الف ورقة لا كما قال بعضهم .
وقد عرفنا بهذا النموذج الضئيل الذي بقي من ذلك التراث العظيم ان صاحبنا كان بعيد
النظر في السياسة شديد الفيرة على سلطان بني أمية عارفاً بما سيجل بالدولة وود لو يتجمل
لها بمخرج ينجيها ولو بعض الشيء من المأزق الذي صارت اليه فأراد سيده ان يعمد الى
الزواج السياسي ويتقرب من بني هاشم بالاصهار اليهم .

قال لمروان حين رأى علواً لبني العباس : أنتم مني يا امير المؤمنين فيك قال :
لا . فقال له : أرايت ابراهيم بن محمد بن علي أليس ابن عمك قال : بلى . قال : فاني
ارى اموره تنبغ^(١) عليك فانكحه وانكح اليه ، فان ظهر كنت قد اعلقت بينك وبينه
شيئاً ، وان كفيته لم تهن بصره . فقال : ويحك والله لو علمته صاحب الامر لسبقت
اليه ولكن ليس هو بصاحبه فقال له : وما يضرك من ذلك وهو من القوم الذين تعلم
ان الامر منتقل اليهم لا محالة وان الصواب ان تعلق بينك وبينهم شيئاً . قال مروان :
والله اني لاعلم ان الرأي فيما نقول ولكنني اكره ان اطلب النصر باحراح النساء .

وكان عبد الحميد يقول : اكرموا الكتاب فان الله عز وجل اجرى ارزاق الخلق
على ايديهم . وكان يقول : ان كان اتوحي ينزل على احد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب .
ومن غرر كلامه : القلم شجرة ثمرها الالفاظ . والنصكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه
« خير الكلام ما كان لفظه فخلاً ومعناه بكرة » . ويروى انه مر بابراهيم بن جبلة وهو
يكتب خطأ رديئاً فقال : أتحب ان يهود خطك قال نعم . قال : أطل جلقة قلمك
واسمها وحرف قلمك وايمينها . قال : ففعلت ذلك فجاء خطي . وذكر صاحب الصناعتين
ان عبد الحميد كان اذا استنجز الكاتب في كتابه فكتب خبرك وحالك وسلامتك .
فصل بين هذه الاحرف ويقول قد استكمل كل حرف منها آله . ووقع الفصل عليه .
وكان كثيراً ما ينشد :

إذا خرج الكتاب كانت دُويهم قسيًا واقلام الدوي لها نبلا
 وما اختير له من الشعر وهو في طبقته مما لا يتناسب مع كتابته قوله :
 ترحل ما ليس بالقافل وراعقب ما ليس بالزائل
 فلهني على خلف قادم ولمني على سلف راحل
 سابكي على ذا وابكي لدا بكاء مولمة ثاكل
 فنبكي من ابن لها قاطم وتبكي على ابن لها واصل
 فليست نفتر عن عبرة لها في الضمير ومن هامل
 نقضت غوايات سكرالمبا ورد النقي عن الباطل
 ومن شعره :

كفى حزناً أني أرى من أحبه فريباً ولا غير العيون لترجم
 فاقسم لو أبصرنا حين نلتقي ونجمن سكوت خلطنا نشكلم
 « ليوث صلة »



كتاب المداخلات

او المداخل

- ٢ -

٦١ (باب الآما) — قال: اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو عن ابيه قال الآما^(١) النعشة والنعشة النهضة والنهضة^(٢) العتبة والعتبة^(٣) حمارة الطنبور والحمارة واحدة الحماثر وهي حمارة تجعل حول الحوض وانشدنا^(٤) ابو عمر .

ومبلد^(٥) بين مومة ومهلكة قطعته بملاة الخلق عليان

كأنما الشحط في اعلى حمائه سائب الربط من قز وكتان

أراد مبلدأ وهو الحوض القديم وعلاة الخلق قوية الخلق والملاة سندان الحداد ، عليان سريعة والشحط ذرق الطير شبهه بشقاق^(٦) يفض لقال هذا الماء على بعده وهجر الناس له^(٧) قد جثته واستقيت منه . والحوض^(٨) الحركة والحركة^(٩) منع البحر الصيد

(١) في الاصل بالموضعين ممدوداً مصحفاً . ولما يقال للعائر دعاء له بالاننعاش .

(٢) النهض والنهضة العتبة اي الغليظ من الارض تبهز فيه الدابة .

(٣) كما في مختصر الوجوه ص ٧٦ وفي المعاجم العتبة العيدان المعروضة على وجه العود منها تمداً الأوتار الى طرف العود . وانظر لمعاني الحمارة مختصر الوجوه ص ٣٣ والتاج .

(٤) هذا قول ابي عبدالله العباسي راوي المداخل عن ابي عمر . (٥) البيتان في التاج واللسان (بلد ، حمر) عن ابن الاعرابي بلفظ جاوزته بملاة الخلق قال اصله مؤنث فقلب وهو اللاصق بالارض . والمبلد بكسر اللام وتفتح الحوض القديم والعليان بالكسر وتفتح الناقة المشرفة والمعنى سريعة (وهذا ممازيد على المعاجم) . (٦) جمع شقة القطعة من الثوب .

(٧) في الاصل (اليه) مصحفاً . (٨) هذه (زيادة) ففي اللسان والتاج عن الأصمعي اني لأدور حول ذلك الامر واحوض (مشدداً) حوله بمعنى . (٩) (هذا ممازيد على المعاجم) كما مر في الباب الاول والحركة بمعنى منع البحر الصيد في مختصر الوجوه ص ٣٤ وفي التاج يقال حرك البحر يحرك اذا قل صيده وذلك في زمن الصيف وهي ايام الحرّاك .

والصند^(١) الماء يصاب بلا طلب والطلب البعد والبعد الملاك والملاك الفناء والفناء^(٢) الثناء في بعض اللغات والثناء (المدح و) الذم والمدح خلاف الذم والذم جمع ذمة وهي البئر القليلة الماء وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي^(٣) .

أرجي نائلاً من سيّد رب له نعمي وذمته ربحالـ

و يروى وذمته بالكسر . قال ومن روى بالفتح أراد ماء البئر يعني فليأته وكثيره . ورجال مع فتح الذال الدلاء واحدها رجل وهي الدلو الكبيرة ومن روى بالكسر أي كسر الذال أراد عقده محكم ورجال من رَجَل إذا فسق^(٤) .

١٧ (باب البرطيل) — قال وأخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي وعن عمرو عن أبيه قال : البرطيل الحجر والحجر الذهب والذهب^(٥) مكيال لأهل اليمن والمكيال المجازاة يقال كأت له اكيل كيلاً إذا جازيته والكيل السر يقال كيف الكيل عندكم أي كيف السر وأنشدنا ثعلب عن عمرو عن أبيه^(٦) :
فان بك في كيل البامة عسرة فاكيل ميافارقين بأعسرا

(١) الموجود في اللسان ومستدرك التاج عن ثعلب صدقنا ماء السماء أخذناه فهذه ما زيد على المعاجم وبأقي في الباب (١٨) .
(٢) أي بالفتح فيها وليست في اللسان والتاج بل الموجود فيهما هذه اللغة في فناء الدار وثنائها فهذه ما زيد على المعاجم . (٣) كما في اللسان (ذم) سجل ابن سيده قد يجوز أن يعني به الغزيرة والقليلة الماء أي قليله كثير ورواه الأصمعي بالكسر أي عهده محكم من قولك سجل القاضي لفلان بماله أي استوثق به . (٤) لم أقف على هذا المعنى وكلامه يقتضي « إذا أحكم » . (٥) كما في اللسان والقاموس وفي مستدرك التاج ورأيت في هامش نسخة لسان العرب ماصورته في نسخة التهذيب يسكون الماء . أقول لا يوجد على هامش المطبوعة .
وابو عمر الزاهد ثقة . (٦) البيت في البلدان ومعجم ما استعجم رسم « ميافارقين » ولفظ الأخير أنشد ثعلب عن عمرو عن أبيه فان تلخ . قال والكيل هنا السر يقال كيف الكيل عندهم أي كيف السر والكيل المجازاة كأت له أي جازيته اه فكأنه من المداخل وعمرو هو ابن أبي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٣١ هـ .

١٨ (باب الجُحال) - اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال سألت اعرابياً وما رأيت أفصح منه منذ ثلاثون سنة فقلت له ما الجُحال ^(١) قال القشب قلت فما القشب قال الذُعاف قلت فما الذُعاف قال الذئفان ^(٢) قلت فما الذئفان قال الذيفان ^(٣) قلت فما الذيفان ^(٤) قال الأرقد ^(٥) قلت فما الرقد ^(٦) قال الجوزل قلت فما الجوزل ^(٧) قال الحرسم ^(٨) قلت فما الحرسم ^(٩) قال الدسم قلت فما السم قال ثقب الاويرة قلت فما الاويرة قال رأس الروق قلت فما الروق قال المدري قلت فما المدري قال قرن الجارية قلت فما الجارية قال الخرلة ^(١٠) قلت فما الخولة قال الظبية ^(١١) قلت فما الظبية قال الجراب الصغير قلت فما الجراب فقال بَدَن (٩) البئر قلت فما البدن قال الدرع الحديد ^(١٢) قلت فما البدن ايضاً قال الرجل ^(١٣) المماسك في جسمه . قال ابو عبد الله ^(١٤) العباسي وسمعت بعض اصحاب ابي عمر رحمه الله يقرأ عليه في غير نسختنا قلت فما البدن قال الشيخ ^(١٥) المسن قلت وما البدن ^(١٦) ايضاً قال الثيتل قلت وما الثيتل قال الحطان ^(١٧) قلت وما

- (١) بتقديم الجيم (وكان في الاصل بتقديم الحاء عليها) السم كالقشب محرّكاً .
 (٢) في الاصل الذيفان مصحفاً والذئفان بالكسر والمحرز السم . (٣) في الاصل الذيفان
 مصحفاً والذيفان بالفتح وبكسر ويمحرك السم . (٤) الأرقد والرقد لم اجدهما ولا مصحفاتهما
 بمعنى السم . (٥) البسم : ابو عبيدة لم نسمعه الا في شعر ابن مقبل . (٦) كان في الاصل
 الحرشم مصحفاً . وحرسم كزبرج وضفدع السم القاتل ولكن الحاء غير ثابت والثابت جُرْشُم
 كقنفذ مقيداً بخط الليثاني قال الأزهري وهو الصواب وكذا رواه كراع ايضاً وضبطه
 بعضهم بالحاء ورده الأزهري . (٧) لم اجد من معاني الجارية شيئاً يوافق المقام اللهم
 الا ان يكون الخولة وردت بمعنى الخول « محرّكاً نعمة الله » وهي معني الجارية في مختصر
 الوجوه ص ٢٣ وغيره . (٨) كما في المعاجم . (٩) يريد جوفراً من الاعلى الى الأسفل .
 (١٠) كذا باللسان ولا بأس به . (١١) لم اجد المعنى في المعاجم الحاضرة فهذه مما
 زيد على المعاجم . (١٢) هو الحسين بن احمد بن بريهة راوي المداخل تقدم في المقدمة .
 (١٣) يوجد المعنى . (١٤) البدن والثيتل الوعل المسن « اللسان والتاج » .
 (١٥) التيس من ح ط ط .

الخطات قال البغيغ^(١) قلت وما البغيغ قال العلب^(٢) قلت وما العلب قال تيس الجبل . وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

قد (٣) قلت لما بدت العقاب وضمتها والبدت الحقاب
جدي لكل عمل ثواب الرأس والاكرع والاهاب

٩ (باب العريج) - قال اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال العريج كلب الصيد والصيد^(٥) اخذ الشيء بلا تعب يقال صدت ظبياً وصدت بفضة وصدت كماً اذا اخذته بلا تعب والاخذ^(٦) نجوم منازل القمر كل ليلة والقمر يؤثو^(٧) العين والعين^(٨) خاصة الملك ووليه . قال ابن الاعرابي ومنه خبر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه كان يطوف بالبيت فقال له رجل يا امير المؤمنين ان علياً لطمني فقال له عمر يا ابا الحسن اطمت عين هذا الرجل . قال نعم . قال فلم يا ابا الحسن ؟ فقال : لاني رأيتني بنظر الى حرم المسلمين في الطواف فقال له احسنت . ثم اقبل على الملطوم فقال وقعت عليك عين من عيون الله تعالى . قال ثعلب فسألت ابن الاعرابي عنها فقال خاصة من خواص الله وولي من اوليائه وحبيب من احبائه . والعين الركية والركية^(٩) اصل الصايانة اذا قطعت والقطع^(١٠) الخنق وهو مصدر خنقته خنقاً قال القاضي والاصل في الصايانة شجرة تأكلها الخيل عند عدم العلف ويقال لاصول الصايان الدندن وانشد الخليل بن احمد «لحسان» (١١) :

(١) تيس الأطباء السمين . (٢) التيس الطويل القرنين . (٣) اللسان يصف وعلاً وكلية اسمها عقاب والحقاب جبل بعينه . يقول اصطادي هذا التيس وأجعل ثوابك الرأس والاكرع والاهاب . (٤) غيره الكلاب الضخم . (٥) تقدم في الباب (١٦) انه الماء يصاب بلا طلب . (٦) نجوم الاخذ منازل القمر لان القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها وهي نجوم الانواء «التاج» . (٧) يباض المفلة كما في مختصر الوجوه ص ٩٠ . (٨) هذا بعينه لفظ مختصر الوجوه (ص ٧٨) والعجب ان المعنى فات «التاج» فهذه مما زيد على المعاجم . (٩) لم اجد المعنى في المعاجم لا معتلاً ولا مهموزاً (فهذا مما زيد على المعاجم) . (١٠) قطع الرجل الحبل او ينجبل اخنق فاقطع الاخنساق وإطلاق الخنق فيجوز بل زيادة . (١١) من معروف شعره راجع ديوانه ليدن (ص ٦٩) .

المال يغشى رجالاً لا طبائخَ بهم كالسيل يغشى أصول الدِّين البالي
قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي يقال خنقته (١) وقطعته وذعته وذعطته وذرعته
قرئت هذه اللفظة على ابي عمرو وأنا اسمع وحلقته وزردته وفطأته وسأبته وسأأته . قال
وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

ولا تزال بكرة قطاره يسأتها يجلبها عماره

قال ابو عمرو البكرة التي يسقى (٢) عليها مسكنة الكاف لا غير فاذا حركت فهي
جمع باكر مثل جاهل وجهلة .

• (٣) (باب السندل) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال السندل (٣)
جورب الخف والخف الجمل (٤) المسن والجمل دابة صيف البحر يقال لها الكُبع (٥) طويلة
الوجه هائلة من دواب البحر ومنه قول الجارية للجارية أسأبها يا وجه الكُبع والبحر الماء الملح
والمالح (٦) الارضاع يقال ملحننا في بني فلان وملحنام اي ارضعناهم ورضعناهم والارضاع (٧)
الوصال يقال ارضعت الشيء بالشيء اذا واصلته وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه :
وترضع (٨) حاجة بلبان اخرى كذاك الحاج ترضع باللبان

(١) كلمات الخنق توجد كلها في المخصص (٦ : ١١٥ و ١١٦) . زعته عن العين زعتا
وكان في الاصل دفنته مصحفاً . وقطعته كأنه يراه متعدباً فهذه مما زيد على المعاجم وذرعته
(في الاصل درعته وهو ايضا بمعنى خنقته) وابوزيد زرعتله وضعت عنقه بين ذراعي
وعضدي فخنقته . وحلقته اصبت حلقه وزردته وزردته فارسية اصله أزار دمه بمعنى
وجع النفس (وغلط ابن سيده في تفسيره) . وفطأته ضربته على ظهره مثل حطأته وقيل
هو الضرب في اي عضو كان ومعنى الخنق (هذا مما زيد على المعاجم) وسأبته وسأأته خنقته
حتى مات . (٢) بالاصل يسقى . (٣) اهمله الجوهرى والمجد والصاغاني وهو سيف اللسان
ومستدرك التاج (٤) كما في المعاجم . (٥) في اللسان والتاج الكُبع جمل البحر وجمل الماء
قيل انه اليجم والحوصل . (٦) انظر الكامل لبسيك ص ٢٨٤ . (٧) لم اجد الارضاع
للمواصلة في المعاجم (فهو مما زيد على المعاجم) . (٨) البيت في اللسان «لين» وأرضع الخ
عن ابن سيده .

٢١ (باب الدفو) — اخبرنا ثعلب عن ابن نجيدة عن ابي زيد قال الدفو (١) غير مهموز القنل والقنل مزج الشراب والمزج (٢) القنل والقنل اضطراب القصبة اذا حركت والقصبة النالة (٣) والنسالة وسط الجدل والمجدل القصر والقصر المنع يقال قصر جاريته اذا منعها من التبرج فهو قاصر وهي مقصورة وقصيرة وقصورة (٤) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

وانت (٥) التي حبيت كل قصيرة الي وما تدري بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا شر النساء البهائر
البهائر القصائر ومثله الجحائر .

٢٢ (باب القطاج) — قال اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو والشيباني عن ابيه قال القطاج (٦) فلس السفينة والقلس (٧) ما يخرج من فم الصائم من الطعام والشراب والشراب الخمر والخمر الخير والعرب (٨) نقول ما عند فلان خل ولا خمر اي شر ولا خير والخير الخيل ومنه قول الله عز وجل (الي احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب والخيل (٩) الظن والظن (١٠) القسم قال واخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال من العرب من يقول اظن ان زيدا فلان يعني والله ان زيدا فلان وانشدنا (١١) عن سلمة عن الفراء :

اظن لا تنقضي عنا زيارتك حتى يكون بوادي نسا البساقين

٢٣ (باب القطامي) (١٢) — اخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال القطامي النبذ والنبذ (١٣) الملقوط في الصبيان والملقوط الثوب المرفوف والمرفوف المسكن وانشدنا ثعلب

(١) الام جهاز على الجريح . (٢) المعروف بالكسر ويفتح . (٣) النسالة وسط القرية وجوفها كالقصبة . (٤) كما في المعاجم . (٥) من معروف شعر كثيرة . والمهتره والبهتره القصيرة . ويروي الجحائر . (٦) بالفتح ويكسر . (٧) اي خروج ما يخرج الخ فانه في الاصل مصدر . (٨) مثل انظره في المستعصى (خط) وجمهرة ابي هلال بطبعته ١٩٣ و ٢ : ٢١٩ . (٩) مصدر خاله كذا . (١٠) المعروف انه يأتي بمعنى العلم واليقين . في اللسان والتاج . ومعنى القسم (وهذا مما زيد على المعاجم) . (١١) ثعلب . (١٢) بالفتح و يضم النبذ الشديد . (١٣) والمنبوذ ولد الزنا الملقى على الطريق كما في التاج .

عن تلمة عن الفراء عني عنه .

رفوني وقالوا ياخويلد (١) لا ترع . فقلت وانكثرت الوجوه مم مم
والمسكن المقوم من الرياح بالسكن (٢) والسكن النار والنار السمكة قال وانشدنا
ثعلب عن ابن الاعرابي :

حتى (٣) سقوا آبالم بالنار والنار قد تشني من الأوار
الآبال جمع إبل والأوار العطش وأوار الحر شدته وأول (٤) ما يستقبلك منه يقول
هذه إبل (٥) اسم سميتها النار فتقدم شرفه أهلها عند الورد فقد شني أوارها .

٢٤ (باب القتع) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابنه قال القتع (٦) الدود
والدود (٧) الحصف والحصف (٨) إحكام قتل الحبل والحبل العهد والعهد العقد والعقد (٩)
الحبل القصير القوائم الطويل السنام فإذا (١٠) مشي مع الجمال قصّر عن طولها وإذا يرك
معها طالها لطول سنامه وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابنه :

(١) اسم أبي خراش المذلي صاحب البيت قال التبريزي رفوني خدعوني وقالوا لا بأس
عليك ويقال سكتوني ذكر قومًا قعدوا له على طريقه وقد عاد من الحج ليقتلوه . تهذيب
الالفاظ ص ١١٩ و ٥٨١ والخزانة ١ : ٢١١ — ٢١٣ .

(٢) محرّك النار وكل ما يسكن اليه وفيه وبه .

(٣) كذا في اللسان وفي الكتاب الكامل « لبسك ص ٢٧٩ » قد سقيت آبالم .

(٤) في الأصل أقل مصحفاً . (٥) العبارة بحيث تبرى قلقة البنية والمغزى واضح أي ان

هذه إبل عليها سمّة النار لا ربابها فعرّوا بها فتقدم شرفهم عند أهل الماء حتى إبلهم الماء عند
الورد . (٦) محرّكة دود حرّ تأكل الخشب والواحدة فتعة وقيل هي الأرضة .

(٧) في الناج بثر صغار نقيج ولا تعظم وربما خرجت في مرق البطن أيام الحر هذا معنى

الحصف وليس من معاني الدود في شيء (وهذا مما زبد على المعاجم) .

(٨) المعروف بهذا المعنى الأحصاف (وهذا مما زبد على المعاجم) .

(٩) في اللسان والناج العقد الجمل الموثق الظهر (وهذا مما زبد على المعاجم) .

(١٠) مثل هذا في اللسان (لكلك) عن أبي علي .

ارسلت (١) فيها زَجْلاً أُسْكَالِكَا بقصرُ يمشي ويطول باركا
قال ثعلب الزَجَل الصوت والزَجَل من الجمال الذي يصيح والأُسْكَالُك العظيم الخَلْق .

٢٥ (باب القيم) - قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال القيم السِنُور
والسنور السيد قال ابو عمرو الشيباني وأتي اعرابي بعض القبائل فقال من سنوركم يا بني
فلان قال فزَمَّ القوم . فقال رجل منهم أقولها يا بني فلا ت ؟ قالوا قلها انت لها قال انا
سنورم اي سيدم قال ابو عمر قلت لثعلب كيف سموا السيد سنوراً قال لان عظم خلق
الفرس يقال له السنور (٢) وهو أعز موضع في الفرس لانه مستقر رأسه والسيد الرئيس
والرئيس الشاة التي عقر (٣) رأسها والشاة الثور والثور (٤) ظهور الحصبة والحصبة حصاة
الجمرة والجمرة الفحمة والفحمة القسورة والقسورة ظلمة اول الليل والاول يوم الاحد قال
ابو عمر وأنشدنا ابو موسى الحامض عن ثعلب :

أؤمل ان اعيش وان يومي بادل او باهون او جبار
او التسالي دُبار فان أفتته فؤنس او عروبة او شيار

قال ابو عمر قال لي ابو موسى (٥) قلت لثعلب هذا الشعر موضوع قال لم قلت لان
جبار ومونس وشيار ننصرف فقال الشعر يحتمل ما لا يحتمله الكلام . قال والاول يوم
الاحد والاهون يوم الاثنين والجُبار يوم الثلاثاء والدُبار يوم الاربعاء والمؤنس يوم الخميس
وعروبة يوم الجمعة وشيار يوم السبت فأول الايام الأحد واول الاسبوع السبت . قال
هذا كان عند العرب . قال ابو عمر أخبرني الكندي عن رجاله عن ابن عباس قال ان الله
تعالى خلق الجنة يوم الخميس وسماه مونساً .

(١) في اللسان قطعاً وهو الجمل الهاج والثاني والرابع ، من الذر يحيات جعداً آر كاً ، كأنه
مجل درانكا ، والسكالك الجمل المكنتز اللحم .

(٢) كذا في التاج عن ابن الاعرابي . غيره السنورة فقارة العنق من اعلى .
(٣) اصيب . (٤) في اللسان والتاج الثور ثوران الحصبة وثارت بفلان ثوراً وثوراً
وثواراً وثوراناً انتشرت وحكى الحماني ثار الرجل ثوراً ظهرت فيه الحصبة وهو مجاز .
(٥) رواية ابي موسى عن ثعلب توجد في اللسان (عرب) .

٢٦ (باب البرطنج) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال البرطنج (١) الحزام العريض والعريض الجدي والجدي النجم والنجم الذي تعرف به الكعبة والكعبة البيت المربع والبيت المرأة قال وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال :
لم يختار البيت على التغرب ولا اعتناق رحله عن مركب
فهو ممر كقط (٢) الرقبة

٢٧ (باب القسورة) — قال ابو عمر : واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال (٣) القسورة ظلة الليل والليل فرخ الكروان والكروان ضرب من الطير والضرب (٤) الرجل بين الرجلين لا طويل ولا قصير والقصير الممنوع يقال قصره قصراً أي منعه منعاً والمنع السرطان وقد مضى ذكره (٥) والسرطان داء يعرض في الساق ويجوز (٦) بالفتح والساق النفس والنفس (٧) الدم والدم الطلاء بالقطران والطلاء (٨) الخيط وأنشد ثعلب عن ابن الاعرابي فقال :

ما زال مذفرق عنه (٩) خلبه

٢٨ (باب المذنج^(١٠)) اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحاج احلام (١١)

(١) فأت اللسان والتاج والمعرب للجوابي ولا ذي شير . وذكرها ابن دريد في كتاب السرج والجام له وهذا لفظه : البرطنج حزام يُشد فوق السرج اه وهي فارسية اصلها (برننگ) بمعنى الحزام الاعلى (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٢) الحبل الصغير يكاد يقوم من شدة ثقله . (٣) مضى اكثر الباب . (٤) طرفه : «أنا لرجل الضرب الذي تعرفونه» . (٥) في الباب الاول . (٦) ظاهره إن لم يكن مصحفاً أنه يجوز بالفتح وان كان الاصل تحريكه ولم أجده في المعاجم (وهذا مما زيد عليها) . (٧) مشددة لغة في الدم الخفيف وهذا ليصح قوله والدم الطلاء فانه مشدد . (٨) في التاج الطلاء الحبل الذي يشده به رجل الطلي وفي اللسان الطلي والبطاوة والطلاوة والطلاوة والطلاوة . (٩) بالضم الحبل الصغير قال : كالمسد الذن أصر خلبه «اللسان» . (١٠) الباب نقله الحاج خليفة في رسم المداخل . (١١) اي أضغاث الاحلام .

نائم واحلام نائم ثياب غلاظ كانت تعمل بالمدينة واحدها ثوب والثوب (١) القاب والقلب
العقل والعقل الرق والرقم الروضة والروضة (٢) الماء يبقى في الحوض واتشدنا ثعلب عن ابن
الاعرابي : وروضة سقيت منها نفوتي

٢٩ (باب فسوة الضبم) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال فسوة (٣)
الضبم شجرة تحمل كالشخشاش حملاً لا يتحمل منه شيء قال ابو عمر الزاهد ويجوز (٤)
الشخشاش بكسر الخاء والشخشاش (٥) الكتيبة والكتيبة الطيبة (٦) اذا جمعت طيبة
والظبية الجراب والجراب (٧) الفتح والفتح النهر (٨) والنهر الدم المسال والمسال (٩) التراب
واتشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

(١) في قول امرئ القيس : (فسلمي ثيابي من ثيابك نسلي) قال النحاس في شرحه
ص ١٩ يعني قلبه من قلبها قال الله عز وجل (وثيابك فطهر) ومثله قول عنتره : (فشككت
بالرحم الطويل ثيابه) .

(٢) قدر ما يغطي ارض الحوض من الماء والسطر في اللسان ايضاً ومثله لميمان السعدي :
(وروضة في الحوض قد سقيتها نفوتي وارض قدابت طويتها)

(٣) هذا قول ابن خالويه كما في اللسان وغيره : ضرب من الكماء ابو حنيفة : هي القعبل .
(٤) هذه مما زيد على المعاجم .

(٥) اللسان عن الصحاح الجماعة عليهم سلاح ودروع .

(٦) ان لم تكن تصحيف الظبية فانها كغنية الناقة المسترخية الاطباء والظبية (الثانية)
حياؤها (مختصر الوجوه ص ٧٠) وانما رجعنا الظبية لان ارباب المعاجم لفظهم في هذا المقام
المكتوبة الناقة او البغلة التي شد حياؤها بالكثبة لئلا يترى عليها والمذكور في اللسان الكتيب
للقربة المشدودة النمة لكثبية بالمعنى (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(٧) لم أجده بالمعنى (وهذا مما زيد على المعاجم) وقد مر في الباب (١٨) ان

الجراب بدن البئر اي جوفها .

(٨) غيره الماء الجاري في الانهار .

(٩) لا يوجد المعنى فهذه مما زيد على المعاجم .

أَحْثُو (١) التراب على محاسنه وعلى غراوة وجهه النضير
قال القراوة الحسن وإنما سمي القراوة غراوة الحسن من فيه . قال أَحْثُو إخبار ليس
أمرأ ولو كان أمرأ كان مجزوماً مفعول الالف .

• (باب الفواس (٢)) — واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الفواس (٢)
تشبيح سيف النخل والسيف (٣) جهاز العروس والعروس المعروف (٤) او المرأة وضده المنكر
والضد الخلاف والخلاف الكتم يقال جعلته في خلافي اي في وسط كمي وانشد ثعلب
عن ابن الاعرابي :

الا (٥) يزعماع يسلي ممي يسقط منه فتخني في كمي
تم الكتاب بفضل الملك الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) في الاصل على محاسن وجهه مصحفاً ومختلاً الوزن والبيت من كلمة من خير شعر العرب
أنشدما المفضل لامرأة ترفي ابناً لها ومطلعها :

يا عمرو مالي عنك من صبر يا عمرو يا أسني على عمرو
الله يا عمرو وأبي فتي كفت يوم وضعت في القبر
أحثو التراب على مفارقة وعلى غصارة وجهه النضير

وهي (٣٣) بيتاً انظرها في زهر الآداب للعصري (الرحمانية ٢ : ١٠٦—١٠٨) .
(٢) لم أجدها في هذه الكلمة ولا شيء من مصحفاتها معنى ولم يذكروا معجم اللغويين مادة (فوس)
اضلاً . (٣) كذا في مختصر الوجوه . (٤) يريد الزوج اي الرجل . (٥) الشطران مصحفان
في الاصل وهما من رجز روى ابن طاهر في باب بلاغات النساء من كتاب المنشور والمنظوم (ص
١١٣) عن الكلبي . امرأة يقال لها ام الورد تزوجت برجل فحجز عنها فتقدمت الى والي اليمامة
فقال له : والله ما يمسكني بضم ولا بتقبيل ولا بشم الا اني يطير منه فتخني في كمي قال ففرق
بينهما الى آخر الخبر ولكن في أصداد الجاحظ في باب مساوي المذنبين ان هذا الخبر والاشطار في
العجاج بزيادة (يطير منه حزني وغمي) . وفي محاضرات الراغب (٢ : ١١٩ سنة ١٣٢٦ هـ) من
غير عزو بزيادة ليس بهذا أمرني أمي في الاول وفي الآخر لمثل هذا ولدني أمي .

قال مصحح الكتاب: وهذه زيادات على كبار المعاجم: كاللسان والتاج وغيرهما مرتبة .
وذلك ان هذه المعاجم لم تأخذ حوشي اللغات وشواذها المروية عن ابي عمر بطريق
ابن خالويه وابي الطيب اللغوي واسحق بن محمد الآمسي صاحب (الوجوه) الا قليلاً ولهذا ترى
بعضها مدونة في مختصر الوجوه مع ان صاحبه الذي عوياً بها بالمره ولكن لما كان صاحب
الوجوه اكثر من النقل عن يواقيت ابي عمر بقي في مختصره ايضاً بعض اشياء .
وهذه الزيادات في صور الكلمات وصيغها تارةً وأخرى في خصوصيات معانيها ،
ولا ادعي البراءة فربما يكون نظري شذ عن بعض ما في هاتيك المعاجم فحسبته فائلاً وهو
موجود ، والعصمة لله وحده .

الباب	الباب
٢٤ العقد الجمل القصير القوائم الطويل	١٩ فطأته بمعنى خنقته
السنام فاذا مشى مع الجمال قصر من	٩ السيرب اسنان الجارية
طولها واذا برك معها طالها الطول سنامه	٢٩ الكتيبة الناقة جمع حياؤها وشد بالكُتْبَة
٨ الحُرّ حي من العرب	٢٩ الجراب الفتح (?)
٨ الحُرّ الرماد	١١ الاوت البفنة (?)
١ المطر كثرة السواك	٢٦ البرطج الحزام العريض
١ النفس الماء	٧ الحاجة الشوكة
٣٠ الفواس (ان لم يكن مصحفاً) تشيخ	المقدمة الخواج بمعنى الجوع
ضعف النخل	٢ الدباج الناقة اللينة المس
٢٩ الخشخاش (بالكسر)	١٠ السرج الحسن
٢ الابيض عرق في القفا	٣ السلاح شيم الاوبل
١٦ الحوض الحركة	٣ الخوخة الثوب الأحمر
٢٧ السرطان (بالفتح) هذا الداء المعروف	٢٤ الدود الحصف (?)
٤ الجمع النخل الذي يحمل رطباً كبير النوى	١٨ الأرقداو الرقد السم
٢٠ الارضاع المواصلة	٨ الرماد الهلاك
١٩ قطعته بمعنى خنقته	١٨ و١٦ الصيد الماء وكل ما يصاب بلا تعب

الباب	الباب
١٨ البدن الرجل المتأصك في جسمه	٢٤ الحصف إحكام قتل الحبل
٨ الحجة طبق الخبزوات	٢ سرقة الحرير بفتح الراء وكسرهما
٢٢ الظن القسم	واحدة السرقة
١٩ العين خاصة الملك ووليه	٨ الشولقي الطفيلي
٩ الحياء فرج المرأة	١٦ أو الحركة منع البهر الصيد
١٩ الركبة اصل الصدايانة	٣ الفرسة بالناء الخوخة
١٦ العليان الناقة السريعة	٢٩ المسال التراب
١٦ الفناء هو الثناء لغة	١٥ الحوام النملة
	٣ الثعم البياض

تم والله الحمد على ذلك سلخ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٦ (مايو سنة ١٩٢٨)

عبد العزيز الميني

الراجكوتي

عليكرة (الهند) على يد العاجز



الاندلس

- ٣ -

« عبدة وذكري »

- قسمنا الحكم الأموي الى ثلاثة أدوار : (١) الولاية (٢) الامارة (٣) الخلافة .
- وتكلمنا عن الدورين الاولين ، ونحن الآن متكلمون عن الدور الثالث وهو الخلافة .
- نبدأ بالاحداث السياسية ، ثم ننهي بالاعمال العمرانية ، على ما اخذنا به قفسنا من قبل .

الحالة السياسية قبل عبدالرحمن الناصر : قلنا : ان الأمويين كان قد التاثر امرهم بعد عبد الرحمن الاوسط ، فذهب الضعف والدسائس الى جهاز الدولة ، واخذت الفتن والنزوح يمتدحها ، وجعل اعداء الدولة الاموية يرقبون زوالها في الغرب ، بين حين وحين ، كما زالت من قبل في الشرق .

وبينا العرب وامرهم عليهم غممة : يزدادون فرقة فيزدادون ضعفاً ، والاسبان : يزدادون وحدة فيزدادون قوة ، اذ بعبد الرحمن بن محمد المقتول ابن عبدالله ، يبايع له بالامارة بعد جده عبدالله .

ومحمد هذا ، كان قتله اخوه المطرف بن عبدالله بعد ان أبصر عبدالرحمن النور يوم واحد . فنشأ عبدالرحمن في حجر جده عبدالله . وبويج له بالامارة وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره . وبالحضرة اعمامه واعمام ابيه ، فلم يختلفوا فيه .

وما ادري كيف اتفقوا على مثله فني ، في زمان كان فيه الاب يقتل ابنه في اقل من الامارة . ولعل قومه رأوا ما كانت عليه دولتهم من القلق والاضطراب ، وشعروا بما كان يهددها من زوال ، وآنسوا بعبد الرحمن مضاء العزيمة والحزم ، فجمعهم اليه ولو الى حين ، خوفاً من سوء العقب .

واذا كان الامر قد آتاه من هذه الوجهة ، فقد قامت في وجهه من وجهات أخرى مصاعب جمة ، لا تقل شيئاً عما كان لقيه جده عبدالرحمن الداخل . خوارج متوئبة عليه في الداخل ، والاعداء متربصة به الدوائر في الخارج ، الاسباب من الشمال ،

والفاطميون من الجنوب . فكان عليه ان يضرب بسيف جده الداخل ، فيقاتل اهل البلاد من قومه ، ومن الاسبان ، وان يقاتل الفاطميين بدلاً من العباسيين الذين قاتلهم جده .

سياسته : رأى عبد الرحمن ان سياسة الضعف والتردد التي سار عليها الامراء المتأخرون من بني أمية ، قد أدت الى تفكك عرى الوحدة القومية ، فكان من وراء ذلك رجحان العرب ، وطمح الاسبان ، فأخذ من امره بالحزم والسدة . غير انه حزم كانت لتقطع له نياط القلوب ، وشدة كانت تقشعر لها الابدان ، في كثير من الاحيان .

اظهاره الخلافة : ومن حزمه انه كان يهتبل الفرص فلا يتركها تمر من السحاب . بلغه سنة ٣١٧ ان المقتدر بالله العباسي قد قتله مولاة مونس المظفر ، فبادر عبد الرحمن فأعلن الخلافة واتخذ لنفسه القابها : تسمى بامير المؤمنين ، ونلقب بالناصر لدين الله ، وضربت السكة باسمه ، وخطب له على منابر البلاد ، وبعث الى الجهات بنشور جاء فيه : « اما بعد ، فانا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه . للذي فضلنا به ، وأظهر أثرنا فيه ، ورفع سلطتنا اليه ، وسير على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا صرامه . والذي اشاد في الآفاق من ذكرنا ، وعلو امرنا ، وعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعان من أنفراحهم الينا ، واستبشارهم بدولتنا . والحمد لله ولي الانعام بما أنعم به . واهل الفضل بما نفضل علينا فيه .

وقد رأينا ان تكون الدعوة لنا بامير المؤمنين . وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك . اذ كل مدعو بهذا الاسم منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه ، وعلما ان الثمادي على ترك الواجب لنا من ذلك ، حق اضعناه . واسم ثابت اسقطناه . فأمر الخطيب بموضعك ان يقول به . وأجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله . والله المستعان . » ولسنا نقف عند ما قاله مؤرخونا من ان قتل الخليفة العباسي هو الذي دعا الى اعلان الخلافة ، فلقد كان ذلك سبباً من الاسباب لا السبب كله ، والا فقد قتل قبل المقتدر غير واحد من الخلفاء العباسيين ، فما تحرك أموي في الغرب بدعوة ، ولا طالب من الخلافة بحق . ذلك ان القوم كانوا يعدون الخلافة الصحيحة خلافة المشرق ، فكان كل

عزيز منهم يرمي بإبصاره إليها ، وكانوا يرون سيف أمارة الاندلس مدرجة الى العودة الى الملك القديم . وحسبنا على ذلك ان عبدالرحمن الداخل ، خرج من الشام طريداً مشرداً ، لا ملك له فيه ، فأسس سيف الغرب الملك الذي رأينا غير انه ما يوح يتشوق الى الشام وبعد نفسه في الاندلس غريباً .

وقد هم غير واحد من أمية بغزو المشرق والعودة اليه ، لولا ان شغلهم من الحروب والفتن ما ذكرت بعضه ، فلما بشى عبد الرحمن الناصر من امر المشرق ، وقد توسطت بينه وبين خلافتها خلافة جديدة ، هي الخلافة الفاطمية بالمغرب ، رأى ان يكثف بالاندلس ، يعلن فيها خلافته ، ويمشي بها رجوعاً الى ناحية المشرق على قدر ما يمتد معه الفتح .

اذا لم تستطع امراً فدهه وجاوزه الى ما تستطيع

ونحن بعد ، نحمل اعلان هذه الخلافة في أسباب خمسة :

- ١ — مكانة عبد الرحمن الناصر وطموحه
- ٢ — وقوف آماله عن غزو المشرق
- ٣ — قيام الخلافة الفاطمية وتوسطها بينه وبين الخلافة العباسية جرثومة الخلافة ، وانشغاله عن هذه بتلك .
- ٤ — ضعف الخلافة العباسية والنيثا امرها .
- ٥ — قتل المقتدر العباسي

والسبب الخامس هو حجة ظاهرة انجلبها عبد الرحمن يتذرع بها ، وهو انه لم ينزع الخلافة من صاحبها انتزاعاً ، وان كانت حقه ، ولكنه وجدها عاطلة تائهة فأواها وحلاها . أسلوب من أساليب الحيل السياسية من قبل ومن بعد .

حروب عبد الرحمن وقعه للفتن : نهض عبدالرحمن الى الحرب بإشرافه بنفسه ، فقاتل الثوار وم كثر ، في غير موطن قتالاً متواصلاً ، وكان أشدهم عليه بنوحفصون ، وأولهم عمر . قال ابن خلدون : وهو اول ثائر كان بالاندلس ، وهو الذي افتتح الخلاف بها ، وفارق الجماعة أيام محمد بن عبد الرحمن في سنة ٢٢٠ هـ خرج يجبل يشتر ()

من ناحية رِيْزَة ومالِقة ، وانضم اليه الكثير من جند الاندلس . وابتنى قلعه المعروفة هناك . واستولى على غرب الاندلس الى رُنْدَة ، وعلى السواحل من الشيخة الى البيرة . ومهما يكن من النظر في قول ابن خلدون ، من ان ابن حفصون هو اول ثائر ، فان الرجل كان قد مر عليه وهو ثائر عشرات من السنين ، قاتل فيها اربعة امراء من الأمويين : محمداً والمنذر وعبد الله وعبد الرحمن ، وراسل ابن الاغلب بافريقية ، واظهر دعوة بني العباس ، وخالص ملك الجلائق ، وأعلن دعوة عبيد الله المهدي . فكان ابن حفصون هذا رجلاً قد عشن الخلاف في رأسه ، وفترخت الفئنة في قلبه ، فرماه الله بعبد الرحمن ، فما زال به حتى راجع طاعة بني أمية . ثم تغلب عبد الرحمن على أبنائه من بعده : سليمان وجعفر وحفص أبناء عمر بن حفصون . بعدما تكرر من نكبتهم ورجوعهم . فانتفض امر بني حفصون بعد ثورات دامت خمسا واربعين سنة من ٢٧٠ — ٣١٥ .

ولم يشغله قتال الثوار ، عن الاسبان والفاطميين . فكانت ايامه كلها جهداً وعناءً بما بقي من عنت الخوارج ، وتمرد العصاة ، وطمع ملوك الأطراف من المسلمين ، وقتال امراء النصارى في استوريا ، ونوارة ، وملكي [لاون] اورديوالثاني ، ورامير [ردمير] الثاني ، ومহারبة الفاطميين في إفريقية بعد ظفرهم بالادارسة ، وابغال جنوده الى السودان المصري . ومع هذا فقد خرج من معظم تلك الحروب ظافراً . فدوخ البلاد ، واخذ القن . وظفر بالمنقضين عليه ، لم يراع منهم كبيراً ولا صغيراً ، قريباً كان او بعيداً ، قتل اخاه القاضي بن محمد ، وابن عم ابيه محمد بن عبد الجبار ، عند ما آتس منهما نية الانتقاض عليه ، بل قتل ابنه عبد الله بن عبد الرحمن لمثل ذلك .

فاستقامت له الاندلس بعد سبع وعشرين سنة ، قضاهما في قتال كان يشهد أكثره بنفسه ، الى ان كان عام الخندق ، في آخر الربيع الاول من القرن الرابع ، يوم اوقع رامير ملك لاون واشتبورش بالمسلمين فقتل منهم خمسين ألفاً . فقام عبد الرحمن بعد ذلك عن الغزو بنفسه ، وصار يردد الصوائف في كل عام . فبلغ من بلاد الفرنجة ما لم يبلغه غيره . وراسله ملوك النصارى ، واوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومية والقسطنطينية مهادنة له ، وتزلفوا الى مرضاه . وجلس للوفود مجلساً عاماً كان من الايام المشهود في تاريخ العرب ، ظهرت فيه الخلافة الاندلسية في مظهر من الابهة والمظنة والفخامة ، ليس بعده غاية .

وعرضت الجيوش ، وأنشدت الاشعار ، وألقيت الخطب ، فشهدت الوفود مشهداً ترك في نفسها أثراً كبيراً من قوة الدولة ونظامها .

واتاه الملوك المتاخمون لبلاد المسلمين في الاندلس . وسما الى ملك العدو فآخذ صبية ، ونقل الفضة من ابدى اهلها ، واطاعه بنو ادريس امراء العدو ، وملوك زناتة والبربر . وفتح طليطلة ، وقرمونة ^(١) ، واشبيلية ، وكثيراً من البلاد العاصية والبلاد المستقلة .

ومما يعد له في الدماء ، ومكارم الاخلاق ، ويحمل بالامراء من اصحاب الوطنية الحق ان يقتدوا به ، ما كان منه نحو اردون (اردونيو) ملك لاون ^(٢) وقد غزا بجيوشه ماردة ،

(١) قرمونية او قرمونة وهو الاكثر ، كورة بالاندلس يتصل عملها باعمال اشبيلية غربي قرطبة وبينهما اثنان وعشرون فرسخاً ، وشرقي اشبيلية وبينهما سبعة فراسخ . قديمة البنيان . عصت على عبدالرحمن بن محمد الأموي فقتل عليها بجنوده حتى افتتحها وخرّبها ثم عادت الى بعض ما كانت عليه .

قال ابن صارة الاندلسي في بعض ملوك العرب — ولعله الناصر — وكان قد فتح قرمونة :

اظلّ على قرمونة متحلياً مع الصبح حتى قلت كانا على وعد

فارملها بالسيف ثم اعارها من النار اثواب الحداد على النقد

فياحسن ذاك السيف في راحة العلى ويا يرد تلك النار في كبد الجحد

(٢) أردنيو (Ordagno) اسم عدة ملوك من ملوك استورياس ولاون ، أشهرهم اردنيو الثاني ملك من سنة ٩١٢ — ٩٢٣ هجر او ثيادو وأقام بلاون واخذ طليطلة وخرّبها وحارب عبدالرحمن الناصر سنة ٩١٦ ومضى لمساعدة نواره وانكسر في واقعة قال جنكويرا سنة ٩٢٢ . وقال ابن خلدون : وفي أول المئة الرابعة للهجرة ملك على الجلالقة اردون ابن رذمير بن يرمند بن قريوله بن اذفونش بن بطر وخرج سنة ٣٠٢ الى الثغر الجوفي لأول ولاية الناصر وعاث في جهات ماردة واخذ حصن الحفش وبعث الناصر وزيره احمد ابن عبدة في العساكر الى بلاده فدوّخها ثم أغزاه ثانية ٣٠٥ فنكث ؟ وقتل ؟ ثم اغزى دراً مولاة فدوّخ ورجع ثم غزا بنفسه بلاد جليقية ٣٠٨ واستنصر اردون بشانجة بن

فنهبا وعاث فيها ، واخذ حصن الخنش وانتهى الخبر الى عبدالرحمن وهو مشغول بمحاربة الفاطميين بأفريقية ، فلم يعقه ذلك ، ولا منعه ان ماردة كانت نائرة عليه ، من ان يوجه الى نصرتها وزيره احمد ابن ابي عبيدة^(١) فيهزم الاسبان ، وينقم منهم غنائم كبيرة ويسبي فيهم سبياً كثيراً .

استألف الناصر جيرانه بعهود عقدها بينه وبينهم ، منهم اردن (اردونيو) الثاني ملك ليون و (شانجه) مانكو ملك نافار البشكنس .

كان عبد الرحمن من الملوك الذين لا يجود الزمن بامثالهم الا قليلاً . ما نقول هذا عصبية قومية بل حقيقة تاريخية ، اعترف بها مؤرخو الغرب فأوسعوا لاسم عبد الرحمن مجالاً في كبريات معلماتهم على قلة ما يفعلون ذلك بوجالنا .

وعبد الرحمن الناصر كان عظيماً في كل شيء . سيفه تدبيره وفي همته ، وفي حربه وفي بأسه ، وفي فتكه وفي عفوه ، وهو ما اشرنا اليه . وفي مناصرته للعلم ، ومعارضته للعمران ، على ما نذكره في موضعه . واذا كان يعد عليه انه قتل ابن عمه ، وقتل اخاه ، بل قتل ابنه ، فهذا امر لا يعنينا كثيراً لانه من الامور الخاصة ، وهو اعلق من حيث العواطف بنزعة الرحمة والشفقة ، منه بباب الحزم والسياسة ، بل قد يكون الحزم والسياسة في ما فعل ، على هول ما فعل وقظاعته .

غير ان ما نعلمه عليه ، ونؤاخذ به ، مما يرجع الى السياسة العامة ، و يتعلق بحيانا القومية ، هو انه أضعف العصبية العربية ، بتقدمه الموالي على العرب ، وتأخيرهم عليهم ، على نحو ما فعل العباسيون في بغداد . فكان ذلك زائداً في تفكيك عرى الامة وتخاذلها ، وفي بعد الشقة بين ابنائها ، وقيام بعضهم على بعض ، وفي ضياع الرحمة من القلوب ، امر اذا حال سلطانه دون ظهوره في ايامه ، فقد كان ضرره بعد ذلك خطيراً .

غرسية ملك البشكنس (البسكة) وصاحب ميلونة فهزمهم الناصر ووطي بلادهم وخر بها وفتح حصونهم وهدمها وردد الغزو بعد ذلك في بلد غرسية الى ان هلك اردون وولي بعده ابنه غرويلة سنة ٣١٣ . (١) وفي دائرة المعارف الجزء الثالث ص ٤٠ وفي ما مر معنا من كلام ابن خلدون احمد بن عبيد .

وفاته وولايته : توفى عبد الرحمن سنة ٣٥٠ (٩٦١) فكانت ولايته خمسين

سنة قمرية .

الحكم :

انتهى اليه الامر بعد ابيه عبد الرحمن الناصر ، فهد الامور على السنة التي كان استنها ابوه ، من عقد المعاهدات مع جيرانه ملوك الاسبان . ذلك بعد ان حارب بعضهم ، ونكث البعض الآخر عهده الذي كان عقده مع ابيه . فظهر عليهم ، ودفع عاديهم ، واوغل في بلادهم ، فاحتل بعضها . وشرط عليهم في المعاهدات التي عقدها معهم شروطاً كانت في مصلحة المسلمين ، فنزلوا على حكمه ، وقبلوا بها وأخلدوا الى السكينة . فأمّن جانبهم .

وظهر النورمان او المحوس على لغة العرب في مياء لشبونة ، وعاث فرصانهم فساداً في الثغور ، فقاتلهم الاهلون الى ان وصل الاسطول الذي أرسله الحكم ففروا وأخلوا البلاد . ثم التفت الى المغرب الأقصى وكان صاحبه الحسن بن كتون — آخر ملوك الادارسة — قد نكث عهد قومه مع الناصر وحالف العبيديين ، فلما عاد جوهر قائد العبيديين من افريقية الى مصر ، عاد الحسن فحالف الحكم . ثم ثار بلكين بن زيري امير صنهاجة وزحف الى المغرب فدخل الحسن في طاعته ونبذ طاعة الأمويين مرة ثانية . فلما رجع بلكين الى افريقية ارسل الحكم الى الحسن جيشاً ضخماً عبر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، فتغلب على الحسن وجيء به الى قرطبة . وسار الجيش الى فاس فامتلكها وأضافها الى بني أمية وقطع دعوة العلويين من تلك البلاد .

اخلاق الحكم : كان الحكم عالماً عارفاً بالتاريخ والشريعة ، حتى قيل عنه انه اعلم بني

أمية . جاب له ابوه مشايخ العلماء وجلبتهم في الشرق والغرب ، فخرج بهم وكانت له تعليقات يخطه على كثير من كتبه وينسب اليه شعر رائع :

وفاته وخلافته : توفي الحكم ثاني صفر سنة ٣٦٦ فكانت خلافته ست

عشرة سنة .

هشام المؤيد بالله : ولي بعد ابيه الحكم، وسنه عشرة اعوام وأشهر. فكان له من الخلافة اسمها ولقبها، والامر كله لابي عامر محمد بن عبدالله بن ابي عامر، مؤسس الحجابة العاصرية^(١) بل دولة بني عامر كما كانوا يسمونها.

دولة بني عامر : مبدأ امر ابي عامر: انه ورد شاباً من ظُرُش (نور كس) من الجزيرة الخضراء الى قرطبة. فطلب العلم والادب وسمع الحديث وتميز في ذلك. وكانت له مهمة يحدث بها نفسه بادراك معالي الامور، ولم تزل حاله تملو منذ ورد قرطبة، الى ان تعلق بوكالة السيدة صبيح^(٢) ام هشام المؤيد بن الحكم المستنصر والنظر في اموالها وضياعها، فزاد امره في الترقى معها، الى ان رغبت الى الخليفة في توليته القضاء فولاه، فظهرت نجاته، فترقى الى ولاية الزكاة والمواريث باشيلية. فلما تولى الحكم، وهشام صغير، وخيف الاضطراب، ضمن ابو عامر لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها. وكان ابو عامر قوي النفس. وساعدته المقادير، وأمدته المرأة بالاموال، فاستمال المساكر اليه، وجرت احوال عت قدومه فيها، حتى صار صاحب التدبير، والمتغلب على الامور. وحجب هشاماً، وتلقب بالنصور، وامر بالدعاء باسمه على المنابر عقب اسم الخليفة، ثم تجرد لرؤساء الدولة عن عائدته وزاحمه، فخطهم عن منازلهم، وقتل بعضهم ببعض. كل ذلك عن امر هشام وخطه ونوحيته، حتى استأصل شأفتهم، ومزق جموعهم، لا مستثنياً أموياً ولا ولداً، بدأ بالمغيرة بن عبد الرحمن الناصر اخي الحكم فقتله ليلة البيعة لهشام، بمالأة الحاجب جعفر، وقاتل حماد غالباً مولى الحكم فقتله. وحمل جعفرأ على نكبة الصقالبة الخصيان فنكبهم وشردهم، وكانوا ثمانمائة او يزيدون. ثم قبض على جعفر نفسه فسجنه حتى مات، وقتل ابنه عبدالله بن ابي عامر. ومضى يقتل من يخشى منهم من بني أمية وزعماء القبائل، يظهر انه يفعل ذلك حماية للمؤيد وشفقة عليه. حتى افنى من

(١) لما قسم بنو أمية خطط الوزارة بالاندلس جعلوا بين الوزراء والخليفة رسولاً يتردد بينهم في المهام سموه باسم الحاجب فارتفع عن الوزراء بمباشرة السلطان في كل وقت وعلا مجلسه عن مجالسهم وكان يحجب السلطان عن الخاصة والعامة. فأشبهت خطته رئاسة الوزارة. (٢) وهي شعراية تافاربة.

يصلح منهم للولاية والرأسة ، ثم شرد باقيهم عن البلاد ، وجردهم من الأموال ، فدانت له أقطار الاندلس كلها وأمنت به ، ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته اعظم هيئته ، وفرط سياسته . واستوزر جماعة من اهل العلم والأدب . ولم يزل ابو عاصم طول أيام مملكته مواصلاً لغزو الروم (الاسبان) مفرطاً في ذلك لا يشغله عنه شيء . وبلغ من حبه للغزو انه وبماخرج للمصلى يوم العيد فحدث له نية في ذلك فلا يرجع الى مقره ، بل يخرج بعد انصرافه من المصلى كما هو من فوره الى الجهاد فتنبه عساكره وتلحق به ، اولاً فاولاً . فلا يصل الى اوائل بلاد الروم الا وقد لحقه كل من اراده من العساكر . غزا في أيام مملكته نيفاً وخمسين غزوة ، وفتح فتوحاً كثيراً ، ووصل الى معاقل قد كانت امتدت على من كان قبله ، وملأ الاندلس غنائم وسبياً من بنات الروم واولادهم ونسائهم .

وفي أيامه تغالى الناس بالاندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور ، وذلك لرخص اثمان بنات الروم ، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزون به مما ذكرنا . ولولا ذلك لم يتزوج احد حرة .

قال المراكشي صاحب تاريخ الاندلس الذي نقلنا عنه معظم هذا الفصل : باقني انه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت ذات جمال رائع فلم تساو اكثر من عشرين ديناراً عامرياً .

كانت وفاة ابي عاصم المنصور بافصى ثغور المسلمين بموضع يعرف بمدينة سالم سنة ٣٩٣ بعد ان ملأ الاندلس بحديث انتصاراته وفتوحاته ، في الجنوب والشمال ، واغنى البلاد بالغنائم والاموال .

وابو عاصم من اجل ملوك الاسلام عظمة وشأناً ، واكبرهم فتناً واعظهم سلطاناً ، استوثق له ملك المغرب وملك العدوتين ، وكان من امكر رجال السياسة واشدهم امتداداً على عدل في الرعية ، ونصفة في الاحكام . وقد طالت امارته نحواً من سبع وعشرين سنة . وخلفه ولده عبد الملك المظفر ابو مروان وكان مقنياً اثر ابيه في الجهاد تحوش ملوك الاسبان بمحدود المسلمين لاول ولايته ، فأوقع بهم بلاءً من هيئته في قلوبهم ، فاخذوا الى السلم . فكانت أيام المظفر على قصرها اعياداً في الخصب والامان . توفي سنة ٣٩٨ قيل سمواً سمه اخوه عبد الرحمن فكانت ولايته سبع سنين . خلفه اخوه عبد الرحمن ، هذا

وتلقب بالناصر لدين الله . ولم يقف به الامر عند الحجر على الخليفة ، والاستبداد بالسلطان ، كما فعل ابوه ثم اخوه ، بل حاول ان يستأثر بما بقي من رسوم الخلافة ومظاهرها . فأكبره هشاماً ابناً يهد اليه في الخلافة من بعده ، واستكتبه عهداً موثقاً بأنه لما « لم يجد عنه مذهباً ، ولا الى غيره معدلاً ، خرج اليه من تذيير الامور في حياته ، وفوض اليه الخلافة بعد وفاته ، طائفاً مختاراً مجتهداً ، وامضى امير المؤمنين هذا واجازه وانفذه ، ولم يشترط فيه ثمنياً ولا خياراً ، واعطى على الوفاء به ، في سره وجهره ، وقوله وفعله ، عهد الله وميثاقه وذمة نبيه (صلي) وذمة نفسه ، ان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ، واشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيداً . واشهد من اوقع اسمه في هذا وهو جازئ الامر ما خيف القول والفعل ، بمحض من ولي عهده المأمون ابي المظفر بن المنصور وفقه الله تعالى وقيد له ما قلده ، والزمه نفسه ما في الذمة . وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . » هذا ما كتبه صاحب الحق الموروث في الخلافة الاموية الاندلسية طائفاً . . . مختاراً . . . ومجتهداً ؟ وقد علمنا الحرب وما عقيها قيمة الطواعية والاختيار والاجتهاد في ما يكتبه المستضعفون والمغميون والمرزقة من المضايظ في مثل هذه الحوائق .

عظمت هذه البيعة على الناس طامة ، وانصار الامويين خاصة ، فكانت صفقة هائلة دفع فيها ولي العهد المأمون ، ابو المظفر بن المنصور ، حياته ثمناً لما .

* * *

القوضى وخلفاء الفتنه : وكان امر آمة دوراً ان ينفق الناس على خام هشام المؤيد ، بعد ان رأوا من حاله ما رأوا ، وبعد ان أصبح ضحية الخلفاء . فبايعوا لمحمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر وذلك في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ (١٠٠٩) .

محمد بن هشام : قام محمد هذا بقرطبة فالتف حواليه الغاضبون من قریش عامة ، والامويين خاصة . والعرب ولاسيما البناية . اولئك ، لما عظم عليهم من استبداد البربر بالامر منذ ايام الناصر الى آخر دولة العاصميين ، واليمينية لما ركب اكتافهم من تحكم القيسية الذي طال عليهم امده .

تلقب محمد بالمهدي ، واخذ المؤيد فخبسه ، وبلغت انبياء هذه الفتنه عبد الرحمن .

العامري وكان بحليقية غازياً ، فقتل راجعاً الى قرطبة ، فلما قرب منها اقتض عنه جمعه ، وخذله حتى البربر : انصار الدولة العامرية ، لسوء تدبيره ، ووثب به الثائرون فاحتزوا رأسه وحملوه الى المهدي . وكان عبد الرحمن قد قتل اياه هشاماً ، فانقرضت به دولة العامر بين سنة ٣٩٩ .

واشتد المهدي على البربر انتقاماً منهم ، ونقرباً الى العرب فأبعدهم عنه ، وامر بهم ان لا يركبوا ولا يحملوا سلاحاً ، وصادهم وثار بهم الدماء فانتهبت دورهم . فأثمر البربر بينهم بخلع المهدي ومبايعة هشام بن سليمان الناصر ، فنشا الامر ، وتغلب عليهم المهدي فأزعجهم عن قرطبة وجاء بصاحبهم هشام بن سليمان ، واخيه ابي بكر ، وغيرهما من الزعماء ، فصرب اعتاقهم .

واجتمع البربر بظاهر قرطبة ، ولحق بهم سليمان بن الحكم ابن اخي هشام المقتول ، فبايعه اصحاب عمه ، واقبوه بالمستعين . ونهض به اصحابه الى طليطلة ، واستباحوا بصاحب قشتالة فكانت الى اجابتهم — على جاري العادة — مريعاً ، أمدم بالجنود والمال ، فسار سليمان الى قرطبة سفي جمع من البربر والنصارى ، فانكسر المهدي بعد معركة قتل فيها من رجاله خلق كثير ، فيهم الأئمة والعلماء ، وفر من قرطبة فدخلها سليمان وذلك من شوال سنة ٣٣٩ نفسها .

فكانت خلافة محمد المهدي بضعة اشهر .

سليمان بن الحكم : ولي الامر بعد ان تغلب على المهدي :

اما المهدي فلحق بطليطلة واستباح في نوبته بسانية اوشانجة (سانكه الثالث ملك نواره وقسطيلة) فأنجده . فكر المهدي راجعاً الى قرطبة فكشف عنها المستعين . ففر هذا باصحابه ودخل المهدي قرطبة وجدد البيعة لنفسه . وذلك في منتصف شوال من السنة المذكورة .

فكانت خلافة المستعين هذه ، اياماً معدودة من شهر شوال .

محمد بن هشام : فلما عادت هذه الخلافة الحائزة الى محمد المهدي مرة ثانية ، خرج في جيشه وجيش الاسبانول — الذي أمد به صاحب قشتالية — لقتال المستعين ،

وكانت المستعين قد لحق بشاطبة ونفرك اصحابه في البلاد يميثون فيها فساداً .
وانكسر المهدي وعاد الى قرطبة مدحوراً ولحق به المستعين فحاصرها .

هشام بن الحكم : واشتد الامر على المهدي فرأى ان يعيد هشاماً المؤيد بل المقيد ،
صاحب العامرين ، وسجين المهدي نفسه ، وهو الذي كان قبل الفتن ، وقام المهدي في
حجابه تسكيناً للثورة ، وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٩ . فلم يفل ذلك من ضرب الفتنة ،
ولا رفع الحصار عن قرطبة . فوثب الصقالبة على المهدي صاحب الحجابة بعد الخلافة
فقتلوه دفماً للفتن . وذلك يوم الاحد السابع من ذي الحجة سنة ٤٠٠ .

وسعى المؤيد في ان يصرف اليه البربر عن المستعين ، فلم يوفق . وتعهد المستعين
للفونس الخامس ان يسلمه ما فتحه الحاجب المنصور من حصون قسطنطينة ، ان هو اعانه على
خلع المؤيد . وبلغ الخبر المؤيد فرأى ان يدخل مع المستعين ابن عم ابيه في المناقصة .
فتعهد لالفونس ان ينزل له عن هذه الحصون فوراً ان لم يجد المستعين . ورأى
الفونس في مناقصة المؤيد صفقة اربح من صفقة المستعين ، هذا يسلم الحصون تسليماً
مطلقاً ، وهو يحتاج الى قتال يقاتله معه ، والمؤيد يسلمها ناجزة من غير قتال ، فرغب في
الثانية عن الاولى ، وأجاب المؤيد الى طلبه ، وتسلم الحصون .

وعاد المستعين بضيق على قرطبة الحصار . ثم انقضى الزهراء ، وما زال بقرطبة يرادحها
القتال ويناديها ، وينأى احياناً عنها ثم يدانيها ، حتى استولى عليها بعد معارك طويلة ،
وقتل اتصل الى منتصف شوال سنة ٤٠٣ . كان يكون مرة له ومرة عليه .

سليمان بن الحكم : عاد المستعين الى قرطبة في ذلك التاريخ ، فعادت الخلافة اليه .
وكان الخلافة كانت في الغرب في ذلك العهد ، موقوفة على من يملك قرطبة ، كما كانت
في الشرق ، موقوفة في الغالب على من يملك الحرمين . وقبض سليمان على هشام المؤيد
واخفاه ثم قتله سرّاً . واتى البربر اصحاب المستعين من الافاعيل سيف الزهراء وقرطبة ،
ما قضى على شطر كبير من الحضارة والعمران ، وانزلوا انواع المعرة واصناف العذاب
بالسكان ، الشيوخ والاطفال والرجال والنسوان . ونفرك البرابرة على الولايات الاندلسية
يقتسمونها بينهم ، ويتحكمت فيها في الناس ، ووثب بعض العرب كل منهم في ناحية

استولى عليها ، فكان ذلك مبدأ ملوك الطوائف .

غير ان المستعين تعرض عن تلك الولايات الضائعة ، والسلطان المضطرب ، لقباً جديداً هو الظافر . اضافته على اسمه الكريم الى لقبه القديم ، يقوّي به ملكه الضئيل . فاصبح سليمان بن الحكم : المستعين الظافر . المستعين ! ومن ؟ بالفونس عدو وطنه ، وبالبرابرة اعداء قومه . والظافر ! وعلى من ؟ على ابناء عمومته كحداً ، وعلى ذوي قرابته وقومه ، دماً عصيبة .

ولم يطل امره حتي تغلب عليه ابن حمود العلوي وقتله بيده في المحرم من سنة ٤٠٧ هـ ١٠١٦ م .

(لما بقية) عارف النكدي



حول كتاب

من كتب الجاحظ

قد خدم العلامة محمد راغب الطياخ العلوم الاسلامية خدمة كبيرة بنشر كتاب^(١) الدلائل والاعتبار للجاحظ اذان كل كتاب من قلم هذا الفيلسوف الشهير يزيد في تقديرنا لترقي العلوم في زمانه وليس قصدي هنا تقريب الكتاب ولا المؤلف وكانت نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٥٣٨٣٣٦ وعزم صديقي المستر جيب (Gibb) احد اساتذة المدرسة الشرقية في لندرة على نشرها فأخذ منها نسخة لهذا السبب ولكن لما زار مصر حديثاً اهداها الى العلامة احمد زكي باشا . والى كانت الطبعة منقولة عن نسخة واحدة أحيت مقابلتها بالنسخة اللندنية وهذا ما وجدته : أولاً ان للنسخة اللندنية مقدمة ليست في المطبوعة وهي ايضا اقل حجماً بكثير وتنتهي في وسط المطبوعة تقريباً ومع هذا ان اكثر العبارات مقتضبة ولكن لا شك انها الكتاب نفسه فرأيت ان النسخ اقتصر على ما ظنه مؤدياً للمراد . ورجائي انه سيكون نافعا أن انشر ما تقص من اول الكتاب ولقد صححته على حسب الطاقة لان التحريف كثير من الكاتب الباني الذي كتب النسخة اللندنية ولاجل ان يرى الاختلاف بين النسختين في الألفاظ نقلت ايضا قسماً من اول النسخة المطبوعة للمقابلة بينهما مع الاشارة في ذيل الصفحات الى تصحيح ما أمكن تصحيحه .

ف . كرانكو

وهذا هو الفصل المنقول من اول النسخة اللندنية :

« كتاب الميز والاعتبار تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسلام على عباده الذين اصطفى . قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

(١) المجمع : راجع تقريب هذا الكتاب في مجلة المجمع من المجلد الثامن

ص ٤٤٠ .

الحمد لله الذي سمك السماء بقدرته ، وجعل الارض مهاداً بحكمته ، ونظم ما بينها
 ببراهين بادلته (١) خالق الامور المتعادية ، والآلات المتباينة ، والجواهر والاعراض المختلفة
 والمنفقات من نور وظلمة وذو سكون وحركة وانس ووحشة وخفاء (٢) ورقة وضعف
 وقوة ونوم وبقظة وضحك وبكاء وغضب ورضاء الذي أخفى النفوس في الأجسام والطفها
 فيما ترى ثم دبرها بما يحسن (٣) ويشاهد والتذوق (٤) واللمس والشم ، وأيدها بالأيدي
 والأرجل الحوامل العوامل ، ومكنها من المعرفة والحجة وجعل ما وهب لها من ذلك حجة
 لها ان شكرت ، وحجة عليها ان كفرت ، وشاهداً بتبصيرها ان قصرت . والحمد لله الواحد
 الوحد الكريم الماجد ، الذي لا تشمل عليه المشاعر ، ولا تخجبه السوائر ولا تدركه الخواطر ،
 الاول لا تأويل عدد ، الآخر لا بمعنى غاية بعد الشاهد من غير محاسة ، البائن لا عن
 مسافة الظاهر لا للابصار ، والباطن لا من غير طول الذي دل على نفسه بآيات قدرته ،
 الموجود في برئته ، واستشهد على لطفه بفعله ، وجعل الحجاب بينه وبين خلقه ، ضغفهم
 عن ادراك قدرته ، فذاته مجهولة الا له وآياته معلومة بين خلقه معروفة لما وهب لهم من
 تبصرة هدايته ، ليس سواء إله ولا غيره رب معبود الذي حجب الابصار عن رؤيته ،
 وليس للعقول سبيل الى معرفته ، وأخرس الألسن عن تحديد كنه صفته ، فلا أعين
 المؤمنين تدركه ، ولا أنفوس الكافرين تجعده وتنكره .

والحمد لله الذي خلق فأحسن الخلقة ، ونظر فأثقن النظرة ، وفقق الأفهام للمعرفة ،
 وذآل الجوارح للطاعة ، وهدى الى طريق النجاة والسلامة ، وزجر عن سبيل الضلالة
 والجهالة ، ثم مدّ خلقه حبل الامهال ، وبسط لهم في النظرة ووعدهم المغفرة والإقالة ،
 حتى ارعوى صرعهم واعتدى (٥) مهتدٍ بعد التخيير والتهور ، نتمياً للنعمة وزيادة في
 الاعذار لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً . فنعوذ بالله
 الكريم من غلبة الشقوة ، ونسأل الله العظيم الزيادة من البصيرة والمنفعة بالعلم وان لا يجعل
 شيئاً منه وبالآ في الآخرة وهو على كل شيء قدير . اما بعد فانه ليس بامل البر والتقوى

(١) كذا ولعلها وادلة . (٢) لعل صوابه وجفاء . (٣) لعل الصواب يحسن . (٤) لعل

صوابه بالتذوق . (٥) بالاصل : انهدي .

ولا يذني الغباوة والبردى غناء عن التواضع والدلالة على امكنة الخير والتواصي والثناء عن الشر لما في ذلك من التذكرة والتبصرة والتأديب والتهديب والبركة والمنفعة ولو كان بين عدو الله ابليس الضامن احشائك الذرية الضعيفة الا قليلاً وبين قلوب العباد اغلاق سوى الذكر لله تعالى لوجب طلب مفااتيحها علينا بحمل المشاق وركوب الاخطار والتغافل الى خفي اما كنهها لتأمن كيد عدونا الذي يجري مجاري الدم منا ويرافنا من حيث لا نراه وله تسلط على سويداء القلوب وحرص على استزلالنا لتعطب فأوجب الاعداء عباد الله بان يحذر من ليس يحرس من كيد حارس سوى التوكل بذني الجلال والاكرام والفرع الى تلاوة كتبه وترديد اسمائه الحسنى والتعلق بذكره والتمسك والعزم بالالتجاء اليه فليكن بالك ايها الانبياء المخلوق من ضعف وطين وماء مهين معنياً بذكر الله تعالى ومتوطاً بالفرع اليه ومسألة النجاة من كيد عدوك وعدوه والسلامة من خيله ورجله ومكر جنوده فان لم أفواهاً والسنة تلتم القلوب والاسماع وصوراً مختلفة الفعل لا تراءى للابصار ومداخل لطيفة تصل الى النفوس بمراده من الاضلال والاستزلال واعجب واعجب ايها الانسان من جهل معرفة الواحد الخالق الرحيم الرحمن وقد أراك الآيات والبيانات في الآفاق وفي نفسه والنماء والنقص في أحواله وفي أهله وجسمه وواجه الامور التي تتم بها منافعه والمآرب التي اليها تنتهي مصالحه وكيف تهيأ له قبل خلقه مفروغاً منها قبل خروجه الى الدنيا متممة مكملته وهو في ظلة الرحم مصنوعة منظومة على أتم صفة قبل تكوينه وانه لم يمهدها لنفسه ولا ادعى ابوه تمهيداً ولا أمه ولا احد من أبناء جنسه ثم ليس منها على كثرتها شيء الا وهو مركب تركيباً لم تكن المصلحة تنتهي الى مادونه ولا تتجاوز ما فوقه ولا ترغب من شيء منه وان الطبائع جميعها لتشهد انها لم تصنع ذلك وتعترف بالعجز عنه . ولو ادعت خلاف ذلك لانتقضت اسباب الحقيقة عن دعواها وشهد بالحال عليها عجزها واثار الضرورة المحيط بها .

قال ابو عثمان ونحن ذاكرون اشياء من شواهد آثار الصانع في صنعه ومنبهون على أسرار قد أودعها ما يشاهده من فطرته تنظر الى معرفته وتشهد بوحدانيته وتخبر عن جلال عظمته وكال قدرته وواصفون أعلاماً وآيات وبراهين واضحة شهدت بها الفاعل

وتهتف بذكرها الغرائز وتعرفها الطبائع ولا ينكرها (١) ولا تدفعها العقول بمقدار وسع الطاقة ومبلغ الجهد وما وهب الله لنا من العلم وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم ليزول الشكوك عن قلوب المرتابين ويتجدد نور اليقين في صدور المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد ألف مثل كتابنا هذا جماعة من الحكماء المتقدمين فما أوضحوا معانيه ولا بينوا المشكل منه فمنهم جبريل بن نوح الأنباري لانه صدر كتابه بغير خطبة ولا مقدمة ورتبه ترتيب الفلاسفة وصدره بكلام منطقي ونظمه نظماً غير منسق فكأن لم يألف (٢) وقبله ألف في معناه تودرقوس (٣) أسقف طرسوس كتاباً وضعه في زمان بلنسيانوس (٤) عظيم الروم الذي كان ينسب بالقول بالدهر والعصية لدين الكفر وكان هذا الملك من اهل التبليس والتدليس وسمى تودرقوس (٥) كتابه كتاب التدير ونقله من اخذه عنه من السريانية الى العربية فلم يقع بفساد النقل حيث ينبغي ان يقع من الايضاح والشرح وأفسده بتأول الالسنه وسوء العبارة .

ومنها كتاب نظم ثاور بطوس (٦) أسقف قورس كتبه باليونانية ونقل بعده الى السريانية ثم الى العربية فجري مجرى الاول المفسود بتداول النقل والعبارات . ومنها كتاب ألف في ايام بني أمية نظمه يسوعبخت (٧) مطران فارس وكتبه بالفارسية فأكسبه استغلاً . وقد جمعنا في كتابنا هذا محاسن ما وجدنا في هذه الكتب وزيادة بمقدار الطاقة والتوفيق من الله جل ذكره وشرحنا ما نقلنا عن غيرنا وبيننا القول فيما زدنا ورتبناه ترتيباً يؤتي السمع ويسر القلب ويبسط السامع ويرحب الحجة على المخالف وما توفيقنا الا بالله .

(٨) قال ابو عثمان الجاحظ : ان أناساً لما جهلوا الاشياء التي سيف المنعة تدل على

(١) بالاصل يندكرها . (٢) لعل صوابه يؤلف . (٣) بلا نقط بالاصل .

(٤) بالاصل : بلسانوس . (٥) لعل الصواب يستينيانوس (Justinianus) .

(٦) لعل الصواب ثاور فرسطس (Theuphrastos) . (٧) بالاصل يسوعبخت كما ترى .

(٨) من هنا نبشدي* النسخة المطبوعة .

الصانع سبحانه والاسباب والمعاني التي في الخلقة وقصروا عن تأمل الحكمة لاشتغالهم
بلذات نفوسهم وشهواتهم وما آثروا من امر الدنيا خرجوا الى الجحود والانكار واليهت
والتكذيب فأنكروا خلق الاشياء وزعموا انها لم تزل هكذا موجودة وانها على الاهمال
لا على القصد والعمد والتدبير والتقدير فكانوا فيما يشككون من الأدلة ويرون من العالم
بنزلة من دخل داراً وهو اعمى ليس معه قائد يخبره بما فيها و يصف له حسن فرشها
وانقان بنائها وما قد أعد فيها من المآكل والمشارب والملابس والمنافع والمصالح فأقبل
يسعى وحده ويمشي على وجهه فعثر بشيء في طريقه فدميت قدمه فظن ان ذلك الشيء
الذي عثر به مما وضع في غير حقه وهو جاهل بالمعنى الذي وضع ذلك الشيء قبل مروره
وضجر وذم الدار وعاب بانيتها وانكر حكمتها وتسخط فعله الخ .

وفي آخر النسخة اللندنية : وافق الفراغ من تحصيل هذا الكتاب يوم الثلوث (١)

سابع شهر شعبان سنة ١٢٥٨ .



السعادة والاسعاد

هو مخطوط في الاخلاق وقع لي في جملة ما يعرض على المجمع العلمي من الاسفار فرأيت في ٤٤٦ صفحة صغيرة لانكون واحدتها اكثر من ١٨ سطراً والسطر الواحد بين ٩ و ٧ كلمات الا ان في هذه المخطوطة نقصاً من اولها ومن آخرها وعند الصفحة ١٨٠ تم الجزء الاول . ومن العبارة المذكورة هناك عرفنا اسم الكتاب والعبارة هكذا « تم النصف الاول من السعادة والاسعاد والله الحمد على الهداية والارشاد » . وجاء في الصفحة التالية « طالع فيه واحتوى على بعض معانيه أنقر عباد الله تعالى الفقير عثمان بن المرحوم . . . محمد السكري غفر الله له . . . » . وتغلب الصحة على الرسم في هذا المخطوط والغالب انه يرجع عهد كتابته الى القرن السابع او الثامن وهو بخط مشرق مقروء . وتجد ثلاث نقط على حرف السين من فوق ومن تحت وبعض الصفحات لا تخلو من خرم عولج بالصاق ورق عليه .

لم نهند الى عصر المؤلف ولكن رأينا يقول قال ابو الحسن وهو كنية المؤلف ، والمؤلف هو ابو الحسن بن ابي ذر ، ويستشهد مرات يحكيم الاسلام ولا نعرف من يعني بحكيم الاسلام . ويستشهد بغريغورس فان كان غريغور يوس هو القرج بن اهرن المعروف بابن العبري صاحب تاريخ مختصر الدول المشهور المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م فيكون الكتاب مما ألف أواخر القرن السابع او الثامن للهجرة . ولغريغور يوس هذا كتاب في الشرح المدني والفلسفة وكان يعرف اليونانية فيكون نقل غريغور يوس عن الاصل اليوناني او عن ترجمات أخرى كتبت قبل عهده .

وقد اكثر المؤلف من الاستشهاد باقوال أفلاطن وارسطو وغيرهما من فلاسفة يونان في الاخلاق حتى ليظن ان المؤلف يوناني او من اتباع اليونان في مذهبه . ويقل جداً الاستشهاد في كلامه باقوال السلف والآيات والحديث ولكنها تذكر كل مرة بالصيغة التي يذكرها المسلمون في العادة ولكنه قد يقدم عليها أقوال حكماء يونان كأنه يأتيها بالعرض .

الكتاب فصول وأبواب كثيرة بدأ — بعد هذا الخرم الكبير من الاول — بتقسيم السعادة الى انسية وعقلية ومما قاله في هذا الفصل : « من قول متقدمي الفلاسفة قال أرسطوطيلس قال قوم بان السعادة هي اللذة وظن آخرون انها اليسار وظن آخرون انها الكرامة قال وكان بعضهم ينتقل في ذاته من شيء الى شيء فكان يرى اذا مرض ان السعادة هي الصحة وكان يرى اذا افتقر انها اليسار . قال وقال بعضهم ان التمام هو الراحة وقال بعضهم السعادة حسن الفعال مع الفضيلة الى منتهى العمر فينج (?) ما قاله هؤلاء في السعادة . قال ارسطوطيلس الذي قاله في السعادة من حكينا قوله ليس بصواب ومما يتبين ان السعادة ليست اللذة ان الكثير من اللذات ضارة وقبيحة والسعادة اقصى المختارات . قال ومما يتبين انها ليست باليسار ولا بالكرامة ان اليسار والكرامة من الخيرات الخارجة والخير الذي هو اولي بمعنى الخير هو الذي يكون في النفس لا خارجاً عنها قال واقول السعادة مطلوبة لذاتها واما خير الفعال وكل فضيلة فانما انما يرد بها من اجل السعادة قال وكذلك اليسار والكرامة انما نريدهما من اجل السعادة . قال ومحال ان يكون الحرص والتعب من اجل الراحة قال وأقول ليس الفعل من اجل الراحة لكن الراحة من اجل الفعل اذ كنا لا نقدر على ادامة الفعل لما يلحقنا من التعب . قال وأنواع التعب كثيرة وهي المضرة بها اكثر من المنفعة ومما يتبين انه ليس الغرض اللذة انه لو كان الغرض اللذة لم يجوز ان يضطرم الى الحزن بسببها وانه ليست من لذة بدنية الا والحزن يتقدمها وكثيراً ما يتعقبا .

« ما قاله أفلاطون في السعادة الأدبي (?) وانها بم تقوم . قال افلاطون سعادة الانسان في حياته هي ان تكون حياته فاضلة قال وذلك بان يحيا مدة ما تكون له من الحياة على احسن الأحوال . قال وان السعادة لا تحصل للانسان الا بان يكون سعيداً ببدنه وسعيداً بنفسه وسعيداً بذات يده . قال وذلك بان تصير له الخيرات البدنية والخيرات النفسية والخيرات الخارجة من النفس ومن البدن . قال ولن يستتم له ذلك الا بالخلاص من الشرار . قال والشر شر لك غريب واهلي والاهلي هو الذي ينبعث من داخل والغريب هو الذي يرد عليه من خارج قال ونقول اول المراقبة الى الخير مفارقة الشر وأقبح الظلم ظلم المرء لنفسه وذلك بان يحرمها الخير ويوقعها في الشر » .

وعلى هذا المنحى تقل بعد ذلك ما قاله ارسطوطيلس في السعادة الانسية في صفحات غير قليلة ثم جاء « القول في علاج الآفات المؤدية الى الشقاء المانعة من السعادة » وهنا بدت شخصية المؤلف فقال في هذا الباب : « وأقول العلاج من العلل انما يكون برفع الاسباب المولدة للعلل وكل شيء انما يرتفع ويزول بضده فمن الواجب ان يعلم الانسان الاسباب المولدة للشقاء وان يعلم الاسباب التي يقابل كل سبب من اسباب الشقاء ليكون علاج كل سبب بما يقابله ويزيله . وأقول الاسباب التي ذكرناها وان كانت كثيرة فانها تنضم الى سببين الجهل والجور وبان ذلك ان احد الاسباب تسلط النفس الشهوانية على النفس الناطقة وتسلط الغضب على النفس الناطقة ، واي هاتين النفسين تولت السياسة وتدير البدن كانت مجردا على الجهل العرف لانه ليس لواحد منهما بصيرة ولا معرفة ، واحد الاسباب اعتياد العادات الفاسدة ، ومن البين ان ذلك انما يكون من الجهل والجور . واحد الاسباب الأمانى وهي تمنى ان لا يضر الضار ولا يشين القبيح انما يكون من الجهل ، وقد قيل نعوذ بالله من طمع في غير مطعم - واحد الاسباب العمل على الخطا الذي لم يصححه الفكر وهل يكون ما هو هكذا الا الجهل . واحد الاسباب التدبير الردي وهذا ايضا بين انه يكون من الجهل وكذلك التربية الرديئة فانها انما تكون من التدبير الرديء واما البنية الرديئة فانها لا تؤدى عندي الى الشقاء وذلك انه ليس الشقاء رداءة البنية كما انه ليس السعادة جودة البنية لكن الشقاء ان لا يعيش على قدر حالة الحياة التي هي أفضل لكن الحياة التي هي أردى اه - »

وهكذا اخذ يوالي يراهينه في السعادة ثم اخذ ينقل عن ارسطو في الجميل والقبيح ونقل قصة النعمان بن المنذر المشهورة في يومى نعيمه وبؤسه وعن الخير والشر وأورد الأمثلة . وعن لاقسام الاشياء وفيه بيان الخير المطلق والشر المطلق وبيان ما ليس بخير ولا شر . وذكر أقسام الخيرات وحد الخير وبين الصناعة والمذهب والبسدة والهوى وما الى ذلك من الخير والشر والنافع والذبيذ والساذج والسليم والاشياء اللذيذة والمؤذية وذكر القول في الحواس وهل يتفاوت حالها في الاذى واللذة والوحشة والالتذاذ والتأذي والانفعال النفساني والانفعال الجسماني وأبان الفرق بين الانفعال وبين الفعل والفرق بين النظر وبين الفكر وأورد أنواع اللذة وأبان ان للانسان لذة مختص بها وانها

انما هي لذة المعرفة وبيان العلة في انه لم صار للانسان لذات مختلفة . وجمع في هذا الفصل بين ما قاله أفلاطون وأرسطوطيلس . ثم ذكر العلة في ميل الناس الى اللذات الجسمية وفي هربهم من اللذات النطقية وبيان ان لذة المعرفة أئذ من سائر اللذات كلها وبيان انه ليس كل لذة بخير وانه غير جائز ان نقول بان اللذات ليست بخير على الاطلاق .

ونفث على هذا المثال في التبويب لموضوعاته فذكر القول في ماهية اللذة والاذي ومناقضات الفلاسفة وأورد فصولاً في السعادة القصوى وكيف تكتسب من قول أفلاطون وكذلك السعادة العقلية في رأي ارسطوطيلس وهل يجوز ان تكتسب السعادة القصوى من غير ان تكتسب السعادة الأدنى والآفات المانعة من السعادة القصوى ومن استتمامها وعلاجها وآفاتهما . وختم هذه الفصول بقوله : « الحمد لله الذي خلقنا بفضلہ افضلہ ، وبرحمته لرحمته ، ثم هدانا لما خلقنا له ، وعرفنا ما ينفعنا في السير اليه ويعيننا عليه ، وما يثبطنا عنه ويصدنا منه ، لنستعين بما ينفعنا في السلوك الى ما خلقنا له ونتمسك به ، ونجتنب ما يصدنا عنه ونزايله ، حمد ناهض بالنية الى دوامه ، وأصلي على النبي محمد وآله . قال ابوالحسن : ان كتابنا هذا انما هو القسم الثاني من الكتاب الذي سميناه السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نبين في هذا القسم الموارد التي تعرض للانسان في حياته ولا ينفك منها في وقت وان راقبه وحدده ونقول فيها عارضة عارضة ونتبين المحمود منها والمذمومة ونبين وجه علاج الذميمة منها ونبتدي^٤ ان شاء الله من القول في الفضيلة انما ما هي وبالله نعمت في كل امورنا وعليه نذوكل فانه لا حول لنا ولا قوة الا به . ونصلي ونسلم على محمد وآله وسلم » (ص ٦٣) .

لا جرم انه استبان بما تقدم ان المؤلف نفسه هو ابوالحسن والناقص من اول الكتاب عشرات من الاوراق لان الباقي نحو ثلاثمائة وثمانين صفحة هذا بقطع النظر عن الاوراق المتممة للجزء الثاني . اما ان نجزم بمن هو ابوالحسن فالظن لا يعني من الحق شيئاً . فقد ذكر ابن القفطي وابن ابي أصيبعة كثيراً من مترجميها بهذا اللقب ومنهم من كانوا من نخلة الصابئة وكان لبعضهم اشتغال بالفلسفة . ولعل بعض الباحثين ممن تقسم أوقاتهم بحققون في هذا الشأن ويهدوننا الى الصواب في معرفة المؤلف الحقيقي .

تكلم المؤلف في الجزء الثاني من كتابه على الفضيلة وأقسامها والفضيلة الخلقية وعلى

الرديلة وقال ان الفضائل والرزائل مكتسبة نقلاً عن ارسطوطيلس . وقال في فصل آخر ان الفضائل والرزائل ليست لنا بالطبع ولكنها فينا بالتطبع وابان كيف تكتسب الفضائل والرزائل وان الرذائل التي لا يمكن الاقلاع عنها مكتسبة هي ام غير مكتسبة وهنا عقد فصولاً في العفة وفي الفرق بين المتأدب وذو الفضيلة الكاملة كله نقله عن الفلاسفة ومن فصوله في هذه الاماكن « التماس الراحة بالراحة بذهب بالراحة وبورث النصب » « في الحربة » « في المتلاف » « في النذالة » « في ان الغني شرير وخسيس وشقي » « في ان الحريص ليس بعني وان كثر ماله » « في الرفيع الهمة » « المتبذخ » « محبة الكرامة » « المتصلف وهو المتكبر » « المتعجب » « الوضع » « في ان اهل الحكمة يكونون ممانين والعلة في ذلك » وبدأ هذا الفصل بقوله : « قال افلاطون ان اهل الحكمة يكونون محقوتين وذلك من اجل انهم لا يكونون تقاعين قال وليست العلة انفسهم بل اولئك الذين لا يستعملونهم فان الحاجة لا واثك الى اهل الحكمة فاذا لم يأتوهم المحتاجون لم يصلح لهؤلاء ان يذهبوا الى ابوابهم » .

ومن الأبواب التي فتحها بعدد « الحياء » « الفحة وهي الخلاعة » « الشجاعة العامة » « الشجاعة الخاصة » « النجدة » « الاشياء المفزعة » « الجبن » « النقم » « الهم » « وجه العلاج في إزالة الهم » « الحسد » « الشئانة » « في الفرق بين الغضب والهم » « في الجنايات التي يجب ان يخفى فيها الغضب » « الفرق بين التأديب وبين الاخذ بالشار » « الحلم » « البغضة » « الحذر من اعدو » . وفي هذه الفصول نقل أقوال الحكماء من اليونانيين . وعنون لفصل « في المحبة من كلامنا » : المحبة انفعال بلذة من المحبوب ونزاع الى ان يتصل انفعاله وتخوف من القطع وشغف بالمحبوب حتى لا تريد بدلاً عنه ، والشغف والنزاع والتخوف انفعالات وبعضها اذى وبعضها نافع فالحب كما قيل حلوة ومرارة وقال الشاعر :

الحب منه حلوة ومرارة سائل بذلك من تطعم اودق

وأقول الانفعال قد يكون بالحس وذلك يقع بالشاهد وقد يكون بالتخيل وذلك يكون في الغائب ولان التخيل نوع من الحس فلا بد من ان يكون المحسوس حاضراً للحاس حتى يفعل فيه . وأقول حضور المحسوس لحاسة التخيل انما هو بالذكر . وأقول

والمذكور شاهد التخيل وقاعل والزائل عن الذكر غائب وكذلك الزائل عن الفكر والفرق ان الزائل عن الذكر نسيان والزائل عن الفكر غفلة .

وبعد هذا ذكر فصولاً في أقسام المحبات وفي تعريف المحبة نقلاً عن من قالوا فيها وذكر حد الصديق والفرق بين المحبة والصداقة وان المحبة ضرورية في الحياة وان أكثر المحبات طبيعية نقلاً عن أرسطوطيلس وأتى على أنواع المحبات وعلى لواحق المحبات الذاتية وخواصها ولواحقها العرضية وهل يكره للفاضل ان يصير صديقه زائداً عليه في الفضل وفي السعيد هل يحتاج الى اصدقاء وفي فواعل الصداقة . كل ذلك والكلام فيه منقول عن أرسطوطيلس .

ومناك فصول في ان « المعاشرة ضرورية في الحياة » و « ما يجب للآباء والامهات من حق العشرة » و « بيان المحمود من العشرة والذميم منها » و « في المعاشرة بالهمة والفعل من دون الاختلاط » « المداعبة والراحة » « الكبير النفس » « في أن الملك والعبودية اسمان يثبت كل واحد منهما بصاحبه » . وختم الكتاب في اقسام الرعايا وفضيلة المسوس وأنواع السياسات ومادة الاسعاد وصورته (وهنا نقل عن بعض الحدوث من المتفلسفين) وكيفية السياسة وهي الحيلة في اجتراء الناس الى طريق السعادة وبيان ان الانسان مفتقر الى معونة الناس له في اكتساب السعادة ومن كيفية السياسة الحيلة في استدامة العامة والترغيب في إقامة العدل وبيان انه ضروري وطبائعي في الحياة وعدد أقسامه وقال في كيفية المائلة وبذلك انتهى النصف الاول من السعادة والاسعاد .

بدأ المؤلف القسم الثاني من كتابه بفصول غريبة مثل « بما ذا يجب ان نكون مجازاة المبتدئي بالاحسان » « في الافضال ماهو » وتفصيل الجنايات وما تلزم العقوبة فيه وذكر الجور والاسباب الباعثة عليه والاسباب الدالة عليه وأبان شرف العدل وعلو الانتفاع به وخساسة الجور وعظم المضرة به على طريقة الجدل وهذا الفصل المطول بالقياس الى غيره من الفصول نقله عن أفلاطون في كتاب السياسة كما نقل أكثر الفصول السالفة عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان ونقل عن الفرس والعرب كما هي عادة من كتبوا في هذا الموضوع من مؤلفي العرب وأبان عن أرسطو ايضاً فضيلة العدل

بصفة حال العادل وهنا ذكر استنتاجات في العدل عن النبي صلى الله عليه واصحابه اوردها في اربع صفحات واستشهد بقصة زاذان الدهقان واعتداء وكيل سعد بن مالك على ارضه وشكواه الى عمر بن الخطاب ونص الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عمراء مير المؤمنين الى سعد بن مالك سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد جاءني زاذان وذكر لي قصته فاذا جاءك كتابي ونظرت فيه فقم قائماً حتى لنصفه من نفسك والا فاقبل اليّ راجلاً . »

ومن فصوله في كيفية السياسة ، والحيلة في اجتزار الناس الى الالفه ، والآفة التي تعرض على السياسة ولا يمكن الاحتراز منها والعلة في امكان خلود الابدان وما روي عن الفلاسفة في صفة الله والحقوق التي يجب على الناس اعتقادها واخذ الناس بالتعبده . ومن الفصول القول في المزاوجة وفيه ما ينبغي لكل صنف من الرجال ان يتزوج به من النساء . في الابلاد . في عنفوان الشبيبة ما هو . في كيفية المباذمة . في مدة نشو الاناس . في الفرق بين التأديب وبين السياسة والفرق بين التربية على الادب وبين التأديب . في الادب وفي الحكمة الانسية في اعمال الرعونة ولواحقها . في المتأديب والاديب والغرض من الادب ولادب الذي يربي به الصبيان وهم لا يعقلون وهو الادب الذي ينبغي ان يؤخذوا به وهم يعقلون او غيره . في ان الاديب هو الحر ومن ليس باديب فانه عبد . في عدم الادب واصناف التربية على الادب والتأديب . والقول في تربية الصبيان على الادب بالنوع الخلداع قال فيه : قد قلنا ان ابتداء التربية على الادب انما تكون من المخادعة وذلك بان يصور الجد في صورة المزمل وان يتفق الصدق في صيغة الكذب . قال افلاطن وذلك بان يصاغ لم الغاز يكون حشوها الادب وظاهرها الكذب . قال ومن جنس الالغاز الاشعار التي تمدح الفضيلة والعفة لالمجون واللذة . قال وينبغي ان يؤخذ الامهات والحواضن بان يحرفوهم بها ولا يخرفونهم بغيرها قال وينبغي ان تكون العناية بتسوية انفسهم بالالغاز اشد من العناية بتسوية ابدانهم بالقسط . قال وكذلك نقول بان الابتداء انما هو من الموسيقى الكاذب قال : واما اللعب فينبغي ان يجعل فيما يثمر الجد كاللعب بالكرة والثقافة .

وعقد فصولاً في تربية الصبيان على الادب بالنوع الجدي وفي اكتسابهم الحياء وفي

ان الامور بمبادئها وانت المبدأ أعظم شيء يكون في الامر وفي مبدأ التأديب وكيف يؤدب والقول في اللذات المحموده وفي اللذات الذميمة وتمويد الصبر والحلم وتمويد حسن الطاعة للرؤساء وللتنين وكل هذه الفصول ايضاً منقولة عن افلاطون في كتاب السياسة . ومن فصوله المسكر وشربه وشرب الصبيان والقول في الولاة والقضاة وهل ينبغي لهم ان يشربوا وهناك نقل اقوال افلاطون ولم يتعرض لمقاله الدينيون . ومن فصوله ادب النوم وما يجب ان يفرض على الاولاد للوالدين وحق الدابة والحاضنة وفيما يجب ان يأخذ الملك الناس به في الامر الاكابر والسادة في الآداب التي يحتاج اليها الرؤوس اذا صحب الرئيس . وفي هذا الفصل ترك النقل عن افلاطون وتشبث بآبن المقفع فنقل عنه ثلاث صفحات وعاد في الفصل التالي وهو في صفة من يجب ان يخرج في الحكمة بنقل عن افلاطون وكذلك فعل في فصول ادب التعلم وكيف ينبغي ان يعلموا وفي اي سن يجب ان يكون المتعلم وفي العلم الاول الذي ينبغي ان يؤخذوا بتعلمه وهو علم العدد والعلم الثاني المساحة ثم المكعبات فالنجوم فالوسيقى فعمل الجدل فالمنطق ونقل ما قاله افلاطون في الفرق بين صناعة المنطق وصائر الصناعات وقال في سياسة النساء وان طبعهن في العلوم والصنائع لا ينقص عن طبع الرجال ولكنه يكون اضعف واستشهد بافلاطون في ذلك .

ومن عناوين الابواب في هذا الجزء « هبولى الرأي » « الحض على الاستشارة والتحذير من الاستبداد وفيه بيان الحاجة الى الوزير » وفصول في الاستشارة من الشريعة السحرة وصفات السائس والفرق بين الظان والعالم وبيان ان الرئيس اذا لم يكن فاضلاً فانه لا ينفع ويضر مع ذلك المفسدة العظيمة من قبل انه يفسد الرعية . وما الى هذا المعنى مما نقله عن افلاطون حتى وصل الى القول في كيفية الاسعاد والى العدل العامي وهو الذي لا يستغني عنه كل احد . وفصل مطول في الوصايا الجامعة . وجاء في آخرها قال ابو الحسن : الحمد لله الذي ألد بالحبوب وأمتع به مرغماً فيه وأوحش بالمكروه وأمض به زاجراً عنه الى ان قال : وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الرابع من كتابنا في السعادة والاسعاد في السير الانسانية ونريد ان نبين فيه أقسام الرياسات وعلل الفاسدة منها نذكر فيه ايضاً أصناف المدن وصورها وأحوال أهلها وبالله نستعين في كل امورنا وإياه نستهدي اه .

وبهذا عرفنا ان كتاب السعادة والاسعاد يدخل في اربعة اجزاء وربما زاد على ذلك وبدأ هذا الجزء الرابع باقسام الرياضات اخذاً كثيراً عن أفلاطون ثم ذكر السبب المولد للفساد وكيف يحدث الفساد واستوفى القول سيفي صفة المتغلب وذكر بعد اقسام المدن قسمها الى المدينة الفاضلة والمدينة الخسيسة والحكيمة والجاهلية وتكلم عن صفة المدينة الشقية والسعيدة عن أفلاطون وذكر صفة أفلاطون لأخلاق اهل زمانه قال : « وحال ما نعلمه من أخلاق اهل المدن اليوم كحال لوح مملوء كتابة فاسدة فالواجب ان يفصل غسلاً جيداً ثم يملأ كتابة جيدة وان ذلك غير ممكن الا بان تقتلهم وهم احياء ثم تجعلهم أذكىء بان نعودهم العادات التي يرضاها الله » .

وهنا تبين معنا اسم المؤلف (ص ٣٤٩) فقد قال : قال ابو الحسن بن ابي ذر : الحمد لله الذي نظم بحسن التقدير بين المساعي . الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الخامس من كتابنا السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نقبين فيه ما يجب على الرئيس ان يأخذه نفسه في السياسة لرعيته وبالله نستعين من الزيف والزلل الخ . وبدأ هذا الجزء باقسام السياسة على وجه آخر سوى الوجوه التي ذكرها من قبل وباي السياسات ينبغي ان يكون الابتداء بسياسة السلم او الحرب قال أفلاطون : الابتداء بسياسة السلم اولى ويشبه ان يكون ذلك كالشيء اللازم وكلام الضروري اذ كان لا سبيل الى دفع شر الاعداء الا باجتماع كلمة الاولياء . قال ولذلك نقول بان الواجب على السائس ان يصرف تدبيره اولاً الى استصلاح حال اهل المدينة فيما بينهم من الشرور التي تثولد فيهم بالبغضاء والتباين والحسد والنفاق قال وبعد فانه ليس يجوز ان تحصل لهم الخيرات ما لم يقع الامن لبعضهم من بعض . قال والحرب حربان حرب فيما بين الاولياء بعض من بعض وحرب فيما بينهم وبين اعدائهم وشر الحربين ما تكون بين الاولياء فلذلك نقول بانه يجب ان يكون ابتداء عناية السائس اكتساب حسن الحال للاولياء اه .

ومن الفصول هنا الآداب التي يحتاج الملك والسائس ان يأخذ بها نفسه وأدب الملوك والرعية نقلها عن فلاسفة اليونان والفرس والعرب استشهد فيه بقول معاوية ما بين ان يملك الملك رعيته او تملكه الا الحزم او التواني فقال : هذا من حقه ان يكتب بقاء

الذهب . » وتكلم بعد على قوانين كبيرة في الوفاء بالعهد والعقد والحزم وعلى ان العقوبة والإهانة ضرورتان في السياسة نقل ذلك عن افلاطون وارسطوطيائس وبحث عما قاله افلاطون بانه ليس ينبغي للاديب ان يخاطب من لا ادب له . وذكر الفصل بين عقوبة الاولياء المخالفين وبين عقوبة الاعداء المناهذين وفي الجنايات التي لا يجوز احتمالها والجنايات التي لا تطبق السنة احتمالها والتجاوز عن عقوبتها وبيان قوام السياسة بالاحسان وان أشرف الآلات الرفق وذكر ما جاء من الترغيب في الرفق والاحسان وتفصيل وجوه الاحسان وذكر الاسباب التي تولد منها الآفات المفسدة للسياسة المؤدية الى خراب العمران والى فقر الرعية ونقل عن كتاب خدائي تامة وكان نقل عنه كثيراً بعد اقتباس ما يقتبس من فلاسفة يونان . وقال في سياسة دفع مضرة الاعداء عن الاولياء : الواجب على السائس في كل سياسة ان يعمل على ما توجبه الحال في الوقت والاحوال الدائرة فيما بين الاولياء والاعداء وان كانت كثيرة فانها تفتصر في قسمين احدهما الذي يوجب المدافعة والآخر الذي يوجب المناجزة . ورأس الامر مقدمة الروية وملاكة العمل بالحيلة وقوامه في التآني ورفض العجلة وعلى انه لا بد من العدد ومن العدة وتمام الامر بكتمان ما تريد ان تعمله حتى لا يقف عليه عدوك وحسن التلطف في استخراج ما يريد ان يعمل من يناوئك .

وذكر فصلاً في الحضر على كتمان الرأي والاسباب التي بها تمكن المدافعة وذكر الاسباب التي بها بطمع في الغلبة عند المناجزة وذكر الرياضات التي بها ينظم امر العسكر ، وعمل صاحب الشرطة او قائد الطليعة ، وامر الطلائع والعيون ، وعمل صاحب السيف ، وعمل صاحب العلاقة ، وعمل والي سوق العسكر واتبع ذلك بوصايا اكثرها مقتبس من افلاطون و اشار الى المدة التي يجب بهارده العسكر الى اوطانهم وهي ثلاث سنين ولا ينقلهم حتى يصل اليهم من يخلفهم وذلك عن افلاطون ايضاً .

وفي (ص ٤١٦) حمد الله وقدم مقدمته على عادته الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم السادس من كتابنا الذي سميناه السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نذكر فيه السبل الى تزكية النفس واحيائها من مبداء مقتنحها الى تمام غايتها . وبدأ ذلك عن اليئوس فيها يجب ان يأخذ به الملك نفسه ورعيته في معرفة الله . ثم نقل

من كتاب الكون بتفسير الاسكندر نقله عن ارسطو ومن فصوله الحضر نلى اقتناء من
يستشار وفي التحذير من الهوى ومن مزبد الهوى ووجه العمل والرأي في الوزير اذا
اخطأ وفي كيف يستشير فقال : في التاج (ونقل عنه غير مرة ولعله تاج الجاحظ)
ولا ينبغي للملك ان يستشير احداً الا خالياً به فانه اموت للسرا واجمع للذهن واحزم
للرأي وقال ارسطوطيلس للاسكندر صير استشارتك بالليل فان الفكر فيه أحلى
وأجمع وقال ابن المقفع اذا اجتمع امران فقدم الأهم واذا ورد امر واث في آخر فدهه
ولا تقطع الاول حتى تستمه الا ان تخاف دخول ضرر بالتأخير في الامر الثاني وقال
ابن المقفع ويجب ان تحذر المشاجرة في الوقت الضيق وقال ابن المقفع اذا طلب منك
رأي فانظر الرجل المستشير فاذا عرفت اشترك بما يصلح له وفي خدائي نامة ينبغي ان
تعود نفسك الصبر على خلاف ذي الرأي والتصية اه .

ووضع فصولاً في كيف ينبغي ان يعامل الملك وزرائه وفي الاستشارة على معني
التألف وفي الابتداء بالمشورة وفي ان الوزير والمستشار يجب ان يكون اكثر من واحد
وفي الاسباب التي ينبغي ان يرئأي فيها ويستشار تقلاً عن اليونانيين والفارسيين
وعنون لفصول في انه لا بد للملك من الأعوان وفي الحضر على اختيار المال وصفاتهم
وتفقد امورهم وأحوالهم وفي الادب والآفة المؤدية الى سوءه وهذا آخر ما بقي من اوراق
هذا السفر ولعله اكثر من ستة اجزاء كما علمنا ذلك بنص المؤلف .

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

شخصية النبي محمد

The Personality of Muhammad the prophet .

رسالة لطيفة تشتمل على خطبة خطبها بالانكليزية الاستاذ (أ . يوسف علي الهندي)
بمعيد الاخصى في لندن .

عرض الخطيب الى سيرة النبي عليه السلام منذ مولده الى وفاته على سبيل الاجمال .
وأشار الى الظواهر الخطيرة والحوادث الهامة التي تتعلق بشخصيته ونصص على ما انصف به
ودعا اليه من مكارم الأخلاق ، وما شرعه من معالي الامور في شؤون الدين والدنيا .
وكيف كان يرمي من وراء دعوته الى المواخاة بين البشر ليقودهم الى السعادة في الدنيا
والآخرة . فحبذا لو أقبل المسلمون على دراسة حياة نبيهم وما فيها من الجلائل والعظام
والعبر والعظات فحياته حياة لهم

عضو المجمع العلمي

خليل مردم بك

سرا في سورية وفلسطين

« في القرن الثامن عشر »

تأليف شارل روالوزير المفوض . وهو بالفرنسية يقع في ٢١٧ صفحة

من القطع الكبير ويحتوي على ٢٧ صورة قديمة

كان الفرنسيون وبعض الامم الاوربية يتجرون مع الشام في القرن الثامن عشر وما
قبله على شكل خاص فنقيم جالياتهم في فرض معينة كبيروت وصيدا وطرابلس وعكا وبافا
وتمتعون بامتيازات رضي فيها السلاطين العثمانيون ان يتنازلوا عن حقوق الدولة حبا
بضمانة الاتجار بين الشرق والغرب وهي تلك الامتيازات التي كانت في ذلك الحين
عموده المغبة فصارت في ايامنا هذه شوما على اهل البلاد وضروا كبيرا . وكان تجار كل
دولة اوربية من الدول الكبرى يعيشون مع قنصلهم عيشة خاصة في خانات معلومة

لا يخرجون منها ابداً . ولم قوانين سنتها لم دولهم لتناول كثيراً من الشؤون حتى شؤونهم الخاصة كمنعهم عن الزواج ومنع نسائهم وبناتهم من اللحاق بهن وإطلاق يد القنصل في طردهن وإعادتهن إلى بلادهم إذا اتوا أعمالاً سيئة الخ . ولم يكن يسمح لغيرهم من أبناء جلدتهم أن يتجروا مع الشرقيين . وبعض الدول كانت تحدد الاصناف والمقادير التي يمكنهم أن يتجروا بها حتى كأنهم موظفون لديها . وكانت الغرفة التجارية في مرسيلية تسيطر على كل التجار الفرنسيين في المراتي الشامية .

ولقد أجاد المؤلف في وصف علاقات التجار الأجانب بالاهلين وبالحكام وتأثير هؤلاء (كالشيخ ظاهر العمر والامير يوسف الشهابي والجزار وابي الذهب) في تجارة البلاد وزراعتها . ودعم آراءه بوثائق مهمة استخرجها من وزارة الخارجية الفرنسية والغرفة الزراعية في مرسيلية وحلى الكتاب بصورة كثير من رجال ذاك العصر صورت في ذاك الزمن فهذا الكتاب هو اذن من الكتب المفيدة جداً يلزم لكل من يدرس تاريخ الشام في القرن السابع عشر لاسيما من وجهته الاقتصادية .

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي



ذيل وذيل الذيل « لكتاب الصكوك الحقوقية »

تأليف شيخ المدققين الاستاذ محمد مصباح محرم وقد وصفنا هذا الكتاب الممتع في عدد سابق من المجلة . وهذا الذيل نعمة قيمة يحتاج اليها ايضاً رجال القانون والشرع من قضاة ومحامين .
عارف النكدي



كتاب اللؤلؤ المنضود

« في دفع نقود »

تأليف الشيخ أمين ظاهر خير الله طبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت

سنة ١٩٢٩

اول ما يسمع القاري ككفي (دفع نقود) يحسب ان المراد بها (تأدية نقود) فضة
 وذهب . ثم لا يلبث ان يعلم ان المراد بها (رد انتقادات) في اللغة والادب . والذي
 حمل المؤلف على هذا الرد انه كان طبع ونشر كتاب (المنهج السوي) لوالده الشيخ ظاهر
 فقرأه بعض أدباء العرب في اميركا فرأى فيه مواضع للنقد فعددها وابدى ملاحظاته
 عليها فقام الناشر ابن المؤلف فحرر الجواب . وصنى الحساب . ودفع هاتيك النقود .
 وشفعها بالاحتياجات والردود . وهي تبلغ ٣٤ رداً استغرقت ١٤٠ صفحة مطبوعة طبعاً
 حسناً مع عناية بالضبط والتصحيح وتحرير المباحث اللغوية والنحوية فجاء الكتاب طرفة
 لغوية لا يستغني عنها عالم ولا متأدب . فنشكر للمؤلف هديته . ونتمنى لكتابه الرواج .
 « المغربي »

ملحق بعلي العربي

(دمشق) ايلول : سنة ١٩٢٩ م الموافق للربيعين سنة ١٣٤٨ هـ

عبد الحميد الكاتب

- ٢ -

رسالته في نصيحة ولي العهد في الفصل الذي عقدناه في نشأة عبد الحميد الأكبر وعصره وكتابته وأسلوبه عرضنا للاستشهاد ببعض رسائله الصغيرة الماثورة . وهانحن اولاء نتوخى هنا تحليل أدبه من رسالتين كبيرتين مما أبقت الأيام عليه واعتبطنا بعد اثني عشر قرناً ان نتعرف منه سمة مادة الكاتب العظيم وطول نفسه وبعد صراميه في الثقافة وانه رجل مثابح^(١) العلم أخذ من كل فن بنصيب وافر . والرسالتان هما رسالته في نصيحة ولي العهد ورسالته الى الكتاب . والاولى منها أطول رسالة أبقت عليها الأيام من انشاء سيد الكتاب عبد الحميد الأكبر كتبها على لسان مروان الى ابنه وولي عهده عبد الله بن مروان ، لما وجهه الى قتال الفخاك بن قيس الشيباني الخارجي وكان هذا استولي على الموصل وكورها سنة ١٢٧ . وقد انطوت هذه الرسالة المرقعة على أغراض كثيرة يمكن اجمالها في موضوعين مهمين الاول درس عظيم في تربية أبناء الملوك والعظماء ونقلتهم الاخلاق الفاضلة وهي الضمان الاعظم لقيام الممالك . والثاني وضع خطط حربية يسير عليها ولي العهد في قتال العدو ماترى المحدثين في المحاربين بلغوا أكثر منها في باب الكر والفر . فأثبت عبد الحميد بهذه الرسالة انه من علماء التربية والاخلاق وعلماء النفس

(١) يقال رجل مثابح العلم اذا كان يشبه علمه بنفسه بمفك .

وانه من علماء السياسة والادارة والحرب يستطيع ان يقود الجيوش بعقله كما يقود الممالك بقلمه .

بدأ رسالته في وصف الخارجي وان الخليفة أراد ان يعهد الى ولي عهده عهداً يحمله فيه أدبه و يشرع له عظمته وان كان ولي العهد في الغاية من الدين والنخلة بما يحسن بالخلافة ولو لم يكن كذلك ما خصه ابوه بالولاية عنه دون بني ابيه . وقال له ان الخليفة بو عظه ابنه ايضاً ائتمرو بامر الله وما تقدمت فيه الحكماء من تقديم العظة والتذكير وان كانوا أهل معرفة وادلي سابقة في الكمال وفضل في العلم قال : ولو كان المؤمنون اخذوا العلم من عند انفسهم ولقنوه إلهاماً من تلقائهم ولم يتعلموا شيئاً من عند غيرهم لنحلوا علم الغيب ووضعناهم بمنزلة قصيرهم بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوجدانته في فردانيته في الاهيته . . . واستعماله ألفاظ الوجدانية والفردانية والالهية من استعمال المحدثين لا عهد بها للعرب .

قال : وامير المؤمنين يرجو ان ينزهك الله عن كل قبح يهش له طمع ، وان يعصمك من كل مكروه حاق باحد ، وان يحصنك من كل آفة استولت على امري في دين او خلق وان يبلغه فيك احسن ما لم يزل يعود من آثار نعمة الله عليك سامية بك الى ذروة الشرف ومنجحة لك بسطة الكرم لاثمة بك في ازهر معالي الادب مورثة لك انفس ذخائر العز . وبعد ان كان الخليفة يخاطب ابنه بصيغة النائب انقلب وخاطبه خطاب الحاضر فقال : (والله استخلف عليك واسأله حياطتك وان يعصمك من زيف الهوى ويحضرك دواعي التوفيق معاناً على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا هو) . وهذا الانقلاب في تنويع الخطاب من اجل ما يبدو على أساليب اقلام الكتاب . ذلك ان الخليفة بعد ان خاطب ابنه خطابه عاملاً من عماله عاد فذكر البنوة فدعا له دعاء والد لولده ليوفق في مقاصده ويسلم في بدنه .

ثم هو تنب عليه الامور وابان له قدر نفسه وما تيسر له من اسباب التوفيق باخلاقه فقال : وقد تلقنتك اخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في ادراكها ولا متطاول المنال لتدرونها بل تأثلت^(١) منها اكرم معانيها واستخلصت منها اعتق

(١) تأثلت اكتسبت .

جواهرها ثم شمرت الى باب مصاصها واحرزت مَنَمَسي^(١) ذخائرهما فاقتمد ما احرزت ونافس فيما اصبت .

وعما قدمه له من العظة في ذلك ان يشكر الله في كل صباح على نعمة السلامة والعافية وان يقرأ فيه من كتاب الله جزءاً يردد فيه رأيه في اديه ويزين لفظه بقراءته ويحضر عقله ناظراً في محكمه ويتفهمه منقراً في متشابهه . يريد بذلك تقوية عقيدته في الدين وتقوية ملكته في البلاغة .

وبعد ذلك التفت فقال : « ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك فانه مغلاق^(٢) الحسنات وفتحاح السيئات واعلم ان كل اهوائك لك عدو يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خدع ابليس وحبائل مكره ومصايد مكيدة فاحذرهما مجانباً لها ونوقها عتساً منها واستعد بالله من شرها وجاهدها اذا انصارت عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لا مشنوية^(٣) لرأيك بعد اصداره عليك وصدق غالب لا مطعم في تكذيبه ومضاه صارمة لا أناة معها ونية صحيحة لا خلجة^(٤) شك فيها فان ذلك ظهري^(٥) صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تطلع اليه منك وهي واقية لك سخطه ربك داعية لك رضا العامة سائرة عليك عيب من دونك فحاول بلوغ غايتها محرزاً لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع حصناً اعمالك من العجب فانه رأس الهوى واول الغواية ومقاد الملكة حارساً اخلاقك من الآفات المتصلة بمساوي العادات » .

« ومنها ان تملك امورك بالقصد ونهون مترك بالكتمان وتداوي جندك بالانصاف وتذل نفسك بالعدل وتحصن عيوبك بتقويم أودك وأناتك فوقها الملل وفوت العمل ومضاه تلك قدرتها روية النظر واكنفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة وصمتك فانف عنه عي^(٦) اللفظ وخف فيه سوء القالة^(٦) واستماعك فارعه^(٧) حسن التفهم وقوة^(٨) باشهاد الفكر وعطاءك فانهد^(٨) له بهوات الشرف وذوي الحسب

(١) متفلس ما يتنافس فيه . (٢) المغلاق بكسر الميم ما يغلق به الباب . (٣) مشنوية استثناء . (٤) خلجة اضطراب . (٥) ظهري عدة . (٦) القالة يطلق القول في الخبر والقال والقيل والقالة في الشر . (٧) اسمعه . (٨) نهى الهدية عظمها وأضخمها .

وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ وامتنان الصنيعة ، وحياءك فامتنع من الخجل
وبلادة الحصر ، وحملك فزعه عن التهاون ، واحضره قوة الشكيمة ^(١) ، وعقوبتك فقهر
بها عن الافراط ، وتعمد بها اهل الاستمقاق ، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق ، وخذ
به واجب المفترض ، وأقم به أود الدين ، واستثناسك فامتنع منه البذاءة وسوء المثانفة ^(٢) ،
وتعهدك امورك فحده اوقاتاً ، وقدره ساعات ، لا يستفرغ قوتك ، ويستدعي سآمتك ،
وعزماتك فانف عنها عجلة الرأي ، ولجاجة الاقدام ، وفرحانك فاشكها ^(٣) عن البطر ،
وقيدها عن الزهد ، وروعانك فخطها من دهش الرأي ، واستسلام الخضوع ، وحذرانك
فامتنعها عن الجبن واعمد بها للحزم ، ورجاءك فقيده بخوف الفائق ، وامتنع من أمن
الط ب .

ثم ذكر له كيف بتخير عشرة وعامل مشاوريه ، ويتوقى انتشار اخباره في العامة ،
الا على صورة لا تسقط من شأنه فقال : « ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلوانك ،
ودخلاؤك في سرك ، اهل الفقه والورع من خاصة اهل بيتك وعامة قوادك ، ممن قد حنكته
السن بتصاريف الامور ، وخبطته فصالحا بين فراصن ^(٤) البزل منها ، وقلبته الامور في
فنونها ، وركب أطوارها عارفاً بمحاسن الامور ، ومواضع الرأي ، مأمون النصيحة ،
مطوي الغمير على الطاعة ، ثم احضرهم من نفسك وقاراً ، تستدعي منهم لك الهبة ،
واستثناءً يعطف اليك منهم بالودة ، وانصاتها يقل إفاضتهم عندك بما نكره ان ينشر
عنك من سخافة الرأي ، وضياح الحزم ، ولا يغابن عليك هواك فيصرفك عن الرأي ،
ويقطعك دون الفكر . وتعلم انك وان خلوت بسر فالقيت دونه سترك ، وأغلقت عليه
أبوابك ، فذلك لاحالة مكشوف للعامة ، ظاهر عنك وان امتثرت برهما ولعل ، وما
أرى اذاعة ذلك ، فاعلم بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن ، فنقدم

(١) الشكيمة قوة القلب . (٢) المثانفة المباطنة وفي رواية المثانفة ومعناها الاذبة .

(٣) يقال فعل فلان امراً فشكته اي أثبته . (٤) الفرصن والجمع فراصن رجل
الجل والبزل كركم جمع بازل وهو البعير اذا ظهر نابه ومن المجاز الرجل الكامل في
تجربته .

في إحكام ذلك من نفسك ومدخله عنك ، فانه ليس احد أسرع اليه سوء القالة ،
واخط العامة بخير او شر ، ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحت فيه من دين
الله ، والامل المرجو المنتظر فيك » .

ثم حذره من مسائل لها مساس عظيم بمن لم السلطان على الناس ، فكله في مسائل
عامة لتنظم يسيره و يسيرته فقال له : « وإياك ان يغمز^(١) احد من حامتك و بطانة خدمك ،
بضعفة يجذبها مساعاً الى النطق عندك بما لا يعتزك عيبه ، ولا تخلو من لأحدوثة لائمه ،
ولا تأمن سوء فيه ، ولا يرخص سوء القالة فيه ، ان نجم ظاهراً ، او أعلن بادياً ،
وان يجترئوا على تلك عندك ، الا ان يراه منك إصغاء اليها ، وقبولاً لها ، وترخيصاً لم في
الإفاضة بها ، ثم اياك ان يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات ، والمزاح
والمضاحك ، التي يستخف بها اهل البطالة ، ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ، ويجد فيها
اهل الحسد مقالاً لم يعب يدعونه ، ولطعن في حق يجحدونه ، مع ما في ذلك من نقص
الرأي ودرن العرض ، وهدم الشرف وتأثيل العقلة ، وقوة طباع سوء الكامنة في
بني آدم ، ككون النار في الحجر الصلب ، فاذا قدح لاح شرره ، وتلهب وميضه ووقد
تفصرمه ، وايسر في احد أقوى سطوة ، وأظهر توقداً وأعلى كمنناً ، واسرع اليه
بالعيب ، ونطرق الشين ، منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال ، وذوي العنفوان
في الحداثة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقاً عليهم لا ثحبها ، ظاهراً عليهم وسمها ،
ولم تمحضهم شهادتها ، مظهرة للعامة فضلهم ، مذبة حسن الذكر عنهم ، ولم يبلغ بهم
الصيت في الحنكة مستمعا يدفعون به عن انفسهم نواطي السن اهل البغي ، ومواد ابصار
اهل الحسد » .

وعاد بعد ان حذره من الخفة في المواقب ، ومداعبة من يسيره بالتضاحك اليه ،
يريد على ان يستعمل الجد في حركاته ، بحيث لا تنقل جوارحه ويحذره من السعابة
وبدله على الطريقة في معاملة النامين وعلى الترفع عن الجواسيس وصورة معاملتهم
اللاخذ منهم ما ينفع مصلحة الدولة فقط ونهج له السبيل السوي في معاملة اصحاب الحاجات

(١) اغمز في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر شأنه . والحامة القرابة والأمرة .

فقال : « واعلم ان قوماً سيسرعون اليك بالسعاية و بأنونك من قبيل النصيحة ، ويستميلونك باظهار الشفقة ويستدعونك بالاعزاء والشبهة و يوطئونك عشوة ^(١) الحيرة ليجعلوك ذريعة لهم الى استئصال ^(٢) العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتعديق لهم على من قرفوه بتهمة او اسرعوا بك في امره الى الغلظة فلا يصلح الى مشافهتك سماع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع ^(٣) في دينك ويحملك على رعينتك ما لا حقيقة فيه ويلحماك اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما أقدم به عليهم ساعياً و اظهر لك منهم مناصحاً .

« وليكن صاحب شرطك ومن أحببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنصوب لاولئك والمستمع لا قادر يلهم والفاحص عن نصائحك ثم ليُنذر ذلك اليك على ما يرفع اليه منه لتأمره بامرك فيه وثقفه على رأيك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صواباً نالتك حظوته وان كان خطأ أقدم به عليك جاهل او فرطاً سعى بها كاذب فنالت الساعي منها او المظلوم عقوبة او بدر من واليك اليه عقوبة ونكال لم يعصرب ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى ثغريبه و خلوت من موضع اللوم فيه محضراً اليه ذهنك وصواب رأيك وتقدم الى من تولى ذلك الامر وتعتمد عليه فيه ان لا يقدم على شيء ناظراً فيه ولا يحاول اخذ احد طارقاً له ولا يعاقب احداً منكلاً به ولا ينجلي سبيل احد صالحاً عنه ^(٤) براءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك امره وينعي اليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق و بقين الخبر فان رأيت عليه سبيلاً للحبس او مجازاً لعقوبة امرته بتولي ذلك من غير ادخاله عليك ولا مشافهة لك منه فكان المتولي لذلك ولم يجر على يدك مكروه رأي ولا غلظة عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيلاً او كان مما قُرِف به خلياً كنت انت المتولي للانعام عليه بتخليه سبيله والصفح عنه باطلاق أسرهِ فتوليت اجر ذلك واستحققت ذخره وانطقت لسانه بشكرك وطوقت قومه حمدك و اوجبت عليه حقك فقرنت

(١) العشوة الظلمة . (٢) استأكل الضعفاء اخذ اموالهم . (٣) في رواية لا يتاغ دينك . يقال اوتغته اهلكه وهذا مما يوتغ الدين والمروءة . (٤) الاصحاح الوضوح .

بين خصلتين واحرزت خطوتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة .
 « ثم واياك ان يصل اليك احد من جنودك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة
 يكشفها لك او حاجة يبدئك بطلبها حتى يرفعها قبل ذلك الى كاتبك الذي اهدفته
 لذلك ونصبته له فيعرضها عليك منيها لما على جهة الصدق عنها وتكون على معرفة
 من قدرها فان اردت اسعافه بها ونجاح ما سأل منها اذنت له في طلبها باسطاً له
 كفك مقللاً عليه بوجهك مع ظهور سرورك بما سألك فسخة رأي وبسطة ذرع
 وطيب نفس وان كرهت قضاء حاجته واحبت رده عن طلبته وثقل عليك اجابته
 اليها واسعافه بها امرت كاتبك فصحه عنها ومنعه من مواجعتك بها تخفت عليك
 في ذلك المؤنة وحسن لك الذكر ولم ينشر عنك تجهيم الرد وينلك سوء القالة في
 المنع وحمل على كاتبك في ذلك لائمة انت منها بري الساحة .

« وكذلك فليكن رأيك وامرك فيمن طرأ عليك من الوفود ، واناك من الرسل ، فلا
 يصل اليك احد منهم الا بعد وصول علمه اليك ، وعلم ما قدم له عليك ، وجهة ما هو
 مملك به ، وقدر ما هو سائلك اياه ، اذا وصل اليك فاصدرت رأيك في حوائجه ،
 وأجبت فكرك في امره ، واخترت معتزماً على ارادتك في جوابه ، وانفذت مصادور رويتك
 في مرجوع مسأله ، قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله اليك ، فرفعت عنك مؤونة
 البديهة ، وارخيت عن نفسك خناق الروية ، واقدمت على رد جوابه بعد النظر ، واجالة
 الفكر فيه ، فان دخل اليك احد منهم فكلك بخلاف ما انهى الى كاتبك ، وطوى عنه
 حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا جميلاً ، ومنعته جوابك منعاً ودباً ، ثم امرت حاجبك
 باظهار الجفوة له ، والغلظة عليه ، ومنعه من الوصول اليك ، فان ضبطك لذلك مما يحكم
 لك تلك الاسباب ، صارفاً عنك مؤونتها مسهلاً عليك مستصعبها .

هذه هي الخطة التي اختطها عبد الحميد لولي عهد المسلمين ، يريد بها ان يرفع مقامه
 بين الناس ، على اختلاف مطالبهم ، وان يظهره بمظهر الكرامة بعيداً عن تيجبه قاصديه
 والتجهيم لهم ، وهو ضرب من حسن الادارة والسياسة ما نخال رجال الدول الراقية اليوم
 يحملون بغير هذه الطريقة حتى لا يسقطوا من الانظار ويتركوا للمراجعين فسحة من الامل ،
 ولا يقطعوا معهم قطعاً تاماً ، وان يستهدف صغار العمال للنقد واقطع من النقد ، والرئيس

من ذلك بمغزل ، على حين هو الكل في الكل ، والصغير عن رأيه صدر ، ولا رادته نفذ ولقانونه طبق . وماذا يصير هذا لو حمل الناس عليه بالظعن وقد يفادي بالمئات من العمال لقيام الدولة وحفظ البيضة واستبقاء الكرامة والحظوة في الرفع من مكانة الرئيس الاول فان يسقطه سقوط الدولة وسقوط بعض عماله لا شأن له ولا بال . وحقيقة فان من المسائل ما يوفق لكشفه صاحب الشرطة مثلاً أكثر مما يوفق العظيم في الدولة لانه متمحض لذلك ومقام ولاية العهد يصغر في نفوس الامة اذا عمل في جزئيات الامور عملاً قد يجيده العامل الصغير ويوفق فيه ويوفر على صاحبه وقته ويرفع في العيون شخصيته .

جود عبد الحميد الكلام على هذا فأبان عن بعد نظر في سياسة الملك وسياسة الرعية ثم انشأ ينهج للمكتوب اليه طريقاً مبهجاً في سلوكه مع جلسائه وبطانته واهل مشورته واعوانه وفي احوال نفسه . تالله لقد لقنه هنسا ادبياً ، وحدد له عادات ليست اليوم قواعد الحياة العامة في الممالك المتقدمة ارقى منها . وفي هذا دليل ناهض على ان العقل البشري على كثرة ارتقائه جيلاً فجيلاً ان يبرز في دائرة نرى فيها ما كان يستحسن قبل الف سنة يستحسن اليوم . وتلك القواعد التي يتسكوت بها هي القواعد التي سنها اجدادنا لانفسهم منذ ثلاثة عشر قرناً . قال عبد الحميد :

« احذر تضيق رأيك ، واهمالك أدبك ، في مسالك الرضا والغضب ، واعتوارهما إياك ، فلا يزدريه بك إفراط عجب تستعجبك روائعه ويستهيوك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه ان حل بك او حادث ان طراً عليك وامنع اهل بطانتك وخامة خدمك من استلحام اعراض الناس عندك بالغبية والتقرب اليك بالسماية والاعراض من بعض ببعض او النخبة اليك بشيء من احوالهم المستثيرة عنك او التحميل لك على احد منهم بوجه التعجبة ومذهب الشفقة فان ذلك أبلغ بك سمواً الى منالة الشرف واعون لك على محمود الذكر وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

« واملك نفسك عن الانبساط في الفحك والاتفاهق ^(١) وعن القطوب باظهار

(١) الانتاع .

الغضب وتخلله فان ذلك ضعف عن ملك سورة الجمل وخروج من انخال اسم الفضل وليكن ضحكك تبسماً او كشرآفي احابين ذلك واوقاتك وعند كل رائع مطرب وقطوبك اطرافاً في مواضع ذلك واحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة ، دون ان يكتنفها روية الحلم ، وتملك عليها بادرة الجمل .

« اذا كنت في مجلس ملك ، حيث حضور العامة بمجلسك ، فاياك والرمي بنظرك الى خاص من قوادك ، او ذي أثره عندك من حشمك ، وليكن نظرك مقسوماً في الجميع واراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن وحضور فهم مجتمع ، وقلة تفجر بالحدث ، ثم لا يهرح وجهك الى بعض حرسك وقوادك متوجهاً بنظر ركين ، ونفقد محض وان وجه اليك احد منهم نظره محققاً ، او رماك ببصره ملجاً ، فاخفض عنه اطرافاً جميلاً باتداع وسكون ، واياك والتسرع في الاطراق ، والخفة في تصرف النظر ، والالاحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك راقياً بنظره .

« واعلم ان تصفحك وجوه جلسائك ، ونفقدك بجانب قوادك ، من قوة التدبير ، وشهامة القلب ، وذكاء الفطنة ، وانتباه السنة فنفقد ذلك عارفاً بمن حضره وغاب عنك ، عالماً بمواضعهم من مجلسك ، ثم أعدّ بهم عن ذلك سائلاً لهم عن اشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك ، وعاقبتهم بالتخلف عنك .

« ان كان احد من حشمك وأعوانك ثقتي منه بغيب ضمير ، وتعرف منه لين طاعة ، وتشرف منه على صحة رأي ، وتأمنه على مشورتك ، فاياك والاقبال عليه ، ففي كل حادث يرد عليك ، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ، ان توبه او احداً من اهل مجلسك ان بك حاجة اليه موحشة ، او ان ليس بك عنه غنى في التدبير ، او انك لا تقضي دونه رأياً ، اشراكاً منك له في روبيتك ، وادخالاً منك له في مشورتك ، واضطراباً منك الى رأيه في الامر بعروك ، فان ذلك من دخائل العيوب التي ينشربها سوء القالة عن نظرائك ، فانفها عن نفسك ، خائفاً لاعتلاقها ذكرك ، واجنبها عن روبيتك فاضماً اطماع اوليائك عن مثلها عندك ، او غلو بهم عليها منك ، واعلم ان للمشورة موضع الخلوة وانفراد النظر ، ولكل امر غاية تحيط بحدوده ، وتجمع معالمه ، فابغها

محزاً لها ، ورمها طالباً لنيلها ، وإياك والقصور عن غايتها ، أو العجز عن دركها ،
أو التفريط في طلبها إن شاء الله تعالى .

« إياك والإغرام عن حديث ما أعجبك ، أو امر ما ازدهاك بكثرة السؤال ،
أو القطع لحديث من أرادك يحدّثه ، حتى تنقضه عليه بالخوض في غيره ، أو المسألة
عما ليس منه . فإن ذلك عند العامة منسوب إلى سوء الفهم ، وقصر الأدب ، عن
تناول محاسن الأمور والمعرفة بمساوئها ، ولكن انصت لمحدثك وارع مسمك ، حتى يعلم
أن قد فهمت حديثه ، واحطت معرفة بقوله ، فإن أردت إجابته فعن معرفة بحاجة ،
وبعد علم بطلانته ، والا كنت عند انقضاء كلامه كالمتعجب من حديثه بالتبسم والاضغاء ،
فأجزى عنك الجواب ، وقطع عنك السن العتب .

« إياك وإن يظهر منك تبرم بطول مجلسك ، أو تشجر ممن حضرك ، وعليك بالثبوت
عند سورة الغضب ، وحمة الأنف ، وملال الصبر في الأمر تستعجل به ، والعمل تأمر
بإفادته ، فإن ذلك مخف شائن ، وخفة سرديّة ، وجهالة بادية ، وعليك بثبوت المنطق
ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرفض لحشو الكلام ، والترك لفضوله ، والإغرام
بالزيادات في منطقك ، والترديد للفظك ، من نحو اسمع ، وافهم عني ويا هناء ،
والا ترى ، أو ما يلجج به من هذه الفضول المقصورة بأهل العقل ، الشائنة لذوي العجا
في المنطق ، المنسوبة إليهم بالعي ، المردية لم بالذكر ، وخصال من معائب الملوك ،
والسوقة عنها غيبة النظر ، إلا من عرفها من أهل الأدب ، وقلماً حامل لها ، مضطلع
بها ، صابر على ثقلها آخذ لنفسه بجوامعها فائقها عن نفسك بالتحفظ منها وإمالك عليها
اعتبادك إياها معتنياً بها منها كثرة النخم والتبصق والتنفخ والثوباء والتمطي
والجشاء وتحريك القدم وتنقيض الأصابع والعبث بالوجه واللحية أو الشارب أو الخصرة
أو ذؤابة السيف أو الأيماض بالنظر أو الإشارة بالطرف إلى بعض خدمك بأمر إن
أردته أو السرار في مجلسك أو الاستعجال في طعامك أو شربك وليكن طعامك متدعاً
وشربك انقاساً وجرعك مصاً وإياك والتسرع في الإيمان فيما صغر أو كبر من الأمور
والشتيمة بقول يا ابن الهنا أو التهمزة لأحد من خاصتك بتسو بفهم مقارفة الفسوق
بجيت محضرك أو دارك وفناؤك فإن ذلك كله مما يقع ذكره . ويسوء موقع القول فيه

وتحمل عليك معايبه و ينالك شينه و ينشر عليك سوء النبأ به فاعرف ذلك متوقياً له واحذره مجاناً لسوء عاقبته .

« استكثر من فوائد الخير فانها تنشر المحمدة وتقل العثرة واصبر على كظم الغيظ فانه يورث الراحة ويؤمن الساحة وتعمد العامة بمعرفة دخلهم وتبطن احوالهم واستشارة دفائنهم حتى تكون منها على رأي عين و يقين خبرة فتشعشع عديمهم وتجهز كسيرهم وتقوم اودهم وتعلم جاهلهم وتستصلح حاسدهم فان ذلك من فعلك بهم يورثك العزة ويقدمك في الفضل ويبقي لك لسان الصدق في العاقبة ويحرز لك ثواب الآخرة و يرد عليك عواطفهم المستنفرة منك وقلوبهم المنهجة عنك .

« فس بين منازل اهل الفضل في الدين والحجاء والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة وبين منازل اهل النقص في طبقات الفضل واحواله والخلول عند مباةاة النسب وانظر بصحبة ايهم تنال من مودته الجليل وتستجمع لك اقارب العامة على التفضيل وتبلغ درجة الشرف في احوالك المتصرفه بك فاعتمد عليهم من خلالهم في امرك وآثرهم بمجالستك لم مستحقاً منهم واباك وتضييعهم وفرطاً واهمالهم مضيعاً » .

هنا انتهى الفصل الاول من هذه الرسالة المتناهية في الابداع وقد لحنا فيها ما يهذب النفس ويعرفها مصادر الامور ومواردها ويقفها على احوال الناس ومعالجة مسائلهم وقد ختمه بقوله : هذه جوامع خصال قد تلخصها لك امير المؤمنين مفسراً وجمع لك شواذها مؤلفاً واهداها اليك مرشداً فقف عند اوامرها وثناء عن زواجرها وثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتل انفس المخطوظ ورغيب الشرف واعلى درجات الذكر والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وثنابح المزيد وبلوغ الامل وان يجعل عاقبة ذلك بك الى غبطة يسوغك اياها وعافية يحملك اكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير والمعين على الارشاد وبه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات ويهدى الملك وهو على كل شيء قدير » .

قرأنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صورة من التربية التي يريد عبد الحميد الاكبر ان يلقنها ولي عهد المسلمين ، ومما يحاول السليزيه عنه خلقه وعاده ، ومجالسه ومواقفه ، ويلقنه من السيرة الحسنة مع رعيته وذوي الحاجات والظلمات منها ، وما يجب ان يكون

عليه في ادارته وسياسته مع عماله ونصحائه واصحاب اخباره ، على صورة يظهر معها تام الادوات ، جميل المآثي والصفات ، عظيماً يضم في برديه خسروب الوقار وحسن السميت ، وجمال العلم والادب .

اما الجزء الثاني من الكتاب فهو قانون الحرب يلخصه لقائدها ، فيمهل على نفاذه لتكتسب له الغلبة على خصمه الخارج على دولته . وقد بدأ هذا القسم بالوقوف عند حدود الطاعة لله ، والعمل بمراشده ، واجتناب نواهيه ، ووصف الدواعي الى جهاد العدو الذي خرج على الجماعة فسكان اضر على المسلمين من الترك والمشركين واوصاه برعاية من يرهم الجيش من اهل الذمة واهل الملة لئلا ينال الرعية ما ينالها على الاغلب من كل جيش سرايط ومشاغر ومهاجم ومدافع ومتراجع . فقال هذا :

فاذا افضيت نحو عدوك واعتزمت على اقاتهم واخذت اعبية فيتالم فاجعل دعامتك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترتجي به منازل الظفر وتكتشف^(١) به لمعالي الحذر نفوى الله عن وجل مستشعراً لما يراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لامره مخفياً لخطئه مخذباً سننه والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده وتعمدي شرائعه متوكلاً عليه فيما صمدت^(٢) له واثقاً بنصره فيما توجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عن راغباً فيما اهاب^(٣) بك امير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر فيسه عند الله من قتال عدو المسلمين اكليمهم عليه واظهره عداوة لهم وافدحهم ثقلأ امامتهم واخذة بريقهم^(٤) واعلاه عليهم بغياً واظهره فيهم فسقا وفجوراً واشده على فيثهم السذي اصاره الله لهم مؤنة وكلاً والله المستعان عليهم والمستنصر على جماعتهم عليه يتوكل امير المؤمنين واباه يستصرخ عليهم واليه يفوض امره وكفى بالله ولياً وناصرأ ومغيثاً وهو القوي العزيز . ثم خذ من معك من تبايعك وجندك يكف معرفتهم ورد مستعلي جورهم^(٥) واحكام

(١) اکتشف وتكشف لزم الكهف والكهف المفارقة والوزر الملبأ . (٢) صمد الامر قصده معتمداً عليه . (٣) اهاب بصاحبه دعام . (٤) الربة جبل بوضع في العنق وجمعه ربق . (٥) في الصبح : ورد مشتمل جهلهم واجكام خيااع عملهم .

خللهم ، وضم منتشر قواصيمهم ، ولم شعث أطرافهم ، وثقيب سدم عمن مروا به من اهل
ذمتك ، وملتك ، بحسن السيرة ، وعفاف الطعمة ، ودعة الوفاق ، وهدى الدعة ،
وجام المستجيم ، محكماً ذلك منهم ، منفقداً لم فيه تفقدك اياه من نفسك .

ثم احمد لعدوك المتسمي بالاسلام ، الخارج عن جماعة اهلله ، المنجمل ولاية الدين ،
مستجلاً لدماء اوليائه ، طاعناً عليهم ، راغباً عن سنتهم ، مفارقاً لشرائعهم ، يبغيهم
الفوائل ، وينصب لهم المكاييد ، اخصرم حقداً عليهم ، وارصد عداوة لهم ، من التترك
وأثم الشرك ، وطواغي الملل ، يدعو الى المفسية والفرقة ، والمروق من الدين الى الفتنه ،
مختزعا بهواه الى الأديان المنحلة ، والبدع المنفرقة ، خساراً وتخسيراً ، وضلالاً
ونضليلاً ، بنير هدى من الله ولا بيان ، ساء ما كسبت يداه ، وما الله بظلام للعبيد ،
وبشما سولت له نفسه الامارة بالسوء ، والله من ورائه بالرصاد ، وسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون .

وقد رأينا بما نقلنا من جملة هذه عاد فأراد على الاعتصام بالمولى ، وادلى اليه
بالوسائل الى استصلاح عدوه من دون اهراق دم فقال له : « اعلم ان الظفر ظفران
احدهما أعم منفعة ، واباغ في حسن الذكر قالة ، وأحوطه سلامة ، وأتمه عافية ، وأعوده
عافية ، وأحسنه في الامور مورداً ، وأصححه في الرواية حزمًا ، وأسلمه عند العامة مصدراً ،
ما نيل بيسالة الجنود ، وحسن الخيلة ، ولطف المكيدة ، وعين النقبية ^(١) ، واستنزال
طاعة ذوي الصدوق ^(٢) ، بغير اخطار الجيوش في وقعة جرة الحرب ، ومنازلة الفرسان
في معترك الموت ، وان ساعدتك طلوق الظفر ، ونالتك منزلة السعادة في الشرف ، ففي
مخاطرة التلغف مكروه المصائب ، وعضاض السيوف ، وألم الجراح ، وقصاص الحروب
وسجاطها بمعاورة أبطالها ، على انك لا تدري لاي الفريقين يكون الظفر في البديهة ،
ومن المغلوب في الدولة ، ولعلك ان تكون المطلوب بالتحجيص ، فحاول ابانها في سلامة
جندك ورعينك ، واشهرهما صيتاً في بدو تدبيرك ورأيك ، واجمعها لآلفة وليك
وعدوك ، واعونهما على صلاح رعيتك ، واهل ملتك ، واقواهما شكيمة في حزمك ،

(١) النقبية النفس . (٢) الميل والانهيار .

وابعدهما من وصم عزمك ، واعلقهما بزمام النجاة في آخرتك ، واجزلهما ثواباً عند ربك .
 وابدأ بالاعذار^(١) الى عدوك ، والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وامر الجماعة ، وعري
 الأثمة ، آخذاً بالحجة عليهم ، متقدماً بالانذار لهم ، باسطاً امانك لمن لجأ اليه منهم ،
 داعياً لم اليه بالبين لفظك والطف حيلتك ، متعطفاً برأفتك عليهم ، مترفقاً بهم في
 دعائك ، مشفقاً عليهم من غلبة الفوارة لهم ، واحاطة الملكة بهم ، منفذاً رسلك اليهم
 بعد الانذار ، تعدم كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق ، وبسط كل امان
 سألوه لاقسهم ومن معهم ومن تبعهم ، موطنك نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء
 بعهديك ، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك ، قابلاً توبة تازعهم عن الضلالة ،
 ومراجعة مسيئتهم الى الطاعة ، مرصداً للمخاز الى فئة المسلمين وجماعتهم ، اجابة الى
 ما دعوته اليه ، وبصرته اياه من حقك وطاعتك ، بفضل المنزلة واكرام المثوى ،
 وتشريف الجاه ، وليظهر من اثرك عليه ، واحسانك اليه ، ما يرغب في مثله الصادق
 عنك ، المصير على خلافك ومعصيتك ، ويدعو الى اعتلاق حبل النجاة ، وما هو املك
 به في الاعتصام عاجلاً وانجى له من العقاب آجلاً وأحوطه على دينه ومعيبته بدء
 وعاقبة فان ذلك مما يستدعي به من الله نصره عليهم ويمتضد به في تقديمه الحجة اليهم
 معذراً او منذراً ان شاء الله .

وهنا اورد له الصورة التي يجب ان يتخذها لارسال عيونه وجواسيسه لمعرفة حال
 العدو وادراك نفسيته وما يرغب فيه « مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم
 التجربة ونجذتهم الحروب » وان الواجب ان يعظم امر عدوه لاكثر مما يلقه اخذاً
 بالحزم لئلا يكون غير مهين الجند ولا مفراطاً في الرأي ولا متلهناً على اضاءة تدبير
 ووضع له قاعدة ان يحذر جواسيسه انفسهم بما يأتونه به من اخبار عدوه وان لا يعاقبهم
 اذا اتهمهم في خبر حملوه ملتصقاً لهم بالاعذار ولعلمهم أوتوا من تدبير العدو ومكيدته .
 وقال :

« البسهم^(٢) جميعاً على الاتصاح وارجع لهم المطامع فانك لم تستعبدكم بمثله

(١) اعذر بالغ في العذراي في كونه معذوراً على ما اتاه . (٢) خالطهم .

وعدم جزالة الثواب في غير ما استنامة منك الى امر عدوك . « واعلم شأن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك عليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدرك منك فرطة وعقوبة الى احد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من انعمته على ذلك وابسط من آمالم فيك من غير ان تُري احداً منهم انك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له او عملت على رأيه عمل الصادر عنه او رددته عليه رد المكذب له والمتهم له المستخف بما اناك منه فنفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجتري عداوته واحذر ان يُعرف جواسيسك في عسكريك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين ممرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من اردت مشافهته منهم واعلم ان اعدوك في عسكريك عيوناً واحدة وجواسيس كامنة وان رأيه في مكيدتك مثل ما تكايد به وسيجتال لك كاحتيالك له ويعذل لك كل عدادك فيما تزاوله منه فاحذر ان يشهر رجل من جواسيسك في عسكريك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيصد له المراسد ويحنال له بالمكائد فان ظفر به فأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطالب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها واستعذاب اجتنائها من يبايهمها حتى يصيروا الى اخذها مما عرض من غير الثقة ولا الممانعة لقطاً لها بالاخبار الكاذبة والأحاديث المرجفة واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً فانك لا تأمن تواطئهم عليك ومما لأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وتطابقتهم على كذبك واصفاقهم^(١) على خيانتك وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك فاحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعاينهم مدار حركك وهو اول ظفرك .

وذكر له بعد هذا صفة من يوليه شرطته ، وان يكون اوثق قواده عنده وآمنهم نصيحة ، واقدّمهم بصيرة في طاعته ، واصدقهم عفاناً ، وان يبسط من امله مظهرأ عنه الرضا ، حامداً منه الابتلاء ، وبين له مهمته من الجيش وسلطته على الناس . وقال له ان يولي القضاء في عسكريه رجلاً من ذوي الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم

والوقار والعصمة والورع من حنكته السن ، وايدته التجربة ، ويكون ممن لا يداهن في القضاء ويعدل ، وان يجري عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه ، لينفوخ لما حملة ، ويعان على ما ولي ، وأشار له ان ينتخب لطلائعه ذري فجيحة وبأس وخبرة ممن صلوا بالحروب ، وشربوا مرار كدوسها ، وان ينتقيهم على عينه ، ويعرض كراهم^(١) بنفسه ، وبين له ما يصلح من الخيل والسلاح ووصف ذلك ابداع وصف . وحذره ان يكل مباشرة عرضهم وانتخابهم الى احد من اعوانه وكتابه ، لئلا يضيع مواضع الحزم ويقف دون عزم الروية ، لانهم حصون المسلمين وعيونهم وهم اول مكيدته ، وعروة امره ، وزمام حربه ، وان ينتخب للولاية عليهم رجلاً بعيد الصوت ، مشهور الاسم ، ظاهر الفضل ، له في العدو وقعات وصلوات ، وان يجري عليهم وعليه ارزاقاً تسعهم وتمد من اطاعهم سوى ارزاقهم في العامة . وبعد هذا قال له ان يولي دراجة عسكره واخراج امله الى مصافهم ومراكبهم رجلاً من اهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروفاً بالنجدة ذا سن وتجربة وان يضم اليه عدة نفر من ثقات جنده وذوي اسنانهم يكونون شرطة معه ثم يتقدم اليه في اخراج المصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وذكر له عمل هذا الرجل في الاخذ بالنافع لقيام امر الجيش ورقايته من العدو .

وذكر له ان يفوض الى امراء اجناده وقواد خيله امور اصحابهم رياضة منه لم على السمع والطاعة لامرائهم وحذره ان يعتل احد من قواده عايه بما يحول بينه وبين تأديب جنده لان ذلك مفسدة للجند وحذره استخفاف الجند بقوادهم لان ذلك يؤدي الى استخفافهم بامرهم وان يوعز الى قواده ان لا يقدموا على عقوبة احد الا عقوبة تأديب اما عقوبة القتل او اقامة حد في قطع او افراط في ضرب فلا يلي ذلك الا هو او صاحب شرطته بامرهم وعن رأيه واذنه .

وبعد ذلك بسط له لقاء العدو اذا شام طلائعه كيف يكتب خيوله وبعي جنده ويسير في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة شاهرين الاسلحة ناشرين البنود والاعلام عارقين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم معروفاً كل قائد اصحابه مواقفهم من الميمنة

(١) كراهم خيلهم .

والبدرة والقلب والساقة والطليعة ، ليكون كأنه عسكر واحد في اجتماعه على العدو ، فان ضلت دابة من موضعها عرف اهل العسكر من اي المراكز هي ومن صاحبها ، وفي اي المحل حلولة منها فردت اليه . واراده على ان يجعل على ساقته أوثق اهل عسكره صرامة ونفاذاً ، ورضاً في العامة ، وانصافاً من نفسه للرعية ، وان يجعل خلف ساقته رجلاً من وجوه قواده جليداً ماضياً عفيفاً صارماً شهم الرأي شديد الحذر غير مداهن في عقوبة ، في خمسين فارساً من خيله ، يحشر اليه جنده ويلحق به من يتخلف عنه ، وامره ان بعد العقوبة الموجعة ويستصفي الأموال ويهدم عقار كل من أدى إحداه من الجند او ستر موضعه او أخفى محله ثم قال :

ليكن رحيلك إباناً واحداً ، ووقتاً معلوماً ، لتخف المؤنة بذلك على جندك ، ويعلموا أن رحيلهم فيقدّموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم ، وأعطاف دوابهم ، وتسكن قلوبهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ، ويعلمون ذور الرأي الى إبان الرحيل ، ومنى يكون رحيلك مختلفاً ، تعظم المؤنة عليك وعلى جندك ، ولا يزال ذور السفه والنزق يترحلون بالارجاف ، وينزلون بالتوم ، حتى لا ينفع ذور رأي بنوم ولا طمانينة .

إياك ان تظهر استقلالاً ، او تنادي برحيل من منزل تكون فيه ، حتى تأمر صاحب تعينتك بالوقوف باصحابه على معسكرك آخذاً بجنبى فوهته بأسلحتهم عدة لا امر ان حضر ، او مفاجأة من طليعة العدو ان رأت منكم نهزة ، او لحقت عندكم غرة ، ثم مر الناس بالرحيل ، وخيلك واقفة ، وأهبتك معدة ، وجنتك واقية ، حتى اذا استقلتم من معسكركم ، وتوجهتم من منزلكم ، سرتم على تعينتكم بسكوت ريج ، وهدوء حملة ، وحسن دعة ، فاذا انتهيت الى منهل اردت نزوله ، او هجمت بالمعسكر به ، فايالك ونزوله الا بعد العلم باهله ، والمعرفة بموافقه ، ومر صاحب طليعتك ان يعرف لك أحواله ، ويستشير لك علم دينه ، ويستبطن علم اموره ، ثم ينهيها اليك على ما صارت اليه ، لتعلم كيف احتماله لمعسكرك ، وكيف ماؤه وأعطافه وموضع معسكرك منه ، وهل لك ان أردت مقاماً به ، او مطاولة عدوك ، او مكايده فيه ، قوة تجهلك ومدد يأتيه ، فانك ان لم تفعل ذلك ، لم تأمن من ان تهجم على منزل يعجزك ويؤعجك عنه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وانقطاع مواده ان أردت بعدوك مكيدة ، او انتهجت من امورهم الى

مطاولة ، فان ارتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ، ولم تجد الى المحاربة والاختار - بيلاً ، وان ائمت به ائمت على مشقة وحصر ، وفي ازل^(١) وضيق ، فاعرف ذلك وتقدم فيه ، فان أردت نزولاً امرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متخفية من معسكرك ، عدة لا سران غالك ، ومفرغاً لبدية انت راعتك ، فقد أئمت بحمد الله وقوته نجاة عدوك ، وعرفت موقعا من حرزك ، حتى بأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الاثقال مواضعها ، وبأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً يحيطين بمعسكرك ، وعدة ان احتجت اليها ، ولتكن دبابات جندك اهل جلد وقوة ، قائداً او اثنين او ثلاثة باصحابهم ، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم ، فاذا غربت الشمس ووجب^(٢) نورها أخرج اليهم صاحب تعبيتك أبدالم ، عسكاً بالليل في اقرب من مواضع دبابي النهار يتماور ذلك قوادك جميعاً بلا محابة لاحد فيه ولا إدهان .

وعلى هذا النحو وضع لولي عهد المسلمين مخطط الحركات الحربية ثم قال له ان يكون منزله في خندق او حصن ليأمن فيه يات عدوه ، وان يقطع لكل قائد ذرعاً معلوماً من الارض بقدر اصحابه ، فيخفروه عليهم خندقاً بطيفونه بعد ذلك بخمارق الحسك اي الأسلاك الشائكة . واذا طرقتهم طارق او فاجأهم عدو ان لا يتكلم احد رافعاً صوته بالتكبير ، والبشرعوا رماحهم ناشبين بها في وجوههم ، ويرشقونهم بالنبل مكشبين باترستهم ، لازمين لمراكزهم ، وان يكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون ، ليعرف مواضع عدوه من معسكره ، وان لا يشهروا سيفاً يتجالدون به ، بل يكون قتالهم بالرماح والنشاب « قد ألبدوا بالأتربة ، واستجنوا بالبيض ، والقوا عليهم سوابغ الدروع وجباب الحشو » وأراد ان لا يخمد نار رواقه ليسكن نافر قلوب عسكره ، وان عدوه اذا نكل عن الاصابة في جنده فعليه ان يتبعه جريدة خيل عليها الثقات من فرسانه . وتقدم اليه فوصف الحالة التي يجب على هؤلاء الثقات ان يكونوا عليها ، وهم يطاردون اعداءهم ، والمقاتل التي يجب على فرسانه ان يكونوا عليها ليغنوا غنائهم ، ووصف له صورة خيلهم وعددهم وسلاحهم وكيف يولي على كل مائة رجل منهم رجلاً من اهل

(١) الازل ضيق في العيش . (٢) وجبت الشمس غابت .

خاصته وثقاته ونصحائه « له صيت في الرياسة وقدم في السابقة ، واولية في المتابعة ، وبتعهدهم ودوابهم وسلاحهم ليكونوا كرجل واحد في التشمير وسرعة الاجابة عند الطلب » .
وقال له : ان يوكل ينجرائه ودواوينه رجلاً ناصحاً أميناً ويجعل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزلها ومرحلها مع خزائنه وحولها ، ويكون عامة الجند والجيش منجيين عنها لئلا تحدث فرقة فينتهب الجند انفسهم الخزانة .

وبعد ان نحا هذا المنهى ختم هذه الرسالة العذراء بان يعمد الى الحيل اولاً لا الى القتال وان يدس الى عدوه ، ويكاتب رؤساءهم وقادتهم ، ويعدهم ويمنيهم ، ويقطع اعناقهم بالمطامع . وقال له : ولا عليك ان تطرح الى بعضهم كتباً كأنها جواب كتب لم اليك ، وتكتب على السنتهم كتباً اليك تدفعها اليهم ، وتحمل بها صاحبهم عايبهم ، وتنزلم عنده بمنزلة التهمة ومحل الظنة ، فلعل مكيدتك - في ذلك ان يكون فيها اقتراق كلمتهم - وأتم الرسالة بما يجب عليه وعلى جيشه من ذكر الله عند المصاولة وان لا يظهر الجند تكبيراً الا في الكرات والحملات ، اما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن ، وان يكون في معسكره المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة يحضون الناس على القتال ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ، ونعيم اهلها وسكانها .
وكتب هذا الكتاب سنة تسع وعشرين ومائة قبل زوال ملك بني أمية من الشرق بثلاث سنين .

عرفنا كما رأيت من هذه الرسالة اموراً كثيرة من شؤون تلك الايام ، ونمط حروبها ، والاخلاق الغالبة على اهلها ، ما لا نعرف بعضه بالرجوع الى الكتب المطولة والاحاديث المنشورة ، ودل بها عبد الحميد الاكبر انه رجل الدولة الاموية ممن قد ينبغ مثلهم اواخر الدول فيكونون لها امراجا وهاجا ، وتطفأ شعلتهم بانطفاء شعلتها .

وعرفنا بهذا القليل من الصفحات التي ابقت عليها العصور من كلام امام المفكرين نفسه وعقله بما لا تنهض بغيره التراجم المطولة التي يكتبها اصحابها فيمن لم يعرفهم ولم يماشروهم ، فيترجمون لهم كما يترجمون لغيرهم ، وبعض التراجم اذا ازلت منها جملاً معينة تليق ان تلبس على جسم اكثر الناس وروحهم - وترجمة المرء من كلامه افعل اثرأ واصدق قيلاً .

رسالته الى الكتاب ومن اشهر ما خلفته العصور من رسائل عبد الحميد بن يحيى رسالته الى الكتاب ننقلها عن اقدم مصدر لها وهو كتاب الجهشيارى وقد نقلها ابن خلدون في مقدمته الا انه لم تصل اليه برمتها . قال صاحب تاريخ الوزراء وجدت بخط سيمون بن هرون لعبد الحميد كتاباً الى الكتاب اطال فيه الا انه اجاد فلم استجز اسقاط بعضه ، وكتبته جميعه على طوله لان الكاتب لا يستغني عن مثله وهو :

اما بعد حفظكم الله يا اهل هذه الصناعة وحاطكم ووفقكم وارشدكم ، فان الله عز وجل جعل الناس من بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المؤمنين سوقاً ، وصرفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم ، فجعلكم معشر الكتاب في اشرفها صناعة : اهل الادب والمروءة والحلم والروية ، وذوي الاخطار والهمم ، وسعة الذرع في الفضال والصلة ، بكم ينظم الملك ، وتسقيم للولاء امورهم ويتدبركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم ، ويجمع فيهم وتعمر بلادهم ، يحتاج اليكم الملك في عظيم ملكه ، والوالي في القدر السني والدني من ولايته ، لا يستغني عنكم منهم احد ، ولا يوجد كاف الا منكم ، فموقعكم منهم موقع اسماعيل التي بها يسمعون ، وابصارهم التي بها يبصرون ، والسنتهم التي بها ينطقون ، وايدهم التي بها يبطشون ، انتم اذا آتت الامور الى موثلها ، وصارت الى محاصلها ، ثقافتهم دون اهلهم واولادهم وقربائهم ونصحاءهم ، فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا تزع سربال النعمة عليكم .

وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى استخراج خلال الخير المحموده وخصال الفضل المذكورة المعدودة . ايها الكتاب ان كنتم على ما سبق به الكتاب من صنعتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ، الى ان يكون حليماً في موضع الحلم ، فقيهاً في موضع الحكم ، مقدماً في موضع الاقدام ، ومحجاً في موضع الانحجام ، ليناً في موضع اللين ، شديداً في موضع الشدة ، مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف ، كتوماً للأسرار ، وفيماً عند الشدائد ، عالماً بما يأتي ويذر ويضع الامور في مواضعها ، قد نظر في كل صنف من صنوف العلم فأحكمه فان لم يحكمه شداً منه شدواً يكتني . يكاد يعرف بفرزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته

ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر قبل صدره فيعد لكل امر عدته ويعي لكل امر أهيته فتنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والادب ونفقوها في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل ، والفرائض ثم العربية فانها ثقاف التفننكم ، وأجيدوا الخط فانه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها ، وابام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ما تسمون به بعممكم ، ولا يضعفن نظركم في الحساب ، فانه قوام كتاب الخراج منكم ، وارغبوا بانفسكم عن المطامع منيها ودنيها ، ومساوي الامور ومحافرها ، فانها مذلة للرقاب ، مفسدة للكتاب ، وتزهوا صناعتكم ، واربؤوا بانفسكم عن السماية والنخيمة ، وما فيه اهل الجهالة والدناءة ، واياكم والعكبر والمظمة ، فانها عداوة مجتلية بنير إحنة ، وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصلوا عليها فانها شيم اهل الفضل والتبل من سلفكم .

وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه ، وواسوه حتى ترجع اليه حاله ، وان اتفقد الكبر احدكم عن مكسبه ، ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه ، واستظهروا بفضل رأيه وتجربته ، وقديم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه ، أحذب وأحوط منه على اخيه وولده فان عرضت في العمل محمدة فليضفها الى صاحبه ، وان عرضت مذمة فليجملها من دونه ، وليحذر السقطة والزلة ، والملال عند تغير الحال ، فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى المرأة ، وهو لكم اشد منه لها ، فقد علمتم ان الرجل منكم قد يصف الرجل اذا صحبه في بدء امره من وفائه وشكوه ، واحتماله وصبره ونصيحته ، وكنمان سره وعفافه وتديبره ، بما هو حوري ان يحققه بفعاله في غير حين الحاجة الى ذلك منه ، فابذلوا وفقكم الله ذلك من انفسكم ، في حال الرخاء والشدّة ، والحرمان والمواساة ، والاحسان والاساءة ، والغضب والرضا ، والسراء والضراء ، فتمت السمة هذه لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة ، فاذا ولي الرجل منكم وصيثر اليه من امور خلق الله وعباده امر ، فليراقب الله تعالى ذكره ، وليؤثر طاعته فيه ، وليكن على الضعيف رفيقا والمظلوم منصفا ، فان اخلق عباد الله ، وأحبهم اليه أرفقهم بعباده ، ثم ليكن بالحق حاكما ، وللأشراف مكرما ومداريا ، وللقبيح وفرا ، وللبلاذ عامرا ، وللرعية متألفا ، وليكن في مجلسه متواضعا حليما ليئا ، وسيف

استجلاب خراجهم واستقصاء حقوقه رقيقاً .

واذا صحب احدكم الرجل فليستشف خلائقه كما يستشف الثوب ليشتريه انفسه فاذا عرف حسنيتها وقبيحها أعانه على ما يوافق من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة واحسن مداراة ورفق فقد عرفتم ان سائس البهيمة اذا كانت حاذقاً بسياسة التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً اتقاها من رجلها وان كانت جهوحاً لم يهجمها اذا ركبها واذا كانت شמושاً توقاها من ناحية يدها وان خاف منها عضاضاً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونأ لم يلاحها وتبع هواها في طريقها وان استمرت عطفها فيسلس لها قيادها . ومن هذا الوصف من سائس البهيمة ورفق سياسته . دليل وأدب لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وصحبهم .

والكاتب بفضل رأيه وشرف صناعته ، ولطيف حيلته ومعاملته ان يجاوره وينظره ، ويفهم عنه ويخاف سطونه ، ادلى بالرفق بصاحبه ومداراته ونقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ، ولا تعرف خطأ ولا صواباً ، الا بقدر ما يصيرها اليه سائسها ، وصاحبها الراكب لها فأدقوا يرحمكم الله النظر واعملوا فيه الروية والفكر ، تأملوا ممن صحبتهم باذن الله النبوة ، والاستشقال والجفرة ، و بصيروا .كم الى الموافقة وتصيروا منهم الى المواساة والشفقة ان شاء الله .

ولا يجوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره — قدر صناعته فانكم مما فضلكم الله به من شرف صناعتكم خدم لا احتملون في خدمتكم على التقصير وخزان وحفظة لا يحمّل منكم التضييع والتبذير واسعيتنوا على عفافكم بالقصد في كل ما عددت عليكم فتم العون عونكم على صيانة دينكم وحفظ امانتكم وصلاح معاشكم واحذروا مثالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب واللامور اشباه وبعضها دليل على بعض . فاستدلوا في مؤنث اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها بحجة . وارجعها حجة وحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة وضداً^(١) واقية لا يجتمعان في احد ابداً وهو الوصف الشاغل لصاحبه على

(١) كذا وفي رواية « واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل الخ .

انفاذ عمله ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلس تدبيره قصد الكافي في منطقته وليقصد في كلامه وليوجز في ابتدائه وليأخذ بمجامع حججه حجتة فان ذلك مصلحة لعقله وبحجة لذهنه ومدفعة للنشأغل من اكثاره وان لم يكن الاكثار عادة ثم وضع موضعه في ابتداء كتاب او جواب عند الحاجة فلا بأس ولا يدعون الرجل منكم صنع الله تعالى ذكره له في امره وتأنيده اياه بتوقيفه الى العجب المضر بدبته وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان ذلك الصنع لفضل حيلته واصالة رأيه وحسن تدبيره كان متعرضاً لان يكله الله الى نفسه فيصير منها الى غير كاف ولا يقل احد منكم انه آدب واعقل واحمل لعب التدبير والعمل من اخيه في صناعته فان اعقل الرجلين عند ذي الالباب القائل ان صاحبه اعقل منه واحتملها الذي يرى انه اعقل من صاحبه لعجب هذا بنفسه ونبد ذاك العجب وراء ظهره اذ كان الآفة المعظمى من آفات عقله ولكن قد يلزم الرجل ان يعرف فضل نعمة الله عليه من غير عجب برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكابر على اخيه وكفته و يشكر الله ويحمده بالتواضع لعظمته . وانا اقول في آخر كتابي هذا ما سبق به المثل « من يلزم الصحة يلزمه العمل » وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وختمته به تولانا الله واياكم معشر الكتاب بما يتولى به من سبق علمه في سعاداته وارشاده فان ذلك اليه وبهده والسلام عليكم ورحمة الله » .

وبهذا الكتاب ايضاً عرفنا منازع عبد الحميد وادبه . وانه يريد ان يجعل من الكتابة صناعة شريفة نفيد الناس ونفيد الآخذين انفسهم باديها وان الكتابة تحتاج الى ادوات كثيرة ذكرها مفصلة ولا بد بعد الاضطلاع باعباء ما يلزم لها من العلوم ان يلم الكاتب بكل موضوع ولو الماما خفيفاً ومن احلى ما في رسالته ان يسترشد الصغار منهم بالكبار الذين سبقوهم في هذه الصناعة وبتعهدوهم وبمملوا بشورتهم فلا عجب بعد هذا ان كانت لعبد الحميد من كتابته مدرسة خاصة مازال الناس يأخذون منها في العصور التي تلتها وقلما حادوا عنها بخال لانها معقولة مقبولة تنفع صاحبها في كل زمن وقد صدرت عن عقل عظيم جداً فجزته التجارب وأيده العلم الفزير والادب النخير .

نعم ألبس عبد الحميد في الثلث الاول من القرن الثاني هذا الانشاء العربي حلة جديدة

فيها المتانة وفيها الرشاقة واكثر ما بدا في تضاعيفها الاطالة في غير ما املال من مجمع
 ونوعيم انشاء يسير مع الطبع ومع الطباع التي تواءم اهل الحضارة ممن يفصلون
 وبتوسعون و يعيدون و يبدون ومقاصدم تقوم حول التأثير في اذهان السامعين والقارئین .
 وبلوغ الغاية من تأليف الدول وانتظام الجماعة ولم تكن هذه الطريقة في الكتابة فيما بلغنا
 مألوفة في عامة دور الأمويين لان هؤلاء عرب الخاج وكتابتهم على شاكلتهم يحاولون
 بالايجاز في مكتوباتهم ان يتركوا للقاري شيئا من المعاني يفسرها بما يريد ويمتعه به بشيء
 من الحرية ينطلق فيها على ما يرى فيه المصلحة فيكون لديه المختصرات والنفاصيل من
 المطولات تفهم بذاتها . ومن المحقق ان عبد الحميد اقتبس هذه الطريقة من الامم المجاورة
 لاسيا الفرس ممن لم تكن حضارتهم حضارة ابتدائية كالعرب بل فيها المطول المسهب
 والمنشعب المتعبد ولقد احتاج العرب بعد توسعهم في الملك الى تقرير المسائل على جليتها
 لا بعتورها للبس ولا إشكال ومن مواجب الحضارة الاسباب ومن دواعي البداوة الاقتضاب .
 فبعد الحميد اذا تشعب بروح لدولة وروح حضارتها التي بلغت في ايامه أعلى قممها ورسم
 بيراغته صورة ما احاط به واقنضاه الحال ولو حاول بعد ان بلغت الامة ما بلغت من درجات
 التقدم في كل شأن من شؤون المجتمع ان يعود بالكتابة الى ايجازها القديم لما افاد
 جديدا ، ولما رجع ذاك الصدى في سلطان دولته ، ولما وصف محيطه حق وصفه . ومن
 الصعب ان يتعدى المرء حدود البيئة ، ولا عليه فيما اتاه مادامت حال الدولة تتطلب
 القاء الخطا الى الامام ، وان تجدد اوضاعها على ما تقتضيه المصلحة ، وطبيعة الملك والحضارة ،
 على ان لا يهدم في عملة أصلا من الاصول القديمة . وفي هذا كان جماع المكانة التي بلغها
 عبد الحميد بانشائه فهو مخترع طريقة ، وكان صاف على الحقيقة ، استجمع كل شروط
 البلاغة فقد امير المنشئين غير مدافع ، واستطاب الناس الى يومنا هذا أسلوبه المحجب
 المطرب ، واين من يشا كله فيه ، او تسمو قريحته الى مستوى ذاك النابغة في فنون
 الانشاء ، الداهية في حسن التصرف على ما يشاء .

محمد كرد علي

ابو عمر الزاهد (١)

غلام ثعلب العدة خطة اللغوي المحدث
« وكتاب المداخل له »

نبغ للمسلمين في منتصف القرن الثالث من الهجرة علماء من كبار الاعلام ورحلتان
عليهما المآل عند الاختلاف والمفزع في الخلاف . فأخذ طلاب العلوم يهرعون اليهما
من كل صقع وينسلون من كل حدب . وهما حاملوا لواء العربية ببغداد ومنندي أهلها .
وعليهما انتهت رئاسة العربية واليهما كان مرجع علماء المصريين (البصرة والكوفة) في
تحقيق المسائل وتقييد الروايات كما قال :

أيا طالب العلم لا تجهلن وعُذْ بالمبرّد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الوري فلا تك كالجلجلاج

تخرج لهم من جهازة التلامذة من ملأ والآفاق وبثوا فيها من كل علم ما رقى
وراق . وكان القرن الثالث للإسلام هو الذهبي من جهة استقرار الخلافة وتوطد الإمامة
في قرارتها في انحاء المعمور الشاسعة ثم أخذ ظاهها الوارف بتقلص عن الاطراف وينضوي
الى ما استطف من مراكز الخلافة غير ان بزور العلم التي ثروها واشجار الحضارة العربية
التي غرسوها لم تكن لتذوى او تذبل بعد ما سقوها من ينابيع عنايتهم الجارية وفيوضها
الهامة المتوالية فنضرت وزهرت بما لم يخطر في الحساب والظنون واثرت واينمت
على هنات هناك وشجون .

فمن تخرج على المبرّد الزجاج وابن السراج وابو علي الطوماري وابو بكر ابن ابي
الأزهر وابن درستويه وأبو علي الصغار وأبو جعفر الصغار .

ومن أخذ عن ثعلب ابن الانباري وابو عمر الزاهد غلامه وابو موسى الحامض كبير
أصحابه وابراهيم الحربي وأبو عبد الله البريدي وابن مقسم .

ومن أخذ عنهما أو خلط بين المذهبين ابو حسن الاخفش ثالث الأخافض واضفرهم

وتقطوبه وابن كيسان والصولي وابن المعتز .

ثم برع لهؤلاء من التلامذة من فاقوا عليهم وتصدروا للرئاسة وأنافوا وبرزوا وطار لهم دوي^(٢) في اكناف البسيطة كأبي علي الفارسي والسيرافي والزجاجي وأبي الطيب اللغوي وابن خالويه والرماني وابن فارس والازهرى الى غيرهم .

ولكن مما لا يستهان به في مثل هذا المقام ان ابا عمر الزاهد مع شهرته لم يطبع الى الآن شيء من تأليفه الخطيرة التي هي مادة اللغة وينبوعها الصافي ولا عُرف بالبقاء منها غير فائت النصيح عند بعض منخلي العلم بدهلي وغير العشرات بمخزاة برلين وغير هذا الكتاب الذي نحن بصدده مع ان ثلاثة منها غير هذه كانت توجد الى آخر المائة (١١) كما تراه في الثبت . وهذه النسخة قريبة فيما بلغه علمي وأحاطه نظري توجد بمخزاة رامبور (الهند) في ١٣ صفحة وهي حديثة غير مضبوطة^(١) ولا عاربة عن الأغلاط بخط وسط ولم يثبت عليها تاريخ نسخها غير اني أقدر نظراً الى نوع خطها وورقها ان تكون كتبت سنة آخر المائة الثانية عشرة للهجرة نسختها في جلستي الصباح والمساء في بعض ايام شوال سنة ١٣٤٦ هـ (٣ ابريل سنة ١٩٢٨ م) .

وثبت على النسخة ترجمته (بكتاب المداخلات) والمجمع عليه (المداخل) انظر فهرستي النديم وابن خير والوفيات وكشف الظنون واما العلاء^(٢) وما اليه عن الغفران ومعجم الأدباء وغيرها . قال خليفة انه مختصر في اللغة وعليه (زيادات) وهو احدى ثلاثون باباً سبعة منها زيادات عليه . قال العاجز الموجود في نسختنا ونحاشاها من الخرم الحادث ثلاثون فقط . فلعل خليفة غلط في الحساب او يكون اصل نسخة رامبور مقتضباً .

وهذه الزيادات لم يذكرها احد ممن ترجم لأبي عمر . نعم ذكروا له عايه كتاباً آخر رسمه عند ابن النديم (حل المداخل) وعند باقوت (حل المداخل) وفي الوفيات (علل المداخل) . وليس في نسختنا علامة تدل على إفراز الزيادات عن الاصل .

ولأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي صاحب مراتب النحويين كتاب في مثل هذا المعنى سماه شجر الدر ذكر أبو العلاء^(٣) انه سلك فيه مسلك أبي عمر في المداخل

(١) والذي يظهر لي ان اصلها كان مصححاً . (٢) من ٦٤ .

تري فصلاً منه بآخر هذه الطبعة . وهذا النوع يسمى المشجر وهو يسهل على الابناء حفظ اللغة ويناظره من علم الحديث المسلسل وقد سمي ابو الطاهر محمد بن يوسف التميمي^(١) صاحب المقامات^(٢) اللزومية المتوفى سنة ٥٣٨ هـ كتابه المسلسل في اللغة الذي يوجد منه نسخة عتيقة مكتوبة سنة ٥٦٥ هـ في الخزانة المصرية قال ابن خبير وهو في معنى المداخل .

وهذا اسناد الكتاب^(٣) لابن خير الاشيلي الى المؤلف قال : حدثني به الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المزجمي رحمه الله قال حدثني به الوزير ابوبكر محمد بن هشام بن محمد المصفي رحمه الله قال حدثني به ابي رحمه الله وابو الحسن علي بن محمد بن ابي الحسين وابوبكر محمد بن خشخاش وابو الحسن الزهري المفسر قراءة منه عليهم قالوا كلهم حدثنا به ابو سليمان^(٤) عبد السلام بن السمع قراءة عليه قال قرأته باليمن علي ابي عبد الله الحسين بن احمد بن بريهة العباسي قال قرأته علي ابي عمر المطرز رحمه الله . قال ابوبكر المصفي قال لي ابي رحمه الله كانت قراءة أبي له علي ابي سليمان بالمدينة الزهراء سنة ٣٧٩ هـ قال ابو بكر المصفي وابو سليمان هذا من اهل مورور هواري النسب رحل الى المشرق وأقام بها مدة طويلة وحج ولقي جماعة من اهل العلم وثقته وكان حفظه لمذهب الشافعي أغلب عليه فعرف وأحكم قراءة القرآن على القراء وروى كتباً كثيرة فلما انصرف من المشرق أنزله الحكم بالزهراء ووسّع عليه فصار زهراوياً مستوطناً بها الى ان مات وفيها قرأ الناس عليه واخذوا عنه وكان يروي عن المطرز نفسه كتبه ما خلا المداخل فانه لم يدرك قراءته عليه فقراء باليمن عند انصرافه عن العراق علي ابن بريهة من أئمة جامع بغداد . قال الوزير ابوبكر المصفي كنت أقرأ المداخل علي ابن خشخاش

(١) ترجم له ابن بشكوال رقم ١١٧٥ وابن الأبار في معجم اصحاب الصدي رقم ١٢٤ وصاحب البغية ص ١٢٠ . (٢) بقي منها نسخة بدير الاسكوريال ونسختان بجامع اللالاهلي بالقسطنطينية وُصفتا بالزهراء ص ٤٠٢ سنة ١٣٤٥ هـ وذكر المقامات في تكملة ابن الأبار رقم ١٧٢٢ وتحت ٣١٢ من طبعة الجزائر وفي المعجم المذكور تحت ٢٦٦ والمعاهد ٢ : ١٠٦ . (٣) ص ٣٥٨ . (٤) ترجم له ابن الفرضي رقم ٨٥٥ قال توفي سنة ٣٨٧ هـ .

وصاعده اللغوي حاضر اذ كان جارنا ببیت بلد (كذا) وكنت أنخط في ذلك الوقت عن القراءة عليه لعمر سني فكان جدي رحمه الله يشير على ابن خشخاش بان تكون قراءتي عليه وقت حضور صاعد فرمما يرد علي فيما أقرأه ويسبقتني الى قراءة بعضه وكان صاعد قرأ المداخل بمصر على الوزير ابي الفضل^(١) جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى ابن الفرات المعروف (بابن) حنزابة عن ابي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز قراءة عليه ببغداد وكان ابن حنزابة لا يفارق صاعداً يسامره .

وحدثني به ايضاً اجازة الشيخ الوزير ابو الوليد احمد بن عبدالله بن طريف رحمه الله قال اخبرني به ٠٠٠٠ ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبجي قراءة عليه عن ابي بكر فضل ٠٠٠٠ بن محمد بن فضل الكاتب عن ابي سليمان عبد السلام بن السمح الزهرادي الشافعي عن ابي عبد الله الحسن^(٢) بن احمد بن يريهة لقيه باليمن عن ابي عمر (الزاهد) رحمه الله .

[٠٠٠٠] وحدثني به ايضاً غير واحد من شيوخي رحمهم الله منهم ابو الحسن علي ابن عبد الله بن موهب وابو عبد الله محمد بن سليمان النفزي رحمهم الله عن الشيخ ابي العباس احمد بن عمر بن أنس المدرسي ثم الدلائي قال حدثني به ابو بكر محمد بن سعيد بن سخويه الاسفرائني قال حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن بُندار البارع الضمير باصفهان سنة ٣٧١ هـ قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد المطرز الزاهد المعروف بغلام ثعلب مؤلفه رحمه الله اهـ .

قال العاجز وابو عبد الله العباسي هو راوي نسختنا عن ابي عمر جاء ذكره في الباب الثامن عشر .

ترجمة ابي عمر ٢٦١ - ٣٤٥ هـ عن فهرست ابن النديم ٧٦ و ٧٧ ونزهة الألباء للكمال ابن الأنباري (٣٤٥ - ٣٥٤) ومعجم الادباء (٧ : ٢٦ - ٣٠) ووفيات

(١) وهو الذي اساء المنني اليه اذ قال :

بها نبطي من اهل السواد يُدبرس انساب اهل الفلا

(٢) وفيما تقدم الحسين ولم أقف على ترجمته .

الأعيان سنة ١٣١٠ هـ (١ : ٥٠٠ و ٥٠١) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ٨٤-٨٦) وطبقات الشافعية لابن السبكي (٢ : ١٧١) ولسان الميزان لابن حجر (٥ : ٢٦٨) وبغية الوعاة (٦٩) وغيرها .

اسمه ونسبه وبلده = هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم الباوردي المطرز الزاهد غلام ثعلب . لم يزد احد من مترجميه شيئاً على هذا وهو بغدادى المنشأ قال النديم وكان ينزل في سكة ابي العنبر وجاء عنده بعد أسطر (منه ابي العنبر) ولم يذكرهما يافوت في معجمه . و باورد الذي نسب اليه هو بليدة خراسان أيورد التي منها ابو المظفر الأيووردي الشاعر وكانت صناعة ابي عمر تطريز الثياب فسمي من اجل ذلك المطرز و ابو عمرو بالواو والمطرزي بياء النسبة على ما جاء في خزائن البغدادى تصحيفان . ولم يذكره السمعاني في ترجمة المطرز من أنسابه قال ابن خلكان ولكن ذكره في ترجمة غلام ثعلب أقول ولكني لم أجده في طبعة الانساب لاني غلام ثعلب ولا في الباوردي ايضاً . واما تسميته بالزاهد فما أدري ما وجهه غير ان ابا بكر بن خير الاشيلي روى بسنده الى ابي ذر الهروي أنه قال ابو عمر المطرز الزاهد زاهد في الدنيا والآخرة ولعله كما قال ^(١) ابو نصر المنازي وقد شكاه ابو العلاء حسد الناس وكذبهم عليه « على ماذا حسدوك فقد تركت لم الدنيا والآخرة » فقال ابو العلاء والآخرة ١١١ وجعل يكررها اي انه نبز أبا عمر وآذاه بالطمع .

شيوخه وتلامذته = صحب ابا العباس احمد بن يحيى ثعلباً زماناً طويلاً وأكثر من النقل عنه ولذلك سمي غلام ثعلب ويظهر من البواقيت انه اخذ عن المبرّد ايضاً وقال النديم ^(٢) في كتاب الألفاظ لكثوم بن عمرو العنابي انه رواه ابو عمر الزاهد عن المبرّد قال وهذا طريق . وسمع الحديث من مومني بن سهل الوشاء ومحمد بن يونس الكديمي واحمد بن عبيد الله الترمذي وابراهيم بن الهيثم البلدي واحمد بن سعيد الجبال وبشر بن موسى الاسدي وجماعة غيرهم . روى ابن ^(٣) القارح عن شيخه ابي الطيب

(١) انظر ابو العلاء وما اليه من ٢٢٣ . (٢) من ١٢١ .

(٣) رسالته سنة ١٣٣١ هـ من ٢١١ .

اللفوي قال : قرأت على أبي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً وقال لي أبو عمر كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف واجلس على دجلة أحفظها وارمي بها . قال الذهبي ولا أعلمه رحل .

أخذ عنه أبو علي الحاتمي الأديب من علماء حفصة سيف الدولة وصاحب الرسالة الموضحة لكشف مساري المتنبي وأبو القاسم ابن بزحان (بفتح الباء) وأبو علي القائي وابن خالويه وأبو اسحق^(١) الطبري وهو غلام^(٢) أبي عمر الزاهد وأبو عبيد الله المرزباني صاحب الموشح وأبو الفضل ابن حنابلة المحدث وزير كافور وأبو عبد الله الحسين^(٣) بن أحمد بن بريهة العباسي راوي نسختنا من المداخل عن أبي عمر وأبو سليمان عبد السلام بن السمع الموروري الشافعي راوي تأليف أبي عمر عنه ما خلا المداخل فإنه أخذ عنه عن أبي عبد الله العباسي عن أبي عمر وهو الذي أدخلها الاندلس وأبو الفتح عبيد الله بن أحمد النخوي جفجج صاحب ابن دريد وراوي جمهرته وأبو محمد الصفار وأبو محمد ابن سعد الطبراني وأبو محمد الحجازي (ولعله وهب) وأبو الطيب اللغوي وآخرون وجعفر بن محمد بن جعفر الطيالسي صاحب المكاثر عند المذاكرة وأبو بكر أحمد بن إبراهيم المقرئ الجلاء (؟) وأبو الحسين بن بشران .

وروى عنه أبو الحسن محمد بن^(٤) رزقويه والحاكم وابن منده والقاضي أبو القاسم بن المنذر وأبو الحسين بن بشران وعلي بن أحمد الرزاز وأبو علي بن شاذان وهو آخر من حدث عنه ومحمد^(٥) بن أحمد بن القاسم الحاملي .

قال الذهبي قرأت على أبي المعالي أحمد بن اسحق المؤبدي أخبركم ظنير بن سالم بيفداد أخبرنا هبة الله بن أحمد الشبلي سنة ٥٥٧ أخبرنا أبو الفنائم محمد بن علي بن الحسن سنة ٤٧٨ أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم الحاملي سنة ٤٠٧ أخبرنا أبو عمر الزاهد أخبرنا

(١) لعله هو الذي سماه ابن خير كما مرّ أبا اسحق إبراهيم بن بنداز البارع الضرير

(٢) نشوار المحاضرة ١٤٤ . (٣) من عند ابن خير وجاء عنده أخرى الحسن .

(٤) وفي بعض الكتب بتقديم الزاي وفي بعضها رزق . (٥) كذا عند الذهبي وعند

ابن السبكي أحمد بن عبد الله الحاملي .

موسى ابن سهل الوشاء اخبرنا اسحق الازرق اخبرنا سفيان عن عاصم ابن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يصور عبد صورة الاقيل له يوم القيامة احى ما خلقت .

قال الخطيب سمعت غير واحد يحكي ان الاشراف والكتاب واهل الادب كانوا يحضرون عند ابي عمر الزاهد ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها وكانت قد جمعت جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن احداً من السماع منه حتى يبتدىء بقراءة ذلك الجزء قال ابن حجر رأيت وفيه اشياء كثيرة موضوعة والآفة فيها عن غيره . ولكن النديم غالى لتشيعه في الطعن عليه فقال « كان نهاية في النصب والميل على علي عايد السلام وكان يقول انه شاعر مع عاميته فمن شعره :

اذا ما الرفض الشامي تمت . معايبه تختم في يمينه
فأما ان اتاك بسمت وجه . فان الرفض باد في جبينه

و يكفيه جهلاً هذا الشعر » . أقول : ان جمع فضائل معاوية لبس من النصب في شيء غير ان النديم قد صرح محضه عن زبده وابدى بما عنده والبيتين اظنهما مخولين لضعف بينهما ولأن الرفض والتختم باليمين لم يكونا مخصوصين بالشام وهو الذي عانى المتاعب حتى بعد وفاته كما سيأتي على ايدي روافض الكرخ . وثراء في الباب الاول يسمي علياً باهر المؤمنين وفي الساب التاسع عشر بولي الله وحبيبه . ويأتيك بيت لأبي عمر يدل على انه وان لم يكن شاعراً الا انه لم يكن بلغ هذا المبلغ على ان هذه الشكاة كما قيل :

فلأبي عمر أسوة بخيار علماء العربية المنبوزين بذلك قال ابو علي^(١) النخعي اكثر رواة العرب فيما بلغني عنه . إما خوارج وإما شعوبية كأبي عبيدة معمر بن المثنى وابي حاتم سهل السجستاني وعلان وعلان وعدد جماعة ومنهم ابو خليفة الجهمجي وياقوت الحموي . وقال ابن حجر بعد ان نقل بعض قول النديم قلت هذا أوضح الأدلة على ان النديم رافضي لان هذه طريقتهم يسمون اهل السنة اهل الرفض خاصة وقال في ترجمة النديم انه

غير موثوق به ومصنفه المذكور ينادي على من صنفه بالاعتزال والزيف نسأل الله السلامة وتقل عن تاريخ الاسلام للذهبي انه معتزلي شيعي ثم قال لما طالع كتابه ظهر لي انه رافضي معتزلي فانه يسمي اهل السنة الحشوية ويسمي الأشاعرة المجبرة ويسمي كل من لم يكن شيعياً عامياً ثم ذكر جملة من افتراءاته وافتياتاته .

كرمه مع ضيق ذات يده - قالوا ان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه عن اكتساب الرزق والتحصيل له فلم يزل مضيقاً عليه يتجرع غصص الحياة النكداء ويلتمص بالدقواء على رنجار كريم وطبيب عنصر وخيم . حدث عباس بن محمد الكلواذاني قال سمعت ابا عمر الزاهد يقول ترك قضاء حقوق الاخوان مذلة وفي قضائها رفعة فاحمدوا الله تعالى على ذلك وسارعوا في قضاء حوائجهم ومسايرهم فكافؤوا عليه . وقال تلميذه الحاتمي اعتللت فتأخرت عن مجلس ابي عمر الزاهد قال فسأل عني لما تراخت الايام فقيل له انه كان عليلاً نجساً في من الغد يعودني فاتفق ابي كنت قد خرجت من داري الى الحمام فكتب بخطه على بابي باسفيداج :

وأعجب شيء شمعنا به عليل يعاد فلا يوجد

قال والبيت له . وقال ابو الحسن المرزباني انه كانت ابن ماسي ينفذ الى ابي عمر الزاهد وقتاً بوقت كفايته فقطع ذلك عنه مدة لغدر ثم انقذ اليه جملة ما كان في راتبه وكتب اليه رقعة يعتذر اليه من تأخير ذلك فردّه وأمر بعض من كان عنده من اصحابه ان يكتب على ظهر رقعة :

اكرمنا فلكنا وتركنا فأرحنا

وايم الله ان هذا هو الغف ولكن الذهبي قال انه وان كان الامر كما قال لكنه لم يحسن الرضا فقد كان غمك بالاحسان القديم فما تغير التملك واما التأخر فجبره المحسن بتكيله وباعتقاره قلت ولكنه انتمز فرصة فكالك الرق فقد احسن الى نفسه اذ لم يحسن الى غيره . قال الخطيب وابن ماسي لا شك انه ابراهيم بن ايوب والد ابي محمد .

سمة حفظه وسيلان ذهنه بحيث جرّبه تهمة التزبد والاختلاق وبعض فضائله -

عده ابو بكر^(١) الزبدي في الطبقة الخامسة من الغويين الكوفيين . قالوا انه كان اكثر ما يلى تصانيفه يلقبها بلسانه من غير صحيفة وكان كما قال^(٢) علي ابن ابي علي عن ابيه ومن الرواة الذين لم يرقط احفظ منهم ابو عمر الزاهد املنى من حفظه ثلاثين الف ورقة في اللغة فيما بلغني وكان لسعة حفظه يطمعن عليه بعض اهل الادب ولا يوثقونه في علم اللغة حتى قال عبيد الله ابن ابي الفتح (او الازهر كما هو في لسان الميزان) لو طار طائر في الجول قال ابو عمر الزاهد حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي و يذكر في معنى ذلك شيئاً . قال ابن خلكان وكان ينقل غريب اللغة وحوشها واكثر ما نقل ابو محمد بن السيد البطليوسي في كتاب المثلث عنه وحكى عنه غرائب . وقال ابو الفتح عبيد الله بن احمد النحوي أنشدنا ابو العباس البشكري في مجلس ابي عمر محمد بن عبد الواحد يمدحه :

ابو عمر يسمو من العلم موثق	يزل مساميه ويردى مطاوله
فلو أنني أقسمت ما كنت حائثا	بان لم ير الراؤون حبرا يعادله
هو الشخت جساما والسمن فضيلة	فأعجب بهزول سمان فضائله
تضمن من دون الجناحين زاخرا	نغيب على من لج فيه سواحله
إذا قلت شاربنا أواخر علمه	نفجر حتى قلت هذي أوائله

وقال النديم لسوء رأيه في معتقده سمعت جماعة من العلماء يصفون حكايته وانتسبوا به الى التزبد ولا غرو ان صاحبنا كان منبوزاً بذلك فهذا شيخ المعرة يقول في لزومه :

توخ نقل ابي زبد وكتب ابي عمرو دخل كلاما في ابي عمر

وما اذا أنقل لك ثلاث حكايات في ذلك ثم أجيب عنها . قالوا وكان يسأل عن الشيء الذي يقدّر السائل انه قد وضعه فيجيب عنه ثم يسأل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب و يروى :

(١) مختصر طبقاته المطبوع برومة من ١٤٧٠ . (٢) في النزعة والأدباء ابو علي ابن ابي علي وفي الحفاظ علي بن علي وكه تصحيف وهو القاضي الشنوشي الاصفر ابو القاسم علي بن القاضي الشنوشي الاوسط ابي علي المحسن (بكسر الهمزة المشددة) ابن القاضي الشنوشي الكبير الشاعر ابي القاسم علي . والأوسط هو صاحب النشوار والفرج بعد الشدة والمستجاد راجع تراجمهم وأخبارهم ابو العلاء وما اليه من ١٣٠ - ١٣٤ .

(١) ان جماعة من اهل بغداد اجتازوا على قنطرة الصراة وتذاكروا كذبه فقال بعضهم انا اصحف له القنطرة واسأله عنها فننظر ما إذا يجيب . فلما صرنا بين يديه قال له أيها الشيخ ما المرطني عند العرب فقال كذا وكذا وذكر شيئاً فتصاحك الجماعة وانصرفوا فلما كان بعد شهر أرسلوا اليه شخصاً آخر فسأله عن المرطني فقال أليس قد سئلت عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ثم قال هو كذا وكذا كما أجاب أولاً قال القوم فما ندري من اي الامرين نجب : أمن حفظه ان كان علماً ام من ذكائه ان كان كذباً فان كان علماً فهو اتساع عجيب وان كان كذباً فكيف تناول ذكائه المسألة وتذكر الوقت بعد ان مر عليه زمان فأجاب بذلك الجواب بعينه اه .

(٢) قال الخطيب وكانت معزة الدولة قد قائد شرطة بغداد غلاماً تركياً مملوكاً يعرف بخواجاء فبلغ ابا عمر الزاهد وكان يملئ كتاب الياقوتة في اللغة فقال للجماعة سي في مجلس الايملاء اكتبوا ياقوتة خواجاء الخواج في اصل اللغة الجوع ثم فرغ على هذا باباً باباً وأملأه عليهم فاستمظم الناس كذبه وتبعوه اه .

(٣) حكى رئيس الرؤساء ابو القاسم علي بن الحسن عمن حدثه ان ابا عمر كان مؤدب ولد القاضي ابي عمر محمد بن يوسف فأملئ على الغلام فيجوأ من ثلاثين مسألة في اللغة وذكر غريبها وختمها بيبتين من الشعر وحضر ابو بكر بن دريد وابوبكر بن الأنباري وابوبكر ابن مقسم العطار المقرئ عند القاضي فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئاً وانكروا الشعر فقال لهم القاضي ما تقولون فيها فقال ابن الأنباري انا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ولست أقول شيئاً وقال ابن مقسم مثل ذلك واعتذر باشتغاله بالقراءات (وفي بعض الكتب بالقرآن) وقال ابن دريد هذه المسائل من موضوعات ابي عمر ولا اصل لشيء منها في اللغة وانصرفوا . فبلغ ذلك ابا عمر فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيّنهم ففتح القاضي خزائنه وأخرج له تلك الدواوين فلم يزل ابو عمر يعمد الى كل مسألة منها ويخرج لها شاهداً من تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميع المسائل ثم قال وهذان البيتان أنشدتهما ثعلب بحضرة القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين

على ظهره كما ذكر ابو عمر وانتهت القصة الى ابن دريد فلم يذكر ابا عمر بلفظة الى ان مات اه .

فأنت ترى انه لم يأخذ احد على ابي عمر كلمة لم يعرف لها مستنداً من كلام العرب . ولئن كانت كذب ابي عمر يروج على مثل هؤلاء الجهابذة فما اكبره اذا وما اضعف منزلتهم . وقد قالوا ان من حفظ حجة على من لم يحفظ وان زيادة الثقة مقبولة فلم يبق الا امر العجب وحيرة الناس في ذكائه . فاما النديم فقد عرفت ما قاله حافظاً الحديث في شأن تحريه وامانته واما جعجع فانه وان كان من تلامذة ابي عمر فانه من خصيصي اصحاب ابن دريد وهو راوي جمهرته وحامل علمه وكان ابن دريد يطمئن على ابي عمر كما قد عرفت فلعل هذا الداء سرى اليه من شيخه ولعل اعجابه به حمله على تسليم رأيه في معاصره له وقد نقرر عند المحدثين وهم اصحاب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان ان المعاصرين والأقربان لا يعبأ بقول بعضهم في بعض ولئن جئنا لذلك لم يسلم لنا احد ولا ابو بكر بن دريد نفسه فهذا نفي نفي وصاحبه ابو منصور ^(١) الازهرى يزعم ان ابا بكر بكل سوء سوءاً وحسب ابي عمر بتوثيق ^(٢) اصحاب الحديث له بلا خلاف فقد روى ان المحدثين كانوا يوثقونه وقال الخطيب البغدادي رأيت جميع شيوخنا يوثقونه وصدقونه :

اذا رضيت علي بنو قشير لعمري الله اعجبني رضاهما

واما اصل الخواج ^(٣) فقال ابو علي الحاتمي اخرجنا في امالي (ابي موسى) الحامض عن ثعلب عن ابن الاعرابي الخواج الجوع . ونقل الذهبي عن رئيس الرؤساء قال قد

(١) قال في مقدمة تهذيبه (أدبا ٦ : ٤٨٦ والمزهر ١ : ١٥٨) ومن ألف الكتب في زماننا فرمى باقتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها ابو بكر بن دريد وقد سألت عنه ابراهيم بن عرفة يعني نفطويه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته الخ . (٢) قال ابن جني في الخمائص (المزهر ٢ : ٢٦٢) والله ابو العباس احمد بن يحيى ولقد دمه في نفوس اصحاب الحديث ثقة وامانة وعصمة وحصانة وهم عيار هذا الشأن واساس هذا البنيان . (٣) الكلمة أغفلها صاحب اللسان والتاج فلتستدرك عليهما .

رأيت أشياء كثيرة مما استنكر على أبي عمر ونسب إلى الكذب فيها مدونة سيف كتب أئمة العلم وخاصة في غريب المصنف لأبي عبيد أو كما قال . والاصل في ذلك ان رواية الكوفة معروفون بسعة الاطلاع وفزارة المادة ووفرة الرواية وبالتسامح في امر التحفظ خلافاً للبصريين الذين قلت روايتهم لثبوتهم وعدم مسامحتهم . فقد صدق ما قاله تليذ أبي عمر ابو القاسم عبد الواحد بن برهان الاسدي فيه : « لم يتكلم في اللغة احد من الاولين والآخرين باحسن من كلام أبي عمر الزاهد » .

وفاته = ولد بلا خلاف سنة ٢٦١ هـ وعن ابن رزقويه تليذه انه توفي سنة ٣٤٤ هـ قال الخطيب والصحيح انه توفي يوم الاحد (ودفن يوم الاثنين) لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٣٤٥ هـ وذلك في خلافة المطيع ودُفن في الصفة التي تقابل قبر معروف الكرخي وبينهما عرض الطريق ولعل سبب إبطائهم بنعشه إلى اليوم التالي هو ما نقلناه عن تاريخ ان الوردي في كتابنا على أبي العلاء^(١) عن أبي العلاء ان البغداديين حدثوه بها انه لما هُزئت السيئة (اهل السنة) بأبي عمر [الزاهد] في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير والتهميل قال قائل هذا والله لا كمن دُفنت ليلاً يعني فاطمة عليها السلام فشار اهل الكرخ وقُتل بينهم جماعة وطُرح ابو عمر عن النبش وجرح جراحاً كثيرة .

ثبت تأليفه مرتبة على حروف المعجم =

- (١) كتاب البيوع
- (٢) كتاب الألفاظ
- (٣) كتاب تفسير اسماء الشعراء كما عند النديم وفي الادباء القراء وسيف الكشف اسماء الشعراء

(٤) جزء كذا في الكشف (وله في الذي في فضائل معاوية المار ذكره)

(٥) حل المداخل مر ذكره

(٦) كتاب الساعات

(٧) كتاب السريعة

(١) ص ١٤٨ .

(٨) شرح الفصيح

(٩) كتاب الشورى

(١٠) كتاب العشرات أحال عليه ياقوت في بلدانه كثيراً وقد بقي منه نسخة بمخزاة برلين انظر فهرستها رقم ٧٠١٤ واوله حدثنا ابن خالويه ٠٠٠٠ هذا كتاب العشرات لابي عمر الزاهد ألفها للحميري (كذا مشكولاً) صاحب ابي عمر القاضي خاصة وكان ابو عمر يعارض بكتبه ويؤلف له فاعتل ابو عمر فأرسل اليه ان اقتدالي اجرة شهر فاني طيل الخ وهو في ٨٧ ورقة .

(١١) غريب الحديث صنفه على مسند احمد بن حنبل قال النديم^(١) هو الحميري (كذا وطبعة فهرست مصحفة للغاية) ألفه عن ابي عمر الزاهد قال ابن خلكان وكان يستحسنه جداً . وذكره ابن الاثير في مقدمة نهايته ايضاً .

(١٢) فائت الجمهرة والرد على ابن دريد وقف عليه البغدادي وأحال^(٢) عليه .

(١٣) فائت السنين

(١٤) فائت الفصيح جزء لطيف كنت رأيت منه نسخة قبل نحو خمسة أعوام عند من يحسب أنه في فهرست^(٣) ابن خير حدثني به ابو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي عن ابي مروان عبد الملك بن سراج (ككتاب) عن ابي القاسم ابن الاوفلي عن ابي عمرو بن ابي الحباب عن ابي علي البغدادي عن ابي عمر الزاهد — وهو في كراسة .

(١٥) فائت المستحسن الآتي

(١٦) كتاب القبائل

(١٧) كتاب الجرجاني

(١٨) الكتاب الحميري (الادباء الحميري) كتاب على الكلمات عمله الحميري وانفله اياه .

(١٩) ما انكره الاعراب على ابي عبيد فيما رواه او صنفه كذا عند النديم وغيره وفي الادباء والبنية ابي عبيدة ولعله تصحيف .

(٢٠) كتاب المداخل هو الذي تعرضه على الأنظار ومرة وصفه وذكر زبادات له عليه والحل ايضاً .

(٢١) كتاب المرجاه

(٢٢) كتاب المستحسن في اللغة ومرفائنه

(٢٣) معجم الشعراء في الكشف فقط

(٢٤) كتاب المكنون والمكتوم

(٢٥) كتاب الموشح وفي الوفيات فقط الموضح

(٢٦) كتاب النوادر لأدري هل هو كتاب له او هو نوادر أبي شبل العقيلي الذي

قال فيه النديم^(١) رأيت يخط عتيق باصلاح أبي عمر الزاهد .

(٢٧) كتاب اليواقيت او اليافوثة وقف عليه صاحب^(٢) الخزانة وقال ابن خير^(٣)

أبوشبلي حدثني به الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ممر رحمه الله قال حدثني به الوزير أبو بكر محمد بن هشام بن محمد المصنعي قال حدثني به أبي رحمه الله وأبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين قراءة مني عليها وقالاً معاً قرأناه على أبي سليمان عبد السلام بن السمع الموروري الشافعي قال قرأته ببغداد على أبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز الزاهد غلام ثعالب وذلك في شهري ربيع من سنة ٣٣٤هـ وذكر النديم خبر هذا الكتاب وكيف صح قال قرأت يخط أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي عليه وكان صدوقاً مجاثاً منقراً وكان أبو عمر ابتداءً باملاء هذا الكتاب يوم الخميس ليلة بقيت من المحرم سنة ٣٢٦هـ في جامع المدينة مدبنة أبي جعفر أرتجالاً من غير كتاب ولا دستور فمضى في الاملاء مجلساً مجلساً الى ان انتهى الى آخره وكتبت ما املاء مجلساً مجلساً ثم رأى الزيادة فيه فزاد في أضعاف ما أملى وأرتجل يواقيت أخر واختص بهذه الزيادة أبا محمد الصفار لملازمته وتكرر قراءته لهذا الكتاب على أبي عمر

(١) ص ٤٦ . (٢) انظر حوالاته (١ : ١١ : ١٦٥ — ٢ : ٥٢٥ — ٣ : ٤٢٩)

(٣) ص ٣٥٧ — وفي ص ٦٠ إسناد يافوثة الصراط في غريب القرآن عن أبي بكر

أحمد بن إبراهيم المقرئ عن أبي عمر ، وعن أبي الحسين بن بشران عنه . ومن ذلك يظهر انهم كانوا يفرزون هذه اليافوثة من جملة اليواقيت .

فأخذت الزيادة منه . ثم جمع الناس على قراءة أبي اسحق الطبري له وسمى هذه القراءة
الفدلكة فقرأ عليه وسمعه الناس ثم زاد فيه بعد ذلك فجمعت انا في كتابي الزيادات
كلها وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٩ هـ
الى ان فرغت منه في شهر ربيع الآخر سنة ٣٣١ هـ وحفظت النسخ كلها عند قراءتي
نسخة أبي اسحق الطبري ونسخة أبي محمد الصغار ونسخة أبي محمد ابن سعد القطراني
ونسخة أبي محمد الحجازي وزاد لي في قراءتي عليه اشياء . فتوافقنا في الكتاب كله من
اوله الى آخره ثم ارتجل بعد ذلك يواقيت آخر زيادات في أضعاف الكتاب واختص
بهذه الزيادة ابو محمد وهب لملازمته . ثم جمع الناس ووعدهم بعرض أبي اسحق عليه هذا الكتاب
ونكون آخر عرضة ينقر عليها الكتاب فلا يكون بعدها زيادة . وسمى هذه العرضة البحرانية
 واجتمع الناس يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٣١ هـ في
منزله بمحضرة (منبه أبي العنبر) فأملى على الناس ما نسخته :

« قال ابو عمر محمد بن عبد الواحد هذه العرضة هي التي نفرد بها ابو اسحق الطبري
آخر عرضة أسمعها بعده (بعدها) فمن روي عني في هذه النسخة هذه العرضة حرفاً
واحداً ليس من قولي فهو كذاب علي . وهي من الساعة ٠٠٠٠ الى الساعة ٠٠٠٠ من قراءة
أبي اسحق على سائر الناس . وانا أسمعها حرفاً حرفاً » . قال ابو الفتح وبدأ بهذه العرضة
يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٣١ هـ على طوله .
أقول والله من قال :

فألفت عصاها واستقر بها النوى كما قرأ عينا بالارباب المسافر

قال العاجز وقفت بخزانة راسبور على نسخة مضبوطة صحيحة من شرح الفصيح تأليف
أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحيم الاصفهاني وقد بقيت في ملك الشيخ محمد الشبيبي فأتى
بيت الله الحرام . وثبت على الصفحة الاولى منه فصل من اليواقيت مطا عليه المجلد وهذا
نصه وفصه : قال القرطبي^(١) كلام الفصحاء من العرب أحببته فهو محبوب على غير القياس
الا ان عنته جاء به على القياس وقال :

(١) حكى مثله الأزهري عن الفراء ايضاً كما في اللسان .

ولقد نزلت فلا نظني غيره مني بمنزلة المحب المحكرم
ومن العرب من يقول حبيته أرحبه ومنهم من يقول إرحبه قال وأنشدني أبو ثروان :
إرحب لحبها السودان حتى إرحب لحبها سود الكلاب
قال الفراء فكسر الالف وفتح الباء . وسلطان « حتى » ان ترفع وتنب وتختص
على ما نه من الأعراب نقول من ذلك اكلت السمكة حتى رأسها وحتى رأسها
وحتى رأسها قال وأنشدني^(١) الكسائي :

التي الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعلمه القاهما
ونعلمه ونعلمه . وسلطانها على المد [ستقبل] فننصبه وترفعه فنصبه على باب
(اي بأضمار أن) ورفعه على ان يكون في معنى الماضي . قال وقرأت القراء « وزلزلوا
حتى يقول الرسول » و« حتى يقول الرسول » اي حتى قال . وسمعت المبرد يقول وقد سئل
عنها فقال اذ ارفع فمعناه وزلزلوا حتى الرسول قائل . وأنشد^(٢) ثعلب والمبرد جميعا :
مطوت بهم حتى تكيل مطيةهم وحتى الجياد ما أقاد بارسان
اي حتى كانت مطيهم . قال الفراء : وأخبرني الكسائي انه سمع العرب سرت
حتى أدخلها وحتى أدخلها وما زلت اسير حتى أدخلها وحتى أدخلها ولا أزال أسير
حتى أدخلها . من كتاب اليواقيت^(٣) لأبي عمر الزاهد :
(٢٨) كتاب يوم وليلة وقام اسمه عند البغدادي في خزانته وقد^(٤) وقف عليه
كتاب اليوم واليلة والشهر والسنة والدمر .
عليكرة (الهند) : عبد العزيز الميني الراجكوتي

(١) لأبي مروان التميمي أو التلمس . (٢) لأمري القيس . (٣) قالوا انه املي
في آخر كتابه اليواقيت في اللغة قوله :

لما فرغنا من نظام الجوهرة اعورت العين وفُض الجوهرة
ووقف الفصيح عند القنطرة

يريد بالجوهرة كتاب الياقوتة

(٤) راجع حوالاته في الخزانة (١ : ١١ — ٢ : ٢٩١ — ٣ : ٤٨٣ و ٤٨٤) .

هواء المدن (١)

لا يغرب عن معارفكم سادتي ان علم الصحة أس من الأسس الراسخة المتينة التي يشيد عليها هذا البناء البشري وأنه اذا انحصر في فرد او أفراد لا يكون مفيداً نافعاً فلو رعى احد أفراد أسرة مؤلفة من اربعة أشخاص مثلاً علم الصحة رعاية دقيقة وحفظ دقائقه حفظاً لا تشوبه شائبة ولم يحفظ الثلاثة الباقون منه الا اسمه لما حصلت الغاية المرادة من هذا الفن ولما كسب ذلك المحافظ من حفاظه ما كان يؤمل الحصول عليه لان ما يصلحه في نفسه ومحيطه يسيره في سبل هذا الفن الاساسي يفسده الثلاثة الآخرون باهمالهم كيف لا وهم يسكنون معه مسكناً واحداً ويقتنون بطعام واحد ويشربون ماءً واحداً . ولا تختلف حالة الأسرة هذه عن حالة كل مجتمع انساني ولا سيما عن المدن حيث الازدحام كبير ، فان علم الصحة لا يكون مفيداً الا اذا رعاه بعض السكان وأهمله بعضهم او اذا سار بموجبه الشعب جميعه ولم تسر الحكومة فان من القواعد الصحية ما هو عام بترتب على الحكومة وضع قوانينه ومراعاتها . فكيف يؤمل لمدينة من المدن هواء جيداً اذا لم تكن طرقها العامة مخططة كما تقتضيه قواعد علم الصحة ولم تكن عريضة متسعة تجدد الهواء فيها وترسل اليها الشمس أشعتها الذهبية متلفة ما يعلق بها من الجراثيم المديدة او لم تكن منازلها مبنية على الطراز الحديث مراعية فيها شروط مهب الريح وشروق الشمس وغروبها ومعة النوافذ ووجهتها بل كيف ترجو لمدينة هواء جيداً اذا لم تكن مياهها مشروبة خالية من المواد المفسدة بالصحة العامة وطارئة من الجراثيم المرضية او اذا لم تكن غزيرة كافية للحاجات العامة ، بل كيف ترجو لمدينة حظاً من سلامة الصحة العامة فيها اذا لم تكن المفززات التي تفرزها أجساد سكان تلك المدينة من بشر وحيوان مسوقة في قنوات محكمة لا تنبعث منها الروائح النتنة ولا تندفق منها على سطح الارض الأقدار

(١) محاضرة القاها الاستاذ الطبيب مرشد خاطر في ردهة المجمع العلمي بتاريخ ١ شباط سنة ١٩٢٣ م وهذه المحاضرة علاقة بالمحاضرة الاخرى التي كان القاها الطبيب الموما اليه بعنوان (تأثير الطرق في هواء المدن) راجعها في المجلد الثامن ص ٣٩٥ .

الكريهة الرائحة ولا تنسرب من جدرانها في مجاري الماء الشروب السائرة معها جنباً الى جنب او في الآبار الواقعة في نقطة منخفضة من الارض اختارات قتالة تلوث المياه وتميت الالوف . بل اذا لم تنقل بقايا المواد الغذائية التي تملأ الطرق العامة نقلاً سريعاً وحسناً دون ان يتلوث بها المارون . ولهذا نشطت اليوم المدن وهبت للسير في مضمار علم الصحة ففاخرت كل عاصمة ومدينة سواها بجبالها وجمعها لشتات القواعد الصحية الحديثة فلم تعد تنوق النفس الى المذنب القديمة الضيقة الطرق التي تطوقها الأسوار واخذت من كل جهاتها ، الى تلك المدن التي كانت تظلم شوارعها بعد غروب الشمس فلا نور يضيئها ليلاً ، الى تلك المدن التي لم تكن ترصف أسواقها وجاداتها رصفاً يمنع ذرات الغبار عن الاختلاط بالهواء المستنشق بل كانت حفرها ومجاري تسيل فيها مياه الشناء والمياه القذرة ممتزجة ، بل تنوق النفس في ايامنا الحاضرة الى المدن الحديثة البناء الرائعة الهندسة المتسعة الشوارع المرصوفة الجوانب ، ولم يكن ذلك الانقلاب الغريب في الافكار والتطور السريع في الهندسة الا نتيجة اكتشاف صغير قام به احد العلماء الفرنسيين الذي مر على ولادته قرن كامل اريد بذلك الاكتشاف الجرثوم الذي لا يرى وبذلك العلامة باستور قلت ان الاكتشاف صغير وهو صغير كبير صغير لان العين المجردة لا تراه ولانه لا يدرك الا بعد تكبيره بضع مئات من المرات و كبير لانه نفخ في العالم روحاً جديدة فسارت تلك الروح من تحت مجهر ذلك العلامة تدب في جميع اطراف البسيطة ملقية في النفوس المضطربة سلاماً وفي القلوب الهالعة من الامراض اطمئناناً وسكوناً ، كبير لانه دك على الرغم من صفوه كل ما قامت به العقول المفكرة والايدي العاملة ومد سيطرته الى الارض جميعها . فالى ذلك العلامة الكبير توجه من هذا المنبر كلمة الاجلال والتكريم .

ان علم الصحة في المدن لغز من الالغاز المعلقة التي لا يحلها الا من كان عالماً بها متضلعا منها ولهذا وجب ان لا يتولى الشؤون الصحية في المدن الا من كانت اختصاصياً بها فلا البلديات ولا المهندسون ولا الحكومة تحسن عملاً ان لم تسترشد بارشاد رئيس صحي اختصاصي بدير دفة العمل ويسير بالاصلاحات طبقاً للقواعد الصحية الحديثة . فيفهم بما تقدم ان علم الصحة ان لم تشرك به الجماعة قبل الافراد والحكومة قبل

الجماعة لا يأتي بشار لذينة وفوائد تذكر ولهذا اردت ان أبين لكم في هذه المحاضرة شرطاً واحداً من الشروط الاربعة التي تحسن بها الصحة العامة في المدن وهو جودة الهواء وما يؤثر فيه من المؤثرات فيفسده او يصلحه تاركاً الشروط الثلاثة وهي الطرق العامة والقنوات والماء الشروب الى محاضرات أخرى فاقول :

سبعة مؤثرات تؤثر في هواء المدن فتصلحها اذا صلحت وتفسده اذا فسدت وهي :

- ١ = الموقع الجغرافي وينطوي تحته اربعة امور : الارتفاع عن سطح البحر وتركيب الارض الجيولوجي ومسيل المياه ومهب الرياح .
- ٢ = غرس الأشجار ووجود الساحات الفسيحة .
- ٣ = تلوث الهواء بفسار الطرق العامة الناقل للجراثيم المرضية .
- ٤ = تلوثه بالروائح الكريهة والدخان وما ينبعث من المصانع والمعامل من غبار المعادن وسواها .

٥ = ضرر المدافن فيه

٦ = فساد بنقل المواد النائلة .

- ٧ = تأثير حالة الطرق العامة فيه وينطوي تحته ميل الطرق وهيئتها وأرضيتها ومجاريها ووجهتها وتعرضها للشمس وهندسة بيوتها .
- وسأقتصر في هذه المحاضرة على درس المؤثرات الثلاثة الاولى تاركاً المؤثرات الاربعة الباقية لان كلاً منها يستغرق محاضرة خاصة .

(١) الموقع الجغرافي = لا اجد بداً قبل البدء بالكلام عن الموقع الجغرافي وتأثيره في جودة الهواء وفساده من ان أنفي اعتقاداً كان ولم يزل شائعاً اعتقاداً. نقلص ظله من البلاد الاوربية بعد ان ارتقت مدنها رفياً صحياً كبيراً ولا يزال شائعاً عندنا لاننا لم نسع حتي الآن الى تحسين الحالة الصحية في مدنتنا تحسيناً يحملنا على دحض ذلك الاعتقاد . شاع منذ زمن طويل ايها السادة ولعله لا يزال شائعاً حتي الآن بين السواد الاعظم منا هذا الاعتقاد الذي مؤداه : ان هواء المدن اقل ملائمة للصحة من هواء القرى لست انكر ذلك والاحصاءات القديمة كانت تثبت في القرون الماضية الا انني اليوم بعد بلوغ علم الصحة الى درجة عالية من الرقي وتوفر الشروط الصحية في المدن وفقدان هذه الشروط

في القرى أتمكن من اثبات العكس . أقول هذا عن المدن الأوروبية والأميركانية لا عن مدننا السورية وأقر وأعترف أن الهواء في مدننا لم يبلغ حتى الآن إلى درجة من الجودة تعادل جودة هواء القرى المشيدة في البر . أما في أوربا وأميركا فقد اختلفت الإحصاءات كثيراً إذ دلت إحصاءات (لانيو) عن البلاد الفرنسية سنة ١٨٨٠ أن الوفيات كانت معادلة في المدن لمائتين وأربع وأربعين وفاة في كل عشرة آلاف نسمة وإنما في القرى لم تبلغ إلا مائتين وثمانين وفاة لا غير وهذا يثبت الاعتقاد القديم إلا أنها في سنة ١٩١٢ قد اختلفت اختلافاً بيناً فإن الوفيات في المدن هبطت إلى مائة وأحدى وتسعين وفاة وفي القرى إلى مائة وسبع وتسعين وهذا بنى الاعتقاد القديم وبُني ما نحن بصدده . وقد وضعت الحكومات قانوناً تحدد به عدد الوفيات حتى إذا اجتاز هذا الحد سمحت الحكومة إلى تحسين الحالة الصحية وانقاص ذلك العدد إلى حد معين وأما الحد الذي عينه فهو مائة وثلاث وتسعون وفاة في كل عشرة آلاف نسمة فهل نسعى إلى مراعاة هذا القانون في بلادنا ؟ سؤال ادع الجواب عنه اليكم .

أما وقد نفيت ذلك الاعتقاد نفياً مبنياً على الإحصاءات فاني أعود إلى الكلام عن الموقع الجغرافي : تقسم المدن ستة أقسام كما قسمها الدكتور فونساغريف (Fonssagrives) المدن المشيدة في السهل ، والمدن المبنية في الأودية ، والمدن البحرية ، والمدن النهرية ، والمدن القائمة على البحيرات ، والمدن الرزغية . (أي التي تكثر في أرضها المستنقعات) . أما مدن السهل التي تقام في أرض مستوية قليلة الارتفاع عن سطح البحر وكثيرة البعد عن مجاري المياه الغزيرة فإت الشروط الصحية تتوفر فيها إذا لم تركد المياه في أرضها فتحولها إلى مستنقعات شديدة الضرر .

وأما مدن الأودية فلا ينالها من أشعة الشمس المنعشة إلا ندرًا قليلًا لما يكسبها من الجبال فكما كان الوادي ضيقاً وعميقاً نقصت الشروط الصحية في هذه المدن .

وأما المدن البحرية التي تقوم على شاطئ بحر تختلف فيه حركتا المد والجزر اختلافاً بيناً كبيراً فإن درجتها الصحية أخط من المدن التي تبنى على شاطئ بحر حركتا مده وجزره خفيفتان لا يكاد يشعر بهما وذلك لأن حركة الأمواج حين المد تقذف بعيداً إلى الشاطئ المواد المضيوية الكثيرة فتتفكك وتختمر وتفسد الهواء وعدا ذلك فإن مانصبه

المجاري والقنوات من المواد القذرة والمياه الملوثة في البحر أي كل ما يطرحه الانسان والحيوان يعود بتأثير المد الى حيث أتى فينتشر على الشاطئ بعد ان كان منحصراً في القنوات و يفسد الهواء و يضر ضرراً جسيماً .

واما المدن النهرية فان مقامها الصحي بين المدن رفيع للغاية لان جريان النهر يحرك الهواء تحريكاً دائماً فيجده و ينقل ما فسد منه مستعيفاً عنه باصلاح فان النهر يجريان مائه الدائم يشبه موقداً تقصر فيه النيران متصلاً بغيري عال فكما ان الموقد يحدد الهواء في الغرفة آتياً بالجلد منه الى الداخل ودافقاً ما فسد وسحق منه الى الخارج فان لجريان ماء النهر التأثير نفسه . وعدا هذا فان المياه التي تحتاج المدن الكبرى الى كميات وافرة منها لقضاء الحاجات العامة لا يكاد يتوصل اليها اذا لم تخترق انهر طبيعية هذه المدن ولهذا كانت الشروط الصحية متوفرة في المدن النهرية لغزارة المياه فيها على ان لا تلوث هذه المياه بما ينصب فيها من المجاري والمراحيض فيتناول ضررها عدا المدينة نفسها جميع القرى الواقعة تحتها .

واما مدن البحيرات فهي ذات هواء رطب للغاية سواء قامت على شاطئ البحيرة او شيدت على اعمدة مرتكزة في قعرها الا ان هذه الرطوبة قد يخفف ضررها بتأثير الارباح التي تهب عاصفة في تلك المدن فتختف من رطابة هوائها او بتأثير الحرارة العالية نفسها . واما المدن القائمة في اراضٍ يكثر فيها السباح اي الواقعة على مصب الانهر فهي اشد المديت انحطاطاً من الوجهة الصحية فان البرداء (اي الملا ريا) تفنك بالعدد الواقف من ما كنيها .

فيستنتج مما تقدم ان دمشق وهي مدينة تخترقها الانهر الغزيرة ذات موقع جغرافي حسن فهي قائمة في سهل تكمنف الجبال البعيدة فالى الشمال جبل قاسيون الممتد من الربوة حتى ثنية العقاب حيث بدء جبل القلون وفي سفحه حي الصالحية والمهاجرين والى الشمال الشرقي جبل القلون (يوناني معناه القصب) وهو يبعد عن المدينة خمسة كيلو مترات او ستة والى الغرب الجنوبي جبل الشيخ وهو يبعد ثلاثين كيلو متراً عن دمشق وبه تمل الرياح الغربية الجنوبية الباردة في فصل الشتاء . وامام جبل الشيخ تقوم جبال الربوة والمزة ونبعد عن دمشق زهاء ثلاثة كيلو مترات والى الجنوب جبال حوران الممتدة حتى البادية

وتبعد عن دمشق ثلاثين كيلو متراً ، وإلى الشرق البادية المطلقة ومنها تهب الرياح الحارة في فصل الصيف وإلى الشرق الجنوبي تمتد الفوطة حتى بحيرة الهيجانة التي يصب بها نهر بردى تلك البقعة التي يكثُر فيها السباح والمستنقعات .

فوقع دمشق الجغرافي متوفرة فيه الشروط الصحية لان الجبال التي تكتنف المدينة بعيدة لا تمنع الشمس عن ارسال أشعتها القاتلة للجراثيم ولا توقف الارباح العاصفة عن الوصول الى المدينة فتجدد حتى في أخيق أزقيها الهواء تجديداً دائماً . وإنما وجود الفوطة في الجهة الشرقية من المدينة يجعل البعوض يتكاثر والبرداء وحتى الايام الثلاثة لثفتان نفسياً شديداً وليس الذنب في ذلك على الطبيعة وحدها ولكن معظم الذنب علينا فلواهتمت الحكومة بتجفيف تلك المستنقعات مما كلفها الامر من المال لحسنات الحالة الصحية وهو مشروع تفوق فائدته أكبر المصاريع وأعظمها .

(أ) الارتفاع عن سطح البحر : أمرنا الآن الى الفرع الاول من الفروع الاربعة التي ننطوي تحت الموقع الجغرافي وهو الارتفاع عن سطح البحر . ان الارتفاع يؤثر شديداً في هواء المدن فيصلحه او يفسده ولعله أقوى المؤثرات وأهمها حتى ان بعض علماء الصحة يرى فرقاً بينا بين حي وآخر من أحياء مدينة واحدة لا يتجاوز فوق ارتفاعها عشرين متراً او اربعين والبرهان على ذلك جلي واضح في دمشق فان حي الصالحية والمهاجرين القائم في سفح جبل قاسيون أجود هواء من سائر أحياء دمشق لانه أكثر ارتفاعاً منها .

ولا يظهر هذا الفرق واضحاً الا في المدن التي لا يقل ارتفاعها عن اربعمائة متراد في المدن التي لا يزيد ارتفاعها عن الخمسين واما في المدن التي يتراوح ارتفاعها بين الخمسين والاربعمائة فانت بضع عشرات من الامتار لانكفي لجعل فرق واضح بين حي وآخر من أحيائها وان دمشق التي يعادل ارتفاعها في أرجائها المتوسطة ستمائة وخمسين متراً يظهر هذا الفرق فيها بين حي الصالحية والأحياء الأخرى لانها تتجاوز حد الارتفاع الذي عينته وهو اربعمائة متر وهكذا يقال في بيروت وطبريا من مدن سورية وفلسطين فان بيروت التي تعلو عن سطح البحر في أرجائها الواقعة على الشاطئ بضعه أمتار لا غير تربنا ما أرتنا دمشق من تبدل الهواء في أحيائها فان حي الأشرية مثلاً الذي يقع على ارتفاع خمسين متراً ونيفاً يختلف هوائه اختلافاً محسوساً عن سائر الأحياء كراس بيروت وسواه

وما ذلك الا لان المدينة واقعة تحت الحد الأدنى للارتفاع الذي عينته ومابقال في بيروت يقال في طبرية التي تنخفض عن سطح البحر المتوسط ٢٣٦ متراً فان بين الطبقة والأخرى من بيوتها يختلف الهواء اختلافاً واضحاً .

وان للارتفاع حداً اذا تجاوزه أضر بالصحة ضرراً بليغاً لان الضغط الهوائي ينقص كلما علت المدينة ، وكلما خف الضغط الهوائي نقصت كمية الاوكسجين في الهواء فينشأ عن ذلك النقص تبدل محسوس في الصحة كما أثبتت التحريات المديدة التي أجراها كثير من الأطباء في أماكن مختلفة الارتفاع . غير انه لا مدينة من مدتنا السورية تبلغ حد الارتفاع المضر لانه يقع بعد ألف وخمسمائة متر . وهذا لا يجده الا في بعض قمم جبالنا . وخير المدن هواء مازاوح ارتفاعها عن سطح البحر بين سبعمائة وألف متر .

(ب) واما من الوجهة الجيولوجية او تركيب طبقات الارض فتقسم المدن الى صخرية ورملية وصلصالية ولحقية وهي ارض مركبة جيولوجياً من مواد كانت عالقة بالماء فرسبت بعد نضوب الماء منها وقد أضيف الى هذه الاقسام الاربعة في ايامنا هذه قسم خامس وهو المدن التي تقام على ارض اصطناعية .

فالمدن الصخرية أجود هواء من سائر المدن الاخرى من الوجهة الجيولوجية هذا اذا لم تأت أسباب أخرى فتفسد هوائها وان مايجعل المدن الصخرية في مقدمة المدن جودة صلد ارضها اي عدم تقوذاها وسيلان المواد العفنة والمياه القذرة عليها دون ان تمتصها الارض فتبقى كامنة فيها وينشر الاوبئة والامراض متى تيسرت لها الدرائع الملائمة .

واما المدن الرملية فلا تعد ملائمة للصحة الا متى كانت الطبقة الواقعة تحت الرمل غير صلبة لانها اذا كانت صلصالية اجتمع الماء فيها ورطب الارض وكانت تلك الطبقة مخزانات للمواد العفنة تجتمع فيها فتلوث طبقة الارض السطحية وتفسد الهواء .

واما المدن اللحقية فانها مدن يكثرفيها السباح ونشوف فيها الشروط الملائمة لنمو البعوض وتكاثره ولهذا كانت البرداء (الملاريا) من الامراض التي تنتشر في هذه المدن فتفسد هوائها .

(ج) وان لموقع المدينة بالنسبة الى انصباب المياه فيها أهمية كبرى عن الوجهة الصحية فاذا كانت المدينة في قعر واد تحيط به الجبال وتنصب فيه المياه المتدفقة منها

مخترفة تلك المدينة فان ارضها تكون رطبة ومضرة . ولكن معما كان موقع المدينة فانها تعد غير صالحة للسكنى اذا كانت طبقة ارضها الصلدة واقعة على عمق قليل لان المياه بعد اختراقها الطبقة الارض القابلة للنفوذ تجتمع في تلك الطبقة السطحية وتعلو بسهولة الى سطح الارض فنغوص جذوع النباتات والاشجار دائماً في بحيرة مائية ولا تخصب تلك الارض قط هذا فضلاً عن ضررها الشديد بالصحة واما اذا كانت الطبقة الصلدة عميقة فان المياه تبعث عن سطح الارض فيجف الهواء وتخصب الارض ولهذا قال الدكتور فونساغريف ان عمق الآبار في المدينة دليل على جودة هوائها فكما كانت الآبار عميقة أخصبت الارض وجف الهواء وكما كانت آبارها سطحية قل خصب الارض ورطب الهواء .

ان دمشق متوفرة فيها من الوجهة الجيولوجية ومسبل المياه الشروط الملائمة للصحة لان آبارها عميقة لا يوصل الى الماء فيها قبل حفر عشرات من الامتار وهذا ما يجعل ارضها حطياً وهوائها جافاً لان طبقة ارضها الصلصالية عميقة .

(د) اما الارباح التي لنقل الرطوبة او الجفاف فان لها الاهمية الكبرى من الوجهة الصحية لان لها حسنات وسيئات فمن حسناتها تجديد الهواء واستبدال ما أشبع منه بذرات الفحم وحمض الفحم وسائر المواد الأخرى المضرة بهواء آخر آت من البحر والجبل وصالح للتنفس وتنقية الدم وهذه التهوية الطبيعية لا بد منها في مدن يكثر عدد سكانها وتتراصف بيوتها وتقام فيها الابنية الشاهقة المتعددة الطبقات . ومن سيئاتها أنها متى كانت خفيفة حملت الغبار الملقى على الارض فتطير في الفضاء ناقلات معه الجراثيم المرضية ولهذا كانت الأرياح الهادئة شديدة الضرر تنتشر حين هبوبها الاوثة في المدن انتشاراً سريعاً فلافاة لهذا المحذور واثقاء لهذا الضرر الجسم يجب علينا أن نجعل الغبار ملتصقاً بالارض فتكثر من رش الأسواق والمنعطفات ولا تدع للارباح تأثيراً فيه .

فاذا عصفت الارباح شديدة في دمشق فأزعجتنا وأضررت ببعض الابنية واقتلعت بعض الاشجار وحالت دون التجول فانها رسول أمين يجب أن نكون له من الشاكرين كيف لا وهي التي تجدد الهواء حتى في أضيق المنعطفات ، في تلك الأزقة التي تقوم

البيوت من جانبها فلا يفصل نافذة البيت الواحد عن نافذة الآخر الا متران او اقل فهي التي تأتينا بالهواء الذي من قم الجبال الشاخنة حيث لا جراثيم ولا غبار ولا مواد مفسدة :
 (٢) غرس الاشجار ووجود الساحات الكبيرة = ان هذا المؤثر الثاني في جودة الهواء كثيراً ما نمر به في يومنا دون ان نتأمل ثانياً واحدة بما له من الفضل علينا .
 ان الاشجار التي تفرس أيها السادة ، في الشوارع الكبرى والأسواق العريضة والساحات المسيجة المطلقة التي لا بناء فيها تؤثر تأثيراً شديداً في حالة الهواء فانها من العوامل التي تبدل تركيب الهواء وتجعله صالحاً للتنفس ومن العناصر التي تصلح حالة الارض وتجففها فان أوراق الاشجار تمتص من الهواء حامض الفحم وتحوله الى غم فتغذي به والى اوكسجين لا تحتاج اليه فتبعثه بالهواء رحمة بالانسان والحيوان وان معظم الاوكسجين تلقاه الاشجار بهيئة اوزون وهو من الغازات التي عرفت اليوم قيمتها الكبيرة .
 وفضلاً عن ذلك فان الاشجار تمتص قسماً كبيراً من رطوبة الهواء وقد خمن الدكتور ايفار (Ivert) ما تمتصه شجرة واحدة كبيرة مورقة بمائة ليتر ماء كل يوم فكما أنها تمتص من الهواء البخار المائي فتجففه فانها تمتص من رطوبة الارض القسم الاكبر من الماء الذي تحتاج اليه في يومها بجذورها المرسله بعيداً الى اعماق الارض . وقد قدر مرصد (مون سوري) (Mont Souris) ان الشجرة تمتص من رطوبة الارض خمسة أضعاف ما تمتص من الهواء تحت تأثير حرارة الشمس فكم هي عظيمة كمية الماء الذي تمتصه اشجار احد الشوارع من أرض البيوت المشيدة على أطرافها ؟ .
 لا ننحصر فائدة الاشجار بامتصاص رطوبة الهواء والارض ولكن الظل الذي تنشره على الارض يأتي بفوائد جليلة مدة الصيف ولا سيما في البلاد الحارة فانه يقي الكثيرين من الرعن اي ضربة الشمس ، فتفزع الاشجار اذاً كبير من وجوه عديدة ولهذا يشير علماء الصحة بغرس الاشجار في جانبي الشوارع العريضة ويراعون في غرسها هندسة خاصة كي لا تضرب في البيوت المجاورة لها فتمنع عنها الهواء والنور . ان هذه القضية اهميتها فقد كانت موضع درس دقيق في المؤتمر الصحي الألماني الذي عقد في درسد (Dresde) سنة ١٨٨٣ وفي المجمع الصحي الدولي الذي عقد في بروكسل عاصمة بلجيكا سنة ١٩٠٣ .

فاذا كان للاشجار التي تنرس على جانبي الشوارع والأسواق هذه الفائدة الكبرى على الرغم من قلة عددها فما عساها ان تكون فائدة الحدائق العامة النفسية . ان هذه الحدائق ، هذه الأماكن المتسعة حيث الهواء حرٌ مطلق وأشعة الشمس حارة ترطبها نفحات النسيم البليل المتلاعب باغصان الاشجار . حيث يجلس الانسان لترويح النفس تظله الاشجار المورقة المزهرة حيث تلتفت الرئتان لنفساً عميقاً يدفع الانسان منهما الهواء المشبع بحامض الكربون ويستبدله بهواء نقي ، حيث يلعب الأولاد ويركضون على ذلك البساط الأخضر النضير ، هبة ثمينة لا ندرك قيمتها تؤثر في صحة الأبدان فتحسنها ، وترويض الافكار فتجولها فتأثيرها اذا جسيدي ونفسي في آن واحد .

ان هذه الأماكن تخفف بعض الازدحام الذي نراه في قلب المدينة ذلك الازدحام الشديد الضرر الذي كلما ارتقى علم الصحة ظهر ضرره وسعي الى اجتنابه ولهذا اكثرت العواصم الكبرى والمدن التي تسوسها حكومة راقية من هذه الحدائق المتسعة غير ناظرة الى المخازن والمساكن والأسواق التي تهدمها ولا بالية بما لها من الأثمان الباهظة ولا مليية عاطفة محبة المال والثروة ولكنها تجيب ما نطلبه الصحة العامة فننشئ هذه الحدائق التي لا تكسبها بارة واحدة في السنة ولكنها بعكس ذلك تضطرها الى نفقات طائلة لتبقى محافظة على نظارتها وجمالها .

فان في باريس ستا واربعين حديقة مساحتها ستة وعشرون ألفاً وثلاثمائة متر مربع وفي لوندرة أربعين حديقة مساحتها اكثر من مساحة حدائق باريس بألف متر مربع وفي برلين عشرين حديقة تعادل مساحتها خمسة وخمسين ألفاً واربعمائة متر مربع اي ضعف مساحة حدائق باريس هذا عدا أحراج سباندو (Spandau) وغرانوالد (Grunwald) التي تعادل مساحتها نصف مليون متر مربع .

الا اننا في دمشق لا نجد سوى حديقة واحدة لا تزيد مساحتها عن خمسمائة متر مربع وشارع واحد مشجر لو لم يشق في زمن لم يكن للشعب فيه حق الاعتراض لما كان لدمشق مع غزارة مياهها وخصب ارضها مشمس يتنفس فيه سكانها الهواء النقي . ان شارع النصر قد حوّل حالة الدمشقيين تحسباً لا بكنسب بالادوية والغذاء وغيرهما فيا حبذا لو كان في هذه المدينة منه عشرات غير ان ما يفيض بعض الاعاضة عن هذه

الحدائق والشوارع هو الجنائن البديمة التي تطوق دمشق وتوجد في بعض أحيائها ولولاها لكانت دمشق لا تصلح للسكن .

اما الساحات الكبيرة الحرة فلا أثر لها عندنا وبالإلصاف وإذا تكلمت عنها فأنني أمس مسألة أخرى جليلة الفائدة في المدن وهي هندسة الشوارع هندسة حديثة الا انني لأريد التعرض لهذا البحث في محاضرتي هذه لانه موضوع يستغني محاضرات وانما اقول كلمة عنه لابين لكم كم هو عظيم اهتمام البلاد الراقية بهذه النقطة الاساسية وكم هو كبير اهمالنا . ان موسيو بوكيا (Beauquia) احد اعضاء المجلس النيابي الفرنسي اقترح سنة ١٩٠٩ أن يرسم لكل مدينة يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة مرسوم يبين فيه مساحة المدينة وحدائقها العامة واتساعها وعرض طرفها واستقامة تلك الطرق وطرز بناء بيوتها وبكلمة واحدة كل ما يتعلق بتلك المدينة وما يجمع بين جمالها الظاهر وحالتها الصحية وان يطبق هذا المخطط تطبيقاً دقيقاً لا يقبل الاعتراض ولا تراعى فيه مصالح الافراد فهل افكر اولياء الامور عندنا بوضع مخطط مختصر تحسن به حالة بعض الاحياء التي لا تسكن في دمشق ولنفرض ان مر ذلك الفكر في مخيلتهم فهل يبرز منه شيء الى حيز العمل !

لست أجهل أيها السادة ان وضع مخطط كهذا يضطرننا الى هدم مدينتنا جميعها غير ان من الامور ما هو مهم وأهم فاذا كان اتباع خطة واحدة في الاسواق وطرز واحد في البناء وعلو واحد في المساكن معاً يكسب المدينة رونقاً وبهاءً وهواً لها جودة فالتخطيط لبعض الأسواق العريضة التي تكتنف الاشجار جانبها وغرس بعض الحدائق العامة الفسيحة في قلب المدينة وايجاد بعض الساحات الحرة المتسعة وكشف الأسواق الضيقة التي لم تدخلها أشعة الشمس منذ بنيت وعدم السماح بتغطية ما هو مكشوف منها من الامور الشديدة الاهمية التي لا غنى عنها : وانني أعجب ولعلكم تعجبون معي كيف ان ما أصلحته الطبيعة فكان لهذه المدينة مصدراً للصحة تقسده نحن بآبديتنا كيف ان بد الطبيعة أعققت سقف السوق الحميدية زحمة بمن فيها من التجار ومن يميز بها من البشر في كل يوم وكيف ان الحكومة سمحت باعادة هذا الغطاء وحرمان تلك المخازن من أشعة الشمس المنعشة . امر لم أجده مسوغاً في قوانين البلاد الراقية .

(٣) أجوز الآن الى المؤثر الثالث وهو الغبار وتأثيره في هواء المدن = ان الغبار

المنتشر في الهواء ينقل معه كثيراً من الجراثيم المرضية متى عصفت الريح ووجدت المجاري الهوائية فتدخل تلك الجراثيم البيوت بطرق متعددة باحثيتنا وأثوابنا وبشرة أجسادنا والحيوانات الداجنة وكل ما في الأسواق من البضائع والمواد الغذائية وتدخل الجراثيم أيضاً البيوت مع الهواء من النوافذ ولهذا كانت البيوت المشيدة على جانبي الطرق التي يكثر فيها الغبار والتي تطرقها السيارات كثيراً معرضة أكثر من سواها لهذه الجراثيم وكان أهلها معرضين أكثر من غيرهم للأوبئة والأمراض . وإن ما يزيد في العطين بدة هو أن سكان تلك البيوت يطلقون النوافذ ويحكمون سدّها حذراً من دخول الغبار منها فيفسد الهواء في مساكنهم ولا يعود صالحاً للتنفس فيقيمون وهم يطلبون التخلص من شرّ كبير في شرّ أكبر . ولا يؤثر الغبار في الإنسان والحيوان فقط بل يؤثر في النباتات أيضاً لأنها تنفس كليهما فإن الأشجار متى كسا أوراقها الغبار تذوي وتموت وإذا لم تمت تضعف خاصة التنفس فيها فتفقد وظيفتها الأساسية وهي تجديد الأوكسجين وتنقية الهواء الذي يتنفسه الإنسان .

ليس الغبار سوى ذرات الأوحال الجافة التي لا يخلو منها مكان من أمكنة دمشق فإذا عابنا تلك الذرات وجدنا فيها أشياء كثيرة رأينا المواد العضوية والجير والبوتاس والصواب والخزف والمواد المعدنية والحامض الفوسفوري والحامض الفحمي وغيرها ووجدنا معها وهذا ما يهمنا أمره كمية عديدة من الجراثيم المختلفة الأنواع . فقد تبين من تحري الدكتور أيتكن (Aitken) أن كل سائيمتر مكعب من الهواء يحتوي في باريس على مائتين وعشرة آلاف ذرة غبار وأنه في لوندرة لا يحتوي إلا على مائة وخمسين ألفاً لا غير . أما الجراثيم الموجودة فيه فتبلغ مليونين وأربعمائة ألف جرثومة فأعساها التي تكون بحالة الهواء في دمشق والغبار في طرقاتها يحجب نور الشمس ويدخل الصدور بلا استئذات فإذا سارت عربة تركت وراءها ذبلاً من الغبار طويلاً أو نهبت سيارة الأرض طائفة عليها التحفت بغطاء من الغبار يسترها والبست المارين منه ثوباً لطيف النسيج .

تدخل ذرات الغبار أجسادنا بطريقتين : طريق التنفس وطريق الهضم . قد ثبت في أكثر الأوقات أن انتقال السل يتم بالهواء أي بذرات الغبار التي تنقل معها عصية

كوخ او العامل السلي وقد ثبت ايضا من المشاهدات السريرية ان تسعة وتسعين في المائة من المسلولين ينتقل السل اليهم بواسطة الهواء الذي ينتقل هذه الذرات الي أفواههم فيبتلعونها او الى رئئاهم فيستنشقونها . وبينت تحريات فلوغ (Flugg) ايضا ان عدوى السل بطريق التنفس لا تنشأ فقط من قشاعات المصدرين التي بعد ان تجف وتبددها الريح تُنقل مع الهواء فتدخل رئائنا بل تنشأ ايضا من النفثات الصغيرة التي يرشها المسلول في الهواء أثناء السعال فننتقل العدوى الى بضعة أمتار .

ولا تظن ان السل وحده ينتقل بالهواء فان كثيراً من الامراض ينتقل به ايضا فالحمى التيفية مثلاً تنتقل بالماء والبقول الملوثة كما يعلم جميعنا الا انها تنتقل بالهواء ايضا وقد اثبتت هذه القضية تحريات برواردال وميكل ولافران وشانتامس وهي تنتقل ايضا بالغاز المنبعث من المراحيض كما اثبت ذلك الدكتور تيكبورت (Tich borne) وبملاسة المريض وكل ما تلوث من أثوابه وفراشه .

اجل ان انتقال الحمى التيفية بخبار الهواء امر قليل الوقوع لا يعادل انتقال السل به غير ان جرثوم الحمى التيفية شديد المناعة لا تؤثر به حرارة الشمس تأثيرها بجرثوم السل الذي ثلثه بضع ساعات ولهذا كان خطر انتقاله بالغبار موجوداً .

وكذلك الخلفة اي لدوسنطاريا التي أجمع الجميع على انتقالها بالماء تراها تنتقل بالهواء ايضا ولا سيما في من يتعرضون للغازات المنبعثة من المراحيض او يجاورون الاقذار والمواد الغائطة التي تلقى في الأسواق من آن الى آخر منظره رحمة الشمس لكي تيجر ما فيها من المياه القذرة وتجففها فيُسمى عندئذ الى نقلها .

والسعال الديكي (او الشقة) هذا الوباء الشديد الانتشار الذي يسري باللمس ، قد ينتقل بذرات القشاعات التي يرشها المريض أثناء نوب السعال وزد على ذلك ان المواد التي ينفثها المريض وهي التي تنسب اليها السراية لتطير ذراتها بالهواء بعد ان تكون قد انصفت بالاثواب وجفت فننتقل العدوى .

وذات الرئة تنتقل ايضا بالهواء وهي مرض ينشأ من جرثوم مرضي خاص يكون في جهاز التنفس فينفت مع قشاعات المريض و ينتقل بها بعد ان تلقى على الطرق العامة فتجف و يبددها الهواء . وان ما يساعد على انتشارها شدة مقاومة هذا الجرثوم فهو يبقى

محافظاً على قوته الحيوية اياماً عديدة وربما شهرين كاملين متى كانت في مأمن من نور الشمس وملامسة الهواء والاكسجين وهذه الشروط تراها موجودة في شقوق البلاط وفي تلال التراب المكسدة على زوايا الطرق والأسواق .

اما النزلة الوافدة اي الحمى الاسبانية فلم يجمع كل الأطباء على انتقالها بالهواء فمنهم من صنف هذا الداء بين الامراض التي تنتقل بالارياح العاصفة والمجاري الهوائية الشديدة ومنهم من قال ان ذرات التراب الملوثة بعامل بنافيراي عامل النزلة الوافدة لا تنتقل الا الى بعد قليل فهي لا تتمكن والحالة هذه من نقل المرض ومهما يكن فان عامل هذا الداء يلقي كسواء على الطرق العامة مع قشاعات المرضى وبصافهم .

اما الجدري فان عاملة ينتقل بالهواء أيضاً بالذرات الصغيرة الناشئة من مفرزات البثور وفلوسها فانها تطاير مع الهواء ناقلة المرض . وعامل الجدري شديد المقاومة يلتصق مدة طويلة بالاجسام والاشياء كجدران البيوت والالبسة والاثواب والادوات دون ان يفقد شيئاً من قوته وهذا يبين لنا كيف ان هذا المرض متى دخل بلداً طالت اقامته فيه فينتظي آونة ثم يظهر أخرى دون سبب ظاهر وعدواه ثم غالباً بطريق التنفس . وهكذا يقال عن الخناق اي الدفتيريا فانها تنتقل بالهواء .

واخيراً الطاعون الرئوي هذا الوباء المائل الذي يفتك متى انتشر بمئات الالوف والملايين فانه ينتقل بالهواء الى جهاز التنفس وامتد كثير من الاطباء ان الحمى الاسبانية التي استولت على اوربا سنة ١٩١٩ ولم يقل عدد ضحاياها عن خمسة ملايين لم تكن الا طاعوناً رئوياً حتى ان حكومة الولايات المتحدة حيث كان نقشي المرض شديداً اجبرت جميع ساكنيها على ان لا يظهروا في الاسواق الا وعلى انوفهم وافواههم خمار مبلل ببعض المواد المضادة للفساد وهكذا تمكنت من حصر المرض وتخفيف وطأته .

ولا تنتشر الجراثيم بالارياح فقط بل تنتشر ايضاً بطرق أخرى منها نفث الطنafs في الشرفات والنوافذ وندف القطن والصوف المحشوة بعما لحف المرضى وفرشهم في المخازن المشرفة على الطرق العامة فيترتب على الحكومة منع مثل هذه الاشياء منعاً باتاً مما كانت مراعاتها شديدة الصعوبة .

ولكن على الرغم من امتلاء الهواء بذرات الغبار الملوثة وعلى الرغم من استنشاقنا هذا الهواء

ودخول الجراثيم الى اعماق حويصلاتنا الرئوية نرى انتشار الامراض قليلاً لا يناسب كثرة هذه الجراثيم وما ذلك الا لانها تتلف بعد وصولها الى اعماق الرئة فان الطبيعة جعلت الدواء الى جانب الداء ولهذا كانت للفرزات الشعبية خاصة قاتلة للجراثيم .

هذا ما رغبت بطرحه امامكم في هذه المحاضرة من الامور الصحية ومنها تستنبطون ان الطبيعة لم ترض عن دمشقنا بجودة الموقع الجغرافي ولا بالارتفاع عن سطح البحر ولا بتركيب أرضها الجيولوجي الموافق ولا بالانهر العذبة النافلة مع مياهها خصباً وهواء نقياً ولا بالارياح العاصفة التي تهب الانسان بهوبها حياة جديدة وانما نحن الذين ضننا عليها بكل ما يؤثر في هوائها ليصلح ضننا عليها بالأسواق المتسعة الفسيحة ضننا عليها بالساحات الكبيرة والحدائق الكثيرة ضننا عليها بتنظيف شوارعها من الأوحال الحاضرة او الغبار القتال انبل ضننا عليها بما هو أعظم من كل هذا وبما لم أبينه في محاضرتي نظراً لضيق الوقت فاذا نفشت الاوبة فيما بيننا فليس الذنب الا علينا اوساءت الصحة العامة فلا تعود نعمة هذه الاساءة الا اليئسا فعسى ان يكون المستقبل باسمنا لا عبوساً كالماضي فترى في دمشق حياة جديدة تدب في أسواقها حياة ترقى برقي علم الصحة بين أفرادنا . فعسى ان ينذبه الزملاء الكرام الى سدة هذه الثمة فيكثرون من المحاضرات الصحية فهي لعمري اكثر ضرورة وأعظم فائدة من المحاضرات العلمية والادبية والشعرية وغيرها لانها تحفظ حياة الشعوب ولا تقدم لشعب محمد منبجل الامراض من شبانه الاذكياء النابضين ومن شبانه المهدبات الادبيات فعسى ان يسعدني الحظ في المستقبل فأقوه بواجب يفرضه عليّ الفن الذي أنتسب اليه والتي في ناديك الموقر من آن الى آخر محاضرات أخرى مختلفة الموضوعات تفهم للسيدات نقارة جمالهن ولشبان قوة عضلاتهم والله الموفق في كل حال .



آراء وافكار

ذات الزيتون

« هي الزيتونة »

هل ذات الزيتون هي الزيتونة ؟ ذلك ما لا ريب فيه البتة . فانا أوافق عليه الاستاذ عارف النكدي كل الموافقة . ولا بأس بان ايسر هنا ما كنت عثرت عليه في هذا الشأن الجغرافي . فقد روى ابن خردادبه في كتابه المسالك والممالك (ص ٧٤ من طبعة ليدن) ان تقدير الرصافة والزيتونة وكفر حجر والجزيرة الف دينار . وقال المسعودي في كتابه التنبية والاشراف (ص ٣٢٢ من طبعة ليدن) ان الرصافة من ارض قنسرين . فلم يبق من ريب في ان الزيتونة تابعة الرصافة وان الرصافة قد كانت من جند قنسرين اي من سورية الشمالية او سورية الفراتية .

وقال البلاذري في كتابه فتوح البلدان (ص ١٧٩ — ١٨٠ من طبعة بريل) اما رصافة هشام فان هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل قبلها الزيتونة . وقال ياقوت الرومي في معجم البلدان الرصافة في مواضع كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينها اربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكانت يسكنها في العيف كذا ذكره بعضهم . قال ووجدت في اخبار ملوك غسان ثم ملك النعمان بن حارث بن الابهيم وهو الذي اصلى صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الاعظم وهذا يؤذن بانها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ولعل هشام عمر سورها او بنى بها ابنية يسكنها^(١) وقد اصاب ياقوت كل الاصابة فقد عرفت الرصافة في العهد الروماني (بسر جيوبوليس) نسبة الى الشهيد سرجيس . قال وقال احمد بن يحيى واما رصافة الشام فان هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل فيها الزيتونة وقال ياقوت في الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها .

(١) ولعل هشام عمرها وقد كانت قبله خربة او مقبرة وهذا يفسد الاشكال من

كل وجه كما لا يخفى .

فالزيتونة التي دعاها عبدالرحمن حفيد هشام (ذات الزيتون) هي قرية من الرصافة (او من قراها) على نهر الفرات الاعظم .

قال الرصيف الاستاذ السيد عارف النكدي في محاضراته الرائعة الاندلس (حاشية ص ٣٣٤ من مجلة المجمع العلمي) لم اجد فيما عندي من الكتب ما يعرف منه موضع ذات الزيتون . وفي مجمع البلدان الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى اب مات . ونسأل الاستاذ بعده فهل الزيتون هي ذات الزيتون ؟ قال ان عبدالرحمن مات ابوه وهو صغير فكفله جده هشام صاحب الزيتون فاعمل الموضعين واحد (وهو الصحيح الذي لا غبار عليه) فيكون عبد الرحمن قد لجأ الى موضع له سابق عهد فيه والله اعلم .

واما قول الاستاذ الآخر (او اب ذات الزيتون في جبل حوران المعروف بجبل الدروز) . . . فإخاله بمبدأ عن الصحة والصواب والذي خدعه قول عبدالرحمن الاموي (ففر من الزيتون او ذات الزيتون الى فلسطين) . . .

في حين ان عبد الرحمن بقى هو نفسه قصة هربه فيقول : انه صار الى قرية على الفرات ذات شجر وغيض . الى ان قال انه دخل بساتين على الفرات فسبق الخيل الى الفرات فسبح فيه ونجا هو بنفسه والخيل ينادونه بالامان وهو لا يرجع واما اخوه فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم واخذوه فقتلوه . فليس من مجال للشك والتردد بعد هذا القول الواضح في ان الزيتون او ذات الزيتون كانت على الفرات الاعظم او قرية منه في بادية الشام كما قال ياقوت وغيره . واين هذه — وهي على الفرات — من ذات الزيتون في جبل حوران او جبل الدروز كما لا يخفى .

وأقف من التحقيق عند هذا الحد فقد ثبت ان الزيتون هي ذات الزيتون وان موقعها على الفرات او هي قرية منه في بادية الشام وبهذا القدر غنى وكفاية للتأمل البصير ان شاء الله تعالى .

الخورى جرجس منش

حلب :

عضو المجمع العلمي

جواب علي سؤال

اطلعت على سؤال الحاضرة الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو المجمع العلمي في الجزء السابع (ص ٤٤٠) من مجلة المجمع العلمي المجلد التاسع يسألني فيه عن كتاب (مناقب بغداد) لعبد الرحمن بن الجوزي هل هو المذكور في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب؟ .
نعم تصفحت ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب فوجدت فيه ترجمة حافلة لعبد الرحمن ابن الجوزي المذكور تقع في زهاء ٣٠ صفحة بالقطع الكامل وقد ذكرت فيه مؤلفاته التي تبلغ نحو ٤٠ مؤلفاً ومنها (مناقب بغداد) الذي حصلت الفحجة بسببه و بشأن نسبته الى حفيد ابن الجوزي المسمى باسمه وكنيته ولقبه .
لهذا لم يبق ادنى شك في صحة نسبة كتاب (مناقب بغداد) الى مؤلفه عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ لا الى حفيده المذكور المتوفى سنة ٦٥٤ هـ لان النسخة التي اعتمدنا عليها في المراجعة كُتبت في القرن الثامن للهجرة وان ما حققه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ هو الصحيح لا شبهة فيه .

حسني الكسم



مطبوعات حديثة

تاريخ الموسيقى العربية

« الى القرن الثالث عشر »

A History of Arabian Music
To The XIII th Century

ألف هذا الكتاب القيم باللغة الانكليزية الاساذ هنري جورج فرمر و بحث فيه عن تاريخ الموسيقى العربية من ايام الجاهلية الى القرن الثالث عشر م . وقد قسم الكتاب الى ستة أبواب : الباب الاول عالج فيه تاريخ الموسيقى في الجاهلية وهي فترة كالاينحي غامضة ولكنه مع ذلك جمع ما تشتت في كتب الادب والتاريخ من اخبار الغناء وذكر آلات الموسيقى المعروفة اذ ذاك عند العرب في اليمن والحجاز والحيرة والشام وذكر بعض من عُرِف بحسن الصوت .

وذكر في الباب الثاني (الاسلام والموسيقى) واكثر ما عالج فيه حكم الغناء من حيث الاسلام مع ذكر أدلة الاباحة والحظر وما ذهب اليه الائمة الاربعة ثم رأي المتصوفة في السماع وأشار الى من صرف بحسن الصوت ايام النبي عليه الصلاة والسلام .

وصور في الباب الثالث حالة العرب الاجتماعية ايام الراشدين وذكر الفتوح التي تمت على عهدهم واختلاط العرب بالفرس والروم وظهور الغناء العربي المثقن بعد ان كان ضرباً من الحدااء والتطريب والنوح وذكر عزوف الخلفاء الراشدين عنه لاشتغالهم بالفتوح وأشار الى من ارتاح اليه من الصحابة كعبد الله بن جعفر وأجل تراجم المصنفين في ذلك الدور كطويس وحنين وعزة الميلاء وسائب خاثر وغيرهم .

قال واما اخذ العرب عن الفرس فلم يكن من حيث القواعد الموسيقية ولكنهم ربما سمعوا النغمة الفارسية فاستعاروها بعد ان عالجوها بالعقل والتهذيب والتعريب . وأحصى اسماء الآلات الموسيقية على اختلافها كالعزف والمزفة والمزهر والعود والطنبور والقصة والمزمار والبوق والقضيب والدف والصنخ والطبل .

وذكر في الباب الرابع خلفاء بني أمية واحداً بعد واحد بعد ان أجمل تصوير الحالة

الاجتماعية اذ ذاك وأشار الى ما كان من تنشيط الخلفاء للفناء . وقال ان أثر الفرس في الموسيقى العربية كان في الآلات أكثر منه في الغناء نفسه . وترجم لطائفة صالحة من كبار المغنين في ذاك العهد كابن مسجوع وابن محرز وابن سريج والغريبي ومعبود وابن عائشة ويونس الكاتب ومالك بن ابي السمع وجميلة وسلامة القس وحنانة وسلامة الزرقاء .

فلما انتهى الى العصر العباسي قسمه الى ثلاثة عصور : العصر الذهبي وهو من سنة ٧٥٠ الى ٨٤٧ م وعصر الانحطاط من ٨٤٧ الى ٩٤٥ وعصر السقوط من ٩٤٥ الى ١٢٥٨ . قال المؤلف ان قيام بني العباس فتح الميدان للفرس وجعل الفكر الآري يسود الفكر السامي واذ ذاك وقف الفن العربي الخالص وظهر في الشعر العربي اثر للفكر الفارسي . قال واما الغناء العربي فلم تظهر به تلك المؤثرات الا بعد زمن طويل وربما كان منشأ ذلك ان الموسيقيين كانوا صنفاً خاصاً من الناس ممتازين ومنعزلين عن غيرهم فحافظوا على الصبغة العربية في الغناء . قال وبما يستحق الذكر ان معنى العصر الذهبي كانوا عرباً بالعصر او بالبلاد وجاء أكثرهم من الحجاز وطن الفن العربي .

ثم أجمل موقف خلفاء العصر الذهبي من الموسيقى وتنشيطهم لها قال ومن دواعي تقدمها ميل المأمون لعلوم اليونان وانشائه بيت الحكمة في بغداد وترجمة علوم اليونان ومن جعلها الموسيقى ، وذكر الواثق ونوه بخدمة الفن وقال : بوقائه انقضى عصر الاسلام الذهبي الذي لو قايضنا بين حضارته وبين حضارة اوربا في ذاك الحين لوجدنا حضارة اوربا ليست سوى بربرية . وترجم لكثير من كبار المغنين كاسحق الموصلي وابراهيم بن المهدي وغيرهما .

ولما أتى الى دور الانحطاط العباسي ذكر كيف تفككت عرى المملكة الاسلامية واستقلت أكثر أقطارها في الشرق والغرب تحت طاعة الخليفة الاسمية وأشار الى تلك الدول وأخذها بيد الادب والموسيقى كالدولة السامانية والحمدانية والطولونية والافشيديّة والدول التي قامت في الاندلس . قال : وفي ذاك العصر نبغ ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني وابن فرناس العالم الموسيقي . وفي ذاك العصر ازداد النفوذ الأعجمي في الثقافة العربية ومنها الغناء . قال : ولكن مهما اقتبس العرب عن الفرس

فهؤلاء مدينون للعرب أضعاف ذلك إيس سيف الدين فقط بل بالعلوم والفلسفة والفنون الجميلة .

ومن خصائص تلك المدة الاستعانة بعلوم اليونان فيما يتعلق بالنظريات الموسيقية وشرح المؤلف ذلك شرحاً وافياً .

ثم ختم كتابه بالعصر الذي دعاه عصر السقوط وذكر ان أسماء الانعام المصطلح عليها في كتاب الأغاني تغيرت وأضحيت فارسية مع ان الموسيقى ظلت عربية وأشار الى الدول التي كان لها فضل على الموسيقى كالدولة الفاطمية في مصر والأيوبيّة - في الشام مع الإشارة الى من الف في الموسيقى وترجمة المقتنين والمخترعين وما اخترعوه من الآلات كل ذلك بأسلوب بارع وترتيب حسن وتفصيل وافٍ . فياحبذا لو يعاج لهذا الكتاب النفيس من ينقله الى العربية .

خليل مردم بك

فهرس المكتبة البلدية

« في الاسكندرية »

طبع بمطبعة شركة المخطوطات المصرية بالاسكندرية

سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٩

هذه الفهرس ترتيب وتصنيف الأستاذ الفاضل السيد احمد ابي علي امين المكتبة المذكورة وهي تشمل على ثمانية واربعين عملاً في ستة مجلدات بقطع هذه المجلة ومجموع صفحاتها ٢٠٤٠ وهي مرتبة ترتيباً حسناً على الحروف الهجائية في كل فن على حدة كترتيب فهرس دار الكتب المصرية وقد وصفت الكتب التي ورد ذكرها في هذه الفهرس وصفاً موجزاً مع ذكر شيء من حياة مؤلفيها وتاريخ وفياتهم فجاءت هذه الفهرس حسنة بما فيها من دقة الملاحظة وسهولة المراجعة على الباحث في كل ما يهمه امره .

فللاستاذ الموما اليه الشكر الجزيل لتوفره على طبع هذه الفهرس التي طالما تافت النفوس الى وصفها والاطلاع على ما تحوي عليه من الكتب النفيسة .

حسني الكرم

اهداء . مجموعة مخطوطة

أهدى السيد امين الخانجي الكتبي المشهور الى مكتبة المجمع العلمي مجموعة لتضمن الرسائل المخطوطة الآتية :

(١) (فلاند المرجان في النسخ والمنسوخ من القرآن) تصنيف الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الكرمي الحنبلي . فرغ المؤلف من تصنيف كتابه هذا يوم عاشوراء سنة ١٠٣٣ في الجامع الازهر .

(٢) (الشجرة المقرة في المسائل المتنوعة) تأليف الشيخ محمد زين العابدين العمري سبط المرصني ألفه سنة ٩٦٧ هـ وذلك عندما زار السيد البدوي ورفع اليه عند قبره قرطاس فيه أسئلة شرعية متنوعة فأجاب عليها في هذه الرسالة .

(٣) (السيبل المبين في حكم صلة الامراء والسلاطين) وهي رسالة صغيرة للمؤلف السابق يبحث فيها عن حكم الجوائز والصلوات التي يأخذها العلماء والصوفية من الملوك والامراء .

(٤) (الميثاق والعهد في شرح من تكلم في المهد) تصنيف الشيخ احمد بن ابراهيم البرماوي وهو شرح أبيات السيوطي التي اولما :

تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم الخ
(٥) رسالتان للشيخ عثمان النجدي الحنبلي : احدهما في أحكام (اي) المشددة وإعرابها وبنائها وغير ذلك . والثانية في أحكام (لو) واسم الرسالة (كشف الضوع عن معنى لو) .

(٦) كتاب (تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان) تصنيف الشيخ مرعي ابن يوسف الحنبلي المقدسي الذي سبق ذكره .

(٧) (رفع الامتار المسدلة عن مباحث البسملة) تصنيف الشيخ اسماعيل الغنيمي ابن الشيخ غنيم الجوهري .

(٨) كتاب منتهى العقول في منتهى النقول تأليف الامام السيوطي : فهو يسرد في هذا الكتاب اسماء الاشياء التي بلغت الكمال او العظم او الشدة في امر من الامور

ثم يشرح باختصار ذلك الامر الذي امتاز فيه ذلك الشيء . مثال ذلك ان يقول :
(منتهى المدائن الاسلامية بغداد) ثم يشرح لك مزاياها على البلاد . و (منتهى الفتن
الاسلامية قننة النثر) ثم يشرح ذلك و (منتهى الحشرات عقرب تسمى الجرارة) ثم
يصف مبلغ اذى تلك العقرب وهكذا لكن النسخة كثيرة التحريف والتصحيح .

(٩) قصة هرون الرشيد مع الاعرابي وهي مخرومة وليس منها سوى صفحة واحدة .

(١٠) (مكتوب الى هرون الرشيد) يتضمن عظات ونصائح

(١١) (قصة اهل الكهف) يتضمن غرائب وعجائب .

(١٢) كتاب في العقائد اختصره مؤلفه من عقيدة الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد

ابن احمدات (كذا) ولعل المؤلف المختصر هو الشيخ محمد بن بلبان كما يفهم من هامشة
على ظهر الكتاب .

(١٣) رسالة في الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ النواوي .

انتهت الرسائل وان المجمع لبشكر للمهدي مديته .

وأهدي اليها ايضا كتاب (مبادئ علم الحياة) تصنيف الامتاذ الفاضل جلال امين
زريق مدرس الرياضيات في دار المعلمين العليا والمدرسة الثانوية في بغداد . والمؤلف من
شبان سورية العاملين في ترقية الأذهان ونشر العلم وقد عرفت الحكومة العراقية قدره
فهي تستفيد من معارفه الواسعة في العلوم الرياضية فنلت انظار المتخصصين في هذه الفنون
الى كتابه النفيس .

وكتاب (فتاوى الامام النواوي) المسماة (بالمسائل المنشورة) من ترتيب تلميذه الشيخ
علاء الدين ابن المطار . وقد طبع الكتاب على نفقة مكتبة عرفة . بعد ان صحح على
ثلاث نسخ خطية وشهرة ابن تيمية ودقيق أبحاثه الدينية في مصنفاته لاحتياج الى تدويده .
وأهدي اليها (ديوان الوطنيات) لناظم الشاعر الاديب السيد محمد ناجي الجم
الطرابلسي وموضوعات شعره تدور حول الوطنية والمواطف والأخلاق وقد زينته
بصور كثير من رجال العرب وأدبائهم وافتحه برسم جلالة الملك حسين الذي أهدى
الناظم ديوانه اليه .

وكتاب (خطب ومحاضرات) وهي مما ألقى في جلسات المؤتمر السادس لمعهد المباحث العليا في رباط الفتح . وأصحاب هذه المحاضرات هم أركان النهضة في شمال إفريقيا أمثال الأستاذة الحجيوي والدكالي وحسن حسني عبد الوهاب والمرحوم ابن أبي شنب وغيرهم .

وجزآن لطيفان من رحلة الأديب المصري المشهور السيد عبد المجيد كامل التي سماها (في بلاد الناس) : الجزء الأول يتضمن رحلته في إيطاليا وسويسرا وفرنسا والجزء الثالث (قسمه الأول) يتضمن رحلته في القطر التونسي . والجزآن مزينان برسوم طائفة من المشاهير : فنقلت الانظار الى هذا الأثر .

وكتاب (الأغاني الشعبية) وهو مجموعة من الشعر العامي الذي نظمته سكان أرياف العراق ومنها تعلم اخلاقهم وطباعهم . جمعها السيد عبد الرزاق الحسيني الأديب العراقي المشهور . وهي مفيدة للباحثين في أخلاق الأمم من طريق أشعارها وأمثالها العامة .

«المصري»



مَجْلَدُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

(دمشق) تشرين الثاني : سنة ١٩٢٩ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٨ هـ

يهود الشام

منذ مئة عام (١)

فمن اليوم في سنة ١٣٤٢ هـ . فاذا رجعنا الى ما قبل مئة سنة كاملة اي الى سنة ١٢٤٢ (الموافق ١٨٢٦ م) وجدنا أنفسنا في زمن ولاية (صالح باشا) على دمشق . وهو الوالي الذي جرت معظم حوادث هذه المحاصرة في زمنه . و (صالح باشا) هذا هو احد صدور الدولة العثمانية : تقلد ولاية الشام للمرة الاولى سنة (١٢٣٨ هـ - ١٨٢٢ م) ثم عزل ووُلي مكانه (إيجلي احمد باشا) سنة (١٢٣٩ هـ - ١٨٢٣ م) واحمد باشا هذا مات بجمص . وخلفه في ولاية الشام (مصطفى باشا) في السنة نفسها اي سنة (١٢٣٩) ثم عُزل وخلفه (ولي الدين باشا) سنة (١٢٤١ هـ - ١٨٢٥ م) . وفي السنة التالية اي سنة (١٢٤٢) أعيد (صالح باشا) المذكور .

ففي غضون اربع او خمس سنوات تعاقب على ولاية الشام خمسة ولاة . وقد ذكر (لافنس) في تاريخ سوريا أمراً أغرب من هذا . وهو ان احد قناصل حكومة البندقية في حلب كتب في تقرير رفعه الى حكومته : أنه تعاقب على ولاية حلب في مدة ثلاث سنين تسعة باشاوات . اي باعتبار اربعة اشهر لكل واحد منهم .

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في ردهة المجمع العلمي مساء الجمعة في ٩ تشرين الثاني

سنة ١٩٢٣ م و ١٣٤٢ هـ .

ولا أحاول في محاضرتي هذه ان اتعمق في اخبار ولاية الشام ولا الاخبار التي جرت في عهد اعدام (صالح باشا) وأنا أريد ان أذكر حوادث صيافة اليهود وكيف استبدوا في ذلك العهد بحسابات بيت المال بل بالحركة الاقتصادية العامة . اما المصادر التي استقيت منها حوادث هذه المحاضرة فهي :

(١) مجموعة مخطوطة في مكتبتني وهي للمرحوم علي افندي الكيلاني منفي سنة المتوفى في حدود سنة (١٢٤٠ هـ — ١٨٢٤ م) وكان رحمه الله يدون فيها ما يستحق التدوين من شؤونه الخاصة وشؤون أسرته الكيلانية وبعض ما يقع اليه من اخبار اهل عصره .
(٢) كتاب مخطوط في موضوع تاريخي خاص ألفه كاتب مسيحي^(١) مشهور في دمشق وقد عثر طويلاً حتى أدرك — وهو ناشئ — حوادث الصيارف التي كانت تقع في ذلك العهد .

(٣) بعض أصدقائنا من أفاضل دمشق الذين وقفوا على أخبار بلدهم وأسرار تاريخها الحديث .

هذه هي المصادر التي اعتمدت عليها في محاضرتي : فهي حوادث غضة طريفة . لم تعرف بعد . ولم تنعاورها أفلام الكتاب بنافذة او نقد . فمن ثم كانت جديرة باقباتكم عليها . واصفائكم اليها .

كان لصيافة اليهود منذ مئة سنة اي قبل وضع النظام المالي الحالي عن وصوله . وأصبح لهم عندولانيتها وحكامها نفوذ ودولة . حتى كان الناس يتناشدون ما قاله الشاعر فيهم :
(يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالم وقد ملكوا)
(المال فيهم . والجاه عندهم . ومنهمو المستشار والملاك)
(يا اهل ذاالعصر قد نصحتكم تهودوا قد تهود الفلك)
ومما استبدوا به في ذلك العهد من أعمال الحكومة شؤونها الحسابة . وأسرارها المالية . حتى ما كان منها متعلقاً بركب الحج وترحاله . وتهيأة لوازمه وتدارك أمواله : فكانوا

(١) هو الدكتور ميخائيل مشاقة المؤلف المشهور .

يتعلمون أحياناً بأن المال المخصص للركب لم يتوفر بعد . أو ان الجبايات في هذا العام نقصت عن الحد . الى غير ذلك مما حمل الناس على التذمر منهم . ومتابعة الشكوى للحكومة عليهم . لكنهم كانوا اذا راجعوا ولاية الشام في ذلك أظهر الولاية عجراً وحيرة في تلافي الشر . وكثيراً ما يكون لبعض ولاية السوء علاقة بالصبارفة . وميل اليهم . واعتماد في الصيد عليهم .

ثم لما استنحل امرهم ، واستشرى فسادهم ، رفع بعض اهل دمشق عريضة شكوى الى (السلطان محمود) . وكان السلطان يومئذ مشغولاً بامر الانكشارية الذين طغوا في البلاد ، واكثروا فيها الفساد . ولاسيما مدينة (حلب) التي مُنبت من شرورهم بما لم تكن به مدينة غيرها . وكان سكانها يومئذ حزبين او فرقتين : (انكشارية) و (سيّاد) . وكان يلحق فريق (السيّاد) من (الانكشارية) اذى كبير ، وشر مستطير . ولقد ظفرت بقطعة شعرية مكتوبة على ظهر كتاب مخطوط وصفت بها قائلاً حالة الفريقين في ذلك العهد فقال :

(يا مصطفي انت القلوب منقصة بينيك في الشهباء حلت منقصة)
(في جامع بدعي (الطروش) لقد غدت بدمائهم تلك الأماكن مفتصة)
قوله (مفتصة) كذا بالاصل بالفاء ولعلها (مفتصة) بالفين الممجة اي (غاصّة) تخففت لضرورة الوزن . وليس ذلك بجائز . اما جامع (الطروش) فهو جامع (الأَطروش) احد جوامع حلب وهو اليوم في حالة خراب وموقعه أمام قلعة حلب ملاصق لسوق الجمعة :
(أدرك فجسم الحق ساء مزاجه ولقد كوى الاشراف ابن الحمصة)
(ابن الحمصة) رئيس انكشارية حلب في ذلك العهد . وقد عني بالاشراف فريق (السيّاد) .

(أقبل وقل للحرب لي وأذق لظلام الاوجاق الحمصة)
(الحربلي) اسم عائلة من عائلات حلب كان رجالها في اوجاق الانكشارية . وما زالت هذه العائلة الى اليوم في حلب لكنها منحلة :

(في النازعات اجمل لنا ياسينهم وجميعهم - ليست اليه مخصصة)
(ياسينهم) اي ياسين الانكشارية وهو احد زعمائهم في ذلك العصر .

(فدماء أعداء الآلهة ثمينه ودماء اولاد الرسول مرخصة)
(ولأنت أولى بالجميع وهذه شكواهم رفعت اليك ملخصة)

هكذا كانت حالة البلاد من جراء فتنة الانكشارية في ذلك العهد والسلطات محمود منهك فيها . وعاصمته (القسطنطينية) قائمة قاعدة من أجلها .

وبينا الحالة كذلك والشكوى من الانكشارية ترفع الى السلطان اذا عريضة أخرى بالشكوى من صيارفة الشام رفعها املوها الى السلطان يشكون اليه ظلم اولئك الصيارفة واستبدادهم بالديوان . واحتجائهم المتافع . فلم يكن اهتمام السلطان بامر الانكشارية والذي يصرفه عن النظر في امر اولئك الصيارفة . وتلبية نداء الدماشقة . فامر بدزلم من (ديوان السرايا) والاستعاضة عنهم بغيرهم ممن يحسنون العمل . فأخذ حكام الشام ينظرون الفرص لتنفيذ الازادة السلطانية .

وكانت عقدة العقد في أمر هؤلاء الصيارفة انهم كانوا يكتبون (دفاتر الديوان) باللغة العبرانية التي لا يعرفها سواهم . ثم على تمادي الايام اصبحت تلك الدفاتر كأنما كتبت بالقلم (القلفطيري)^(١) لا العبراني . واصبحت ارقامها وجداولها اشبه بالقلفطيريات . منها بالقيود والحسابات . بحيث لم يبق في وسع احد من الناس غير الصيارفة ان يهتدي الى فهم ما فيها . واكتناه اسرار معمياتها .

هذه كانت حالة (دفاتر الديوان) في ذلك الوقت . والى هذا الحد بلغت الحيرة في فهمها ، وحل رموزها . وكان الوزير من وزراء الشام اذا أراد عزل هؤلاء الصيارفة من (ديوان السرايا) وضبط الدفاتر وصحبها من بين أيديهم للوقوف على سرها . ودخيلة امرها — أدرك عجزه لأول وهلة وعلم ان من يخلفهم ، لا يحسن عملهم ، ولا يكفي المهم مثلهم . وربما خشي الوالي ان تقع مالية الولاية وحسابات الديوان في التشويش والارتباك فيسكت على مضض وهم متقلق .

(١) (القلم القلفطيري) خط اليهود الذين يكتبون به التعاويذ والرقى بآيات من التوراة . ثم توسع كتاب العرب في استعمال (القلفطيري) و (القلفطيريات) فاطلقوها على كل ما كان من قبيل البطلام والرموز من الكتابات .

وكان^(١) أولئك الصيارفة يجهلون في وضع خزائن الحكومة وإيراداتها ومصارفها تحت أيديهم . ويسمون في الحصول على أوامر سلطانية تكون سنداً بأيديهم تشير بتوظيف الصراف على خزينة الولاية الفلانية . وبهذه الصورة يأمنون على صراحتهم فلا يجرى للولاية أن يمزولهم متى شاءوا . ولا سيما أن الولاية يبدلون كل مدة قصيرة كسنة وسنتين . ومن جراء ذلك تصبح لولاية للولاية بالاسم ، وللصيارفة بالفعل . والوالي يكون كأمور يعمل بحسب رغبة الصراف الذي ينده الإيراد والمصرف . ووظيفته مستقلة دائمة بأمر سلطاني ، لا يقدر أحد على معارضته . بل إن بقاء الوالي وعزله وإدائه وبراءة ذمته كل ذلك بيد الصيارفة : فإن جاملهم وأطاعهم رحموه عند عزله . وقدموا له حساب الإيراد والمصرف بدون خسارة . يفعلون ذلك لقاء مبلغ يقبضه منه صراف الباب العالي بالاستئانة .

بخزينة إالة الشام كانت في ذلك العهد بيد أفراد عائلة مخصوصة^(٢) وبمساعدتهم تعظم غنى اليهود بدمشق . وكان أكبر^(٣) صيارفة الخزينة من هذه العائلة . ومع قلة معارفه كان الأهالي يخشون سطوته ويحسبون حساباً لدهائه .

وكانت قري دمشق بنوع أخص تضطر إلى الاستدانة ، إذ إن أموالها الأميرية كانت مربوطة على السنة القمرية بسبب ترتيبها لمصارف ركب الحج الذي يكون تسفيره على الحساب القمري . والحساب القمري لا يتفق دائماً مع السنة الشمسية التي يحسبها يكون طلوع الغلال وأوقات زراعتها . فلذلك يضطر الفلاح أن يستدين لدفع مال الميرة الذي عليه . هذا عدا ما يلزمه لمصارفه الخاصة وللقوبة أمور فلاحته .

فهذه القرى يترتب لها مداينون يعطون الفلاحين ما يحتاجون إليه من الدين بالربا . ويسمى هؤلاء المداينون عملاء أو شوابصة . والشوابصة يكونون من صيارفة اليهود غالباً .

(١) التفصيلات الآتية عن أعمال اليهود في مالية الحكومة ملخصة من مخطوط الدكتور ميخائيل مشافة الذي مررت الإشارة إليه وإلى مخطوطه وقد ألفه في مساوي القوم وسماه (الايضاحات الجلية الخ) . (٢) هذه العائلة هي بيت فارحي . (٣) واسمه (روفائيل شحاده) وأخوه واسمه (سلمون) .

قرى قليلة تكون لها علاقة باحد أعيان المسلمين لكونها ملكه او وقفه ، فهو يدفع الاموال الاميرية عنها .

ففي قرب موسم الحج وطلوع الحمل الى الحجاز تجتهد الصيارفة برفع أسعار النقود و يُقنعون باعة البضائع بان ارتفاع أسعار النقود يرغب الأغراب القادمين للحج في مشترى بضائعهم ، فيصدق الباعة ذلك ، ولا ينتبهون لغرض الصيارفة ، فتصعد الاسعار غالباً بالمئة عشرين : وبعد سفر الحج ترجع الاسعار الى حالها .

فصراف الخزينة حينما يُطلب منه ثمن لوازم الحج او نقود للمساكر التي تسافر مع الحمل للمحافظة عليه وهي في حاجة الى شراء خيول وأسلحة — حينئذ يأخذ الصراف بالاعتذار بعدم وجود نقدية في الخزينة في الوقت الحاضر ، ثم يعطي العسكري ورقة حوالة على الخزينة فيضطر العسكري ان يبيعها للصيارفة الذين يكونون منتشرين حول الخزينة ولا يبرحونها في تلك الايام ، فيشتري الصيرفي الحوالة و يدفع ثمنها المئة ثمانين حسب أسعار النقد الراجح بوقتها ، ثم يسددها للخزينة عن مطلوبها من القرية التي يعاملها .
فالئة المدفوعة منه للخزينة ورقاً لم تكن قد كلفت عليه سوى اربعة وستين بسبب رفع سعر النقود بالمئة عشرين او أكثر . ثم ان صراف الخزينة يحسبها على الفلاح عملة الخزينة و يضيف اليها عشرين فرق المعاملة فتصبح (١٢٠) ثم يضيف اليها المراجعة ومرتبات العميل التي يسمونها (الشوبصة) الى غير ذلك مما أثقل كاهل المزارعين ومعظم سكان الشام منهم . فكانت تنسرب أثمان حاصلاتهم الى جيوب الصيارفة وبذلك أصبحوا أغنى سكان دمشق .

ففي زمن ولاية (ولي الدين باشا) على الشام وذلك سنة (١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ م) انتبه الى خيانتهم وانه لم يعد يجوز إيثاقهم على خزينة الحكومة . وكانت الشكايات انماهم الى الباب العالي والامام السلطانية ترد تترى برفع الظلم وانصاف الاهالي . فكثب الوالي المذكور الى الباب العالي بلزوم عزل كبير^(١) الصيارفة عن تولي امور الخزينة فلما شعر هذا بالامر هرب حالاً الى بغداد خشية ان يُناقش الحساب . فيعمل به العقاب .

(١) وهو روفائيل فارحي الذي مر ذكره .

وبعد هربه أراد الوالي ان يعين خلفاً له فارتبك في الامر : لانه انت عين احداً مكانه من صيارفة اليهود بقي المشكل على حاله ، فبلغه ان في حمص رجلاً مسيحياً ماهراً في أعمال الصرافة والامور الحسابية وهو من عائلة معروفة^(١) في حمص فدعاه الى دمشق وعينه صرافاً للغزينة مكان صرافها الاول . فقامت قيامة طائفة الصيارفة لهذا التعيين وحسبوه خائراً بهم مستقطاً لمنزلتهم . فكتبوا الى كبيرهم روفائيل الذي هرب الى بغداد وجعلوا يعملون يداً واحدة في الاستانة على عزل والي دمشق وتعيين غيره . فوققوا الى ذلك وعين صالح باشا للمرة الثانية وذلك في سنة (١٢٤٢ هـ - ١٨٢٦ م) . عندها رجع روفائيل كبير الصيارف من بغداد الى وظيفته في دمشق . ويقال انه اتفق في هذا السبيل (٣٥٠٠) كبس والكبس (٥٠٠) قرش فيكون المجموع مليوناً وسبعمائة وخمسين الف قرش .

ولما نبأ كبار الصيارف مركزه وعاد الى سابق تقوده لم يكفه عزل الصراف الحمصي بل جعل بدس الدسائس لقتله كي يكون عبرة وتكالاً لكل من اراد ان يتولى هذه الوظيفة من غير طائفة الصيارف . واخذ يبدل الاموال الطائلة الى الوالي (صالح باشا) ليحمله على قتل ذلك الصراف الحمصي المسكين . لكن الوالي كان رجلاً صالحاً فلم يخدعه بربق الذهب . ففكر في طريقة تنجي ذلك الصراف من كيد الصيارفة فعرض عليه الاسلام وقال له : انتك ان اسلمت انقطعت عنك اطباع اعدائك وحفظت نفسك من اذام وامكنتي انت ابقىك في (ديوان السرايا) رقيباً على الصيارفة ومشرفاً على الحسابات وسائر المعاملات . فلا تظل خزينة الحكومة تحت رحمة اولئك الصيارفة .

فأشرح صدر الرجل للاسلام فاعلن^(٢) اسلامه وسمي (محمد افندي هدايت)

(١) اسم الرجل اسكندر وعائلته تعرف في حمص باسم (بيت الكاتب) .

(٢) هذا ما نرويه في سبب اسلامه عن مصادر موثوق بها ولكن جاء في مخطوطة (نوفل نعمة الله نوفل) الطرابلسي التي تضمن حوادث دخول ابراهيم باشا للشام المحفوظة في مكتبة (الجامعة الاميركية) ما يلي : (صالح باشا والي دمشق صادر سجون وروفائيل شحادة فارحي الاسرائيليين كاتب خزينة دمشق وعذبها وسجنها) . كانت قد اراد قتل

وايتمجت قلوب الدماشقة بذلك ما عدا طائفة الصيارفة بالطبع .
وعذ الناس فض المشكل على هذه الصورة من حسن ادارة الوالي (صالح باشا)
ونلففه في سياسته .

ولو كانت هذه الحادثة في هذا الزمن زمن الصحف والجرائد لكان الصحافيون هم
الذين يشنون الغارة على طائفة الصيارفة ويغيثون الرأي العام عليهم .

اما في ذلك العهد (اي منذ مئة عام) فلم يكن في سوريا صحافة ولا صحف .
ولا قيس ولا الف باء ولا تسكير اسواق ولا اقفال مخازن ولا اقامة مظاهرات وكل
ما كان موجوداً في ذلك العهد شاعر خفيف الروح . سريع الخاطر . حاضر النكتة .
لا يدع شاردة من حوادث زمانه تفلت من دون ان ينظم القصائد فيها وينبه الافكار
اليها . اعني به (الشيخ امين الجندي) شاعر حمص بل شاعر الشام في تلك الايام .

فلا جرم ان يكون الشيخ امين من اشد الناس سروراً باسلام ابن بلده (هدايت
افندي) فاحتفل لهذه الحادثة ايما احتفال ونظم قصيدة لامية دون فيها حكاية الصيارفة
وقبيح اعمالهم ووصف حزم الوالي صالح باشا واسلام (هدايت افندي) وانتهجها بمدح السلطان
محمود الذي اصدر امره بعزل اولئك الصيارفة . وقال في مطلعها ^(١) :

وافتك بالعز خود زانها الطول بديمة لحظها بالسحر مكحول

سكندر الحمصي الكاتب فاسلم فنصبه عوض اليهودي وسماه (هدايت افندي) واحضر
رماناً بعدم استخدام اليهود بعد ذلك في امانة صندوق الشام ثم بعد مدة وجيزة
قتل اسكندر المذكور واستكنى بعبد الله نوفل الذي استخدمه بمجده اه . اقول ولكن
سياقي معنا ان الذي قتل اسكندر هو رؤوف باشا لا صالح باشا الذي اسلم في زمنه وان السبب
في قتله وشاية الصيارف به لمزاحمته لم في امور الخزينة وبذلك يخلصون من شره . ولعل
فعل (قتل اسكندر) بضم القاف مبنياً للمجهول وكذلك فعل (استكنى) فيكون في ذلك
اشارة الى ان القاتل هو الوالي الذي خلف صالح باشا .

(١) ديوان الجندي طبع طبعتين: ففي احدى الطبعتين نشرت القصيدة برمتها وفي
الاخري نشر مطلعها وايات المدح التي قيلت في السلطان محمود فقط .

وما زال شاعرنا الجندي يتغزل بالخود الذي زانها الطول ، ولحظها بالسحر مكحول ،
حتى قال في مدح السلطان محمود :

- (أنقى السلاطين محمود الفعال ومن
(فكم معارك حرب قد أباد بها
(من فوق طرف كان الصبح شق له
(في حُلّة من سنا التقوى يزيناها
(ما تمسك المال عن راجيه راحته
(تشكوا لعلياء ما قامت رعبه
(حيث استطالت بقطر الشام طائفة
(وقد متهم موالينا وما علموا
(مدثوا من المكر اشراكا وطبعهم
(صادوا بها كل نسر في الثرى ونحوا
(هم في القلب كالأفياء ثم وفي
(قد كان من يحرم ان الوزير متى
(كم مرة مكبروا بالابرياء وكم
(وكم الى السجن قادوا غافلا فضى
(من عهد سبعين عاما هم صيارفة
(حيث الدفاتر عبرانية رقت
(وليس يعلم أتراك ولا عرب
(وكل ما تجنويه باطل كذب
(ظنوا بابن امور الحج بعدد هو
(شيدت على الشخ والشكوى بيوتهم
(أموال عكة ماذا يصنعون بها ؟
(لمال كل وزير قد مضى ورثوا
(فيا أولي الامر ما هذا التهاون في
- (بالعز والنصر مخفوف ومشمول
(حزب الضلال فولى وهو مخزول
(من نوره غمرة بيضا وتحجبل
(بأمن وحلم واحسان وتنويل
(الا كما يمسك المال الغراييل
(من البلايا وعقد الصبر محلول
(على البلاد . وهم قوم مناصيل
(بان تقديم جور وتضليل
(على الخداع وقول الزور مجبول
(تشر السما فاثنوا والعزم منلول
(تلوينهم قل هو الحرباء والغول
(أصفى لهم قال : معاشتمو قولوا
(خانوا وزيرا له بالعدل تحجبل
(منكس الرأس بالاصفاد مغلول
(اذا مضى منهمو جيل أتى جيل
(خلاف السنن والسر مجهول
(ما خُط فيها ولا المنقول منقول
(بل انها كلها زور وتحجبل
(ينال ترتبها بخس وتعطيل
(فليس فيها لضيغ قط مأكول
(ما آن أخذ لها ما آن تحصيل ؟ ؟
(حيا وميتا : فهل في ذاك تحليل ؟
(أمر عظيم به للحق تنليل ؟)

(أما اتى : (كل راعٍ عن رعيتيه يوم الحساب لدى الجبار مسؤول ؟)
 (فكيف ترجوت عهداً للذين هم بُعثت شجاج مشائيم منا كيل)
 (كم بالربا محبوبا ذبل الخراب على أهل البلاد وكم قالوا لهم : زولوا)
 (حتى اذا ألم المولى خليفته في قمعهم - امتعت تلك الاباطيل)
 (بصالح الوزراء الصدر أصلم ما قد أفسدوه وستر الله مسدول)

ثم ذكر مناقب صالح باشا وعددها فقال :

(منها بنى جامعاً فيه الصلاة زججت وقد حلا فيه للقرآن توتيل)
 (كذاك إسلام ذي رشد على بده حرّ حنيف له فكر ومعقول)
 (ملقب (بهدايات) وحيث سمي (محمداً) فله في ذاك تفضيل)
 (لولاه ما بان مكر القوم قط ولا من رفهم ظهرت تلك التهاويل)
 (الله أكبر ذا أمر قد انشرفت منه الصدور . وذا باع له طول)
 (مبرّت بإيمانه أهل الهدى وعلا له عصبة الحق تكبير وتهليل)
 (كم ذا أراد العدى ان يخذلوه وقد خابوا فكانوا هم النكس المخاذيل)

الى ان قال في ختام هذه القصيدة الفريدة :

(أو ما أمين يحمى الشام فيه شدا وافئك بالمرز خود زانها الطول)
 هذا ايها السادة ما وقع في الشام . منذ مئة عام من خبر صيارفة اليهود . واستفحال
 شرم . وتدارك امرهم

ولكن هل اصطلح الشسر . واستوصلت جذوره بالمرّة بحيث لم يبق لسلطة الصيارفة
 اثر ولا تأثير في حكومة دمشق بعد ان تقلص ظل ولاية (صالح باشا) ؟ كنت اظن
 ذلك حتى ذكر لي بعض الفضلاء ^(١) من اصدقائنا المسيحيين حادثة وقعت لابيّه في زمن
 ولاية اتوالي الذي خلف (صالح باشا) واسمه (رؤوف باشا) او (عبد الرؤوف باشا)
 وولايته كانت سنة (١٢٤٤ هـ - ١٨٢٨ م) وفيهم بما ذكره هذا الصديق أن نفوذ

(١) هو المرحوم الياس بك قنصلي ابن عبدو بك قديمي من وجهاء النصارى في دمشق
 واحد اعضاء مجمعنا العلمي :

السيارفة وصولتهم عادت الى أشد ما كانت عليه . — قال ان والده عبدو بك تعرف في عهد حدائنه برجل اعمى من اهل دمشق يدعى (حميصه) سمي بذلك لانه من مدينة حمص . وقد اتفق معه على الاشتغال بالصرافة . وكانت حميصه هذا نشيطاً جريئاً عارفاً باصول هذه المهنة واقفاً على اساليبها الناجحة غير انه اعمى العينين لا يمكنه التحول ولا النقل من مكان الى آخر وهو امر ضروري للصراف فاتفق مع عبدالله (عبدو) والد صديقنا على ان يقوده من مكان الى مكان و يغشى به الحجاج حيث التجار والمرايون وارباب الاموال . وهناك يعملون معاً على الكسب . ويكون الربح الحاصل من ذلك بينهما بالسوية . قال وكانت لطائفة السيارفة صولة في تلك الايام وتمكن من نفوس حكام الشام : فكانوا يخفضون سعر العملة اياماً ثم يرفعونه فجأة وبذلك يربحون ارباحاً عظيمة . ويعملون من هذه الارباح نصيباً مفروضاً للحكام الذين يطلعونهم على سرهم . ويشاركونهم في سمحتهم . ومن جملة اعمالهم انهم كانوا يستحبون من النقود المتداولة شيئاً من فضتها وذهبها وذلك ببردتها بالمبرد او بالقطع منها . فاخترع عمال (الضرب خانه) طريقة لوقاية النقود وحفظها من السرقة فجعلوا حولها على دوائرها زنجيراً منمنماً مخزماً فاذا مرق شيء من طرف النقد بالبرد او بالقطع انثلم النقد وعرف الناقص من غير الناقص من الدنانير لكن السيارف احتالوا بحيلة جديدة وهي انهم جعلوا يغطسون نقود الذهب والفضة بمحالب كياوية ثم يأخذون ما انخل منها في الماء من دون ان يظهر على النقود نقص او يرد او حك او تلاعب في الزنجير .

قال الصديق : ثم ان حكومة الشام أعلنت (بانقراض من السيارف) ان الايام الفلانية والايام الفلانية لا يجوز الاشتغال فيها بالصرافة ومن خالف حوزي جزاء صارماً . فاما (عبدو) وشريكه (حميصه) فقد حسبا ان هذا المنع لا يتسارلها لان عبدو شاب لم يزل حديث السن وشريكه حميصه اعمى . وتعرفون ايها السادة انه ليس على الاعمي حرج .

غير ان السيارفة ما كانوا يؤمنون بهذه الآلية القرآنية بالطبع فوشوا بها الى والي الشام (عبد الرؤوف باشا) فطلبها اليه فدخلا عليه وهو في الديوان وعنده كبير السيارفة . فجعل (عبدو) يتنذر بصباه . ورفيقه حميصه يبكي شجوه ويندب عماء . واخذ كبير

الصيارفة يقطع حديثها . ويهول الامر عليها . ويغري الوالي بها . حتى احفظ قلبه فأمر بشنقها .

وكانت سراي الوالي رؤوف باشا يومئذ في البرامكة حيث الكشك المعروف اليوم على طريق محطة البرامكة المطل على المرجة وقد كانت في زمن الحرب العامة نادياً (كلوب) للضباط العثمانيين . وبعد ان كبر عبدو بك القديمي وشاخ كان كلما مر بذلك المكان مع ابنه صديقنا الياس بك يشير الى موقع السراي ويحكي لابنه حادثة صباه هذه وحادثة رفيقه حميمة الحمصي وكيف امر الوالي رؤوف باشا بشنقها . غير ان الله تداركها بلطفه وعنايته فحبسا اياماً ثم خلّى سبيلها بشفاعة بعض الشافعين . من أعيان الدمشقيين .

فيستدل من هذه الواقعة ان نفوذ اولئك الصيارفة استمر بعد زمن صالح باشا وبقي الى زمن ولاية رؤوف باشا وكان رؤوف باشا هذا ظالماً قاسي القلب كما سمعتم من خبره مع حميمة . بل ان له خيراً آخر أدل على ظلمه وخبثه ذلك ان طائفة الصيارفة في زمنه عادوا الى دس الدسائس للانتقام من الصراف الحمصي (محمد افندي هدايت) الذي أسلم في زمن صالح باشا . فيقال ان اولئك الصيارفة مازالوا يطعمون (رؤوف باشا) بالمال ويزينون له البطش بذلك المسكين بقتة بلا سؤال ولا جواب حتى قتله ^(١) ، واستلمت طائفة الصيارفة الخزينة واستبدوا بها من دون مشارك ولا معارض .

ثم مات رؤوف باشا وخلفه في ولاية دمشق (سليم باشا) وهو الذي ثار عليه اهالي دمشق لكونه فرض على العقارات خريبة (مضربتين) فقتلوه سنة (١٢٤٧هـ - ١٨٣٦م) وفي السنة التالية زحف المصريون بقيادة (ابراهيم باشا) واستولوا على بر الشام فحفظوا مال الخزينة من اولئك الصيارفة بقدر الامكان وتوصلوا الى ذلك بتعيين (يحيى افندي) وهو يهودي من حلب كان اسمه (بيخور) فأسلم وسمي (يحيى افندي) وكان حاذقاً في امور الصرافة والمعاملات المالية .

ثم من يومئذ صلت الاحوال ، وانظمت الاعمال ، وتوفرت في الخزينة الاموال ،

(١) راجع فاشة ص ٦٤٢ من هذا الجزء .

ولم يعد لصيارفة الشام تأثير كبير في نفوس ولائها بل كان كلما جاء احد هؤلاء الولاة الى دمشق اضطر كبير الصيارف ان يتوسط بعض أعيانها في ان يقدمه الى والي و يعرفه مكانته ووجاهته في قومه .

لكن كان كبير الصيارفة لا يصل الى بين يدي والي و ينال منه حظوة حتى يبذل للواسطة اموالاً طائلة . فكان الصيارفة يشتملون من هذه الوساطة والنفقات التي ينفقونها في سبيلها كلما جاء وال جديد . فاستنبطوا للخلاص من ذلك حيلة غاية في الرقة والالطف والدوق .

ذلك ان كبيرهم (شمايا) بنى قصره الشهير في (دمر) على قارعة الطريق الاعظم المؤدي الى الشام فصارت طائفة الصيارفة اليهود لا يدعون والياً يدخل الشام حتى ينزلوه ضيفاً عز يزاً في هذا القصر على الرحب والسعة . مما يذكرنا بقول شاعرنا العربي مع ملاحظة الفرق بين التينين :

(ضررنا بقارعة الطريق قبابهم ينقارعون على قرى الضيفان)

(ويكاد موقدم يهود بنفسه حب القرى خطباً على النيران)

ففي خلال إقامة والي في (قصر شمايا) وحشد القوم في خدمته والاتفاق من سعة على ضيافته ثوثق بينه وبين كبار الصيارفة روابط الصداقة والمحبة . وبنفقات قليلة في (قصر شمايا) استغنوا عن نفقات كثيرة كانوا يبذلونها لآعيان الشام لاجل تقديمهم الى الولاة عدا ما يصحب ذلك من التملق والتذلل وتحمل المنة . فما أطفها حيلة ، وما أسهلها وسيلة . وهكذا أيها السادة انطوى ذكر الدور العجيب الذي كان يمثل صيارفة الشام . منذ مئة عام . ولم يبق من أثره سوى هذا القصر الذي يشهد على ما كان منهم في سالف الايام .

«المغربي»

مشروع بكتابة الحركات^(١)

بحروف عربية

[واستعمال أيجدية واحدة للطبع والكتابة]

مقدمة « موجزة »

من المعلوم أن الكتابة العربية قد مرت عليها تغيرات متعددة متوالية حتى وصلت إلى شكلها الحاضر وأن هذا الشكل يحتاج إلى إصلاح يذنيه من المثل الأعلى لآظهار صوت كل حرف في الكلمة فالكتابة الحاضرة « غير المشكولة » لا توضح سوى نصف أو ثلث أصوات حروف الكلمة فيحدث الخطأ في قراءة اللغة الفصحى ومن ثم عدم انتشارها حتى بين المتعلمين من أهلها وكذلك لنوع رسم الأيجدية رقعة ونسخ وغيرهما وتعدد صور الحرف الواحد إلى أربعة أشكال ثم الحركات الثلاث ثم النون والشدة والكوت فتبلغ الأشكال أكثر من ٢٣٠ شكلاً في الكتابة وأما في الطباعة فتبلغ ٨٤٠ شكلاً بالطريقة المشكولة و٣٢٠ شكلاً بالطريقة غير المشكولة . وكتابة الممزة التي ألف بعضهم كتباً خاصة في كتابتها لصعوبة ذلك والشمسية والقمرية وزيادة بعض الحروف في الكلمة ونقص البعض في الأخرى كل ذلك من مقلصات انتشار اللغة العربية التي من واجب كل متعلم أن يسعى لتسهيل نشرها .

ولكن بهذه الطريقة لا يحتاج لدراسة سوى ٣٢ شكلاً للحروف فيقرأ ويكتب بشكل واحد بسهولة وانقان وبذلك نكون قد وفرنا على الطالب $\frac{7}{10}$ الوقت الذي يصرفه في تعلم الأشكال المتعددة للحرف ولا يتقن القراءة والكتابة ولا ينكر أن في هذه الطريقة اقتصاداً عظيماً إذ يقتصد $\frac{4}{7}$ مجهود التلميذ والمعلم ووقتتهما فيستثمر ذلك المجهود المقنصد والوقت في الحصول على تقدم آخر . ولقد وجدت كذلك أن التلاميذ بعد أن كانوا يقرأون بسهولة حينما كانت الكتابة مشكولة بفضل أساليب التربية الحديثة أصبحوا

(١) خلاصة مقال بحث به الفاضل السيد زهير الشهابي بالقدس .

لا يضبطون الا قراءة كلمة او كلمتين فقط من السطر في الكتابة غير المشكولة .
 وكل منا قد جرب بنفسه انه كثيراً ما يحتاج في ضبط لفظ كلمة جديدة تمر عليه
 الى مراجعة القاموس (ولا يخفى ما في ذلك من المشقة وضياح الوقت) وليس ذلك
 لتقصيره في التحصيل او لقلة إلمامه بل لأننا نكتب نصف او ثلث الكلمة التي نكتبها وليس
 عندنا سليقة نعتمد عليها في ضبط قراءة ما نريد كما هي الحال عند الامم الاخرى .
 ويدعي البعض ان الكتابة العربية مختزلة وذلك صحيح الا انه ليس من المحسنات
 بل هو جرثومة عدم انتشار اللغة الفصحى فيسهل على اللغات الاخرى مزاحمة العربية
 في عقر دارها .

وهنا يخطر على البال السؤال الآتي :

ولما اذا لانكتب بالحروف المشكولة ؟ (كما سألني الدكتور مورثز المستشرق الالماني
 اثناء حديثي معه بهذا الموضوع وقد نشر في مقتطف نموز سنة ١٩٢٩) وهنا أعيد
 جوابي اليه وهو :

ان للكتابة المشكولة تكاليف عظيمة متعددة منها :

(١) انها كتابة ٣ سطور في آت واحد (نفس الكلمة ثم الحركات التي فوقها
 والتي تحته) .

(٢) لان الحركات تحتاج حين الكتابة لرفع اليد مرات بعدد حروف الكلمة
 او اكثر .

(٣) لان القاري والكاتب يضطران الى قراءة وكتابة ٣ سطور في آن واحد .
 ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياح الوقت .

(٤) صعوبة طبع الحروف المشكولة وذلك ان الطبع المشكل يحتاج الى ٨٤٠ شكلاً
 فيتضاعف الشغل والوقت ومن ثم اجرة الطباعة في حين ان الطباعة العادية لا تحتاج الا
 الى أقل من النصف اي ٣٢٠ شكلاً ولعمري الحق ان هذا لكثير ايضاً . هذا في الوقت
 الذي فيه طباعة اللغات الاوربية تكفي بـ ٥٨ حرفاً . واما الطباعة العربية في المشروع
 الجديد فتحتسب بـ ٣٢ شكلاً بدل ٨٤٠ شكلاً فتصبح أضبط لفظاً وأوفر كلفة ووقتاً
 من الكتابة المشكولة وغير المشكولة .

(٥) ان الحركات ليست الا حروفاً صوتية قصيرة فمن الخطأ اعتبارها حركات كما هو واقع في العبرية فيجب كتابة الحركات في صلب الكلمة لاني حواشيها او حذفها بثنائاً . ولا بد في هذا المقام من بيان ان هذا الاصلاح في الكتابة العربية ليس بدعة كما هو معلوم لجمهور المتعلمين من العرب والمستشرقين فلم يكن الخط معجماً ولا مشكولاً في صدر الاسلام فقد كان مثلاً حرف (ب) غير المنقوط يدل على ب ، ت ، ث وكذلك حرف (ع) فكان يدل على ع ، غ ممّا وهكذا . . . فاصلاح الكتابة العربية له سوابق كما هو معلوم .

« المشروع »

- مما مضى يستتج ضرورة اصلاح الكتابة العربية بصورة تطابق القراءة والكتابة كل منهما الاخرى وقد وفقت لتحقيق ذلك بعد مجهود ٩ سنوات حتى وصلت الى هذا المشروع الاخير من بين ثلاثة مشاريع وقد بينته على الشروط الآتية :
- ١ — ان تكون جميع حروف الاليجدية عربية سواء منها الحروف الاصلية ام الحروف النائية عن الحركات ليبقي الاتصال موجوداً بين الكتابة المهدبة وبين الكتابة الاصلية .
 - ٢ — ان تكون الاليجدية العربية بشكل واحد سواء حروف اول الكلمة ام وسطها ام آخرها فلا يكون سوى ايجدية عربية واحدة .
 - ٣ — ان تكون الاليجدية العربية بشكل واحد للطبع والكتابة فلا لتغير .
 - ٤ — ان تكون الاليجدية العربية بصورة يسهل معها كتابة الحروف منفصلة ام متصلة حسب الرغبة دون تغير في شكلها .
 - ٥ — ان تكون الحروف النائية عن الحركات عربية الشكل قابلة الاتصال بما قبلها وما بعدها تسهيلاً للكتابة .
 - ٦ — ان نكتب الكلمة كاملة كما هو لفظها الفصح فلا ن حذف حرفاً ولا نزيد آخر مخافاً من الالتباس والتشويش .

«الابجدية الكاملة»

حرف فتحة

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ط ظ ع غ ف ق ك ل م
 حرف ضمة حرف كسرة حرف همزة
 ن ه و ي ر س م

وقد وجدت ان أفضل الأبجديات العربية هو اتخاذ الشكل الأول لحروف النسخ كما في أبجدية واحدة للطبع والكتابة تحقيقاً للشروط الثاني والثالث والرابع لان هذه الحروف موجودة في المطابع فلا لزوم لشراء حروف جديدة كما فعل الأتراك فضلاً عن انها قابلة الاتصال والانفصال حسب الرغبة وان جميع الكتب مطبوعة بها فيبقى الاتصال موجوداً بين الكتابتين : القديمة والحديثة هذا فضلاً عن بساطة شكلها وصغرها .

واحيل هذا المقال الى حضرة الاستاذ صاحب الامضاء فعلق عليه ما يلي :

...

نظرت في مقترح السيد زهير الشهابي فالفنته اقتراحاً حيويًا للغة العربية يسد الخلل والنقص اللذين يشعر بهما من يقرأ هذه اللغة ولوانه من أكبر المتعلمين منها . وانتم تعلمون ان هذا الاقتراح هو رأيي ما زلت اصرح به وانا قد منذ سنين .

ولا اعتراض لي على ما أتى به المقترح الا من وجهين :

اولهما : اني لم أتبين من مقالة اذا كان يريد ان يحول الحركات يحملتها اللغوية والنحوية الى حروف ام هو يريد ذلك للحركات اللغوية فقط ، يعيدها حروفاً مثبتة في صلب الكلمة . فاذا كان هذا فقد توافقتنا ، وان كان يريد ذلك لحركات الاعراب التي تلحق أواخر الكلم ، فهذا ما تبدو لي مخالفته فيه لسببين :

أ - ان الحركات النحوية يسهل ضبطها وادراكها ، فليس فيها من الصعوبة ما في الحركات اللغوية .

ب — ان ابدال الحروف بالحركات الاعرابية يؤدي الى كتب الكلمة الواحدة في صور متعددة بحيث تكاد اللفظة تخرج عن ان تكون كلمة واحدة ، وفي هذا مشكلة جديدة .
ثانيهما — يتعلق بشكل الحروف الذي يقترحه . فالحروف العربية — ولا بد من قول الحق — بشعة على شكلها الحاضر والشكل المقترح يزيد بها بشاعة وقبحاً .
وعذر المقترح :

أ — ان فيها توحيداً كاملاً لأنواع الحروف .

ب — انها حروف موجودة في المطابع فلا حاجة الى شراء حروف جديدة .
وليس هذان بالسببين الكافيين :

ذلك ان الحروف يجب ان تكون موحدة الشكل لا النوع . بمعنى ان الحرف ينبغي ان يكون شكلاً هو اياه في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها ، هذا مالا أخالف فيه .
ولكن ان نوحّد انواع الحروف كتابة وطباعة فهذا ما يستصعب جداً ، وليس له من مثيل في لغة من اللغات . فالحروف اللاتينية وهي اليوم من اشهر الحروف واعمها في الام استعمالاً ، حروف الطبع فيها غير حروف الكتب ، تلك منفصلة وهذه متصلة . وفيها الحرف المعروف بالتلياني ، والحرف المعروف بالقوثي ، وغيرها . فضلاً عن الاحرف الكبيرة التي تعرف : (الكيثال) او (الجسكيل) .

نعم ان التوحيد خير من التعدد ، وانا لسنا مقيدين بما ذهب اليه غيرنا ولكن استعمال حرفين : واحد للطباعة وآخر للكتابة امر لا بد منه ، والحرف الذي اختاره المقترح انما هو حرف من حروف اهل الكلمات فهو لا يتصل مع ما بعده ولا يتصل ما بعده به ، فلا بد للمطابع ان تغير شكل حروفها في كل حال .

وليس تغير حرف من الرصاص يستعمل في فترة قصيرة من الزمن بالامر الذي يهتم له في مثل هذا الانقلاب الخطير .

وخلاصة ما أراه ان تبقى الكتابة العربية على ما هي عليه وفي ذلك فائدتان :

أ — اختصار الوقت .

ب — إبقاء الميراث الادبي القديم حياً اذ تنزل الكتب المطبوعة قديماً منزلة الكتب الخطية . وما يطبع بعد ذلك يطبع بالحروف الجديدة .

ولا يرد على ذلك ان مشكلة الحروف لا تحل مع هذا التعديل حلاً نهائياً اذ بقي اشكال الحروف الكتابية متعددة . فمشكلة الحروف اليوم انما هي مشكلة الطباعة لا الكتابة . والكتابة مستقبلها مهدد بانتشار الطباعة ، والآلات الكتابية ، واستعمال حروف عربية جديدة يزيد في انتشار هذه الآلات الكتابية كثيراً .

هذا واني وان كنت أصوب رأي الاستاذ المقترح في التقيد باشكال الحروف المستعملة اليوم . فلا اري ان يكون التقيد مطلقاً خبيثاً ، بل يراعي رونق الحرف وجماله . مع مراعاة الصلة على قدر الامكان . ولا بأس بان نستعين بشيء من الحرف الكوفي او المغربي او غيرهما اذا اعوزنا الامر .

ولقد بدا لي منذ فكرت في هذا الامر أن اضع اشكالا للحروف العربية فوفقت — اذ خيل اليّ اني وفقت — الى بعض حروف ولم اوفق الى البعض الآخر وانا اقدم صوراً عن بعض هذه الحروف مثلاً ينظر فيه من هم أبعد نظراً وأدق رأياً في مثل هذه الامور .

على ان ثمة امراً ما ينبغي لنا ان نغفله : ذلك ان هذه الحروف العربية وان كانت حروفنا فقد اصبح لنا فيها شركاء من بعض الامم الشرقية الاسلامية فمن الرأي ان يعقد مؤتمر عام تدعى اليه الشعوب التي تشمل في كتابتها حروفنا العربية فيوفد كل منها من يمثلها ليكون العمل اصح واعم .

ا ب ت ث ج ح ذ ز ح ط ط ي

والحروف بشكلها هذا قد روعيت صورها الاصلية على قدر الامكان .
اما الحركات فتصير حروفاً على هذا الشكل :

ا ا ا — فتكون القيمة مخففة الواو ، وفتحة والكسرة كرمي بوضعان عليها .
او يختار شكل آخر يكون اكثر موافقة .
او تكون الالف (ا) مضاعف الالف الحاضرة او (ا) بما يقرب من رسمها
الديواني .

والنتيجة (ا) اي نصف الالف والكسرة (ا) نصف الياء كما هي حقيقتهما .
لكن — هذا ما سبق فأجبت به عن الاقتراح . وازيد على ذلك : ان الحروف
(ر ز ص ط ظ م) لم أوفق فيها الى شكل يرضي فأترك أمرها وأمر اصلاح
الحروف التي عرضتها وتغييرها تعديلها الى من هم اولى مني بهذا العمل الفني .
عارف النكدي

الفيلسوف الفارسي الكبير (١)

صدر الدين الشيرازي

[حياته وشخصيته وأهم أصول فلسفته]

بسم الله تعالى وله الحمد

في فجر القرن الحادي عشر ظهر في (فارس) من مدينة (شيراز) رجل فارسي المحدث حقيق ان يعد من اعظم الفلاسفة الاثولوجيين الذين نظروا في ملكوت السموات والارض وكانوا من الموقنين .

وهو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي وكان ظهور هذا الفيلسوف الآلهي الكبير الذي سنأتي على صورة جليلة من حياته وشخصيته وفلسفته في عصر كان نجم الفلسفة ضئيل النور لا ناصر لها الا فئة قليلة ممن اختارهم الله لنصر العلم وكان رجال الفكر يستترون وراء ستار النقيصة حقناً لدمائهم وكانت صولة اهل الجود شديدة قوية وقلم الفقهاء وخصوم الفلسفة أمضى من السيف ولو لم يكن لمذهب التصوف بصيص نور وانصار قليلون من الذين استنارت قلوبهم بنور العقل ان كان هذا الفيلسوف الآلهي صريع جهل أهل عصره وقتيل عصبيتهم ولكن جزاؤه على علمه جزاء شهاب الدين السهروردي - القتيل الشهيد - على فكره .

هياً الشرق في كل عصر للعالم رجالاً كباراً وحكماء عظماء منهم من ملأ البسيطة شهرته ومنهم من مات مجهولاً في زاوية عمرته . ومن لم يعرفوا حق المعرفة هذا الفيلسوف الرباني الجليل الذي لاشك انه من حسنات القرن الحادي عشر يحق ان يعد من فطاحل الحكماء امثال (ابن سينا) و (ابن مسكويه) و (نصير الدين) الطوسي الفلكي والامام (الغزالي) من الفرس و (ابن رشد) و (ابن باجة) و (محيي الدين بن عربي)

(١) هذه الأطروحة بقلم ابي عبدالله الزنجاني عضوالمجمع العلمي العربي في دمشق .

من العرب وامثال (سقراط) و (افلاطون) و (ارسطو) وامثال (سبينوزا) ^(١)
(Spinoza) و (مالبرانش) ^(٢) (Malebranche) من رجال الغرب .

اختبرت للاطروحة وصف حياة هذا الفيلسوف وشخصيته واهم فصول فلسفته لاسباب :
الاول انه خدم اللغة العربية أعظم خدمة اذ أخرج كنزاً عظيماً من درر الحكمة
ولآلي العلم : من فلسفة اللاهوت والأخلاق والتصوف والحديث بلغة الضاد ورضع
كتباً تبلغ أربعة واربعين او خمسة واربعين كتاباً ورسالة بتلك اللغة ^(٣) وهذا ممازادت
به ثروة العلم فهذه الخدمة احري ان تقدر ولا سيما من علماء العرب ورجال الادب في
الشرق والغرب كافة .

الثاني ان روح فلسفته وان غشاها حيناً بالفاظ معماة ولا تظهر الا للتضلع من فلسفته
وامطلاحه ترفع الخلاف في كثير من المسائل التي طالما احتدم الجدل فيها بين الفلاسفة بين
الروحانية والمادية ، وان شئت قل انها ترفع الخلاف بين عدة مسائل كان الخلاف فيها بين
الفلسفتين جوهرياً كالخلاف بين مذهبي أزلية المادة (العالم المادي) وحدوثها ووجود
القوة المبدعة الخالقة المعبر عنها (بالله) واثبات الشعور العام المعبر عنه بالعالم له ووجود
الحكمة والغاية من الخلق في جميع اجزاء الكون وعدمها وهذه المسائل بحثت عنها في درس
مذهبه الفلسفي ثم اردت البحث في هذه المسائل برأي هذا الفيلسوف في اثبات الشعور
لذرات المادة المعبر عنها في اصطلاح الفلسفة الاغريقية بالهيولي من جماد ونبات : كراي
العالم النباتي الهندي (جاجاديس بوز) ^(٤) .

(١) (سبينوزا) فيلسوف آهي شهير ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ وهو من انصار
مذهب وحدة الوجود (البانتيسم) قال الدكتور (رابورت) في شأنه انه كان ملوثاً بمحب
الله حتي لا يرى أمامه الا الله توفي سنة (١٦٧٧م) . (٢) فيلسوف آهي فرنسي
ولد في باريس سنة ١٦٣٨ كان يسعى في سبيل التوفيق بين الدين والفلسفة وكان يقول
يجب ان نحب الله حباً تاماً توفي سنة (١٧١٥م) . (٣) عثرنا على كتيبه الا القليل منها
فوجدناها باللغة العربية سوى رسالة صغيرة بالفارسية كتبها في مبادي عرفانية .
(٤) جاجاديس بوز هو عالم نباتي هندي يعد من مفاخر الهند في هذا العصر اعترفت

ثم جعلت مسك الختام كلمة صدر الدين في العشق وفيها اعتراف منه بفضل الدمشقيين ودمشق .

الثالث ان أوجه انظار اهل العلم من الشرقيين والغربيين الى افكاره النيرة وآرائه وفلسفته الروحية والى كتبه النفيسة التي هي مرآة افكاره وافكار عظماء الفلاسفة كسقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم من فلاسفة الاغريق والفرس والروم وانبايعهم كابن سينا والفارابي وامثالهما .

ولا انتشار لكتبه القيمة الا عند الخواص من العرب والفرس ، على ان قدره لم يخف على بعض علماء اوربا وكتّابها فان العالم (كونت دوغوبينو (Comte de Gobineau) السفير الفرنسي الذي أقام من سنة (١٢٧١ هـ الى ١٢٧٤ هـ) في طهران كتب في كتابه (المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى) (Les Religions et les philosophies dans l'azie Centrale) فصلاً عنه لا يتجاوز بضع صفحات .

وورد ايضاً ذكره مختصراً بقلم المستشرق (كليمان هوار) في مجلة الاسلام التي تنشرها جماعة من المستشرقين . ولكن الاول منها وفقاً لموضوع كتابه بحث عن ناحية اثره في الفلسفة وتأثير فلسفته في اهل عصره . والثاني اعتمد على ما كتبه الكونت (دوغوبينو) في كتابه المذكور وعلى مصادر فارسية وقفنا عليها جميعها .

« شيراز وطن صدر الدين »

وهي من مدن ايران الجنوبية واقعة على بعد (٢٩) درجة و (٢٧) دقيقة من العرض الشمالي و (٥٢) درجة و (٤٠) دقيقة من الطول الشرقي من (كرينج لندن) و (٦٠) كيلو متراً من اتلال^(١) استخر الذي يسميه الافرنج (برس بليس) ويسمى ايضاً (تخت

له اوربا بما أسداه الى المعارف الانسانية من يد واعلنت فوزه بالوصول الى ما كان يتمنى الوصول اليه غير واحد من علمائها الذين بلغوا الذروة العليا بتحقيقاتهم ، وهو الذي اخترع الجهاز (الكرسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً بخمسين الف ضعف واظهر به للملاحة حياة النبات وحركته .

(١) (المجمع) لعل المؤلف يريد اطلال استخر .

جشيد) اي (عرش جشيد) وفيه آثار جميلة وصور بديعة هي آيات خالدة تدل على
عظمة الملوك الفارسيين القدماء واحرق الاسكندر هذا البناء الجميل العجيب الصنع الشهير
باعتدال هواء وصفاء مائه العذب وجمال رياضه الفتان وبهاء حقوله تجلت فيه الطبيعة
بباهر ذلك الجمال الذي حرك اوتار نفس السعدي الشاعر الفارسي الطائر الصبت فقال :
خوشا تفرج نوروز خلصه در شيراز كه يركند دل مرد مسافراز وظنش
عز يز مصر چمن شد جمال يوسف گل صبا چودر چمن آورد بوي پيرهنش
اي حينذا التفرج في نيروز^(١) ولا سيفا في شيراز التي ننسي الغريب وطنه والمرج
او الروض اصبح كعز يز مصر والورد كجمال يوسف حين اتى الصبا اليه بشذا قيصه .
وهذا وصف جميل بديع لهذا البلد الطيب واهله اذ كياه المشاعر متلهيو الذكاء امتازو
بصفاء الروح وجمال الصور تندفق خواطر كثير منهم بالشعر مشهورون بالميل الى
اللهو والترف

بنى هذه المدينة اولاً شيراز بن تهمورث ثم جدد بناءها بعد الخراب محمد بن القاسم
ابن عم الحجاج في صدر الاسلام وكانت معسكراً للمسلمين لما هموا بفتح استخر (اصطخر)
وكانت عاصمة (آل بويه) وغيرهم من الملوك وعاصمة (كريم خان) الزند . وقد أنجبت
غير واحد من رجال العلم المشهورين من الفلاسفة الكبار والشعراء العظماء . كالامام
ابي اسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ والعلامة قطيب الدين محمود بن مسعود تلميذ نصر الدين
الطوسي الفلكي وصاحب الاختيارات في (المهيئة) وحل مشكلات المجسطي المتوفى سنة
٧١٠هـ . ومصلح الدين سعدي الشاعر العارف الشهير المتوفى سنة ٦٩١هـ وشمس الدين
حافظ محمد العارف الشاعر المتوفى سنة ٧٩١هـ أو ٧٩٤هـ وغيرهم ممن تفخر بهم (فارس) .
في هذه المدينة الجميلة ولد صدر الدين واصبغ قبساً منيراً في سماء العلم بعد حين وفيها
نمت عواطفه وانقدت فطنته والتهب ذكاؤه كذلك التربة الخصبة نبت الزنبقة .

(أمسته) : هو صدر الدين محمد بن ابراهيم القوامي الشيرازي الشهير بالاخوند
(الاستاذ) المولى صدرا .

(١) نيروز هو عيد الفرس الكبير ، يوم اول الربيع والسنة .

أسرة قوام في شیراز أسرة عريقة في النسب والشرف . والقوام لقب عام لرئيس هذه الأسرة في كل عصر ولا تزال الرياسة قائمة فيهم الى هذا الزمن .
ورأس هذه الأسرة هو القوام الذي كان معاصراً لحافظ شمس الدين الشاعر السابق الذكر واثني عليه في بعض قصائده بقوله :

درياي اخضر وفلك وكشتي وهلال هستند غرق نعمت وحاجي قوام ما
معنى البيت ان نعمة قوام عمت البر والبحر بل الفلك والملك والحلال شملتها نعمته . وهو
مبالغة شعرية في مدحه .

وشك بعض كبار علماء شیراز في نسبة صدر الدين الى هذه الأسرة وقال على مارواه
الثقات عنه ان قوام الذي ينسب اليه صدر الدين غير قوام المعاصر للحافظ شمس الدين
ولكن اشتهرت نسبته الى هذه الأسرة الشريفة .

(ولادته) : ولد هذا الخبر الجليل بعد النصف من القرن العاشر الهجري على
الأرجح من أب شیرازي اسمه ابراهيم وكان وزيراً في فارس (شیراز) . ولم تعرف
سنة ولادته في الكتب التي ورد ذكره فيها الا ان الأرجح انه ولد بعد النصف من القرن
العاشر الهجري لان أعماله الخطيرة العلمية ووضع تأليفه الكبيرة التي تربو على اربعة واربعين
او خمسة واربعين تأليفاً وتصنيفاً ومدة اشتغاله بدرس الفلسفة والحديث والفقه والتصوف
واعتزاله في جبال (قم) عدة سنين تاركاً التأليف والتصنيف كما سيشير اليه في كلامه
الآتي ذكره — كل ذلك يحتاج الى زمن أكثر من خمسين سنة اي الخمسين سنة بعد
القرن العاشر التي وقع فيها موته اذا قلنا انه ولد في فجر القرن الحادي عشر .

ولما لم يولد لآبيه الوزير ولد في مدة طويلة طلب الى الله طلباً حثيثاً ان يرزقه صبيّاً
فرزقه (صدرآ) بعد ان دعا أدعية طويلة ، وفي ايام عديده وبعد ان تصدق على المحتاجين
والمقترين ، ولا سيما بعد ان تصدق بثلاثة توأمين ^(١) فوزعها على أناس فقراء مارين
ولم يكن له غيرها ومنذ طفولته لقب الولد (صدرآ) لفضله الكبير واختار له هذا بآ حاذقاً
وما عثم ان ظهرت عليه أمارات الذكاء .

(١) (المجمع) التوأمين جمع تومان وهو نقد إيراني ذهبي وقيمته ٨ فرنكات و ٨١ سانتيماً .

وكان والده ذات يوم وكّله على البيت وعلى رعاية مافيه ثم أراد الوقوف على ما أنفقته في المدة المذكورة فرأى ان بين النفقات اليومية ثلاثة توائم في باب الحسنات فتعجب والده الوزير من هذا الامر وقال لابنه ما هذا ؟ قال ابنه يا ابي هذا ثمن ما يكلفك اياه ولدك . وفي صنعه هذا دلالة على جوده وان فطرته كانت تهتز للمعروف .

(وروده الى أصبهان) : ولما ذهب من شيراز الى أصبهان تعرف في حمام من حمامات المدينة الى السيد ابي القاسم الفندرسكي^(١) وكانت السيد في عهده من اكابر العلماء في علوم ما وراء الطبيعة . ولم يكن السيد يعرفه لكن لما سلم عليه . قال له السيد لا شك في انك غريب عن البلدة يا ولدي قال الصدر نعم . قال له ومن اي بيت انت ومن اي مدينة ولاي سبب قدمت الى أصبهان . فقال اني من (فارس) وقدمت الى هنا لأتم دروسي قال السيد على اي العلماء تريد ان تقرأ ؟ قال على من تختاره لي . قال السيد اذا أردت ان توسع عقلك فعليك بالشيخ بهاء الدين اما اذا أردت ان يتفنى لسانك فعليك بامير محمد باقر . فقال اني لا أعني بلساني فذهب الى الشيخ بهاء الدين فأخذ يتلقى العلم عنه من فلسفة وكلام وكان طموحاً الى ان يعرف افكار اليونانيين وما دونه في كتبهم ولذلك كان يصرف كل دراهمه في مشتري الكتب الفلسفية فأجاد في كل ماسمعه عن أستاذه حتى ان معلمه قال له ذات يوم تلقيت جل علومي وعرفته بالامير محمد باقر الداماد فقال له اذهب اليه وأتني منه بكتاب وكان ذلك وسيلة لتعرفه اليه .

ولم يدرك في خلد الصدر ان وراء الالفة ما وراءها فواجه الاستاذ المنطقي من غير ان يخافه ريب وفي ذلك الوقت كان مير محمد باقر يعلم فسمع الصدر درسه ، ولما عاد التلميذ الى أستاذه قال له شيخه ما كان يفعل مير محمد باقر ؟ قال كان يدرس . فقال شيخه اني لم أكن محتاجاً الى طلب كتاب من مير محمد باقر انما اتخذت هذه الوسيلة لكي اعرفك بدروسه وتحكم بنفسك على مقدرة علمه فينبغي ان تلتقي علومه فأطاعه الصدر وفي بضع سنوات بلغ الدرجة القصوى من البلاغة وهي الدرجة التي عرف بها .

(آراء الفقهاء في اعتقاد صدر الدين) : وهذا الفيلسوف كأمثاله من الفلاسفة

(١) سيأتي ذكر السيد في ضمن تراجم أساتذة صدر الدين .

الاحرار ذوي الافكار النيرة لم يسلم من الانتقاد المر والتحقير وامسح هدفاً لسهام اللوم والتكفير وهناك بعض الافاديل في شأنه من مقاربي عصره ومعاصريه .

قال السيد نعمة التستري ^(١) لما وردت شيراز لم اتكل الا على ولد صدر الدين الشيرازي واسمه (ميرزا ابراهيم) وكان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية فاخذت عنه شطراً من الحكمة والكلام وقرأت عليه حاشيته على حاشية شمس الدين الخفري على شرح التجرید وكان اعتقاده في الاصول خيراً من اعتقاد ابيه وكان يتمدح وبقول اعتقادي في اصول الدين كاعتقاد العموم وقد اصاب في هذا التشبيه اه .

وقال الشيخ يوسف البحراني ^(٢) واصدر الدين ابن فاضل اسمه (ميرزا ابراهيم) وكان فاضلاً متكلاً جليلاً نبيلاً عالماً لاكثر العلوم ولا سيما في العقلية والرياضيات قال بعض اصحابنا بعد الثناء عليه هو في الحقيقة مصداق قوله تعالى : (يخرج الحي من الميت) قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يملك مسامحة وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة .

وقال صاحب روضات الجنات ^(٣) (وكأفنه سلك الطريقة الوسطى) و يوجد في غير واحد من مصنفاته (اي مصنفات صدر الدين) كلمات لا تلائم ظاهر الشريعة كأنها مبنية على اصطلاحاته الخاصة او محمولة على ما لا يوجب الكفر وفساد اعتقاد له بوجه من الوجوه وان اوجب ذلك سوء ظن جماعة من الفقهاء الاعلام به وبكتبه بل افق طائفة منهم بكفره .

فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الاصول (اصول الكافي) ^(٤) شروح الكافي

(١) عالم شهير له بعض آثار علمية ولد سنة ١٠٥٠ هـ وتوفي ١١١٢ هـ .

(٢) الشيخ يوسف البحراني من كبار محدثي الامامية وفقائهم ولد سنة ١١٠٧ هـ وتوفي سنة ١١٨٦ هـ . (٣) هو محمد باقر بن امير زين العابدين من فضلاء المتأخرين

ولد في ٢٢ صفر سنة ١٢٢٦ هـ بقصة خونسار وتوفي في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣١٣ هـ باصيهان وكتابه روضات الجنات في تراجم العلماء مشهور طبع في ايران في سنة ١٣٠٧ هـ .

(٤) كتاب اصول الكافي اجد الكتب الاربعة المعتمدة في الحديث عند الامامية

كثيرة جليلة قدراً واول من شرحه بالكفر (صدراً) ولال الشيخ يوسف البحراني السابق الذكر في شأن تليذه (الحسن الفيض) الآتي ذكره :

له من المقالات على مذهب الصوفية والفلاسفة ما يكاد يوجب الكفر والعياذ بالله مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود وقد وقفت به على مقالة قبيحة صريحة في القول بوحدة الوجود قد جرى فيها على عقائد ابن عربي وأكثر فيها من النقل عنه وإن عبر عنه ببعض العارفين وقد أوردنا جملة من كلامه في تلك المقالة وغيرها في رسالتنا^(١) في الرد على مقالته أعوذ بالله من طغيان الأفهام وزلل الأقدام وقد تلمذ في الأصول (أي أصول العقائد) للمولى صدر الدين الشيرازي ولذا كانت كتبه الأصولية على قواعد الصوفية والفلاسفة .

بل كان في عصره هدفاً أسهم لوم أكثر عارفيه من أهل الجلود أيضاً على أن نجد قليلاً من معاصريه ومقاربي عصره الذين لم يمشوا عن نور الحق بمظلمونه ويخجلونه حتى تعظيمه وتبجيله . قال السيد علي خان صاحب سلافة العصر في ضمن ترجمة الملا فرج الله التستري المعاصر له ما نصه :

قال مؤلف الكتاب (عني الله عنه) أعيان العجم وأفاضلهم من أهل هذه الملة كثير العدد ومنهم المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي الشهير بالملا صدراً كان أعلم أهل زمانه بالحكمة مثقناً بسائر الفنون له تصانيف كثيرة عظيمة الشأن في الحكمة وغيرها . وقال صاحب أمل الآمل محمد بن إبراهيم الشيرازي فاضل من فضلاء المعاصرين ثم نقل نص عبارة صاحب السلافة الآتفة الذكر . وقال الشيخ يوسف البحراني محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي الشهير بالمولى صدراً كان حكماً فيلسوفاً صوفياً يحنأ . وقال صاحب روضات الجنات^(٢) من المتأخرين :

لجامعه الامام المحدث أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المتوفى سنة (٣٢٨) أو (٣٢٩) .

(١) اسم هذه الرسالة (النفحات المملوكية في الرد على الصوفية) .

(٢) (ص ٣٣١ ج ٢) .

صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بالمولي صدر كان فائقاً على سائر من تقدمه من الحكماء الساذخين والعلماء الراسخين الى زمن نهير الدين يعني نصير الدين الطوسي الفلكي الفيلسوف المتوفى سنة ٦٠٦ .

ان من درس هذه الكلمات يعلم ان السير على آثار الآباء والتقليد في العقائد الدينية وترك الاهتداء بنور العقل والفلسفة كانت في ذلك العصر اوهافاً تعد فضيلة لصاحبها وفيها حياة له كما ان في الفلسفة موتاً للفيلسوف .

نقل مؤلف كتاب قصص العلماء ^(١) ان ملا محرابلي الاصبهاني احد العرفاء الصوفيين المعاصرين لابي الشيخ سليمان وجد يوماً الملا محمد كاظم الهزارجروبي عند قبر الحسين (عليه السلام) في كربلاء اخذ بعد صلاة الصبح يلحن كبار العرفاء الصوفيين واحداً بعد واحد حتى لحن المولى صدر آيات مرة .

ثم لحن الملا محرابلي فسئل الملا محرابلي وهو لا يعرف الملا محرابلي عن سبب لحنه له قال انه يعتقد بوحدة واجب الوجود فقال له فاللحنه فانه حقيق بلحنك بهذه العقيدة ولم يكن يميز بين الاعتقاد بوحدة الوجود ووحدة واجب الوجود .

(وفاته) : اتفق الشيخ يوسف الجبراني وصاحباً أمل الآمل ^(٢) وروضات الجنات على انه توفي في ضمن العشر الخامس من المائة الحادية عشرة .

وخالفهم محمد حسن خان (صنيع الدولة) مؤلف كتاب (منظم ناصري) ^(٣) الذي وضعه في وقائع السنين في الشرق والغرب وسمي الكتاب باسم الشاه ناصر الدين القاجاري قال في صفحة (١٩٦ ج ٢) من كتابه ان صدر الدين توفي في سنة (١٠٥٩ هـ) (١٦٤٩ م) وحدثت وفاته في البصرة حين توجهه الى مكة .

(كلماته وشكواه عن اهل عصره) : يظهر من بعض كلماته انه سئم من جهة اهل

(١) قصص العلماء كتاب في تراجم العلماء لمؤلفه محمد بن سليمان النكابي الموجود في عصر ناصر الدين شاه القاجار . (٢) صاحب أمل الآمل هو محمد بن الحسن الشهير بالحر العاملي ولد سنة ١٠٣٣ ولم تثبت عندي سنة وفاته . (٣) صنيع الدولة من فضلاء عصر ناصر الدين شاه وأدبائه المشهورين وامراته الأجلة .

عصره يقول سيف ديباجة كتابه (الشواهد الربوبية) بعد الحمد وأصلي على نبيه وآله المطهرين من ظلمات الخواطر المضلة المحفوظين في سماء قدسهم وعصمتهم عن طعن اوهام الجبهة واستعبد به من جنود الشياطين ثم قال (اللهم اجعل قبور هذه الاسرار صدور الاحرار) وقال في فاتحة كتابه (الاسفار) بعد بيان عزمه على تصنيفه .

ولكن العوائق كانت تمنع عن المراد وعوادي الايام تضرب دون بلوغ الغرض بالاسداد فأقعدني الايام عن القيام وحجبي الدهر عن الاتصال الى المرام لما رأيت من معاداة الدهر بتربية الجبهة الاراذل وشعشة نيران الجهالة والضلال ورثاة الحال وركاكة الرجال وقد ابتلينا بجماعة غاربي النعم نعشو عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها وتكل بمنازهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفة وآثارها يرون التعمق في الامور الربانية والتدبر في الآيات السجانية بدعة ومخالفة أوضاع جماهير الخلق من الرعاع ضلالة وخدعة الى ان قال : فأصبح الجهل باهر الرايات فأعدموا العلم وفضله واستردلوا العرفان واهله وانصرفوا عن الحكمة زاهدين ومنعوا ما ندين بنفرون الطبائع عن الحكماء وطرحدون العلماء العرفاء الاصفياء وكل من كان في بحر الجهل والحق اوج ، وعن صفاء المعقول والمنقول اخرج ، كان الى اوج القبول والاقبال اوصل ، وعن ارباب الزمان اعلم وافضل :

كم عالم^(١) لم يلج بالقرع باب مني وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وكيف ورؤساؤهم قوم عزل من سلاح الفضل والسداد ، عارية منا كبهم عن لباس العقل والرشاد .

يشير هذا الكلام الى ان صدر الدين لم يكن يستطيع من التصريح بفلسفته كما يأتي النص عليه في كلامه في محث علم الباري تعالى حيث يقول سيف رأيه في علمه تعالى انه لا يرى في التصريح به مصلحة وينبه على ذلك من درس حياة صدر الدين من الافرنج فني كتاب (الكنت دو كوينو) ومعلمة الاسلام الانجليزية ان صدر الدين اخفى مذهبه من باب الثقة (الكتان) خوفاً من اضطهاد المجتهدين له وغشاه قصداً بالفاظ معماة ومقالته بث شكوى من اهل الجمود ومتفهمة عصره الذين دأبهم في كل عصر

(١) وفي نسخة عاقل .

ومصر محاربة أحرار الأفكار بسلاح الدين وإن كانوا لا يعرفون من الدين إلا قشره
وهم أبعد من به كبعد السماء والأرض .

(أهل الجود والعوام في نظره) : نظر صدر الدين إلى أهل الجود والعوام بالاحتقار
يقول في أول كتابه (الأسفار) بعد وصف فضل الفلسفة وانها طريق معرفة الحق
الوحيد وليعلم أن معرفة الله تعالى وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة ليس المراد بها الاعتقاد
الذي تلقاه العوام أو الفقيه وراثته وتلقاها المشغوف بالتقليد والجود على الصورة لم
ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح لكرام من الالهيين) .

و يقول أني استغفر الله كثيراً مما ضيعت شطراً من عمري في تتبع آراء المنفلسة
والمجادلين من أهل الكلام :

حتى تبين لي بنور الايمان وتأييدات المنان ان قياسهم عقيم ومراطهم غير مستقيم .
(تأثير معارضة أهل الجود للفلسفة في نفسه) : لما لم يجد اقبالا عليه وعلى الفلسفة
من أهل عصره كما يريد ستم ونخذ خاطره الفياض وترك التدريس والتأليف مدة من
الزمن يقول في كتابه الكبير ضربت عن أبناء الزمان صفحا وطوبت عنهم كشما فأجاني
خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان وعدم مساعدة الدوران إلى ان اتزوت سيف
بعض أواحي الديار (لعله يشير إلى هجرته إلى بعض جبال قم) ^(١) واستترت بالخمول
والانكسار منقطع الآمال منكسر البال متوقفاً على فرض أؤديه وتقربط في جنب الله اسعى
في تلافيه لأعلى درس القبه أو تأليف انصرف فيه اذ التصرف في العلوم والصناعات
وانارة المباحث والمعضلات ودفع المعضلات وتبيين المقاصد ورفع المشكلات مما يحتاج
إلى تصفية الفكر وتهذيب الخيال عما يوجب الملل والاختلالات واستقامة الأوضاع
والاحوال مع فراغ البال .

(١) قم مدينة في ١٢٠ كيلومتراً من جنوب طهران الغربي وكان بدء تمصيرها في أيام
حجاج بن يوسف سنة ٨٣ تقديسها الإيرانيون فإن فيها دفنت أخت الامام علي بن موسى
الرضا عليهم السلام وهي الآن تعد من المدارس الدينية الكبرى ويدرس فيها الفقه
والاصول والأدب .

ومن اين يحصل للانسان مع هذه المكارة التي يسمع ويرى من اهل الزمان ويشاهد بما يكب عليه الناس في هذا الاوان من قلة الانصاف وكثرة الاعتساف وخفض الاعالي الافاضل ورفع الاداني والاراذل وظهور الجاهل الشرير والعاصي النكير على صورة التحرير وهيئة الخبر الخبير الى غير ذلك من القسائح والمفاسد الملازمة الفاشية اللازمة والمتعدية مجال المخاطبة في المقال ونقير الجواب عن السؤال فضلاً عن حل المعضلات وتبيين المشكلات ثم تمثل برباعي من رباعيات (الفرس) وهو :

از سخن پردرمكن همچون صدف هر گوشه را

قفل كوه ساز ياقوت زمرّد بوشرا

در جواب هر سؤالي حاجت گفتار نيست

چشم بينا عذري خواهد لب خاموشرا

(١) معناه لا تجعل كثيراً كل اذن غير واعية مشحونة كالاصدا ف بدرر المعاني .

(٢) واقفل شفئك الياقوتيين

(٣) لا حاجة للمقال في جواب كل سؤال

(٤) فان العين البصيرة تعذر الشفة الساكنة للانسان .

ثم اقتبس كلام امير المؤمنين علي عليه السلام وقال افتتيت اثر علي عليه السلام مطلقاً الدنيا مؤثراً الآخرة على الاولى فأمسكت عناني عن الاشتغال بالناس ومخالطتهم وأيسر من مرافقتهم ومؤانستهم وسهلت علي معاداة الدوران ومماندة ابناء الزمان وخلصت عن انكارهم واقرارهم وتساوى عندي اعزازهم واضرارهم فتوجهت توجهاً غريباً نحو مسبب الاسباب ونضرعت تضرعاً جبلياً الى سهل الأمور الصعاب فلما بقيت على هذه الحال من الاستنار والانزواء والخمول والاعتزال زماناً مديداً وامداً بعيداً واشتعلت نفسي بطول المجاهدات اشتعالاً نورانياً والتهب قلبي التهباً قوياً ففاضت عليها لكثرة الرياضات أنوار الملكوت وحلت بها حنايا الجبروت ولحقها الاضواء الاحدية وتداركتها الالطاف الالهية فاطلمت على أسرار لم اكن اطلع عليها الى الآن وانكشفت لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان بل كل ما علمته من قبل بالبرهان عابثه مع زوائد بالشهود والبيان انتهى » .

وانت تعلم ايها القاري ان هذه الكلمات التي ملؤها الشكوى من الجهل والجاهل وعصر الجهل لا تصدر الا عن نفس رجل بلغ في العلم وتذكية النفس مرتبة رفيعة وحاول ان يستضيء الناس بنبراس علمه ويسلكوا سبيل الهدى الامثل ويتبعوا نور شمس العقل الاجمل .

ثم وجد الاقدار تجري على خلاف ما يرومه فقتر الجاهل وتكرمه وتذل العالم وتلجمه ورأى من اتبع نور العقل اصبح هدفاً لسهام الجهل . فسم من الحياة وقطع عنها كل الصلات ونظر الى العالم نظر المتحير وطلب النجاة من الله العزيز القدير وكانت حاله في تركه وطنه واتزوائه في جبال قم واستظلاله تحت ظلال السكون والوحدة للتفكر في ملكوت السموات والارض والتأمل في الاسرار الالهية تشبه حال الامام (الغزالي) في تركه بغداد وتأملاته في القدس والشام فكلاهما جعلاهما تهذيب النفس بالرياضة والمجاهدة وتحليلها بالفضائل وتخليتها عن الرذائل سبيلهما الموصل الى الله الجليل والعارج بها من مرتبة البرهان - الى عالم الشهود والعيان ذاك عاد بعد سنين الى بغداد فسلك سبيل الارشاد وهذا نزل من جبال قم وفجر عين خاطره الفياض فصنف والف واجاد .

(حالة ايران العلمية في العصر الصفوي) يحسن بنا ان نذكر كلمة في حالة ايران العلمية في العصر الصفوي لتتسع بها احاطة القاري الكريم بنواحي البحث .

ان من جال ديار الفرس ونظر الى مدارسها المبنية في عصر الملوك الصفويين تتمثل امامه سمي هؤلاء الملوك العظماء وامراءهم ورجالهم في نشر العلوم ولا سيما علوم الدين فانه يجد في اصفهان كرسي المملكة الصفوية وسائر ديار ايران معاهد علمية ومدارس نفحة بنيت على الطرز القديم تلاً لآ قبائرها الزرقاء بين اشجار وأزهار وبستان وريحان . وحجرات الطلاب مطلة عليها وجدرانها مزينة بالنسيفساء على أجمل طرز تسحر العيون كثيراً ما نقش فيها آيات قرآنية ونصوص دينية .

فصورة قطعة من مدرسة الخان في شيراز التي تراها في ضمن هذه الرسالة تمثل لديك جمال البناء في القرنين العاشر والحادي عشر وهندسته في ايران وكانت عناية هؤلاء الملوك والامراء والدين اتبعوهم باحسان لنشر العلم سبباً لوقف املاك كثيرة من اراضي ومزارع وقرى لصرفها في سبيل العلم ونشره وترقية طلبته .

فبقية تلك الاملاك الموقوفة في العصر الصفوي الآن في ايران يبلغ ثمنها ملايين من الجنيهات وكان هؤلاء الملوك ورجالهم ياتقهم ينفقون حال طلبية العلم ويكرمونه غاية الاكرام . وفي كتاب المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى ان أم الشاه عباس الصفوي الكبير على جلالها مع جماعة من الاميرات الشريفات كن يأتين المدارس في كل شهر مرة ويسألن عن حال الطلاب ويجمعن ثيابهم ليفسلن اوساخها ويعطينهم ثياباً جديدة امثلا يشتغلون بغير الدرس وهذا الصنع الجميل يدل على كبير اهتمامهم بنشر العلم وترقيته شؤون الدين في هذه المآهد العلمية ، كان الطالب يتلقى دروسه من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان وسائر فروع العلوم العربية والأدبية والفقه واصوله والحديث والكلام والعلوم الرياضية بجميع فروعها والأخلاق وقليل من الفلسفة الاغريقية والمحكمة الفهوية على خفاء لان الفلسفة كانت تعد مخالفة لمبادئ الدين .

(تلقبه علومه وفلسفته) : ولما أتم صدر الدين دروسه الاولى في شیراز رحل الى اصبهان حيث كانت مجمع رجال العلم والحكمة ومقتبس نور العرفان في ايران. وفيها كبار العلماء والحكام والاسانذة والمدرسين أمثال بهاء الدين العاملي والمير محمد باقر الداماد والمير الفندرسكي الآتي ذكرهم وكان الطلبة يقصدونها من الأقطار الفارسية القريبة والنائية لتلقي العلوم العالية فيها .

(اسانذته) : لاشك ان نفس مثل صدر الدين الظماي الى رشف كأس العلم والحكمة لا نقم باسانذة قليلين فظني قومي انه ادرك كثيراً من شيوخ العلم والحكمة والادب في عصره الا ان اسانذته المشهورين هم الشيخ الامام الجليل بهاء الدين العاملي والفيلسوف الآتحي المير محمد الباقر الحسيني الشهير بالداماد^(١) وكنا باصبهان والاول هو العالم الطائر الصيت بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي العمداني ولد في بعلبك عند غروب الشمس يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ٩٥٣

(١) داماد بالفارسية الصهر اشتهر به لان اباة محمد كان صهر الشيخ علي بن عبد المال الكركي الشهير بالحقق الشافعي بين علماء الشيعة وكان مشهوراً بالداماد واشتهر به ابنه ايضاً .

ثلاث وخمسين وتسبائة وصاحب الشاه عباس الصفوي توفي في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠ باصهبهان ونقل قبل دله الى طوس (خراسان) ودفن في جوار قبر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام وقبره مشهور فيه واشهر كتبه : تشریح الافلاك . رسالة نسبة ارتفاع اعظم الجبال الى قطر الارض . وخلاصة الحساب . رسالة في بيان ان انوار الكواكب مستفادة من الشمس . رسالة في حل اشكال القمر وعطارد وتفسيره المسمى بالعروة الوثقى . فوض اليه منصب شيخ الاسلام من الملك الصفوي وكانت هذا المنصب ذا اهمية كبرى في ذلك العصر والثاني هو محمد الباقر بن محمد الحسيني فيلسوف الانبي جليل وفقه نبيل كان شاعراً يجيد الشعر بالفارسية والعربية وخطيباً مصقلاً خطب الملك في جامع اصبهان يوم جلس فيه الشاه صفي الصفوي في عرش الملك وصاحب الشاه عباس الكبير . توفي سنة ١٠٤٠ هـ على رأي صاحب منظم ناصري وسنة ١٠٤١ هـ على ما ذكره صاحب امل الآمل . واشهر كتبه : القيسات ، والصراط المستقيم ، والحبل المتين ، وشارع النجاة في الفقه ، وعيون المسائل لم يتم ، كتاب نبراس الضياء ، خلسة الملوك . الرواشح السماوية وهو في علم الحديث والدراية . ونسخة من هذا الكتاب كانت موجودة عند صاحب روضات الجنات بخط صدر الدين . كتاب السبع الشداد . الضوابط . الاياماض والتشريقات . شرح الاستبصار . مدرة المنبهي في تفسير القرآن .

وله رسالة في ان المنتسب بالام الى هاشم - من السادات الكرام على ما اختاره العلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي وله ايضا حواشي على الكافي وكتاب من لا يحضره الفقيه ومما من ام كتب الحديث والميرالفندرسكي الذي ارشده اليها هو ابوالقاسم الفندرسكي وفندرسك من نواحي استرabad ايران^(١) حكيم الانبي صوفي زاهد شاعر كان بارعاً في العلوم الرياضية والفلسفة وارتاض في الهند مدة مديدة وبعد ان عاد من الهند الى العراق دعا اهل العلم الى مسلكه توفي بين سنة ١٠٣٠ هـ وسنة ١٠٤٠ هـ

(تلامذته المشهورون) : ومن اشهر تلامذته محمد بن مرتضي المدعو بمحسن الفيض وهو خن صدر الدين . كان عالماً محدثاً صلياً كثير الطعن على المجتهدين وقد سبق كلام

(١) استرabad بلدة صغيرة في نواحي قبائل ترك خراسان .

صاحب (لؤلؤة البحرين) الشيخ يوسف البحراني في مسلكه التصوفي قلذ في الحديث على السيد ماجد البحراني في مدينة (شيراز) وفي اصول العقائد على الفيلسوف صدر الدين محمد بن ابراهيم . وله آثار علمية أفرد لها فهرستاً منها : كتاب الصافي في تفسير القرآن الكريم (طبع في ايران) .

واكثر كتبه أخلاقية على سبيل العرفان في السير والسلوك وهي تشبه كتب الغزالي ومنها : كتاب المعجزة البيضاء في احياء الاحياء وكتاب معجزة الحقائق في أسرار الدين وكتاب تشرح العالم في بيات العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيته وحركات الافلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات وكتاب حدوث العالم .

راه صواب (اي طريق الصواب) بالفارسية في سبب اختلاف اهل الاسلام في المذاهب . وكتاب ابطال الجواهر الافراد . فهرست العلوم شرح فيه أنواع العلوم وأصنافها . قال السيد الجزائري^(١) تصانيف استاذي الفيض ثربو على مائتي كتاب ورسالة ومنهم المولى عبد الرزاق بن علي بن حسين اللاهجي الجبلافي ثم القمي كان حكيماً متشرعاً ومنكلاً محققاً ومنشئاً بليغاً ومنطقياً وشاعراً جليلاً له مصنفات كثيرة في الحكمة والكلام منها كتابه المشهور بگوهر مراد .

كتاب شرح تجريد نصير الدين الطوسي الفيلسوف وهذا الكتاب في الامور العامة . كتاب الشوارق في الحكمة : شرح الهياكل في حكمة الاشراق الكلمات الطيبة في المحاكاة بين المير الداماد وتلميذه صدر الدين في اصالة الماهية والوجود . رسالة حدوث العالم . حاشيته على حاشية الخفوي على الهيات . شرح التجريد . حاشيته على شرح الاشارات . نصير الدين الطوسي الفلكي .

وكان قد درس على صدر الدين وكان مدرساً بمدرسة قم الى ان توفي بها بعد النصف من القرن الحادي عشر .

وردت كلمة موجزة في (معلة الاسلام الانجليزية) عن صدر الدين بقلم العالم المستشرق (كلپان هوار) . وعد من تلاميذه القاضي سعيد القمي ولكن ترجمته نفيد انه قلذ على

(١) هو السيد نعمة الله الذي سبق ذكره

محسن الفيض تلميذ صدر الدين وهو القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد حكيم أديب عارف تولى القضاء في (قم) وتلذذ على محسن الفيض الذي سبق ذكره . وله كتاب كبير شرح به توحيد الصدوق^(١) في عدة أجزاء ومنه نسخة في خزانة كتبنا وهو شرح نفيس يشتمل على أنفس مباحث اللاهوت والعرفان . وكان معظماً عند الشاه عباس الصفوي الثاني وامراته . قرأ الحكيمات على المولى عبد الرزاق اللاهيجي بقم ونوفي هناك ولا يعلم على التحقيق سنة وفاته والمظنون ان وفاته كانت في أواخر القرن الحادي عشر او أوائل الثاني عشر .

(تأليفاته الفلسفية) : (١) كتابه الكبير الاسفار وهو مرآة فلسفته الجلية منه في جبال (قم) بعد تأملاته العرفانية الفلسفية في فائحته بقول بعد الشكوى من العصر واهله في زمن ازوائه في بعض الديار كما أسلمنا ثم اهتز الخامد من نشاطي وتموج الجامد من انبساطي . الى ان قال : فصنعت كتاباً آهياً للسالكين المشتغلين بتحصيل الكمال وأبرزت حكمة ربانية للطالبيين لاسرار حضرة ذي الجلال والجمال وترتيبه هكذا : (السفر الاول) وهو الذي من الخلق الى الحق في النظر الى طبيعة الوجود وعوارضه . و (الثاني) السفر بالحق في الحق .

و (الثالث) السفر من الحق الى الخلق بالحق .

و (الرابع) السفر بالحق في الخلق .

ثم قال فرتبت كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على اربعة أسفار وسميته بالحكمة المتعالية في الاسفار العقلية ولا يخفى ما في هذا القول من النزعة الصوفية مع ان الكتاب يحوي على أهم المباحث الفلسفية الالهية بل جميعها طبع في ايران قبل عدة سنين .

وتم (الكونت دوغوبينو) وزعم ان هذا الكتاب الكبير اربع رحلات كتبها صدر الدين في أسفاره فانه لما ذكر عدد تأليفه وقال فضلاً عن ذلك وضع اربع رحلات ووجهه نشأ من اسم الكتاب مع انه أم تأليفه ومرآة افكاره الفلسفية ولم يتدر في موضوع الكتاب .

(١) وعد صاحب كتاب قصص العلماء من تلاميذه الشيخ حسين .

- (٢) كتاب الواردات القلبية .
- (٣) كتاب المسائل القدسية والقواعد المملكوآية .
- (٤) كتاب الحكمة العرشية { شرحها الشيخ احمآ زين الدين الاحسائي مؤسس
- (٥) كتاب المشاعر { مذهب الشيعة الامامية (طبع في ايران) .
- (٦) كتاب الشواهد الربوبية وهو من افضل كتبه الفلسفية واعلاها (طبع في ايران) .
- (٧) كتاب المبدأ والمعاد وحاول ان يوفق فيه بين الدين والفلسفة .
- (٨) كتاب في حدوث العالم وفيه اهم آرائه الفلسفية .
- (٩) كتاب شرح الهداية .
- (١٠) حاشية على الآهيات الشفاء للرئيس ابن سينا الفيلسوف .
- (١١) حاشيته على شرح خكمة الاشراق للسهروردي .
- (١٢) اجوبة على مسائل عوبصة .
- (١٣) اجوبة على مسائل سألها المحقق الطوسي الفيلسوف عن بعض معاصريه ولم يأت المعاصر بمجوابها .
- (١٤) رسالة في حل الاشكالات الفلكية ذكر اسمها في بحث غايات الافعال الاختيارية في الاسفار .
- (١٥) رسالة في تحقيق انصاف المامية بالوجود (طبع في ايران) .
- (١٦) رسالة اكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين .
- (١٧) رسالة في اثبات الشوق للهبولي (المادة) او ذراتها .
- (١٨) رسالة في اتحاد العاقل والمعقول .
- (١٩) رسالة في خلق الاعمال .
- (٢٠) رسالة (في الحركة الجوهرية) وهي نظرية تفرد بها صدر الدين .
- (٢١) رسالة في سر بيان الوجود وهي من انفس تأليفه .
- (٢٢) رسالة في الحشر .
- (٢٣) رسالة في التصور والتصديق .

- (٢٤) رسالة في التشخيص .
- (٢٥) رسالة في القضاء والقدر .
- (٢٦) رسالة اسمها الالواح الغادية .
- (تأليفه الدينية) : وله تأليف دينية من تفسير وحديث ولكنه انتقادها الى الفلقة
اكثر من اتقياده الى الدين منها مجموعة تفسير لبعض سور القرآن الكريم وآيه (طبع في
طهران) تحتوي على ١٢ رسالة :
• (١) تفسير سورة البقرة .
• (٢) تفسير آية الكرسي .
• (٣) تفسير آية النور هذه الرسالة موجودة الآن بخط صدر الدين في شيراز عند
السيد عبد الحسين ذي الرياضين الغارف الشهير .
- (٤) تفسير سورة آل عمران .
- (٥) تفسير سورة يس .
- (٦) تفسير سورة الواقعة كان موجوداً بخط صدر الدين عند صاحب روضات الجنات .
- (٧) تفسير سورة الحديد .
- (٨) تفسير سورة الجمعة .
- (٩) تفسير سورة الطارق .
- (١٠) تفسير سورة سج اسم ربك الاعلى .
- (١١) تفسير سورة اذا زلزلت .
- (١٢) تفسير آية (وترى الجبال تحسبها جامدة) طبعت هذه الرسائل بخط سقيم في ايران .
- (١٣) رسالة اسرار الآيات .
- (١٤) كسر اصنام الجاهلية في كفر جماعة الصوفية وليعلم ان الصوف في كل عصره
كان يطلق على جماعة من الدراويش الاباحيين ولكن العقليين والاخلاقيين من المتصوفة
كان يطلق عليهم في ذلك العصر بالعرفاء .

(١٥) كتاب مفاتيح الغيب (طبع في ايران) .

(١٦) كتاب شرح اصول الكافي تصنيف أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المحدث الامامي الشهير المتوفى سنة (٣٢٨) او (٣٢٩ هـ) قال صاحب روضات الجنات انه ارفع شرح كتب على أحاديث اهل البيت . من الأئمة عليهم السلام وقد سلف مناقول البعض ان اول من شرحه بالكفر صدرأ كم فرق بين النظرين .

(١٧) حواشيه على كتاب الرواشح لاستاذ الداماد وكانت بخطه عند صاحب الروضات .

(للبحث صلة)

كتاب نزهة العيون

في اربعة فنون

في المكتبة المورانية الشهيرة بحلب — كتاب مخطوط بقلم نسخي قديم بعد نحو خمسمائة صفحة افتحه مؤلفه بقوله بعد البسملة « الحمد لله الذي بقدرته رفع منصوب الطباق السبع ، وبث فيها زينة لما نجوماً هداية للساري ورجوماً لمسترقى السمع ، وانشأ في جوهاً سحاباً تلقحه الرياح فيدر خلفه بالسمع » الى آخر خطبته الطويلة التي لم يذكر فيها مؤلفه اسمه ولا اسم كتابه والكتاب مخروم الآخر الذي ربما كان في خاتمه اشارة الى مؤلفه او الى تاريخ الفراغ من تأليفه او الى اسم ناسخه ، وقد سألت احداً سائذة التاريخ عن اسم هذا الكتاب وعن مؤلفه فقال اسمه (نزهة العيون في اربعة فنون) وان مؤلفه ابن الوطواط المتوفى سنة ٧١٩ هـ — ١٣١٦ م : ثم تصفحت الكتاب فرأيت في قفا اول صفحة منه بخط غير خطه — هذه العبارة « كتاب نزهة العيون في اربعة فنون » تأليف الشيخ جمال الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن محيي الدين الكتيبي .

بحثت عن هذا الكتاب في كشف الظنون وفهارس مكتبتي بايزيد ولالا ومكتبة شيخ الاسلام في استانبول وفهارس المكتبة الخديوية في مصر وفهارس مكتبة بلدية اسكندرية — فلم ار له فيها ذكراً ، والذي يظهر لي ان هذا الكتاب مما ألف قبل القرن الثامن للهجرة لانه لم يرد فيه حين تقسيم الارض الى أقاليم — ذكر لقارة اميركا التي كان اكتشافها سنة ٨٦٢ هـ — ١٤٥٧ م .

بعد ان فرغ مؤلفه من خطبة كتابه أورد فهرسه فقال :

الفن الاول في السماء وزينتها :

الباب الاول في ذكر مبداء خلق السماء وهيأتها

» الثاني » الكواكب السيارة

» الثالث » » الثابتة وما رصده القدماء منها

» الرابع » » منازل القمر وما قيل فيها

الباب الخامس في ذكر الآثار العلوية

= السادس = الليالي والايام

= السابع = الشهور والاعوام

= الثامن = فصول السنة

= التاسع = الام واعيادها

الفن الثاني في الارض وما يتعلق بها وفيه تسعة ابواب :

الباب الاول في ذكر مبداء خلق الارض وهيأتها

= الثاني = الجبال والمعادن

= الثالث = البحار والمعادن

= الرابع = العيون والانهار

= الخامس = اسباب من سكن الارض

= السادس = البلاد ونواحيها وما ملك المسلمون منها وذلك بما وراء نهر جيحون

= السابع = طبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد

= الثامن = المباني التي بقي أثرها ووعظ خبرها اولها برج بابل

= التاسع = ما وصفت به المعامل والحصون والمنازل . اولها قلعة في الاندلس

الفن الثالث في الحيوان وطبائه :

الباب الاول في ذكر خصائص نوع الانسان

= الثاني = طبائع ذي الناب والظفر

= الثالث = الحيوان الوحشي

= الرابع = الاهلي

= الخامس = الحشرات والهموم

= السادس = سباع الطير وكلاهما

= السابع = بغاث الطير

= الثامن = طبائع الطائر الليلي

= التاسع = الحيوان البحري المشتركة

الفن الرابع في النبات وفلاحته :

الباب الاول في كيفية كون النبات وتكوينه

» الثاني في ذكر ما يوافق النبات وتركيبه من الارضين والسرجهين

» الثالث في فلاحه الحبوب والقطاني

» الرابع في فلاحه البقول

» الخامس في ذكر النبات الذي لثمه وقشر

» السادس في ذكر النبات ذي النوى

» السابع في ذكر فلاحه النبات الذي لا قشر له

» الثامن في ذكر اصناف الرياحين

» التاسع في ذكر الاشجار ذوات الصمغ والامنان واليشوعات

ثم قسم المؤلف كل باب من هذه الابواب المندرجة تحت فنها — الى عدة فصول
خص كل نوع من الاصناف المندرجة ضمن الباب — بنصل على حدته نكلم فيه على
ذلك النوع بما يقتضيه الفن ثم اتى بشيء من طرائف المنظوم فوصف به النوع وصفا
ادبيا يحتاجه الاديب وقلما يجده في غير هذا الكتاب وقد اكثر المؤلف في الفن الرابع النقل
عن ابي بكر بن وحشية كقوله في فصل من فصول الباب الاول من هذا الفن — قال ابن
وحشية : واصل كون الألوان في النبات هو امتحان الشمس ثم طلوع القمر عليه فتتغير الألوان
وتتبدل فيه فان ثمرة النخل تبدو اولاً بيضاء جفيرة ثم تصير بلحا ثم تكبر فتنتقل من
الصفرة الى الحمرة او الى الصفرة وهذا التبدل والتلون انما هو بظن الشمس له وكل نوع
من النبات فحكمه في الألوان والنقل فيها هذا الحكم فان الشمس تطينه والقمر يصبغه
والماء يرويه والارض تمسكه وتغذوه مع الماء فيتم كونه ثم قال بعد كلام طويل اعلم ان
جوهر النبات كله كبيره وصغيره انما يكون من جوهر العناصر وهذه العناصر اصل
ومادة وموضوع لكل جسم مركب كائن على الارض من حد سفلى فلك القمر
الى آخر جسم الارض . وقال في موضوع آخر في قوى النبات ومضارعتة الحيوان :
قال أرسطو الحياة موجودة في النبات كما هي موجودة في الحيوان غير ان حياة الحيوان
بينه ظاهرة وحياة النبات خفية غامضة وله حس وحركة . وقال في موضع آخر زعم

آخرون ان للنبات نوماً ويقظة وان النوم سكون والسكون راحة المتحرك وليس للنبات إرادة إذ لو كانت لكان يمكنه ان يهرب من خاز . وزعم آخرون ان له حساً وإرادة لما يرى فيه من الميل مع الشمس حيث مالت كالشقائق والخبازي والخور والترمس وما يفتح لطلوعها وينضم لمغيبها كالنيلوفر والاذرون . وزعم آخرون ان له مع الحس عقلاً وفهماً .

الى غير ذلك من القضايا الفلسفية المتعلقة بالنبات وأحواله وطبائعه وتطوراتها مما يزعم اكتشافه وظهوره على يده كثير من علماء النبات في هذا القرن .

على ان مؤلف هذا الكتاب كما عني بذكر الوافر الجم من المسائل الجوهرية الحقيقية المتعلقة بالنبات وغيره فانه لم يقصر بايراد قضايا جديدة ان نخرط سيفه سلك الخرافات التي تستبعد العقول وقوعها من ذلك قوله مؤيداً زعم من قال بوجود الحس لبعض النباتات ومما يخيل للذهن صدق ما زعموه ما حكى لي القاضي نخر الدين ابراهيم بن علي دبوراً قال مررت بقريه من قرى بعلبك تسمى الرمانه فرأيت في بقعه من ارضها نباتاً يشبه المنثور في لونه وكونه فوقت متعجباً من حسنه فقال لي بعض الظرفاء وأز يدك منه عجباً قلت وما هو قال يعني بيتي شعر معروفين فلا يزال يهتز حتى تسقط أوراقه وتذبل وأريك ذلك ثم اندفع يعني ويوقع بكفيه :

يا ساكننا بالبلد البلقم ويا ديار الطاعنين اسمي .

ما هذه داري ولكنها ديار احبابي فنوحى معي .

قال نخر الدين فوالله لقد رأيت ذلك النبات يهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى ثابرت أوراقه وذبلت طاقاته

قلت لا امي الظن بنخر الدين ولا اتهمه بالكذب والحث يمينه بل اقول انه غلب عليه الوهم فرأى بعينه النبات يهتز فأخبر بذلك ولم يحث .

هذا وان صاحب الكتاب الذي نحن بصدده ذكر في كتابه في الكلام على الارض اموراً ينطبق بعضها تمام الانطباق على ما قاله فيها علماء الهيئة في القرن العشرين والذي قبله وكنا نظنها انها من مكتشفاتهم ومبتكراتهم التي لم يسبقهم اليها احد قبلهم ، واليك نبذة مما قاله في هذا الموضوع وهي :

من جملة الزعم ان الارض تهوي الى ما لا نهاية له وان السماء ترتفع الى ما لا نهاية له ، ومنهم من زعم ان الارض صاعدة وان السماء هابطة ومنهم من قال ان الارض والسماء صاعدتان والقائلون بهذا منهم من زعم ان السماء صاعدة مع دورانها والارض صاعدة غير دائرة ومنهم من زعم عكس ذلك ومنهم من زعم انها متحركة على استقامة الى الشرق وقال بعضهم انها متحركة دورية وان الذي يرى من دور الفلك انما هو من دورها وان الفلك ساكن على الدوام والقائلون بهذا ذهب فريق منهم الى ان حركتها مستديرة .

وكل من مال الى فن من هذه الفنون فانما يخيظ فكره في عشواء الظنون و يتكلف لكل منها ادلة وبراهين لتقضى عليها من سوانح المنازعات صغور وشواهد .

والقول الحق الذي تقوم عليه البراهين الساطعة والحجج القاطعة عند حذاق المتكلمين في الهيئة انها كرية بالكافية مخرسة بالجزئية من جهة الجبال البارزة والوحدات الفائرة ولا يخرجها ذلك عن الكرية لان مقادير الجبال وان شحنت صغيرة بالقياس الى كل الارض « كرة قطرها ذراع او ذراعان اذا نبأ فيها كالجوارس وغار فيها كأمثاله لم يمنع ذلك من اجراء حكم التدوير عليها بالتقريب » وليس للارض نسبة من الفلك البتة لان أصغر كوكب في السماء قدرها ثمان عشرة مرة وهي في وسط الفلك والوسط هو السفلى ومثلوا كونها في الوسط كالنقطة في الدائرة والمخ في البيضة ومعنى تمثيلهم لها بالمخ الذي هو الصفار ان البيضة يقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها والمخ في مكانه لا ينتقل عنه وفي هذا تنبيه على ان الفلك هو المتحرك دون الارض وزعموا انها الحجاب الذي توارت به الشمس في قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » ومن يراهم على انها كرية ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع نواحي الارض في وقت واحد لا يرى طلوعها على النواحي الشرقية قبل طلوعها على النواحي الغربية وغروبها من النواحي الشرقية قبل غروبها عن الغربية ، ولو ان انساناً سار من ناحية الجنوب الى ناحية الشمال رأى انه يظهر له من الناحية الشمالية بعض الكواكب التي كان لها غروب فيصير أبدي الظهور ، وينجب ذلك يكون عنده من ناحية الجنوب بعض الكواكب التي كان لها الطلوع فيصير أبدي الخفاء على ترتيب واحد اذ كان لا يتعرض بينه وبين البصر شيء فيجب شعاعه عنه والامر بخلاف ذلك كما تقدم ، قال والماء محيط بها

ولولا التضررس لغمرها حتى لم يظهر منها شيء لكن العناية والآية اقتضت اللطف بالعالم الانسي فأبرزت له جزءاً من الماء ليكون مركزاً له وإحاطة الماء بهما بالامر الطبيعي اذ كل خفيف يعلو على الثقيل والماء أخف من الارض فكانت محيطاً بهما قالوا والهواء جاذب لها الى الملك بالسوية كجذب المغنطيس للحديد ولذلك وقفت في الوسط : وذهب آخرون الى ان وقوفها في الوسط انما هو من دفع الفلك لها من سائر جهاتها ومثلوا وقوفها في الوسط بحمصة لو وضعت في قنينة ثم أديزت في الجهة ادارة سريرة ووقفت في وسطها لتساوي الدفع من كل الجوانب : وحكى عن آخرين ان النصف الأسفل من الارض فيه اعتمادات صاعدة بالنصف الاعلى فيه اعتمادات هابطة فحصل التدافع من الاعتمادات فلزم الوقوف .

كل خبط في عشواء الجهل بحكمة الله في مخلوقاته ، كيف والله تعالى يقول : « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده » وذلك الامساك هو ان رسم لكل واحد منها حداً لا يتعداه : ثم انهم مثلوا طول الساكن في الارض بنقاعة غرس فيها شمبر مما يدور بها فكل شجرة منتصبة الى ما قابلها من جميع جهاتها لا فرق بين شيء منها في استقامة المحل وحيث كان الناس من استيطانهم فان ارجلهم الى الارض ورؤوسهم الى السماء وكل فريق منهم يرى ان ارضه التي هو عليها هي المستقيمة في الاعتدال ، وقال آخرون في تحقيق هذه الدعوى — لو ان اهل ناحية من نواحي الارض حفروا بئراً وأطالوها الى المركز وحفر اهل الناحية التي تقابلها بئراً أخرى وأطالوها الى ان تلتقي الحفرتان ويكون الماء واحداً لأرسل اهل كل ناحية دلوهم فكان أسفل هذا الدلو مقابلاً لأسفل الدلو الآخر وكان هؤلاء يجرونه الى فوق والآخرون كذلك لا يشك واحد منهم انه جاذب دلوهم من اسفلها الى اعلاها واستدل ايضا على ذلك ان الانسان اذا كان في موضع من الارض وأخرج خطأ مستقيماً من مكانه الى مركز الارض وانتهى به الى الجهة الاخرى من رجله الى رجله حتى انهم قالوا متى قيس بين اهل الصين وبين اهل الاندلس الذين على طرفي المعمور كانت أقدامهم متقابلة .

الى آخر ما حكاه صاحب الكتاب في كربة الارض وحركاتها من الزعوم والآراء .

التي كنا نحسب الكثير منها مما تركه الاول للآخر فكنا نقول كم ترك الاول للآخر
فصرنا بعد اطلاعتنا على هذا الكتاب نقول ما ترك الاول للآخر .

كامل الغزي
عضو المجمع العلمي



صلاح الدين الصفدي

لما قرأت ما كتبه السيد داود الحلبي في الجزء التاسع من مجلة المجمع ص ١٠٥ الى
١٠٨ عن كتاب لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي ذكرت اني رأيت في مكتبة وزارة
الهند (India Office) بلندن منذ زمان نسختين من التذكرة الصلاحية (كذا ورد في
عنوان كل جزء من النسختين) لا ذكر لهما في الفهرسة المطبوعة لانها دخلا المكتبة
المذكورة بعد نشر الفهرسة بزمان طويل . وقد أخذت جدولاً مما في النسختين فالفهرسة
تحت رقم « عربي ٣٨٢٩ » وفيها الجزء الاول الى الثالث ، والثانية رقم « عربي ٣٧٩٩ »
تشتمل على الجزء الـ ٤٨ و ٤٩ ولا أدري هل هذا منتهى التصنيف فانه يظهر ان الصفدي
نقل طول حياته من كتب مختلفة وقعت بين يديه فالنقط ما أعجبه على غير ترتيب
واكثره مقطعات ثرية وشعرية غير طويلة الا نادراً ولا أشك ان هذا المجموع لا نهاية
له الا بوفاة . ولفه . اني آسف لعدم نقلي مقدمة الجزء الاول وحيث المكتبة المذكورة
مغلقة في شهر ايلول كله أرجو رجوعي الى هذا بعد فتحها ولثلاث تطول مقالتي أذكر بعض
المهمات الموجودة في هاتين النسختين في الجزء الاول :

ص ٣ رسالة القاضي شهاب الدين بن فضل الله يتشوق الى علاء الدين ابن الفلاس
وشمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود هو ابن الشاعر المشهور والصدر شهاب الدين
يحيى بن اليسراني .

ص ٧ التقليد السليماني للقاضي يحيى الدين بن عبد الظاهر (وهي رسالة هزلية) .
ص ٤٩ الى ٥٩ شعر صدر الدين ابي عبد الله محمد بن زين الدين ابي الحرم مكي
العثماني عرف بالقاهرة بابن المرحل وفي الشام بابن الوكيل هو الشاعر المشهور .

- ص ٦٠ شعر لشرف الدين الحلاوي ولكن محي عمداً في النسخة حتى تصعب القراءة .
- ص ٦٧ الى ٦٨ شعر طویل لابن دانيال قد محي ايضاً ولا أدري سببه .
- ص ٧٠ الى ٧٩ من ديوان الامير ناصر الدين حسن بن شاهر (كذا) بن طرخان الفرامي ابن النقيب .
- ص ٨١ من كتاب تحفة القادم لابن الأبار .
- ص ٨٦ آخر الجزء الاول .
- ص ٨٩ الى ١٠٧ شعر جمال الدين ابي الحسين محي بن عبد العظيم الجزار .
- ص ١٠٧ شعر السراج عمر المختار الحلبي .
- ص ١١١ شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي لمتوفى يوم السبت ٢٢ شعبان سنة ٦٨٠٠ ودفن بباب الصغير في دمشق .
- ص ١١٢ الى ١٢٣ المختار من كتاب فلكة البراءة ولفكة البراءة لمحي الدين عبد الله ابن عبد الظاهر .
- ص ١٢٤ الى ١٤٤ القطر النبائي لجمال الدين محمد بن نباتة في آخره إجازة مؤرخة في القاهرة سنة ٧٢٩ .
- ص ١٦٣ آخر هذا الجزء الثاني .
- ص ١٦٩ من كتاب تاج الجامع والمعجم وسراج الأعارب والأعاجم المشتمل على مشيخة ابي المحامد اسماعيل بن ابي الشكر حامد بن ابي القاسم عبد الرحمن الخزرجي القوسي نزيل دمشق .
- ص ١٧٣ كتاب محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى الامير شمس الدين آقسنقر جواباً عن كتابه بفتح بلاد النوبة .
- ص ١٨٩ الى ١٩٣ ظلامة ابي تمام الطائي صنعة الخالدي .
- ص ١٩٣ مناظرة بين النظام وابن الحكم تليه مناظرة بين النظام ومخالفه .
- ص ٢٠٤ رسالة الخاتمي اولها : كان ابو الطيب (يعني المتنبي) لما دخل بغداد الخ .
- ص ٢١٢ شعر ابي القاسم المظفر علي الطبرسي يرثي المتنبي .
- ص ٢١٣ الى ٢١٨ مرقعات المتنبي من ابي تمام .

ص ٢١٩ الى ٢٢٠ الخواص الفخيلة والعظات العلية لنور الدين ابي بكر محمد بن دحتم .
ص ٢٢١ الى ٢٢٩ مفاخرة بين السيف والقلم لجمال الدين ابي بكر محمد بن شمس
الدين محمد بن نباتة .

ص ٢٣٦ آخر الجزء الثالث والنسخة (رقم عربي ٣٧٩٩) :

ص ٢٠ الى ٢٦ نقلت من ديوان امين الدين جويان القواس مثله في الوقائع
ورقم الوصائع .

ص ٤٠ الى ٤٤ شعر شمس الدين محمد بن علي بن ابراهيم المصري المعروف بابن
الواسطي أنشدني لنفسه .

ص ٦٤ مكاتبة الشيخ أويس بديوان الانشاء .

ص ٦٨ آخر الجزء الثامن والأربعين .

ص ٦٩ من كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لابن خطيب القلعة .

ص ٧١ قول ابو علي ابن فورجة في كتاب التيجي على ابن جني [انقلها بكاملها في
آخر هذه النبذة] .

منقول من الجزء الثامن والأربعين ص ٧١ :

ذكر ابو علي بن فورجة في كتاب التيجي على ابن جني . قال : حدثني الشيخ ابو العلاء
المصري عن رجل من اهل الشام كان يتوكل لابي الطيب بعرف بابي سعد وبقي الى عهدنا
وبعد : ان حدثني ابو علاء عنه . قال : دعاني ابو الطيب ذات يوم ونحن يجلب أظنه
قال ولم أكن عرفت منسه الميل الى اللهو مع النساء ولا التلذذ فقال لي : أرايت
(ص ٧٢) الغلام ذا الاصداغ الجالس الى حائوت كذا من السوق وكان غلاماً وسياً
فخاشاً فيما هو سبيله . فقلت : نعم واعرفه . فقال : فامض فأنتي به واتخذ دعوة واتق
واكثر . فقلت : كم قد مر ما أتفق . فلم يزدني على قوله : أتفق واكثر . وكنت
استطلع رأيه سيفي جميع ما اتفقته فضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الطعام وصحفات من
الخلوى واستدعيت الغلام فأجاب وانا متعجب من جميع ما أسمع منه وأراه اذ لم يجر له
عادة بمثله . فعاد من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام وفرغ من اتخاذ
الطعام فقال : قد تم ما يؤكل وآكل ضيفك . فقبضت الطعام وأكلنا وانا ثالثهما ثم

أججى(?) الليل فقدمت الشمعة وصرّفع دفاثره وكانت تلك عادته كل ليلة . فقال : احضر لضيّفك شراباً واقعد الي جانبه فنادمه . ففعلت ما أمرني كل ذلك وعينه الى الدفاثر يدرس ولا يلتفت اليّنا الا فيّ الحين بعد الحين فما شربنا الا قليلاً حتى قال : افرش لضيّفك وافرش لنفسك وبث ثلثهما ولم أكن قبل ذلك أبايته في بيته . ففعلت وهو يدرس حتى مضى من الليل اكثره ثم آوى الى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : ما يصنم الضيف ؟ . فقال : أحبّه واصرفه . فقلت : وكم أعطيه . فأطرق ساعة ثم قال : أنطه ثلاثمائة درهم . فعجبت من ذلك ثم جسرت نفسي فدنوت منه فقلت : انه من يجيب بالشيء اليسير وانت فلم تثل منه حظاً . فقال : أنظني من هؤلاء الفسقة أنطه ثلاثمائة درهم ولينصرف راشداً . قال : ففعلت ما أمرني به وصرفته . . قال ابن فورجة : وهذا من بديع اخباره ولولا قوة إسناده ما صدقت به .

وفي ص ٩٠ من الجزء المذكور :

قلت من روزنامج الضاعب ابي القاسم اسماعيل ابن عباد رحمه الله : وانتهيت الى ابي سعيد السيراني وهو شيخ البلد فرد الادب وحسن التصرف في اللغة والنحو وافر الحظ من علوم الاوائل فسلمت عليه وقعدت عليه وبعضهم يقرأ الجهرة فقرأ : أَلَحَقْتُ الشَّيْءَ اَفْسَدَتْهُ^(١) فقلت : انما هو لمقته . فدافعني الشيخ ساعة ثم رجع اليّ فوجد حكايتي صحيحة واستمر القاري حتى انشد وقد استشهد :

رسم دار وقفت في طلله كدت اقضي الغداة من جلله

قلت : أيها الشيخ هذا لا يجوز والمصراعان على مثل النشيد يخرجان من بحر ين لان : رسم دار وقفت في طلله « فاعلين مفاعلين فعلن » وكدت اقضي الغداة من جلله . « مفتعلن فاعلات مفتعلن » فذاك من الخفيف وهذا من المنسرح والمصراع الاول مخروم . فقلت : لا يدخل الخرم على هذا البحر لان اوله مستفعلن ومفاعل هذه مزاحفة عنها فاذا حذفنا متحركاً بقينا ساكناً وليس في كلام العرب ابتداء به وانما : كدت اقضي الغداة بتخفيف .

(١) هذا الحرف ليس في الجهرة في رواية السيراني وما فيها لمق الكتاب اي محام

ولمقه بيده خبر به . . انظر ج ٣ ص ١٦٣ طبعة حيدرآباد .

فأمر بتغييره ودفعتني الى جنبه وابتدأ يقرأ عليه كتاب سيبويه باب ما يجري وما لا يجري الى ان ذكر سحره وانه لا ينصرف اذا سحر بعينه لانه معدول عنه . فقلت : ما علامة العدل فيه . قال : لانا قلنا السحر ثم قلنا سحر فعلنا ان الثاني معدول عن الاول . قلت : لو كان كذلك ان تطرد العلة - في عتمة لانك تقول العتمة ثم تقول عتمة . فضجر وامتد واربدت وادعيت انه ناقص والتمس المجاكة فكتبت اليه رسالة اخذت فيها خطوط اهل النظر كلهم وفيها خط ابي عبد الله بن رزام عين مشايخهم . ورأيت الشيخ بعد ذلك عزيزاً فاضلاً متوسعاً عالماً فعكفت عليه واخذت عنه وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه وقرأت صدرآ منه عليه .

ثم نقل من روزنامج صاحب ابن عباد قصة عن 'مختدع المغنية جارية أم ابي الفرج محمد بن العباس ولكن فيها ما يؤذي حسن الادب ولهذا السبب اضرب عن ذكرها .
الى ص ١١٦ .

ص ١٠٥ ذكر من ولي إمرة دمشق المحروسة في الاسلام او دخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم . وهذا أوله ليري القاري ما في هذه المقالة من الاخبار .
« المحرزة »

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي . ولها للرشيد هارون .
ابراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابو اسحق المعروف بابن شكلة . ولها لهارون الرشيد .

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابو اسحاق القرشي امير المؤمنين بوبع له بالخلافة بعد اخيه يزيد بن الوليد الناقص بعهد سنة ...

ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس . ولها للمهدي وولي مصر ايضاً .

ابراهيم بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام الخ وكذا الى آخر الحروف .

ص ١١٦ الى ١٥٣ من كلام مولانا القاضي الفاضل هذه نبذة مهمة من رسائله

واشعاره وبها ينتهي الجزء .

وفي آخره مائه : يتلوه الجزء السادس عشر من هذه النسخة وهو الخمسون من اجزاء

المؤلف بعد البسملة والحمدلة قوله تعالى : (جزاء من ربك » .
ومن هذا يظهر انه لم يكمل التأليف بهذا الجزء ، ولكن لا خبر في
« تصنيف مجهول للصفدي »

بعد أن فرغت من ترجمة الصفدي التي كتبها في المعلة الاسلامية (Encydefad De L'islam) وقع في ملكي اربعون ورقة بخط غير قديم من كتاب في خط الموام وتصنيف العلماء وعلى الوجه الاول : مؤلف هذا الكتاب الصفدي رحمه الله . وقال بعد الحمدلة والتسليم : اما بعد فان التصنيف والتحريف قل ما سلم منهما كبير . او نجا منهما ذواتقان ولورسخ في العلم رسمخ ثبير . اوخلص من معرفتهما فاضل ولوانه في الشجاعة عبد الله بن الزبير او عبد الله بن الزبير . خه وصا ما اصبح النقل سبيله والنقل يدليه . فقد صحف جماعة هم أئمة الامة وحرف كبار يبدم من هذه اللغة تصريف الأزمّة . منهم من أئمة البصرة اعيان كاخليل بن احمد الخ ثم أورد تصنيفات في القرآن العظيم وبعد بياض تلا تصنيفات المحدثين قال في اول هذا الفصل ما نصه :

فقد دون الناس في ذلك جملة وعقد المصنفون لذلك ابوابا في كتبهم وهي مشهورة بين القوم . ومن ذلك ما حكاه ابو احمد الحسن العسكري قال حكي القاضي احمد بن كامل قال : حضرت بعض مشايخ من المغفلين فقال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل عن الله عن رجل . فقلت من هذا الذي يصلح ان يكون شيخ الله . . فاذا هو قد صحفه : واذا هو عن رجل . قال العسكري واخبرني ابو علي الرازي قال : عندنا شيخ يروي الحديث من المغفلين روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل حصى حمارة . انما هو يغسل حصى حمارة . بالخاء المعملة اولا وبالجم ثانيا . وروى بعضهم : « الجاراحق بعنة » بالفاء المشددة والتاء ثالثة الحروف . وانما هو « بعقبه » بالقاف والباء الموحدة . ثم بعد بياض :

وقد صنف الامام الدارقطني مجلداً في تصنيف المحدثين وكذلك العسكري له في ذلك ايضا .

ثم بياض :

واما تصنيف الفقهاء فهو كثير قال يوماً بعض المدرسين : « ولا يكون النذر الا في

قربة» قاله بالياء آخر الحروف . وهو بالياء الموحدة مفهموم القاف . وقال بعضهم في التنبيه : وبكره القرع ويجب الخيار . وانما هو بكره القزع ويجب بالجيم والختان بالتاء ثالثة الحروف وبعد الالف نون . وقال بعضهم يوماً : وقال الشافعي : ويستحب في المؤذن ان يكون صيباً بالياء الموحدة والياء آخر الحروف . فقيل له : ما العلة في ذلك . قال : ليكون قادراً على الصمود في درج المأذنة . انما هو صديقا من الصوت . وقال بعضهم . . .
بياض آخر :

ثم يلي تصحيف الكتاب وبعد ذلك تصحيف الشعراء .
وفي مامش النسخة عند انقطاع المقدمة : مقدار صحيفتين بياضاً تركه المصنف ثم ابتدئ بحرف الالف رتب هذا الباب فصلاً على الحرف الثاني وآخر حرف في النسخة التي عندي حرف التاء المثناة من فوق ولا شك ان في الاصل اكثر من هذا لان في اسفل الصفحة الاخيرة رافب للورقة التالية ولكن اذ كانت الورقات متزودة من الكتاب — لا ادري هل كل المصنف كتابه ام لا وقد نهيت في الترجمة المذكورة على ان الصفدي في آخر عمره صرف من كتب التراجم الى كتب اللغة ولعل هذا التصنيف آخر مؤلفاته ولم يتم .
وتدل على ان النسخة اصلاً مأخوذة من مسودة المؤلف كثرة البياضات بين كل فصل ومع هذا اختصر أسماء الكتب التي نقل منها يخروف مكنوبة بالحمرة ولا وجود في المقدمة لما يدل على تعريف هذه العلامات وقد وجدت أسماء بعض الكتب بالمقابلة ولكن نبي آخر لا ادري اسماءها ولا من صنفها ورجائي ان تكون لاحد قراء المجلة معرفة بالاصل الذي نقلت منها نسختي فانها شامية الاصل بلا شك حيث كانت من جملة كتب الشيخ احمد فارس الشدياق .
ف كرنكو

فصح وشوارد

شطاً الزرع والنخل (—) شطاً وشطوءاً ، اخرج الشطء وهو فراخ الزرع والنخل وقيل ورقه — ومن الشجر ما خرج حول اصوله ، وكذلك أشطاً .

وفرخ الزرع ، نبتت أفراخه والفرخ هو الزرع المنهي للانشقاق وقد فرخ الشجر اذا اخرج فراخاً كثيرة وهي ما يخرج سبغ اصوله من صفاره وقيل فرخ الشجرة الغصن منها . وقال قوم فرخها ما في وسطها من الاغصان .

وشعاب الزرع وشعاب ، صار ذا شعاب اي فرق . وقصاب ، صار له قصب . ونقول للزرع اول ما يطلع نيم ثم فرخ وقصاب ثم أعصف ثم سبل ثم سنبل ثم أحب وألب ثم أسنى ثم أفرك ثم أحصد .

وأشع الزرع ، اخرج شعاعه وهو من السنبل سفاه اذا يبس ما دام على السنبل . وأصر السنبل ، صار صرراً وهو السنبل بعد ما يقصّب او ما لم يخرج فيه القمح الواحدة صررة .

وسنبل الزرع ، خرج سنبله . وأسبل ، اخرج سبولته وهو بمعنى السنبل . وأقع البر ، صار قمحاً نضجاً . وقد تروّب السنبل الدقيق وأشربه اذا صار فيه طعم والشرب فيه مستعار كأن الدقيق كان ماء فشربه . واشوى القمح ، افرك وصلح ان يشوى . وافرك السنبل اذا صار فريكاً وهو حين يصلح ان يفرك فيؤكل .

وشذب الجذع ، اصلحه بقطع شذبه وهو قطع الشجر يقال طار من النخل شذبه اي ما قطع عنه . وكرب الرجل ، اخذ الكرب من النخل وهو اصول السعف الغلاظ المراض التي تقطع معها الواحدة كربة .

وسلاً الجزع ، نزع سلاًءه اي شوكة . وكرف النخلة ، جرد جذعها . وكرايفه والكرفان اصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف . وصونج علي النخل والكرم اذا احاط عليه بالساج وهو شجر يعظم جداً لا ينبت الا ببلاد الهند وخشبه اسود رزين لا تكاد الارض تبليه .

وتموء العنب ، امتلاً ماءً وتهياً للتفحج . واجرن ، حان له ان يوضع في الجرين .
 وابرم الكرم ، صار ذا بوم وهو حب العنب اذا كان مثل رؤوس الدر .
 وعقل ، اخرج الهة يلى وهو الحصرم ربما سمي بهذا لعقله بطن آكله .
 واشجن ، صار ذا شجنة وهي شعبة من عنقود تدرك كلها .
 وكعب ، اظهر كعبه وقيل كثر حبه والكعب الحصرم . وانى ، صار فيه نوام .
 اي قضبان عليها عناقيد .
 وعنب ، صار ذا عنب . وافعل ، انشق قعاله ونثار ولم يثمر وهو نور العنب
 وشبهه وما نثار منه . واعصى ، اخرج عيدانه ولم يثمر . وقد دمت الجفنة اذا كثر
 دسمها وسال فهي جفنة دامة .
 ورعل الكرم ترعيلاً ، خرجت رعلته وهو الطرف الغض من الكرم .
 واحطب ، حان ان يقطع منه الحطب . واستحطب العنب ، احتاج ان يقطع اعاليه .
 واعترش الكرم ، علا على العراش وعرش الكرم ما يدعم به من الخشب . وعوم ،
 كبر جملة عاماً وقل آخر .
 وقالوا بقل الرجل ، خرج لطلب البقل . واعشب القوم اصابوا عشباً نقول
 اعشبت يا هذا فانزل وكذلك اعشوشبوا .
 وامرع فلان المكان ، اصاب مريعاً ومنه المثل امرعت فانزل اي اصبحت حاجتك
 فانزل . ونعيم ، تتبع نجمة النبات واحفر عنها . واحش الكلاً ، امكن لان يحش .
 وقيل العرج ، بدابه غب المطر ما يشبه القمل . وعمر النبات ، اصابه العير
 اي الريح الباردة . ومم ، احرقته السموم فهو مسموم .
 واستروح الفصن . ، اهتز بالريح . وغصن مريح ومريح ، اصابته الريح وشجرة
 مروحة ومريجة ، صفقتها الريح فألقت ورقها .
 واخلفت الشجرة ، انبتت عوض ما قطع منها . ومشيت ومشيت ، واشرت ،
 خرجت فيها المشرة وهي شبه خوصة تخرج في الغشاء وفي كثير من الشجر ايام الخريف
 لها ورق واغصان رخصة وقيل الاغصان الخضر الرطبة قبل ان تثلون بلون وتشتد —
 وهي ايضاً الورقة قبل ان تتشعب وتنتشر — وما ينتشره الراعي من ورق الشجر بمحجته .

وامنع العوسج ، ظهر مصعه وهو حمل البوسج وثمره وهو احمر يؤكل .
 واستغلظ الشجر ، استحكمت نبتته وصار غليظاً . وشجر النبات ، صار شجراً .
 وأشطأ الشجر ، أخرج الأشرطة وهي ما خرج حول اصوله .
 وصنبرت النخلة ، صارت صنبراً وهي النخلة دقت من أسفلها وانجرد كرمها وقل
 حملها — والمنفردة من النخيل — والنخلة تخرج من اصل النخلة الاخرى من غير ان
 تُخرس . .

وأعبل الشجر ، كان ذا عبل ويقال أعبل الأرض إذا غلظ هديه في القبط
 واحمر وصلح ان يدبغ به والعبل كل ورق مقتول غير منبسط كورق الطرفاء — وثمر
 الارطى وهديه إذا غلظ وصلح ان يدبغ به وقيل الورق اللقيق وقيل الظالم والساقط
 منه (ضد) .

وقصد العرغ وأقصد ، أخرج القصد وهو أغصانه الناعمة وقيل القصد من كل
 شجرة شائكة ان يظهر نباتها اول ما نبت .
 وأفتل السلم والسمر ، أخرج الفتلة وهي حب السلم والسمر خاصة وذلك اول ما يطلع .
 وأزيم الشجر ، صار له زيمة . وأمرد النخل ، صار ذا مراد وهو التخلال العاصب
 والتخلال هو البسر اذا اخضر واستدار .
 وتربل الشجر ، أخرج الربل وهو ضرب من الشجر ينقطر آخر القبط بعد الحج ببرد
 الليل من غير مطر .

وارشى الحنظل ، امتدت أغصانه تشبيهاً له بالارشية
 وأصق النخل ، أنبت الصنوان واذا خرج فخلجان او أكثر من اصل واحد فكل
 واحدة منهن صنو والاثنان صنوان وثمانان وجمع صنوان وقيل الصنوعام في كل
 فرعين يخرجان من اصل واحد في النخل وغيره .
 وسيرفت النخلة تسيرف سيرفاً ، كان فيها الريف وهو ما لاق باصول السيف من
 خلال اليف وهو أرداه وأخشته وأجفاه وكذلك انسافت .

سالم خليل رزق

« النبك »

—

آراء وافكار

حول الجزء السابع والرابع
« من إرشاد الأريب »

قد نشر الأديب الفاضل محمد راغب الطباخ رسالة هذا عنوانها في العدد الثامن من المجلد التاسع من المجلد (ص ٥٠٤) يطعن في صحة نسب هذين الجزءين لياقوت والتي أعترف بأن لشكوكه أصلاً وأساساً وقد ذكرت أمثالها في مقدمة الطبعة الثانية من الجزء الثالث ويجب عليّ أن أسرد الأسباب التي حسنت لي إضافتهما على رثائتهما إلى الأجزاء الثمينة .

اولها ورود تراجم عدة في الجزء السابع قد وردت في بغية الوعاة للسيوطي منسوبة لياقوت ولو فرضنا ان مزبوراً نقلها عن البغية فصحة نسبها لياقوت ثابتة على كل حال .
والثاني ما جرى في الجزء السابع من ذكر أخبار وتواريخ تتعلق بأحوال ياقوت يستبعد صدورها عن غيره منها ص ٢٠٩ (وقد أدركت نصر بن الحسن صغيراً ولم ألقه وتوفي سنة ٥٨٨) وهذا يشبه ما قاله ياقوت في الجزء السادس ص ٢٣٠ (مات المبارك ابن المبارك سنة ٥٨٥ أدركت زمانه ولقيت ببغداد أوانه الا انني لم أراه لصغر السن) ومنها ص ٢٨٠ انه كان بالموصل سنة ٦١٣ وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة ياقوت انه كان بالموصل سنة ٦١٣ ثم أورد ابن خلكان لياقوت رسالة طويلة زعم انه كتبها من الموصل في سنة ٦١٧ حين وصوله من خوارزم طريد النثر وقال ابن خلكان (وصادف وهو بخوارزم خروج النثر وذلك في سنة ٦١٦ فانهمزم بنفسه . ونقلت من تاريخ اربل الذي عني بجمعه ابا البركات ابن المستوفي ان ياقوتاً قدم اربل في رجب سنة ٦١٧ وكان مقبلاً بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين النثر والسلطان محمد بن نكش خوارزمشاه) . وقال مؤلف الجزء السابع ص ٢٦٨ (وتوفي في السنة التي عدت فيها من خوارزم الى الموصل سنة ٦١٨) . ولواخذ من زور التاريخ من كتاب ابن خلكان لجملة سنة ٦١٧ وكتب ياقوت في مادة خوارزم من معجم البلدان (واما الآن فقد بلغتني

ان النثر صنف من التترك ورودها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها (وقال صاحب سيرة
السلطان جلال الدين منكبرتي ص ٩٢) ذكر حصار التاتار خوارزم في ذي القعدة
سنة ٦١٧ واستيلائهم عليها في صفر سنة ٦١٨) . وغلطة مؤلف الجزء السابع في تاريخ
عودة ياقوت الى الموصل توافق غلطة ياقوت في تاريخ ورود النثر خوارزم وهذا اتفاق
يدل على ان مؤلف الجزء السابع هو ياقوت . وقال مؤلف الجزء السابع ص ١٧ (انتقل
الى مصر وانا بها سنة ٦٢٤) . وقد ذكر ياقوت سنة ٦٢٥ وسنة ٦٢٦ في الجزء
السادس (ص ٣٦٥ و ص ١٨٥) فكأنه لم يزل يدخل زيارات في إرشاد الأريب الى
انقضاء عمره وقال ابن خلكان في الترجمة (أقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار
وارتحل الى حلب وأقام بظاهرها في الخان الى ان مات) واقامته في الخان المذكور
لأننا في ذهابه الى مصر في وقت من الاوقات ولو اخذ من رايخاره من ترجمة ابن خلكان
لم يكن ليذكر مثل ذلك . والثالث وفاة الجزء السابع بوعود جاءت في الاجزاء السابقة منها
في الجزء الخامس ص ١٩٠ (فقال ابو محمد اليزيدي : (كنا نقيس النخوف فيما مضى) الخ
الايات في اخبار اليزيدي) وهي موجودة في الجزء السابع ص ٢٩٠ وقال في الجزء
السادس ص ١٤١ (الفضل بن محمد بن ابي محمد اليزيدي وقد ذكرنا نسبه ونسب اهله
والسبب الذي لاجله سموا اليزيديين في باب جده ابي محمد يحيى ابن المبارك) وقد جاء
ذلك في الجزء السابع ص ٢٨٩ وقال في الجزء الخامس ص ٤٤٠ (علي بن هارون بن علي
ابن يحيى النجم قد ذكرنا اياه هارون واجداده في مواضعهم من الكتاب) وترجمة هارون
موجودة في الجزء السابع ص ٢٣٤ .

وقد وعد باشياء لم يف بها مؤلف الجزء السابع منها في الجزء الخامس ص ٢٨٨
(له مدح في الزمخشري ذكرته في ترجمته) . وفي الجزء السادس ص ١٢٨ (يعقوب
ابن احمد المذكور في باب) والاعراب على ظني ان الجزء السابع مختصر مختصره ونجل كان عنده
نسخة كاملة فحذف منها اشياء لم يرغب في تحليدها وأضاف تراجم كان نقلها عن كتاب
الشعراء لياقوت . واما الجزء الرابع فهو على كل حال مختصر وقد ذكرت في مقدمتي له
ما يدل على انه لياقوت .

وارجو ان يقبل الاديب الفاضل عذري و يميز لي ان اذكره المثل السائر (بعض

الشر أهون من بعض) وأن أكل تأليف ياقوت تكميلاً لا يسد كل خلل أهون علي من تركه ناقصاً نقصاناً ظاهراً ولن أزال ممثلاً امره بالثقة عن نسخ هي أكل واضح من التي اضطرت الى النقل عنها .

اكسford : د . س . مرجليوث

عضو المجمع العلمي

العربية

« هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ »

هل ابن بطوطة من أهل اللغة ؟ وهل هو الذي وضع لفظ (عربية) ؟ ! ذلك ما نبادر الى ذهني عند مطالعة جواب الصديق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (مجلة المجمع ٩ : ٣٥٦) على اقتراح الاستاذ الشيخ عبد القادر « المغربي » . في الكلمات غير القاموسية . فاني اعلم حق العلم ان الرحالة ابن بطوطة ليس هو من أئمة اللغة بل ليس هو الذي وضع مثل (العربية للعجلة التي تقل الركاب) والذرية التي سماها المبرد (الشاهدة) وهو ما يوضع على القبر من كتابة ونحوها وهي شائعة متداولة في لهجة العامة بحلب ويحدهونهم على شواهد . فان ابن بطوطة ليس بعالم ولا مفكر^(١) ولا ريب في ان رحلته سهلة الانشاء ساذجة التعبير تكاد تجادر الانشاء المنحط احياناً فتبدو خالية من قيد التأليف والترتيب^(٢) وانما يعود الفضل في تعريبها واحكامها الى ابن حزمي البكبي الاديب المشهور .

وقد كانت حفرة الصديق الاستاذ الاب انتاس الكرمل ذهب الى ان (العربية) تركية الاصل في نقده على الشيخ ابراهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلمة (عربية) بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل !! ودون هاتين اللفظتين فصاحة قال ابن بطوطة في رحلته في كلامه على بلاد الترك « وهم يسمون العجلة (عربية) بعين معملة وراء وباء موحدة مفتوحات » ولا يخال ذلك صواباً . قال الامام عيسى بن علي في معجمه السرياني العربي في ترجمة مادة (ايزرا)

(١) الروائع في ابن بطوطة . (٢) الزائع في ابن بطوطة ايضاً .

على اللفظ الشرقي (وايزرا) جناح دولاب العربية . وانت خير انت عيسى بن علي من أركان دار الترجمة ببغداد في العهد المباسمي اي في أواخر العصر التاسع للمسيح . فكلمة (العربية) قديمة العهد سبقت ذلك العصر ولو لم تكن مشهورة متداولة في عهد ابن علي المشار اليه لما كانت فسر بها بعض لفظ ايزرا الارامي السرياني . ولا إخالها فارسية دخلت الارامية ولعلها ارامية سريانية فانها في هذه اللغة (عربيا) اي العربية على ما روى ابن علي السابق الذكر . فهي والحالة هذه — قبل ابن بطوطة بأعصار كما هو ظاهر .

ومن بحث عن العربية سيفي معاجم اللغة الارامية السريانية رأى ابن علي يقول في مادة (ايزرا) على اللفظ الشرقي جناح دولاب العربية . وقال بعده ابن بهلول من اغويي القرن العاشر للميلاد سيفي مادة ايزرا جناح العربية . وقد ذكر ابن علي عربيا على اللفظ الشرقي^(١) بمعنى العربية (العجلة) كما مر بك آنفا . واما سيفي مادة عربيا فقال معصرة الزيت ويقال اناء الزيت . وقال وعربيا ايضا العربية وهي الرحى التي تكون في الزورق في الماء . وقال ابن بهلول عربيا اناء الزيت ومعصرة والعربية التي يطحن بها . واما الغويو السريان الحدباء كيمعقوب منذ الكلداني فقد قال في معجمه في مادة ايزرا سجل صك ٢ جناح دولاب العربية (وهو لفظ ابن علي كما رأيت) ٣ أداة محراث الفساد ٤ يزأر بائع البزر ٥ آلة حياكة . وقال سيفي عربيا مؤنثة غرب خلاف صفا ٢ غرب ٣ عربية طاحون رحى يديرها الماء ٤ فصعة معجن جفنة طويلة ٥ تقير حجر اجانة معصرة . وقال قبله العلامة الفرداحي في لبابه في مادة يزور (وايزرا) ايضا دولاب العربية والبزأر (اي بيع البز) والمحراث عن ابن بهلول وقال سيفي مادة عرب عربيا المغرب والمعجن اي ما يحجن فيه وعربيا بالجمع الغرب وعربيا ايضا الحمص اه .

وقال العالم احمد وفيق باشا سيفي معجمه (اللهجة العثمانية) عربية خطأ محض . لأن العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه در) وألحقها بحرف (ن) اي فلتنظر او فلتنظر عن مجلد ٢ ص ٨٠٤ وهذا يؤكد ما سبق وقلناه لا اظن العربية من

(١) اعتمدت هذا اللفظ فيما نقلته عن الارامية السريانية اقتداءً بالعرب القدماء الذين

عربوا ما عربوه بهذا اللفظ الشرقي مثل برنساء وما اشبه .

أصل تركي . وقال الأستاذ الزبيدي في تاج العروس في (فصل العين من باب الباء عرب) (و) العربات (سفن رواكد في دجلة) النهر المعروف واحديتها عربية (مجلد ١ ص ٣٧٦) وهذا يحقق ما قاله لغويو السريان جناح دولاب العربية في الماء ويرجع ان اللفظ أعجمي . وقد كان معروفاً في بغداد خاصة ولما كانت العجلات من اعتاد الحرب عند الشعوب القديمة فقد توسعوا في معنى العربية فنقلوها من معنى الرحى التي تكون في الماء وما أشبه الى معنى المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او أكثر فعرفت بهذا المعنى .

ومما يك من الامر فقد ثبت من هذا البحث اللغوي ان العربية بمعنى العجلة او المركبة قديمة العهد قد سبقت ابن بطوطة بازمان بطويلة وانها دخيلة في اللغة العربية واللغة التركية ولعلها آرامية سريانية ويراد بها الرحى او العجلة التي تدور على دولابين او أكثر ونقل الركاب .

و بهذا القدر غني وكفاية في تحقيق اصل كلمة وقدمها العهد .

حلب :
الخورى جرجس منش
عضو المجمع العلمي

الاوران و (بيدمر)

قرأت تعليق صديقي الأستاذ « المغربي » على كلمة (إوران) التي وجدت مرفومة على بعض التوابيت الحجرية الفينيقية (مجلة المجمع م ٩ ص ١٤٨) فذكرت بعدها ان قروني فلسطين لا يزالون يسمون التابوت الحجري بال (ران) بلا الف ويجمعونها على رانات فالظاهر ان هذه التسمية اتصلت اليهم مما كان منقوراً في تلك التوابيت من الامم الفينيقية .

وتكثر هذه الاورانات عند آبار المياه في القرى اذ يمتاحون الماء بالدلاء ويضعونه فيها لسقي ماشيتهم .

على ان الزان في اللغة العربية ضرب من الأعداء . قال الفيروزآبادي في مادة الرين : (الزان كالخف إلا انه لا قدم له وهو أطول من الخف) .
وفرأت في مجلة مجمعنا العلمي المقال الممتع الذي كتبه زميلي الاستاذ الشيخ سليمان ضاهر عن (صلة العلم بين دمشق وجبل عامل) فاستوقفني توقفه - في - حاشيته على مقتل محمد بن مكي بن حامد العاملي الجزيني (م ٩ ص ٢٧٨) - ان يكوّن يهدم الخوارزمي حياً في سنة ٧٨٦ التي قتل بها في عين ان ابن الورددي بذكر ان يهدم البدري نائب حلب قتل في سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م كأث الاستاذ يظن انهما واحد والصواب ان يهدم الخوارزمي لم يل نيابة السلطنة قبل سنة ٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م اي بعد مقتل سميه البدري باثني عشر عاماً . فقد ولي الخوارزمي النيابة بحلب ثم بالشام اية دمشق^(١) وشق عصا الطاعة في الأخيرة ثانية بعد أولى . ثم أفرج عنه وأعيد لنيابة الشام وكان بها سنة ٧٨٦ هـ ١٣٨٤ م وفي تلك السنة ذهب لزبارة الملك الظاهر برقوق ونال الحظرة لديه وعاد الى دمشق .
فبيد الخوارزمي هو غير يهدم البدري بل هناك معاصر ثالث لها يدعي يهدم المجدي كان شاد القصر السلطاني في سنة ٧٩١ هـ ١٣٨٩ م .
زد على ذلك ان محمد بن مكي بن حامد كان في سجن دمشق عاصمة المملكة الشامية ولا سلطان لنائب حلب عليه لانه في مملكة أخرى .

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمي



(١) كان في بلاد الشام سبع نمالك يديرها نواب السلطنة المصرية وهي : الشامية وعاصمتها دمشق والحلبية والحماوية والكركية والطرابلسية والصفدية والفرزانية وعواصمها المدن المسماة بها اي حلب وحماة والكرك وطرابلس وصفد وغزة وقد نقلناها باسمائها الرسمية المعروفة والمدونة في تلك الايام وان كانت جاءت النسبة ببعضها على غير القياس .

مطبوعات حديثة

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

« تأليف الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة ٣٢٤ »

« الجزء الاول في الجليل من الكلام عني بتصحيحه الاستاذ هـ . ر بتر »

« وطبع في مطبعة الدولة في استانبول سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٣٠٠ »

هذا كتاب من الامهات القديمة في الملل والنحل كتب قبل كتب الشهرستاني وابن حزم وعبد القاهر البغدادي فكأنه المصدر الاول الذي استقى منه هؤلاء الثلاثة الذين وصلت اليها مؤلفاتهم في المذاهب الاسلامية « سلك سبيلاً بعيدة من التعصب والتحيز الى فئة وترك ما اختاره بعض المتأخرين من التشنيع على المخالفين وتكفيرهم ولعنهم » على ما قال الناشر . وقد قدم له مقدمة بدعية بالعربية ذكر فيها رأيه في الكتاب والاصل الذي نقل منه وغير ذلك من الفوائد التي دلت على إحاطته بعلم الكلام الاسلامي . وقد صححه معارضاً له على بعض المظان بحيث تكفي نظرة واحدة من المطالع على صفحة منه ليدرك مبلغ الجهد الذي يبجده علماء المشرقيات في نشر آثارنا الصالح . وبعد هذا ألا نغتبط باحياء هذا الكتاب وبحق علينا ان ننسج عبارات الثناء على ناشره العالم المحقق .

م . ك

الرحلة العلمية

« في العواصم الشرقية والغربية »

— للدكتور فؤاد غصن في بيروت صفحة ١٢٨ —

ندب هذا الطبيب الأديب الى درس الطب الشرعي عند بعض الامم فزار فلسطين ومصر وباريز وبرلين ولندرا وذكر شيئاً من نهضتها في العلوم الطبية ووصف العواصم التي زارها وصفاً مختصراً يلم به القاري الملماً خفيفاً بتاريخها وحاضرها . وقد عني عناية خاصة بذكر من اختلفوا به ودعوه الى ظعاهم من التجار والاطباء وغيرهم على صورة ذكرنا بما أراه العلامة الشيخ عبد الغني التابلسي في رحلاته من التويه بمن أو لمواله

ولاشئ وذبحوا له الخرفان وبذلوا له الرغفان . ولكن النابلسي كتب منذ مائتي سنة والدكتور فؤاد غصن متشبع بالروح المصري وهو ينسج على منوال من كان أفقهم ضيقاً . وحبذا لو كان تجنب مثل ذلك واخذ في رجلته على الأقل بأسلوب ابن جبير وابن بطوطة اللذين دوننا رحلتيهما في القرون الوسطى وخلصنا من هذه الانانيات . م . ك



الدروس العربية للمدارس الثانوية

« تأليف كل من الاستاذين عبد الله مشنوق ومحمد طاهر اللاذقي طبع في »

« بيروت سنة ١٩٢٩ م وهو يشتمل على ١٦٣ صفحة »

قال المؤلفان في مقدمة هذا الكتاب : (اخترنا القطع المناسبة المفيدة لمشاهير الكتاب في فنون متنوعة وبأساليب مختلفة وعرفنا المشهور من رجالها . ثم أردفنا ذلك بشرح غريب الألفاظ وطلبنا التليذ باستعمال بعضها في تراكيب عربية صحيحة ثم اتبعناها باسئلة ليستعين بها الطالب على استذكار ما قرأه الخ) فالكتاب إذن كتاب مدرسي يثمن به الطالب على الفصاحة والبلاغة علماً وتطبيقاً ما كان تعلمه من القواعد عملاً . ومؤلفا الكتاب من خيرة العاملين في نشر التربية والتعليم اولها مدير مدرسة البنين الاولى لجمعية المقاصد في بيروت والاخر مدرس العربية في المدرسة نفسها . فلا غرو ان يقع تأليفها الموقع اللائق به من نفوس مديري المدارس واساتذتها فيقبلوا على تدريسه فانه بذلك جدير .

الفقيد العظيم

هو المرحوم فوزي بك الغزي أستاذ الحقوق الدولية في معهد الحقوق بدمشق المتوفى في ٦ تموز سنة ١٩٢٩ . وقد جمع تلميذه السيد لطفي اليافي احد طلاب الحقوق نبذاً من تاريخ حياته وخطبه وكلماته المأثورة وصورة عن الدستور السوري الذي وضع قواعده الفقيد وبعض مراثيه ووصف موكب جنازته وطائفة من رسومه — جمع كل ذلك في كتاب بلغ ١٨٠ صفحة مطبوعة طبعا حسناً . والكتاب جدير بالمطالعة كما ان جامعته جدير بالشكر .

مجلد العربى

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٢٩ م الموافق رجب سنة ١٣٤٨ هـ

بشار بن برد (١)

لما قامت الدولة العباسية على أثر سقوط الدولة الأموية اخذت الحضارة العربية شكلاً غير شكلها الاول : فالأوضاع الادارية تبدلت . والنزعات العقلية تغيرت . ودائرة العلم والفن والترف اتسعت وتوسعت . وقد دعا كل هذا الى ظهور نهضة جديدة في الشعر والأدب فاقت ما تقدمها من النهضات . واثقت كلمة ككتاب تاريخ الآداب العربية على ان حامل لواء الشعر في صدر الدولة العباسية هو (بشار بن برد) .

ولكن أنظنون ان بشاراً يرضى بهذا ؟؟ فهو يزعم انه لو كان في عهد الجاهلية لبذخ فحولها . وأبهر على شعرائها : فما أثر عنه انه قال (أزرى بشعري الأذان) . كنى بالأذان عن الاسلام لأنه من أعظم شمائره . يريد ان ظهور الاسلام بقراءته وبلاغة آياته غطى عليه . وحال دون شهرته . والا فلو كان في زمن الجاهلية وقبل نزول القرآن لكان له شأن غير هذا الشأن .

(نسب بشار ونشأته) : برد ابو بشار فارسي الاصل من بلاد طخارستان ويظهر من قول جغرافي العرب وجعلهم كابل من ثغور طخارستان أن طخارستان هي بلاد الافغان او انها كورة كبيرة منها . جاء برد البصرة في جملة سبي المهلب بن ابي صفرة فأهدته امرأة المهلب الى صديقة لها من بني عُمَيْل . فأعنته العقيلة . وتزوج برد . فولد له بشار . فكان

(١) محاضرة القاها الاستاذ «المغربي» في روضة المجمع بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٩٢٤ م

بشار مولى ولم يكن عربياً . ونشأ في بني عُقيل الأعراب الاتحاح فاستحكمت فيه ملكة اللغة العربية الفصيحة .

ولد بشار في أخريات أيام دولة الأمويين أي في حدود المئة للهجرة . ولما قام العباسيون كان في طور الشباب فهو من مختصر مكي الدولتين أي انه عاش في زمنيهما . لكن اشتهاره بالشعر انما وقع في عهد المنصور العباسي . ثم في زمن ابنه المهدي . وقتله المهدي سنة ثمة وثمان وستين للهجرة للأسباب الآتي ذكرها — بعد ان عاش سبعين ونيفاً من العمر . وكان ضخيم الجثة طويلاً آدم اللون مجذوراً عظيم الخلق والوجه وقد ولد أعمى وكانت حدقتاه جاحظتين (أي فائضتين) وقد تغشاهما لحم احمر . فكان أقيج العميان عمى . وأنظهم منظرآ . وما أقرب الشبه وأبعد بين بشار وإبي العلاء الماعري : الشبه بينهما قريب من حيث ان كلا منهما ولد أعمى او عمي بالجذري وهو صغير . ثم لما نعلقا بالأدب والشعر ساءدهما عمي عين البصر على انفتاح عين البصيرة . فانصرفتا عنيلتهما بكأيتهما الى سمو التصور الفكري . والابداع في التخييل الشعري . حتى بلغا في ذلك مبلغاً ينحط عنه السيل . ولا يرق اليه الطير . وقد تشابها ايضاً من حيث انطلاق فكرهما . مما تقيد به غيرهما : فذهبا في التصريح فيما يعقده كل مذهب . ومن جراء ذلك رُميا بالكفر ونسبا الى الزندقة .

هذا وجه التشابه بينهما اما وجه التباين والتخالف فظاهر في أن بشاراً كان فارسي النجار . اما ابو العلاء فكان عربياً حقاً . وكانت فلسفة بشار فلسفة مادية باطلة . حاشا لفلسفة ابي العلاء فان فلسفته روحية فاضلة . وكانت معظم شعر بشار فيما يثير الشهوة ويهون أمر الرذيلة . بينما كان ابو العلاء شريف النفس عفيفاً موفوراً الكرامة . ومعظم شعره فيما يثير حب العمل الصالح في النفس ويحض على ممارسة الخير والفضيلة والتأمل في أسرار الكون ونواميس الاجتماع .

كان يرد والد بشار طلياناً حاذقاً بالتطيين . فلما ولد له بشار كان يقول مارأيت مولوداً أعظم بركة منه . ولقد ولد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم . ثم قال بشار الشعر وهو صغير في خياة ابيه . فكان اذا حجا قوماً جاؤا أباه وشكوه اليه فيضربه ضرباً مبرحاً . فكانت أمه تقول له : الى كم تضرب هذا الصغير ؟ اما ترجمه ؟

فيقول بلى والله ولكنه يتعرض للناس فيشكونه الي . فسمعه بشار يوماً يقول هذا القول
لأمة فهنف به : يا أبت ! ان هذا الذي يشكونه مني اليك هو قول الشعر . واني ان
ألمتُ به أغنيتك وسائر اهلي . فان شكوتي اليك بعد الآن قل لم : أليس الله يقول :
(ليس على الأعمى حرج) . فلما عادوا وشكوه قال لم يزد : أليس الله يقول : (ليس على
الاعمى حرج) فانصرفوا وهم يقولون « تالله لفقته يرد أغیظ لنا من شعر بشار » .
من هذه الساعة . من حضن العائلة . من بين ذراعي الأب والام اخنط بشار لنفسه
خطة التهجم على الاعراض توسلاً الى الكسب واغناء اهله .

وطريقته هذه هي نفس طريقة (الخطيئة) الشاعر الجاهلي من حيث ان كلاهما
اتخذ المجو وهتك أعراض الناس وتهديدهم باذاعة أسرارهم — طريقاً الى جر مغنم .
اودفع مغرم . وهذه الطريقة هي ما يسميه أدباء الافرنج (شانناج) ويظهر ان في شعرائهم
كثيرين مشوا على هذه الطريقة الملعونة .

وقد عرف بشار وهو صغير جريراً الشاعر وسمع شعره . فهاج في نفسه الشاعرية
وحبب اليه الاشتهار بالشعر . وارتأى ان ينال هذه الشهرة على حساب جرير . وحاول
ان يهجمه فيرد عليه جرير . فيشيع ذكره . ويعظم امره . لكن جريراً أعرض عنه .
استخفافاً به . قال بشار : (ولو هاجاني لكنت أشعر الناس)

وكان لبشار أخوان قصابان وهما (بشر و بشير) فكانا يستعيران ثياب اخيهما
الاعمى بشار ويلبسانها في متهكما . فتسخر وثنن ريحهما . وكان هو باراً بهما . صبوراً
على أذاهما . وفي آخر الامر اتخذ لنفسه ثياباً خاصة . وحلف ان لا يعيرهم اياها .
فكانوا يأخذونها بغير اذنه ويلبسونها . فكان اذا أعياء الامر لبسها وخرج الى
الناس بها على ثننها ووساختها . فيقال له ما هذا يا أبا معاذ ؟ (وهي كنيته) . فكان
يقول لم « هذه ثمرة صلة الرحم !!! » .

(اخلاقه واطواره) : كان بشار كثير التلون لاثبات له ولاسيما في امر نبيه
وعروبته وشعوبيته : فهو تارة يفتخر بولائه للعرب . وطوراً يتبرأ منهم ويتعصب للجم .
وآونة يتبرم بالفريقين . ولسان حاله ينشد قول زميله ابي العلاء الممري الذي قال بعد
التجربة :

(لعمري لقد جربتُ عجماً كثيرةً . وعرباً : فلا عجباً حدث ولا عبرياً)
 وكان من أشد الناس تديماً بالناس . وكان يحمد الله على العمى . فيقال له ولما ذا
 يا أبا معاذ ؟ فيقول لثلاث أرى الثقلاء . وكانت إذا أراد أن ينشد شعراً صفق يديه
 وتفتح ويصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب .

أما مذهبه الفلسفي الذي كان السبب في تهمته بالزندقة فهو ملخص في هذه الجملة التي
 كان يقولها « أنا لا أعرف إلا ما عابته . أو عابنت مثله » فالرجل على ما يظهر من كلماته
 هذه كانت مادياً لا يعرف إلا المادة . والمدرجات المحسوسة . فمذهبه هذا يقرب من
 المذهب الفلسفي الحديث وهو مذهب الحاسية أو التجريبية . ومؤسس هذا المذهب باكون
 ويكارت . وقد يكون الذي حمل بشاراً على هذا المذهب غلو المنطقيين من الجليليين
 والحشويين . وشدة ما كانت هؤلاء الحشويون الذين يكذبون على الدين سبباً في تهم
 العقلاء . وسوء ظن الفضلاء : من بشار بقاص من هؤلاء الحشوية يقص في المسجد
 فسمعه يقول : من سام رجلاً وشعبان ورمضان بنى الله له قصرآ في الجنة : صحنه ألف
 فرسخ في ألف فرسخ . وعلوه ألف فرسخ . وكل باب من أبوابه عشرة فراسخ في مثلها .
 فالتفت بشار إلى قائده وقال : (بشت والله هذه الدار في شهر كانون الثاني) يعني أنها
 اقرب سعتها لاندفا . فبسبب هذه الحكاية قد يسمون بشاراً أنه ينكر وجود الجنة . والحق
 أنه إنما ينكر على هؤلاء القصاص الحماقات التي يبرء الاسلام منها .

ويشبه هذا أن بشاراً كان ينتظر يوماً الأذن على المهدي والمهدي في مجلس الخلافة
 وكان مع بشار في الانتظار آخرون وبينهم مولى من موالي المهدي المتعلقين اسمه (المملأ)
 ابن طريف (فسأل المملأ عن معنى تفسير قوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) إلى قوله
 (يخرج من بطونها شراب) — ما هو النحل ؟ وما هو الشراب ؟ فسكت الحاضرون لكن
 بشاراً لا يهاب أحداً فأجابه : النحل معروف والشراب هو العسل . قال هيهات : النحل
 ينو هاشم والشراب الذي يخرج من بطونهم هو العلم هو العلم . فلم يطق بشار صبراً فقال
 له : « جعل الله طعمامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم » فغضب الرجل وضح
 الحاضرون وبلغ الخبر الخليفة المهدي فدعا بهما وأعاد عليه القصة فضحك . والتفت إلى الرجل
 وقال له حقاً أنك بارد غث .

وكان ينشد المهدي يوماً وفي المجلس خال المهدي يزيد بن منصور الحميري فلما فزع بشار أقبل عليه يزيد وسأله (يا شيخ ما صناعتك ؟) قال أثقب اللؤلؤ . فسمعك القوم فقال المهدي و يلك أنت تندر على خالي ؟ قال وما صنعت يا أمير المؤمنين ! يراني شيخاً أعمى انشد الخليفة شعراً فما عسى تكون صنعتي سوى الشعر .

فعبادة هؤلاء الأغبياء جعلته ينفك بكلماتٍ حسبوها عليه زندقة . ورب زندقة انتجتها مخرفة .

(فضله وفصاحته وتمكنه من اللغة العربية) : قال الجاحظ في (البيان والتبيين) « بشار من المطبوعين اصحاب الابداع والاختراع المقتنين في الشعر الآخذين في أكثر اجناسه وخبر به » . وقال نجم ابن النطاح « عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة الا وهو يري من شعر بشار . ولا تأمخ ولا تأمخ ولا مغنية الا لتكسب بشعره . ولا ذو شرف الا وهو بهابيه . ويخاف معرفة لسانه » . وقال المبارك لبشار « ليس لاحد من شعراء العرب شعر الا وفيه المستكبر المشكوك فيه من الالفاظ سوى شعرك » قال : ومن اين يا بني الخطأ وقد نشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل . وان دخلت الى نسايتهم فنساؤهم أفصح . ثم أيفعت فأبديت (اي دخلت البادية) الى ان ادركت . فمن اين يا بني الخطأ ؟

قال بعضهم : سألت ابا عبيدة عن السبب الذي من اجله شدد المهدي في نهي بشار عن شعر الغزل والنسب قال : كان اول ذلك افتتان نساء البصرة وشبانها بشعره حتى قال القاضي سوار ومالك ابن دينار : ما شيء ادعى لاهل البصرة الى الفسق من اشعار هذا الأعمى .

وكان واصل بن عطاء يقول : ان من اخذع حبائل الشيطان واغواها كلمات هذا الأعمى الملعون فلما كثر ذلك وانتهى خبره الى المهدي من عدة جهات نهى المهدي عن الغزل والنسب . وكان المهدي شديد الغيرة . قال : فقلت لابي عبيدة : ولكن ما حسب ان شعر بشار ابلغ في التشبيب والغزل من شعر عشاق العرب : (عروة بن حزام) و (مجنون ليلى) و (كثير عزة) و (جميل بثينة) — قال : ليس كل من يسمع اشعار هؤلاء يفهم المراد منها . اما بشار فيقارب النساء . حتى لا يخفى عليهن ما يقول في شعره .

واي حرة حصان تسمع قول بشار ولا يؤثر في قلبها فكيف بالمرأة الغزلة . والفتاة الطامعة .
ثم انشده ابو عبيدة قصيدة بشار التي قال فيها :

(قولي لها بقية لها ظفر ان كان في البقي ما لها ظفر)

أما تمكن بشار من العروبة فذكروا له شواهد : منها انه كان له صديق اسمه (ديسم)
العنزي (فبلغ بشاراً ان ديسماً هذا يروي شعراً تلصوم بشار في هجومه فغضب وقال :
(أديسم يا ابن الذئب من نجل زارع أتروي هجائي سادراً غير مقصر)

سئل ابو زيد الانصاري عن معنى هذا البيت ؟ فسألم وارت هو ؟ قالوا لبشار .
قال : قاتله الله ما اعلمه بكلام العرب ا ثم فسره لم فقال (ديسم) اسم الرجل صديق
بشار وهو في اصل اللغة اسم لولد الذئب من الكلبة . كما ان (العيسبار) ولد الضبع من
الذئب و (السرمع) ولد الذئب من الضبع . فقول بشار لصاحبه (أديسم يا ابن الذئب من
نجل زارع) هو بمنزلة قوله له : اسمك ديسم وليس الديسم سوى ولد الذئب من الكلبة .
فأبوك ذئب وأمك كلبة . وقوله من نجل زارع . اي من نجل الكلاب . والعرب تسمي
الكلاب (اولاد زارع) لماذا ؟ لانهم يلقون اقدارهم في الطرقات و يزرعونها هنا وهناك .
ومن الشواهد على دقة نظر بشار في الشعر وشدة ثقده له انه لما انشده مناظره سيف
الشهرة الشعرية : مروان ابن ابي حفصة قوله :

(واذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم)

قال له مروان : (هلا قلت « خرجت بالصمت » مكان خرجت بالصمت) فقال له
بشار (إذن انا في عقلك !! فض الله فاك !! أنطير على من أحب بالخراش) ؟؟
وكان بشار يجذب قلوب الناس اليه فكانوا يترددون الى مجلسه لمشاهدة خلقة
وسماع شعره . وحسن نادرته . فكان في كل امره معجبة . وكانت النساء المنتظرات
يدخلن عليه في الاسبوع مرتين فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره ويطارحنه النوادر .
قالت له احدا من مرة (اي رجل أنت لو كنت اسود اللحية والرأس) قال : (لو علمت
ان ببض البزاة أنهن من سود الغربان) قالت (أما قولك فخن في السمع . ومن لك
بان يحسن شيبك في العين . كما حسن قولك في السمع) فكان بشار يعيد قولها ويتعجب
من حسنه . ويقول انه لم يفهمه في حياته غيرها .

(كثرة شعره) : قلنا ان بشاراً نظم الشعر وهو ابن عشر سنين ثم عاش زهاء الثمانين سنة . فكيف نظم في مدة السبعين او الستين سنة من القصائد والمقطعات ؟ افتخر مرة بان له اثني عشر الف بيت جيد . فاستبعدوا ذلك واستكثروه . فقال اني نظمت اثني عشر الف قصيدة . ألا يوجد في كل قصيدة منها بيت جيد ؟ فهو ولا ريب من اكثر الشعراء شعراً . لكن لم يبق من شعره سوى القصائد البزرة . والقطع المنفرقة . في ثنايا كتب الادب وبجاميع الشعر . وقال مؤرخو أدب العرب انه ليس لبشار ديوان مجموع وعللوا ضياع شعره بما تضمنه من السب والقذف والطعن في الاعراض واصناف النساء والافعال الغزلة التي تفسد نفوسهن وتحجب اليهن الرذيلة مما حمل صلحاء عصره وخاصة الحسن البصري ومالك بن دينار وواصل بن عطاء على التشنيع عليه وشكوه المرة بعد المرة الى الخليفة المهدي ووزيره (يعقوب بن داود) فصدر امر الخليفة بنهي عن ذكر النساء والشعر الغزل المفسد للاخلاق والضرار بالآداب العمومية كما نقول في اصطلاحات هذه الايام . وربما صادرت الشرطة الاوراق والدفاتر التي فيها شعره من ايدي الناس ومُنعم المغنونات في المحافل العامة والاسواق عن التفتي بشعره . كما يفعل ولاية الامور اليوم في مصادرة الكتب البذيئة والتصاوير الماجنة والمقالات المهينة .

ومما ساعد على ضياع شعره ان بشاراً في آرائه السياسية لم يكن موالياً للدولة الجديدة الناهضة أعني الدولة العباسية حتى أدى الامر الى قتله كما سيحي . فلم يكن احد من الوراقين أو النساخين يجرأ على جمع شعره في ديوان . هذا ما قاله مؤرخو الآداب العربية في سبب اضمحلال أشعار بشار .

امامنا بعلمه مجمعا على من هذا القبيل فهو ان السيد منيب الناطور احداً دباه ببيروت كان سعى منذ بضعة عشر سنة في جمع ديوان لبشار وكان يلنقط أشعاره ويبحث عنها في مختلف الأقطار حتى انه استنجد برصيفنا الاستاذ (المملوف) فاستنسخ له طائفة من شعر بشار وقصائده من بلاد الروسية . ثم لم نعلم اي مانع منع السيد منيب الموما اليه من انجاز طبع تلك الأشعار ونشرها . ما لنا ولهذا فان لدى المجمع العلمي من خبر بشار ما هو اقرب وأطرب : ذلك ان صديق المجمع الأبر (احمد تيمور باشا) كتب الى المجمع ان المؤرخ التونسي الشهير واحداً من أعضاء مجمعا (الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب) قد عثر في تونس على

ديوان بشار . وانهم شارعون في طبه . لكن لاندري ان كان هذا الديوان قد جمع في القرون الاولى . او مما جمعه المتأخرون من أشعار بشار المبعثرة في كتب الأدب على غلط مافعله (السيد منيب الناطور) .

(عيون أشعار بشار) : لا يُذكر بشار الا ويُذكر معه على الفور بيته المشهور :
(كأن مِثَار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها)
وموضع النكتة في هذا البيت ان قائله قد عمي في بطن أمه لكنه اعتدى من حسن التشبيه في هذا البيت الى ما لم يهتد اليه البصراء .

ومن مشهور قوله في المديح :

(لمستُ بكفي كفه ابتغي الغنى)	ولم ادر ان الجود من كفه يعدي)
(فلا اقامنه ما افاد ذوو الغنى)	أفدتُ وأعداني فأفريت ما عندي)
وقوله (اذا دهمتك عظام الامور)	قنبه لها عمراً ثم نم)
وقوله (يا واحد العرب الذي)	امسى ولبس له نظير)
(لو كان مثلك آخرأ)	ما كان في الدنيا فقير)

وقوله في خالد بن برمك جد البرامكة :

(أخالد ابن الحمد يبقى لأهله)	جمالاً . ولا تبقى الكنوز على الكد)
(فأظم وكُل من عارة مستردة)	ولا تبقيها : ان العواري للرد)

وقد أعجب خالد بهذين البيتين حتى امر بان يكتبوا ويلقوا في صدر مجلسه كما تفعل اليوم من تعليق الأشعار على جدران بيوتنا . وقال ابنه يحيى البرمكي : آخر ما اوصاني به ابي العمل بهذين البيتين . إذن الشهرة العظيمة التي نالها البرامكة في الكرم والجود كان لبشار وشعره يد فيها . ومن مشهور قوله في الفخر :

(اذا الملك الجبار صعد رده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه)

وأشهر من هذا قوله :

(اذا ما غضبنا غصبة مضرية)	هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما)
(اذا ما أعمرنا سيداً من قبيلة)	ذرى منبر صلى علينا وسلا)

وقال له بعض اصدقائه يوماً : يا ابا معاذ بينا نقول مثل هذا الشعر الذي يخلع القلوب
نسمعك تعود فنقول :

(ربابة ربة البيت نصب الخل في الزيت)

(لما عشر دجاجات ودبك حمن الصوت)

فما هذا التفاوت في شعرك يا بشار ؟ فأجابه : لكل وجه وموضع بالخي : فأت
قولي (اذا ما غضبنا غضبة مضرية) في موضع جد . وقولي (ربابة ربة البيت الخ)
قصدت به الهزل . ثم جاريتي ربابة : انا لا آكل البيض من السوق . فأمدح ربابة لتعني
بالدجاجات وآكل بيضاً طرياً . والشعر الذي قلته في ربابة هو في نفسها أبانغ من
(قفا نيك) في نفسك .

وما اعتذر به بشار عن نفسه يُعتذر به عن كثيرين من فحول الشعراء الذين يعزى
اليهم شيء من الشعر الساقط : فانهم قد يكونون قالوه لمناسبة مثل مناسبة ربابة .
ومن قوله في الفخر ايضاً :

(يريدون مسعاتي ودون لقاءها فتناديل أبواب السماوات تزهى)

وقد سمى في هذا الشعر نجوم السماء بالقناديل .

ومن مشهور شعره في الغزل والنسيب البيت الذي حكم مؤرخو آدابنا العربية انه
أغزل شعر قاله المحدثون وهو :

(انا والله اشتقي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق)

ومن أغزاه (يا قوم أذني لبعض الخبي عاشقة والاذن تمسق قبل العين احياناً)

وقوله (هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني اليك فان الحب أقصاني)

وقوله (لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم)

(رفهي يا عبد عتي واعلمي انني يا عبد من لحم ودم)

(عبد) مرخم (عبدة) وهي امرأة كان بشار يتغزل بها . ويغلطون فينسبون هذه

الابيات الى عبثرة العبسي و يجعلون مكان يا عبد يا عيل .

وقوله (اذا قامت لحاجتها ثنت كأن عظامها من خيزران)

وقوله (حوراء ان نظرت اليك سقتك بالعنين خمرا)

(وكأنت زجع حديثها قطع الرياض كسین زمرا)
 (وكأنت تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا)
 وقوله (وما كلمني دارها اذ سألتها وفي كبدي كالنفط شبت به السار)
 النفط كاز البترول وقد ضرب به مثلاً لشدة الاحراق .

واستأذن على المهدي فأذن له بشرط ان لا ينشده غزلاً فدخل وأنشد :

(يا منظرأ حسناً رأيته من وجه جارية فدبته)
 (بعثت اليّ تسومني بردالشباب وقد طويته)
 (ويشوقني بيت الحبيب - ب اذا ادكرت واين بيته)
 (حالب الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته)
 (ونهياني الملك الهما م عن النساء وما عصيته)
 (إنت الخليفة قد ابى واذا ابى شيئاً أبيتته)

هذا مبلغ شعر بشار من التخت والفتى في حال توبته وإنايته . فكيف يكون مبلغه في حالة لوه وخطوته . لاجرم انه يحق للمهدي ان يقطع من إصلاحه الأمل . ثم يطرحه ويتربص به العلل . وقد فعل .

بشار في زمنه كانت كجريدة حبة من جرائد هذه الايام لكنها خصصت صفحتها الاولى للنزل والتشبيب وذكر النساء . وصفحتها الثانية للهجو والقذع والنيل من الاعراض . وصفحتها الثالثة للفخر والتجبد والمطاولة . اما صفحتها الرابعة وهي صفحة الاعلانات فقد خصها بذكر شيء من الحكم والمواعظ والأمثال : من ذلك أيبانه البليغة في الخس على الاستشارة التي يقول في أولها

(اذا بلغ الرأي المشورة فاستمع برأيه نصيح او نصيحة حازم)

وقد بلغت هذه الايات من الشهرة مبلغاً أصبح إنشادها معه مما يبعث على الملل والضجر . وقد رزقت هذه القطعة حظها من الشهرة وإعجاب الناس بها في كل زمان حتى في زمن بشار نفسه . قال الأصمعي قلت لبشار ان الناس يعجبون من أيبانك في المشورة فأجابه هذا الجواب البديع : « يا أبا سعيد ان المشاور بين امرين : بين صواب

يفوز بثمرته . او خطأ يشارك في مكروئه « قال الاضمعي فقلت « انت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك »

ومن الحكم قوله (اذا كنت في كل الامور معاتباً
 اذا انت لم تشرب مراراً على القذى
 ومنها قوله (واخل الهويتنا للضعيف ولا تكن
 وحارب اذا لم تعط الا ظلاماً
 ومنها قوله (ان الكريم ليُغني عنك عمرته
 بُت النوال ولا تمنعك قلته
 ومنها قوله (خيلني انت المال ليس ينافع
 وكنت اذا ضايت علي محلة
 وما خاب بين الله والباس عامل
 ولا خاب فضل الله عن متعفف
 وما كنت الا كالزمان فان صما
 (ماق) يعني (حق) .

ومن أمثاله (أعمى يقود بصيراً لا ابا لكو قد ضل من كانت العميان تهديه
 ومنها (وكان كالعير غدا طالباً فرناً فلم يرجع باذنين
 ومنها (يسقط الطير حيث يلتقط الحبة بـ وتغشى منازل الكرماء
 ومن مبالغاته الشعرية

(في حلتي جسم فتى فاحل لو هبت الريح به طاحا)

يقول ان الريح لو هبت عليه حملته والقت به الى بعيد وذلك لنحول جسمه . فقال له احد
 اصدقائه « يا ابن الفاعلة انقول هذا وانت كالفيل عريضك أثقل من طولك !! » وقد مر
 في صفة بشار انه كان ضخماً الجثة طويلاً . ومن شعره قوله في العذال

(ما ذا عليهم وما لم خرسوا . لو انهم في عيو بهم نظروا)

(اعشق وحدي ويؤخذون به . كالترك تغزو فتؤخذ الخزر)

يقول انه هو يعشق وعذاله ينقصون عيشهم وينصرون انفسهم كالترك يعيشون فساداً

في الارض ولا يقدر احد عليهم ولكن يُقبض على جيرانهم الخزر المساكين ويعاقبون .
(ما قاله نقاد الشعر في نقد شعر بشار) : شاعر مثل بشار نظم (١٢) الف قصيدة لا يمكن ان تكون كلها في مستوى واحد من الجودة والحسن — وهذا المنفي وابو تمام والبحتري لا يخلو شعرهم من الساقط الرذل . والمعنى المبطل . وكان اسحق الموصلي يزري ببشار ولا يعتد بشعره . و يقول هو كثير التخليط . وان اشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً . أليس هو القائل

(إنما عظمُ سليمي حبيبي قصب السكر لا عظم الجمل)

(وإذا أدبت منها بهلاً غلب المسك على ربح البصل)

قال اسحق ولو قال بشار كل شعر جيد ثم أضيف الى هذا الشعر لزيته . وتعلمون ان اسحق من ندماء الخلافة وجلسائها ولا يمكن ان يقول في عدوها غير هذا . والا فلعل السبب في انحطاط هذين البيتين انه قالهما في سبب منخط كالبيتين اللذين قالهما في جار يته (ربابة) : (ربابة ربة البيت الخ)

ومن قول بشار

(من راقب الناس لم يظفر بمحاجته وفاز بالطيبات الفانك اللعج)

انتقدوا هذا البيت بانه لم يبلغ في الحسن بيت (سلم الخامر) وكان سلم اخذ هذا المعنى وسبكه في قالب من الشعر اباح من قول بشار حيث قال

(من راقب الناس مات غمماً وفاز باللذة الجسور)

ولما سمع بشار هذا البيت غضب على سلم (وكان سلم يتردد عليه ويأخذ عنه) وذلك لان بشاراً علم ان بيت سلم يسهل حفظه فيعلق بالأذهان ويميت يئته . وما زال بشار ناقماً من سلم واجداً عليه حتى تدخل اصدقاؤهما فأصلحوا بينهما .

ومن شعر بشار قوله يهتد الخليفة المنصور العباسي في القصيدة الميمية المشهورة

(وصره ان قد دارت على رأسه الرحن وكاث لما أجربت نزر الجرائم)

يقول للمنصور لا تكن جباراً فان مروان الحمار (آخر ملوك بني أمية) هلك وجرائمه بالنسبة لجرائمك قليلة . قال نقاد شعره ان بشاراً قصير جداً سيك هذا المعنى والنابعة الجعدي أبراً عليه في سبكه واحسن كل الاحسان مذ قال

(كليب لعمري كان أكثر قاصراً وأيسر جرماً منك خُرج بالدم)
وبينا كانت صلحاء الامة (الحسن البصري وواصل بن عطاء ومالك بن دينار)
بطاردون بشاراً وينكرون عليه الزندقة والخلاعة . كان أئمة النخاعة (الخنس وسيدويه
ويونس) يناقشونه الحساب على اغلاطه اللغوية . وهي في الحق قليلة جداً : من ذلك
قوله في صفة السفينة

(تلاعب نينان البحار وربما رأيت نفوس القوم مزجراً بها تجري)
يقول : ان حيطان البحر كانت تلاعب السفينة وتجهشها وهي تسير في عباب اليم .
فعاب عليه سيدويه كلمة (النينان) جمع نون وهو الحوت وقال ان (النون) بمعنى الحوت
لا يجمع على (نننان) وإنما على (انوان) . فكبر الامر على بشار وتهدد سيدويه بالمهجو . فخاف
سيدويه وقيل انه بكى ودخل القوم بينهم فأرضوا بشاراً . وصار سيدويه من يومئذ
يستشهد بشعره في دروسه النحوية . تطيباً لقلبه واستكفاءً لشربه . فرضي بشار ولكنه مع
هذا غير الكلمة فقال (تلاعب نينان البحار) بدل (تلاعب نينان البحار) . لكن كتب
اللغة تذكر كلمة (نننان) في جمع نون : وكانهم لم يبالوا اعتراض سيدويه وحجتهم في ذلك
قول سيدنا علي رضي الله عنه (يعلم سبحانه وتعالى النينان في البحار الغامرات) .

ومما أخذوا بشاراً به ايضاً قوله (غني للغريض يا ابن قنن) فقالوا له من هذا :
(ابن قنن) ؟ لا نعرفه في المفسرين . فقال لهم (وما عليكم منه ؟ ألكم عليه دين او ثأر
تطالبونه به) ؟ قالوا لا وإنما نريد ان نعرفه . قال (هو رجل يفتي لي ولا يخرج من
بيتي) فقالوا الى متى بقي في البيت ؟ قال الى ان يموت . وما ذا يهمكم ؟

فقداد شعره ذهبوا الى أنه لا يوجد في الدنيا من اسمه (ابن قنن) وإنما اخترعه بشار
تلبيةً للقافية . ومثل ذلك ما روي عن بشار انه قال — وكانت قدماء له حمار —
رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له ويا مالك مت ؟ قال نعم : مررت بي يوم
كذا وكذا على باب (الاصهباني) فرأيت ثمة أتاناً عشقتها فمت . فقلت له : وهل قلت فيها
شعراً ؟ قال نعم وانشدني

(سيدي خذلي أتاناً عند باب الاصهباني)

(تيمثني يوم رحلتا بثناياها الحسان)

(وُبُنَج ودلال - سل جسمي وبراقي)

(ولها خد اسيل مثل لون الشيقران)

(فيها مت ولوعش ست اذا طال هواني)

فقال رجل من القوم يا اباهاذ (وما الشيقران ؟) قال هي كلمة غريبة في لغة الحمير . فاذا لقيتم حميراً فاسألوه عنها .

وهكذا كان لكل سؤال بوجه الى بشار جواب حاضر عنده . ونادرة مهيئة لديه . لكنه تورط يوماً مع احد رجال الصناعة والفن وهو (حمدان الخراط) وكان حمدان مصوراً حاذقاً في التصوير والنقش والصياغة والنحت . كلفه بشار ان يصنع له جاماً فيه صور طيور ففعل وجاء به (والجام في لغة الترك الزجاج . وفي لغة الفرس القدح . وعند العرب هو الكاس من فضة) . فقال له بشار ما هي الصور التي على الجام قال صور طيور تطير . قال كان ينبغي ان تصور فوقها طائراً من الجوارح ينقض عليها . قال انك لم تقل لي ذلك . قال بلى ولكنك ظننت اني اعمى لا اراها . ثم تهدده بالهجاء . وهنا وقف (الشعر) ازاء (التصوير) ووقف الفن ازاء الفن وجهاً لوجه . وكان حمدان الفنان سوداوي الطبع كأغلب المتخصصين . فقال لبشار ان هجوتني قدمت . قال اي شيء تقدر ان تصنع لي . قال أصورك عربان ووراءك قرد وأعرضك مع الصور الاخرى على باب داري . فالتفت بشار الى القوم وقال : امزج معه وهو بأبي الالجد . وهكذا غلب التصوير الشعر : لان الشعر يربك الشيء خيالاً أما التصوير فيريك عياناً . ففي زمن العباسيين اذن كان المصورون يعرضون الصور على ابوابهم ومنها التصوير المضحك (Caricature) .

(البطش ببشار) : مر معنا في مطاوي الكلام السابق ان الخليفة (المهدي) لم يكن راضياً عن بشار ولا هو بالحسن الاعتقاد فيه وكان احياناً يقبله في مجلسه . ويسمع مديحه . لكنه ما كان يميزه الجوائز التي يطمع فيها بشار . وقد ورث (المهدي) الكره لبشار من ابيه المتصور : فان بشاراً كان منادياً للدولة العباسية من حين ظهورها ومواليها للعلويين من آل البيت وكان القائم من آل البيت يومئذ (ابراهيم بن عبدالله بن الحسن السبط) فأنحاز بشار الى ابراهيم ومدحه بقصيدته المجية المشهورة التي خاطب في مطلعها المتصور العباسي وقال (أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم) .

فلما ظهر المنصور بإبراهيم العلوي وقتله خاف بشار على نفسه وحول القصيدة الى مدح المنصور وجعل الخطاب الاول في (ابي مسلم الخراساني) عدو المنصور فقال :

(ابا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم)

لكن هذا التلاعب ان قبله المنصور في الظاهر لم يقبله في الباطن ولا سيما الدلائل الكثيرة التي كانت تدل على ان بشاراً مقيم على ولائه لآل البيت . فلما تولى (المهدي) الخلافة أراد بشار التقرب اليه فاجتهد كثيراً فلم يفلح ثم استهتر بشار في هجاء الناس والتعرض للحرم . فكانوا يسعون فيه الى (المهدي) . ويزينون له البطش به وانه ما دام حياً فهو آفة على أخلاق الشبان والشابات . وليس هذا فقط بل كانوا ينقلون اليه اخباراً من كفره وزندقته . من ذلك انه فضّل ابليس على آدم بنفضيله النار على التراب منذ قال (الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار)

كان يبلغ الخليفة كل ذلك فكان يُمرض عنه ويصبر عليه ثم لما يش بشار من الخليفة نمرض له بالمجوس ثم لوزيره (يعقوب بن داود) . على مبداه الذي كان لقنه اياه : (ليس على الاعمى حرج) . وكان يعقوب على مذهب سيده في أطراح بشار . والنفرة منه . حتي قال بشار في الوزير بينيه المشهورين

(بني أمية هبوا طال نومكموا ان الخليفة يعقوب بن داود)

(ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا . خليفة الله بين الزق والعود)

وقد حقق المؤرخون ان المهدي من أظهر ملوك بني العباس نفساً واحسنهم سيرة . وخاف الوزير يعقوب ان يُكثر بشار من مثل هذا الشعر ويكرر الضرب على هذه النغمة فيبادر الى الخليفة واخبره بهجوا بشار له اي لالمهدي نفسه . وانه قال فيه قولاً لا يمكن النطق به . واخيراً ألح عليه الخليفة . فأصغعه البيتين :

(خليفة يُرمى ويلعب الدبوق والصولجان) الخ

فكاد ينشق الخليفة غيظاً . لكنه مع هذا كظم غيظه . واحترم حرية القول (كما نقول في اصطلاح عصرنا الحاضر) . ثم اتفق للخليفة ان انحدر في دجلة فلما بلغ البطيخة سمع أذاناً وقت الضحى . فسأل ما الخبر ؟ قبل له (بشار يؤذن وهو سكران) فأمر باحضاره فأحضر الى ظهر (الحراقة) اي السفينة وامر بمجلده فجلد سبعين سوطاً .

وكان كلما ضرب سوطاً قال (حسن حسن) وهي كلمة يقال عند لدغ الوجد وحرق النار. فقال بعض الحاضرين انظر يا امير المؤمنين يقول (حسن حسن) ولا يقول (باسم الله) فقال له بشار (ويلك أأكلة تريد هي حتى اقول باسم الله) فقال آخر (ولما ذا لا تقول الحمد لله؟؟) قال (أو نعمة هي حتى أحمد الله عليها؟) ثم بعد الضرب تركوه في البطيحة مغنى عليه وهو الى الموت أقرب منه الى الحياة. فجاء اهله وحملوه الى البصرة. فلما علم اهله خبره لم يبق شريف منهم الا بعث اليه بالقرش والكسوة والهدايا. لكن لما مات ونعماء الناعون تباشر عاصمتهم. وهنا بعضهم بعضاً بموته. وحمدوا الله. وتصدقوا. كل ذلك لما منوا به من شره. وأذى لسانه. ولما خرجوا في جنازته لم يتبعها احد سوى أمة لبشار سوداء. سنديّة عجماء. فكانت تصيح وراءه (واخيذاً واسيداه). ولم يكن لهم للخليفة بعد موت بشار الا تفتيش منزله والبحث في اوراقه. فوجدوا طوماراً فيه ما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . اني أردت هجاء آل سليمان بن علي ليخلهم فذكرت قوايتهم من رسول الله فأمسكت عنهم إجلالاً له صلى الله عليه وسلم » .
فلما قرأ الخليفة قوله بكى وندم على قتله . وقال لاجزى الله يعقوب بن داود (بني وزيره) خيراً فإنه لما هجاء لفتى عندي شهوداً على انه زنديق فقتلته .
لكن ان برأنا بشاراً من الزندقة بناء على هذه الرواية . فلا يمكن ان نبرء من تهمة القذع والفحش والسباب . وان قلنا ان اعداء وضعوا على لسانه البيت والبيتين فيبعد ان يضعوا عليه القصائد الطويلة التي شتمت بها كتب الأدب . وقد تضمنت من صفات النساء وأخبار الفسق والفساق ما يفسد كل أمة فشا فيها مثل هذا القول . وليس هذا فقط بل كان بشار أحياناً يذيع بين الشبان والشابات من شعره قواعد عامة يعلمهم فيها الخنا والفجور . من ذلك البيتان المشهوران اللذان بلغا المهدي وكانا هما فيما زعموا السبب الحقيقي في قتله .

ذكرنا هذا لكم ايها السادة لتعلموا ان المهدي لم يقدم على ما أقدم عليه من قتل بشار الا وهو على بينة من امره واستحقاقه للقتل :

(منزلة بشار بين الشعراء) : تبين لنا مما روينا من شعر بشار وشهادة علماء

الادب فيه ان الرجل كان متمكناً من اللغة العربية : فكان لا يستعمل في شعره من الفاظها وتراكيبها سوى الصحيح الفصيح .

هذا شعره من حيث الدباجة اللفظية . اما شعره من حيث المعاني . فهو كما قال ابو عبيدة : بقارب سامعية حتى لا يخفى عليهم ما يقوله في شعره : يتناول المعنى البعيد فيختار له من الأساليب السهل العذب . ومن الألفاظ اللؤلؤ الرطب . ولذلك راج شعره بين العامة والنساء . كما كانت تستجده طائفة الادباء والنبلاء . وهذه هي البلاغة كما عرفها بعضهم . وكان بشار ينوع شعره . ويتدرج فيه : فاذا داعب خادم يتنه أسف الى حضيض الابتذال . ثم قال

(ربابة ربة البيت نصب الخل في الزيت)

واذا خاطب الملاً من ذوي الكبر والجبروت حاق في سماء الخيال ثم قال

(اذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاينه)

وهذه منزلة من مزاي شعره فاق بها رصفاء المعاصرين . واخذ راية الشعر دونهم باليمين .

اما اذا أريد المقارنة بين بشار وبين من تقدمه وتأخر عنه من شعراء العرب فيقال فيهم بوجه عام : ان شاعر كل وقت انما بصوغ قوله من قلوب اهل زمانه . وينحت معانيه من عقليتهم . ويقتبس مواضيع شعره من أحوال اجتماعهم . فدرجة شاعريته ارتقاء وانحطاطاً تابعة لحالة اهل زمانه ارتقاء وانحطاطاً : وانما نقول هذا في نوابغ شعراء كل زمان لافي الشعاري والمتشاعرين . فطبقة جرير ثم طبقة بشار ثم طبقة المتنبي — وان سماهم علماء اللغة والادب مولدين ومحدثين لم يريدوا الخط منهم وانما ارادوا تجديد صلاحيتهم للاستشاد بقولهم في المسائل اللغوية . اما من حيث الشاعرية . واتساع الخيال في المعاني . والنفنن في الاساليب والمباني . فلا ريب ان طبقة المتنبي وان تأخرت في الزمن متقدمة على طبقة بشار . وطبقة بشار متقدمة على طبقة جرير . وطبقة جرير متقدمة على طبقة امرئ القيس — تبعاً لترتيب طبقات أزمينتهم في الحضارة والعلم واتساع الفكر وتأثير فنون الصناعة ومناحي الترف . اعتبر ذلك في قول ابن الرومي الذي سمع قول ابن المعتز الخليفة بصف الهلال فوقه سحابة سوداء .

(وكأنما هو زورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر)

فقال (وبلاء ومن اين في ماعون بيتي مثل هذا الزورق حتى أشبه الهلال به) .
أشار بذلك الى ان أدوات الترف والزينة في البيت توجهي الى الشاعر الذي يراها معاني
لا تخطر ببال ذاك الذي لا يراها .

هذا في شاعرين عاشا في زمن واحد وبلد واحد فكيف بهما اذا تباعدت الزمانات .
واختلفت الحضارتان . ويمكن ان نستنتج من هذا ان شعراء زماننا الحاضر وشعراء العصور
المقبلة هم بالطبع أشعر ممن تقدمهم اعتباراً بما ذكرنا ولأن شعرهم انما نحت من عقلية من
يخاطبونهم . فلا جرم ان يكون شعرهم أشد تأثيراً في نفوس هؤلاء المخاطبين . ولا يخفى
أن مقياس بلاغة الشعر انما هو التأثير . « المغربي »



الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

- ٢ -

(روح عصر صدر الدين) : اذا اردنا ان نصور شخصية رجل حكيم مفكر ظهر بأراء جديدة وافكار نيرة في محيط مظلم جوه بسحب الجمود والعصية لا بد ان تصور عصره الذي عاش فيه ليحيط القاري علماً بشخصية ذلك الرجل البارزة .

ان من درس روح العصر الذي ظهر فيه صدر الدين في المحيط الفارسي يتمثل أمامه روحان روح التصوف البحت وتأويل نصوص الشريعة وروح الجمود على ظواهر الكتاب والسنة والنضال باشكاله كانت بين الروحين يشتد آونة ويضعف أخرى . ومؤلفات الفريقين مشحونة بطعن كل على الآخر ولحدوث كل من الروحين ومرئياتها سبب اصلي نبيته لنصور به روح عصر الفيلسوف .

ولا نعتد فيما نقول الا على كلمات الثقات المشهورين من العلماء الذين عاشوا في فارس في هذا العصر .

اما سبب حدوث التصوف في فارس وانتشاره فيه هو ان التاريخ يدلنا على ان مذهب الباطنية وتعاليم عبد الله وابيه ميمون بن ديصان طافت في كثير من الارحاء الاسلامية فصادفت في فارس تربة صالحة للنمو لان الباطنية تظاهرت بمذهب التشيع وفارس كانت معقل الشيعة والباطنية تقرب من التصوف الاسلامي اذ هما يلتقيان في نقطة تأويل نصوص الشريعة وتقر بها من العقل والقول بان لها باطناً غير ظاهرها اصف الى ذلك ما كان في افكار الفارسيين من الانس بمذاهب الفيلسوفين الاغريق والهندية اللتين يصح ان يعتبر التصوف الاسلامي وليدهما .

ومعلوم ان المذاهب على انواعها فلسفية كانت ام ادبية ام سياسية اذا وجد لها ناصر

ومعارض من المسيطرين على الامة التي تمذهبت بها تسرع في خطاها والتصوف الفارسي من المذاهب التي هيا لها الزمان ناصراً ومعارضاً قوياً فان الدولة الصفوية التي عاش في ظلها صدر الدين ظهرت من ناحية التصوف فاول الملوك الصفويين وهؤسس دولتهم كان صوفياً بحتاً وجده الشيخ صفي الدين من اعظم اقطاب الصوفية وقبره سي في اردبيل^(١) مزار لم يديه الى الحال وعليه ابنية نخمة .

خرج الشاه اسماعيل الصفوي من جيلان بلفيف من الصوفية المرين له ولجده الشيخ صفي الدين في سنة ٩٠٦ هـ وهو ابن اربعة عشر سنة وفتح بلاد اذربايجان فروح الله كانت سارية في ملوك ايران الصفويين المعاصرين لصدر الدين قال بعض مورخي الانج^(٢) ان تصوف الشيخ صفي الدين هو الذي حفظ كيان الدولة الصفوية نحو مائتي سنة ولولا ان السياسة الصفوية في جنبها كانت تدعو الى تقوية المذهب المخالف له اي مذهب الجود الذي كان يحسب نفسه من الدين لكان التصوف اكثر شيوعاً مما كان عليه وذلك ان سلطان الدين كان قوياً والمسيطرون والملوك مضطرون الى مجاراة تيار الفكر الشائع وطاعة صوت الجمهور ولو كان على خلاف ما يرغبون وما يقيمون .

قال الشيخ يوسف البحراني المتوفى سنة ١١٨٦ هـ ومن كبار محدثي الشيعة في كتابه لؤلؤ البحرين في شأن محسن الفيض تلميذ صدر الدين وخريجه الكبير ما نصه :

لاشتهار مذهب الصوفية في ديار العجم وميلهم اليه بل غلوهم فيه صارت له (اي للمحسن) المرتبة العليا في زمانه والغاية القصوى في اوانه وفاق الناس جميع اقارانه وقول هذا المحدث الثقة الجليل يدل على اشتهار مذهب التصوف وكثرة انصاره في العصر الذي عاش فيه صدر الدين .

وكان في جنب هذه الروح الجود يادياً سيف طائفة من اهل الحديث والفقه وكانوا متمسكين بظواهر الكتاب والسنة وكان سببه شدة تمسكهم بالدين واستيلاء سلطانه على نفوسهم وبعدم عن اغراضه واسرار .

(١) اردبيل مدينة كبيرة في فسيح من الارض واقعة على (٢١٠) كيلومترات من شرقي تبريز في شمالي فارس . (٢) وهو سرجان ملك في تاريخه الذي وضعه لايران .

وكانوا يرون اتباع العقل المحض والمبادي الفلسفية مروقاً عن الدين وسلوكاً لسبيل المضلين .

والقاري يجد في ضمن هذه الرسالة كلمات للعلماء المشهورين من هذه الطائفة كالسيد نعمة الله النستري والشيخ يوسف السابق الذكر في شأن الفلسفة والتصوف وشأن صدر الدين بقول الشيخ يوسف في ذيل كلامه السابق كان التصوف شائعاً في عصر (الحسن الفيض) حتى جاء على اثره شيخنا المجلسي ^(١) وسعى غاية السعي في سد تلك الشقايق الفاغرة واطفاء تلك البدع البائرة ^(٢) وهذا الكلام يمثل للقاري شقة الخلاف بين المذهبين قلنا ان التصوف كان شائعاً في عصر صدر الدين الا ان شيوعه كان نسبياً وكانت الغلبة للجمود لان السياسة كما قلنا كانت تدعو الى تقوية عضد الدين ورجاله .

لان الصفويين اسسوا دولتهم في ظل الدين والتشيع وموالاة اهل بيت النبي عليهم السلام وكان نصر الفقهاء والمحدثين المتمسكين بالظواهر سبباً لحفظ عرشهم ودفع كيد خصومهم ولكن كانت في ضمن هذا النضال للتصوف حركة معنوية صمخ ان تقول انه كان فائقاً على مظاهر الجمود ويشهد به ان جماعة من العلماء المشهورين بالزعامة الدينية والفقهاء كانوا من انصاره فان الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ او ١٠٣٠ الذي اعتمد عليه الشاه عباس الاول الصفوي وفوض اليه منصب شيخ الاسلام في ايران كما ذكر كانت ممن بنصر التصوف وقلبه مطمئن بحمته . وكلماته يلوح منها ذلك فهذا دليل على ستيلاء روح التصوف على روح هذا الشيخ المحدث الفقيه الذي كان يمثل بظاهره فريقي

(١) هو محمد باقر بن محمد ثقي بن مقصود علي المجلسي الاصهباني من اعظم محدثي الشيعة ورؤسائهم الروحانيين في عصر الصفويين عاصر الشاه سليمان والشاه سلطان حسين الصفويين وكان هذا المحدث الكبير ممن يتصدى لشؤون السياسة ويستشير السلطان في تدبير الملك وتنظيم ايران وله آثار علمية جليلة كثيرة منها كتابه الكبير (بحار الانوار) في احاديث الائمة الاطهار في ٢٤ مجلداً كبيراً وفي بعض مجلداته بحث عن علوم متنوعة من الفلك والفلسفة والكلام ولا سيما في جزئه المسمى (بالسماء والعالم) توفي سنة ١١١١ هـ ومجلس كما قيل قرينة من قرى اصهبان . (٢) وفي نسخة البائرة .

اهل الجلود وصنف رسالة في وحدة الوجود وبيان مذاهب الصوفية وقال فيها ما نصه :
ولا شك انهم اي الصوفية من اولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين لم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة والذين آمنوا وكانوا يتقون . طبع
الرسالة في القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .

ويدل عليه كلام صاحب لؤلؤ يقول في كتابه المذكور ربما طعن عليه القول
بالتصوف لما يترأى من بعض كلماته واشعاره في هذا العصر الذي تلبّد جوده بسحب
الجلود عاش صدر الدين وروح فلسفته التصوف واصول الفلاسفة الاغريقية والفارسية
الفهلوية وتمكن من وضع تأليفه الكثيرة الجليلة التي أدخلت له الذكر الجليل ولم يصبه
ما اصاب الفلاسفة الاحرار من الاضطهاد والزجر والقتل .

(فتوى رجال الدين بكفره) : أفنى جماعة من رجال الدين والفقه المتسكين
بظواهر الشريعة بكفره واخذوا عليه أموراً :

(الاول) انه ذهب الى مذهب وحدة الوجود كما صرح به في كتبه وفلسفته حتى
في تفسيره نقل قول محيي الدين بن عربي ان فرعون مات مؤمناً موحداً واستحسن هذا
الكلام بقوله هذا كلام يشم منه رائحة التحقيق .

(الثاني) انه ذهب في شرحه لكتاب الكافي وفي تفسيره لسورة البقرة وفي كتابه
الكبير (الاسفار) الى انقطاع العذاب عن اهل في الآخرة وانكر الخلود في الدار وهو
خلاف ما علم بضرورة من الدين .

(الثالث) ذكر في الاسفار في بحث العشق ان عشق الغلمان وصور الحسان عشق
بجازي وهو قنطرة الى عشق الاله وفيه روح المذهب البائيسي .

(الرابع) انه ذهب الى المعاد الجسماني بما لا يلائم ظاهراً الشريعة ومذهبه في المعاد
كذهب الشاعر الفيلسوف (عمر الخيام) في ربايعه المشهور :

کردون نكړی زعم فرسوده ماست جيجون اثري زچشم پالوده ماست

دوزخ شرري زرنج بيهوده ماست فردوس دمي زوقت اسوده ماست

وجد هذا الرباعي بخطه في ظهر بعض تفسيره ومعناه قريب من مذهب الخيام .

ای انکه زاتش درون میسوزی وز نار جھیم خشم زون میسوزی

سكر زانكه نمونه ردوزخ خواهي بنكر بدرون خود كه چون ميسوزي
سكر زانكه نمونه زدوزخ خواهي بنكر زدرون خود كه چون ميسوزي
ولقد أجاد الشاعر الكبير محمد السباعي بإبراز هذا المعنى الفلسفي في العربية بقوله :
انتي ارسلت روجي آتفا في دياحي الغيب كيا اكشفا
غامضاً من عالم الخلد اختفي فانتحي روجي ونبا انما
انا فردوس صفا نار انتقام

وجد هذا الرباعي بخطه على ظهر تفسيره لسورة الحديد بين رباعيات كلها بخطه .
اي بو العجب از بسكه ترا بو العجست وهم همه عشاق جهات از نوغست
مسكين دل من ضعيف وعشق نوقويست بپچاره ضعيف كش قوي بايدزيست
(تأثير الفلسفة الاغريقية في نفسه) : منذ ظهر الانسان في الوجود خضعت نفسه
بقوى العالم مادية كانت او ادبية وقوة التعليم من اقوى المؤثرات في النفس الانسانية
ولا سيما اذا كانت القوة المؤثرة مما تقبله النفس بفطرتها أثرت الفلسفة الاغريقية وتعليم
ارسطو واتباعه في نفسه اثرأ عميقاً ذكر في اول (الاسفار) اني قد صرفت قوتي في سالف
الزمان منذ اول الحداثة والربان في الفلسفة الالهية بمقدار ما وتيت من المقدور وبلغ اليه
قسطي من السعي الموفور واقتفيت آثار الحكماء السالفين والفضلاء اللاحقين منقلباً في
تنائج خواطرم وانظارم مستفيداً من ابكار خمائرم وأسرارم وحصلت ما وجدته في
كتاب اليونانيين والرؤساء المعلمين تحصيلاً يخزنار الباب من كل باب .

وقال في مجله عن حدوث العالم واعلم ان أساطين الحكمة المعتبرة عند طائفة ثمانية
ثلاثة من الملّيين (ثالس وانكسينانس واغاذيموت) ومن اليونانيين خمسة (انبازفلس
وفيثاغورث ومقراط وافلاطون وارسطو) قدّس الله نفوسهم واشركنا الله في صالح
دعائهم وبركتهم فلقد اشرفت أنوار الحكمة في العالم بسببهم وانتشرت العلوم الربوبية
في القلوب بسعيهم وكل هؤلاء كانوا حكماء زهاداً عباداً متألّمين معرضين عن الدنيا
مقبلين على الآخرة فهؤلاء يسمون بالحكمة المطلقة ثم لم يسم أحد بعد هؤلاء حكماً بل كل
واحد منهم ينسب الى صناعة كبقراط الطبيب وغيره ..

(منابع افكار صدر الدين وفلسفته) : نجد فلسفة صدر الدين تستمد من منابع

كثيرة أهمها آراء اليونانيين ولا سيما آراء أرسطو وتلميذه ابن سينا وافكار محيي الدين بن عربي الصوفي وتعاليم الدين الاسلامي المستخرجة من القرآن الحكيم والسنة النبوية فخذير ان نشير الى هذه المناهج الاربعة على سبيل الايجاز ليعلم وجهة فلسفته .

(١ — آراء أرسطو) : فهي آراء وافكار تراها في كتبه الواصلة اليها بواسطة نقلة العصر العباسي الزاهر وفي كتب اليونان والعرب اهمها اثبات الحركة الطبيعية الازلية واثبات احتياج المتحرك بحركته يتحرك بحركته آخر حتى ينتهي الى متحرك لا يتحرك بآخر فهو جوهر وفعل معاً فهذا المحرك الثابت هو الله مصدر الحركة الابدية التي تتحرك بعلة غائية اي بطريق الجذب نحو العقل الاعظم والشوق اليه كما يستميلنا الخير ويستهوينا الشيء الجميل بدون دخل لما فيه ذلك وعلى هذا المثال يجذب علما الارواح والاجسام نحو الله بدافع ذاتي .

وهو يرى ان المادة قديمة وان المحرك الاول اي الله لم يخلق المادة بل نظمها وان الله جوهر روحي يتجلى فيه العقل والحياة باتم مظاهرها. ويتمتع ابدآ بالسعادة الكاملة ولانها كما بمشاهدة ذاته لا يلتفت الى العالم .

(٢ — آراء ابن سينا) : فهي على ما يظهر لنا آراء فلاسفة اليونان وافكار أرسطو وتعاليم مدرسة (امينوس سكاوس) التي يسميها العرب بمدرسة الاسكندرانيين وتعاليم تلميذه .

(افلوطين) الذي يسميها الشرقيون بالشيخ اليوناني وهو منظم مذهب أستاذه وكان من آراء هذا الفيلسوف اليوناني فيما وراء الطبيعة (متافيزكا) ان هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير وهو لم يوجد بنفسه بل لابد لوجوده من علة سابقة عليه هي السبب في وجوده وهذا الذي صدر عنه العالم واحد غير متعدد لا تدركه العقول ولا تصل الى كنهه الافكار ولا يحدده حد وهو أزلي قائم بنفسه فوق المادة وفوق الروح وفوق العالم الروحاني خلق الخلق ولم يخلق قبل خلق بل ظل قائماً بنفسه مسيطراً على خلقه ليس ذاتاً وليس صفة هو الارادة المطلقة لا يخرج شيء عن ارادته هو علة العمل ولا علة له وهو في كل مكان ولا مكان له ويبحث انه كيف نشأ عنه العالم وكيف صدر هذا العالم المركب المتغير من البسيط الذي لا يلحقه تغير . كأن هذا العالم غير موجود ثم وجد كيف يصدر هذا العالم

الفاني من الله غير الفاني . هل صدر هذا العالم من الصانع عن رويّة وتفكير او من غير رويّة ولم وجد الشر في العالم ؟ ، ما النفس واين كانت قبل حلولها بالبدن ؟ واين تكون بعد فراقه ؟ :

وهذه المسائل وأشباهها التي يبحث عنها افلوطين هي مباحث شغلت حيزاً من افكار ابن سينا بعد ان ورثها من المعتزلة والصوفية وجمعية اخوان الصفا . كما هي المسائل التي درسها صدر الدين ، زينها للناظرين في القرن الحادي عشر ، كانت الشرائع السماوية والقوانين الازلية تشغل مكاناً فسيحاً في مبادي ابن سينا واليك نص قوله في النبوة يقول :
يوجد رجال ذو طبيعة طاهرة اكتسبت نفوسهم بالطهر ، وبتملقها بقوانين العالم العقلي لذا هم يتألمون الالهام وبيحي اليهم العقل المؤثر في سائر الشؤون ويوجد غيرهم لا حاجة لهم الى الدرس للاتصال بالعقل المؤثر لانهم يعلمون كل شيء بدون واسطة . هؤلاء هم اصحاب العقل المقدّس وهذا العقل لمن السمو بحيث لا يمكن لكل البشر ان يتألم منه نصيب وهذا القول صريح في انه يقصد باصحاب العقل المقدّس الانبياء الذين يحفظون بالوحي الرباني كما انه اعترف منه باصل كبير من اصول الاديان وهذه النزعة الدينية أثرت في نفس صدر الدين وصرح في كثير من كتبه بمثل هذا الرأي الفلسفي الديني وبذلك نعلم ان ابن سينا بعيد عما نسب اليه (الكونت دوغوبينو) في كتابه المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى بقوله ان ابن سينا نهض بل خرج على ما كانت يعلمه الدين منذ اربعمائة سنة وانه هدم من الاسلام ومن معتقده جانباً عظيماً نعم انه كان ذا تفوذ ، كبير على افكار الملوك والامراء فظهر بأرائه الفلسفية بحربة تامة لكنه احترم في جنبها الدين الاسلامي وكان حقاً معلماً كبيراً للفلسفة في ايران الى قدوم جنكيز خان المغولي .

(٣ — افكار محيي الدين بن عربي) : اكثر افكار هذا الامام الصوفي اختلفت علينا وراء حجاب من الرموز والالغاز فما عرفناه من افكاره وحصل لنا اليقين به هو انه كان ممن يعتقد بوحدة الوجود حتى قال انه كفر النصارى ليس بقولهم ان المسيح هو الله بل كفرهم بقولهم انه ابن الله وكأنه كان يؤمن بنظريات اشور الحلوية على ان له آراء في الاخلاق الفاضلة والتي سلك سبيلها الصوفيون كالحب والسكر والتوبة والمجاهدة والخلوة والتقوى ومقامي الخوف والرجاء ومقام الفكر والذكر وأسرارهما وله بحث في النبوة وأسرارها .

وكان محيي الدين بعد من قادة التصوف وحامي لوائه ومعلمه في ايران كابن سينا الى زمن جنكيزخان المغولي يمجّله صدر الدين غاية التمجيل ويقرون اسمه بكلمات التجليل كالعالم الرباني والعارف الكامل وأشباهاها واقتبس صدر الدين آراءه وأوردها ضمن الكلمات الفلسفية .

(٤ - الدين الاسلامي) : اما الدين الاسلامي فالقرآن باصوله العالية وسننه السامية (سرآة) تعاليم هذا الدين الجلي آخى بين العلم والدين وارشد الى توحيد الحق المهيمن ونزّيهه عن كل نقص وشرك واعلن باسم الله واعلاه في وسط كان تعبد الاوثان ورفض كل باطل وحطم كل وثن وصنم . وهو النور الذي ألقى أشعته البهضاء في مدة يسيرة بين الاندلس والهند . ولا زال سراجاً بقي العالم في قرون طويلة ولكن النزاع في الخلافة في الصدر الاول الذي امتد الى القرون المتأخرة من ناحية وتشابه بعض آيات القرآن الذي دعا المفكرين الى النظر فيها من ناحية أخرى كانا من الاسباب التي اوجدت الفرق وحدثت الجدل .

فظهر هذا الدين بظهر غير مظهره الذي تجلّى به في الصدر الاول ظهر منحرفاً عن اصله السامي فهذه الصورة تلقاه صدر الدين .

(وقوف حركة الفلسفة في ايران) : كانت لفلسفة ابن سينا حركة قوية في ايران الى ان هجم المغول في القرن السابع الهجري فوقفت هذه الحركة لان الغزاة كانوا يرمون الى الترتيب السياسي وتنظيمه ولم يكن لهم اهتمام بالفلسفة لان غاية هؤلاء الفاتحين كانت ان ينشئوا نظاماً مديناً قوياً بكل ما يمكن من الوسائل ولما صبأوا الى الاسلام رأوا من المعقول ان يسندوا كل الاسناد هذا الدين فلم يوافقوا على نشر فلسفة ابن سينا ومن قال بذهبه وان هم اهتموا بنشر الفنون والصنائع .

(ظهور الدولة الصفوية) : قلنا فيما سبق ان الحركة الفلسفية وقفت حينما هجم المغول لان كبير اهتمامهم كان بنشر الفنون والصنائع وقليلاً كانوا يهتمون بالعلم والأدب . وسارت الامور هذا السير الى ان تسلم اول الصفويين غارب العرش وكان صوفياً بحتاً ولكنه لما رأى الشيعة مذهباً خاصاً بالبلاد الفارسية اولى بها هو وخلفاؤه ولما يدل على

ذكاء فانهم روجوا نموها وتبسطها بكل ما أوتوا من السطوة والسلطنة ولم يعن بفلسفة ابن سينا .

ولكن الفلسفة كانت تتحرك وتبدي اشارات الحياة لأن ارجاع المسببات الى اسبابها والفحص عن عللها مما يطلبه الطبع البشري .

(طريقة التدريس في آسية) : ولما كان الدرس في العلوم العالية في آسية ثلثي مشافهة وكان الفلاسفة القائلون بمذهب ابن سينا متفرقين وهم نفر قليل كثير الخوف امام علماء الدين اضطر صدر الدين ان يخلي عدة سنين في جبال (قم) مشغولاً في رحلاته في فارس لاقطاً من أفواه الحكماء جميع الشروح التي نشأت من نفوس اصحابها بعد الخبرة والثقة بنفوسهم وبدأ بنفسه يعلم في المدن التي يمر بها ولما لم يكن له منافسون من جهة الفصاحة ولا من جهة التأني في العبارة ولا من جهة سهولة التعبير كان سامعوه يفرحون بما يلقونه عليهم ويقتنونه بكل حرص وكانوا كثيرين ثم كان يفتي منهم تلاميذ ذوي فضل ممتاز . (خوفه من رجال الدين) : وكان صدر الدين نفسه ايضاً يخاف رجال الدين المتمسكين بالظواهر ولهذا كان يسعى جهده ان لا يشير في نفوسهم كامن الريبة فكان موضوع بحثه اموراً مكنية يثبتها بالادلة الصريحة ولو لم يفعل ذلك لعرض نفسه لشكائهم وتشديد عليهم تشديدات لا نهاية لها فيخاطر بالعمل عينه بمسئلة اصلاح الفلسفة الذي كان يفكر به فوفق بين فكره وبين مقتضيات الأحوال ولجأ الى الوسيلة العظمى وسيلة النقية والكمات .

وكان اذا هبط مدينة يحرس على زبارة مجتهديه او علمائها ويجلس في آخر الناس وكان يطيل السكوت واذا تكلم نطق بكل هدوء وسكينة مستمعاً كل كلمة تخرج من أفواه اولئك الأجلة وكان اذا سئل عن معارفه لا ينطق الا بالآراء المدونة في أسفار المذهب الشيعي المحض ولا يشير ابداً الى انه يُعنى بالفلسفة وبعد ايام قليلة من رؤية المجتهدين والعلماء كانوا يدعونه بانفسهم الى ان يدرس تدريساً علنياً وللحال كان يابي دعوتهم . (طريقته في نشر فلسفته) : وكان يجعل عنوان درسه من ابواب الفقه اولاً ثم يزيد المسألة تدقيقاً في وجوب اتباع الاوامر والنواهي والفرائض على ما يفعله امير العلماء في نظرياتهم فكان هذا العمل يجيبه في قلوب العلماء ويزيد اعتباراً . واذا كان يبحث

في باب الوضوء أو الصلوة كان ينتقل منها إلى أسرارها ومنها إلى نوايس الوحي ومنها إلى التوحيد وكان هناك يجد مجالاً لظهور آرائه الفلسفية وإبراز شخصيته الكبيرة بآيات من الحذق والمهارة والاستدراك وكشف الأسرار للتلاميذ المتقدمين .

وكان في القاء دروسه يسرد عبارات ذات معنيين راقية تتراءى بوجهين لا يفهما من تلاميذه إلا الذين رسخت أقدامهم في الاستنتاج ثم ينطوي كل هذه الأقوال بغشاء رقيق من العبارات الدينية التي تؤيد دينه وتظهر احترامه لمبادئ الدين .

(بشه فلسفة ابن سينا) : وكان ينشر مذهب ابن سينا في الطبقة المنورة كلها وإذا كان يحرص على إخفاء مذهبه في كلامه فكان إخفاؤه له فيما يكتبه أقوى وأعظم والوقوف على حقيقة مذهبه الفلسفي صعب إلا لمن اتصل بسند درسه إلى تلاميذه الذين تلقوه عن نفسه ولمن وقف على اصطلاحاته الفلسفية وسند آرائه غير مقطوع في هذا العصر ولكن قل عدد تلاميذه اليوم وكان في عصر ناصر الدين شاه القاجار جماعة من كبار تلاميذه أي الذين كانوا ينقلون جيلاً بعد جيل عن معلمهم الأكبر من أمر فكره وبأيديهم مقاليد العبارات التي كان يتخذها لكي لا يعبر عن أفكاره صريحاً .

(شخصيته الفلسفية) : يقول (الكونت دوغوبينو) أن صدر الدين لم يكن منشئ فلسفة جديدة بل هو أعاد إلى فلسفة ابن سينا خرمها وأضاءها في مصباح جديد والحق أنه أظهر شخصيته من ناحية مذهب الفلسفي وأتى برأي جديد مستقل في بعض مسائل فلسفية وخالف ابن سينا في مسائل جمة وسنشير إلى بعضها ضمن هذه الرسالة . ولا شك أنه كان مصلحاً للفلسفة الآسيوية وهو الذي البسها ثوباً يقبله كل من ينظر إليها فقبلها من كان في عهده وأعجب بنظرياته العارفون .

ولا غرو فإنه عاش في عهد غير عهد ابن سينا وفي وسط غير وسطه .

بدرسنا شخصية هذا الفيلسوف نراه أنه أخذ أثر العلم اذ تنفخ في ريم مذهب ابن سينا وأعاد إليه شبابه في العصر الذي عاش فيه والبسه حلة مكنه من أن ينشر في جميع مدارس إيران واستطاع أن يفتح لمذهبه الفلسفي موطناً بجانب تعاليم الدين ولولا خدمته العلمية لكان نجم الفلسفة يغرب وراء ظلمات الغزوات المغولية . وعشاق الفلسفة مديون لهذا الفيلسوف الكبير . وحقاً بعد معلم كبيراً للفلسفة في إيران بعد ابن سينا إلى الآن .

(مذهبه في أزلية العالم المادي وحدوثه) : اقترق الدين والفلسفة في مسألة قدم العالم وحدوثه فبالضرورة ينتهي البحث الى أزلية (المادة وحدوثها) قدماً زمانياً بصرح الدين بظاهره بالحدوث وان يد الباري ابدعت المادة من العدم والفلسفة تجهر بالقدم . وقف صدر الدين امام هذه المسألة العويصة وقوف المتخير ورأى نفسه بين تجاذب قوتي الدين والفلسفة .

يقول في اول رسالته في الحدوث (١) هذه المسألة تثيرت فيها افهام الفحول لغموضها والناس فيها بين مقلد كالحيارى ومجادل كالسكارى فمن المدققين من اعترف بالعجز عن اثبات الحدوث للعالم بالبرهان قائلاً ان العمدة في ذلك الحديث والاجماع من الملبيين اذ الاول قد يحصل بالتقليد او الجدل وهما مناط الظن والتخمين والثاني لكونه بصيرة باطنية لا يحصل الا بالبرهان المنور للعقول التسابع للوصول . (٢) وزيف آراء المتكلمين التي تمسكوا بها في حدوث المادة . وقال فمنهم من يتصدى لاثبات هذا المقصد العظيم بالأدلة المتزلزلة والافيسة المختلة كالتكلمين زعماء منهم ان تمهيد اصول الدين مما يحتاج الى تلك الكلمات الواهية .

وقال وما احسن قول (الغزالي) في حق من تصدى لنصرة قوام الدين بالامور السخيفة انه صديق جاهل . وقال ايضاً ان ايراد مثلها في معرض الانتصار للشرع القويم ربما يؤدي الى خلل عظيم من حيث ان صغار العقول ربما يزعمون ان اصول الدين مبنية على هذه الدعاوي الواهية هذا كما ان بعض المحدثين نقل ان بعض الزنادقة وضع الاحاديث في فضل الباذنجان منها (كلوا الباذنجان فانها اول شجرة آمنت بالله تعالى) .

وقال انما وضعه ليتوسل به الى القدح في صدق النبي (ص) الذي شهد الله تعالى بصدقه وهو نفسه لم يستطع ان يخطي مبادئ الدين القائلة بالحدوث لقوة ايمانه بالانبياء وقبول اصول تعاليمهم قبولاً فلسفياً .

وفند رأي ابي نصر الفارابي المحدث في رسالته في الجمع بين رأي الحكميين افلاطون وارسطو بتأويله مذهب افلاطون في الحدوث بالحدوث الدائى والافتقار الى الصانع .

وقال هذا القول في الحقيقة تكذيب للانبياء من حيث لا يدري وقال ان النصوص

المأثورة عن افلاطون تعطي انه يريد بالحدوث الحدوث الزماني لا الحدوث الذاتي وقال وهذا من قصور ابي نصر في البلوغ الى شأوا القدمين .

ونقل عن افلاطون في كتابه المعروف (بنافذا) وفي كتابه المعروف (بطيادس) كما حكى عنه تلامذته (كأرسطو) و (طيادس) و (شافراطوس) و (ابرفلس) انه قال ان للعالم مبدأ محدثاً ازلياً واجباً بذاته عالمياً بجميع معلوماته على لغة (او نعت ؟) الأسباب الكلية كان في الازل ولم يكن في الوجود رسم ولا ظل (او ظل ؟) الا تمثال عن البارئ جل اسمه ربما يبر عنه بالعنصر الاول ووجهه ايضاً رأي ارسطو بانه يريد من الحدوث الحدوث الزماني ورأى ان العلم لا يصدق حدوثها من العدم المحض وفكر فكراً عميقاً ليحل المفصلة ولما انتهى فكره الى نقطة وجد فيها سبيله للتخلص من ظلمة هذا الشك .

رأى ان الوقت قد حان ليظهر برأيه فقال ان هذه المسألة عندي في غاية الوضوح والانارة لم اجد من نفسي رخصة في كتابتها وعدم الافاضة بها على من يستأهلها ويقبلها واخذ يظهر برأيه قائلاً ان ماسوى الله حادث . ولا قديم ذاتاً وزماناً الا الله تعالى .

(نظرية الحركة في الجوهر) : سلك في أزلية المادة مسلكاً وفق به بين الدين والفلسفة وابتدى نظرية سماها (الحركة الجوهرية) وهي نظرية في غاية الغموض والابهام تكاد تشبه نظرية (اثنتين) يعسر فهمها الا بالامعان والتدبرا العميق في فلسفته واصطلاحه . وهي ان الدالم المادي مطلقاً لا يزال في تجدد مستمر فالمادة بجوهرها في الآن الثاني غير المادة في الآن الاول وهي متحركة دائماً بحركة جوهرية وللهيولي والصورة في كل آن تجدد مستمر .

ولتشابه الصور في الجسم البسيط ظن ان فيه صورة واحدة مستمرة لا على التجدد وليست كذلك بل هي واحدة بالحد لا بالعد لانها متجددة متعاقبة على نمت الاتصال لا بان يكون متفاصلة متجاوزة ليلزم تركيب المقادير والأزمنة من غير المنقسمات وبهذه النظرية استنتج التوفيق بين الدين والفلسفة فالدين انما أراد من الحدوث تجدد المادة وحركتها حركة جوهرية وهي حادثة في كل آن وان لم يكن لها مبدأ زماني وهو يوافق العلم فلا اختلاف بينهما اذ كل منهما يقول بالحدوث بهذا المعنى والمبنى اي تجدد المادة تجدداً جوهرياً .

وكل منهما يقول بالقدم لانها لا يتصور عقلاً حدوثها من العدم المجت حق يتصور لها مبدأ زماني وهي نتيجة عدة اصول :

منها انه فرض للوجود طرفين وهو في احد طرفيه فعلية محضة من جميع الجهات وهو الباري الموجد تعالى وبعبارة اوضح هو الوجود المطلق وفيه كل الكمال المتصور الفعلي وفي طرفه الآخر قوة محضة من جميع الجهات الا في فعلية القوة^(١) وهذا يطلق على الهبولى^(٢). فيكون في الوجود طرفان (الباري) تعالى و(الهبولى) والباري تعالى وجود اكل من جميع الجهات فلا يحتاج الى الخروج عما كان وفي الوجود ايضاً مرتبة وسطى له الفعلية من جهة والقوة من أخرى فبالضرورة يكون فيه تركيب فذاته مركبة من شيئين احدهما بالفعل والاخر بالقوة وله من جهة القوة ان يخرج الى الفعل لغيره . وهذا الخروج اذا كان بالتدريج يسمى حركة والحركة هي فعل او كمال اول للشيء الذي هو بالقوة^(٣) ومعنى الحركة التجدد والانقضاء .

والتجدد في المادة صفة ذاتية فلا يحتاج الى جاعل وفاعل يجعلها متجددة وهذا الرأي يفيد ان يد الباري اوجدت المادة متحركة والحركة موضوعة في طبيعها والعلم الحديث ايضاً يقول ان حركة الذرات في طبيعها ومنها المتحرك انما يتحرك بشيء آخر لا يكون بنفسه متحركاً فتكون حركة بالقوة فقابل الحركة امر بالقوة وفاعلها امر بالفعل والحركة على مذهبه سببها وجود فعلية القوة وللشيء ان يخرج الى الفعل لغيره ومنها ان مبدأ الحركة الطبيعية لا النفس ولا العقل^(٤) وقال الفاعل المباشر للحركة ليس عقلاً محضاً من

(١) فسر اصطلاحه في القوة بقوله هو ما يقال لمبدأ التغير في شيء آخر من حيث هو شيء آخر سواء كان فعلاً ام انفعالاً ويقول ايضاً ان القوة الفعلية قد تكون مبدأ الحركة واذا كانت مبدأ للحركة لا يتخلو من التجدد والتغير فهو متحرك حافظ لتغيره وقد تكون القوة وراء ما لا يتناهي بما لا ينتهي في الابداع والابداع كقوة الباري وقد يكون في الانفعال بما لا يتناهي كالهولى الاولى . (٢) فسرنا الهبولى فيما سبق . (٣) وهذا تعبير آخر عن سير الوجود نحو الكمال والارتقاء اليه حسب قانون النشوء والارتقاء . (٤) العقل يطلق في اصطلاحه على الجوهر المجرد الروحي .

غير واسطة لعدم تغيره ولا تنفساً من حيث ذاتها العقلية بل ان كانت محركة فهي اما من حيث كونها في الجسم او من حيث تعلقها به فيكون اما طبيعة او في حكم الطبيعة .
والطبيعة على مذهبه سيالة الذات متجددة الحقيقة نشأت حقيقة ثبوتها المتجددة بين مادة شأنها القبول والزال وفاعل محض شأنه الافاضة والاكمال فلا يزال ينبعث عن الفاعل امر وينعدم في القابل ثم يجبره الفاعل بايراد البديل على الاتصال .

فهذه الامور وصل الى النتيجة التي هي مفاد نظريته وهي ان مبدأ الحركة سواء أكانت طبيعية ام ارادية ام قسرية هي الطبيعة . والحركة معناها التجدد والانقضاء ومبدأ التجدد لا بد ان يكون متجدداً فالطبيعة بالضرورة متجددة بحسب الذات لان المتحرك وهي المادة لا يتصور صدوره عن الساكن ويستحيل صدوره عن الثابت ونال وبهذه هذا الاصل اعترف الرئيس ابن سينا وغيره بان الطبيعة من جهة الثببات ليست آلة الحركة وقالوا لا بد من ملوك التغيير بها من الخارج .

والطبيعة اذا كانت متجددة فالمادة في الآن الثاني يجرها غير المادة في الآن الاول . قال في آخر الفصل الرابع من رسالة الحدوث :

ننبه تمثيلي ان كان كل شخص جوهرى له طبيعة سيالة متجددة وله ايضاً امر ثابت مستمر نسبته اليها نسبة الروح الى الجسد فان الروح الانساني لتجدها باقية وطبيعة البدن ايداً في التجدد والسبلان والتدويران وانما هو متجدد الذات الباقية برود الامثال والخلق لني غفلة عنه (بل هم في لبس من خلق جديد) وكل حال الصور الطبيعية متجددة من حيث وجودها المادي الوضعي الزماني فلها كون تدريجي متبدل غير مستقر الذات ومن حيث وجودها العقلي وصورتها المفارقة (او المقارنة ؟) الافلاطونية^(١) باقية ازلاً وابدأ في علم الله تعالى فالاول وجود دنيوي بئد دائر لا قرار له والثاني وجود ثابت غير دائر لا استحالة ان يزول شيء من الاشياء عن علمه او بتغير علمه تعالى (ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين) .

ولما ابدى نظريته ونبيه انه نفرد بها قال في الفصل الخامس من رسالة الحدوث اما قولك فيما سبق ان هذا احداث مذهب لم يقل به احد من الحكماء فهو كذب وظلم

(١) تطلق الصورة الافلاطونية في الفلسفة اليونانية على عالم المثال والجواهر المجردة .

فإن أول حكيم قال به في كتابه هو الله سبحانه وهو أصدق الحكماء فإنه قال : (وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال : (بل هم في لبس من خلق جديد) . وقوله : (والسموات مطويات بيمينه) وقوله : (على اث تبدل أمثالك وتتشاك فيما لا تعلمون) .

وتمسك ببعض آيات وروايات أخر تركنا ذكرها لعدم دلالتها في نظرنا ثم نقل عن ابن عربي قوله في الفصوص : ان الإنسان سبغ الترقى دائماً وهو لا يشعر بذلك للطاقة الحجاب ورقته وتشابه الصور مثل قوله : (وأتوا به مثابها) ونقل قوله في الباب السابع والستين والمائة من الفتوحات فالوجود كله متحرك على الدوام .

(اختياره مذهب التصوف ووحدة الوجود) : هذا الفيلسوف الذي يدور أكثر مباحثه حول الفكر في الآله المبدع ووحدة صفاته المعنوية من العلم والحكمة والقدرة أو ان شئت قل بحث عن القوة المدبرة للكون وفلسفته تستقي من معين التصوف ووحدة الوجود معتمدة على المبادي الاخرية وروح فلسفة افلاطون وارسطو بادية باجلى مظاهرها فيها وبلوح للناظر في كلماته انه إبان درسه الفلسفة خاض مدة مديدة لجمع المسائل اللاهوتية ووازن حجج الفلاسفة من الاشرافيين والمثابيين ودرس اصول المتكلمين واصحاب الجدل وعرف انها جميعاً لا توصل الى الحق ولا تروى غليله لانها معكورة بتناقض المبادي . وكيف تسكن نفس رجل زكي الفؤاد وفاد الذهن بما لا يتير ظلمة المعضلات في المسائل اللاهوتية العويصة وهي تحاول ان تبلغ مرتبة الشهود والعيان من مراتب الايمان وبعد مدة طويلة لما لم يجد ضالته سيف درس أدلة الجدليين الذين يقول في شأن فلسفتهم اني أستغفر الله وأستعيز عما ضيعت شطراً من عمري في طريقة غير المستقيم لاذ بعجز التصوف وهناك وجد سكونه واطمئنانه واخذ يسعى في التوفيق بينه وبين الشريعة بتأويل نصوصها وتوجيهها اليه .

جرت عادة الباحثين في المسائل اللاهوتية الا الصوفيين ان يضعوا باباً في البحث عن الموجد للكون .

ويذكروا فيها أدلة يستمد بعضها من ابطال التسلسل او الدور لزمهم ان المبدع الحكيم (اي القوة المدبرة) منفصل عن الكون ولكن الصوفيين يرون ان الوجود المنبسط الذي

يمثل الكون بمحسوسه ومعقوله كافٍ للدلالة على وجود الموجد وصفاته لانه عينه وفيه كل شيء آية دالة على وحدته ومذهب وحدة الوجود (البائثيسم) الله في الكل والكل في الله هو سر التصوف وروحه ولاجل ذلك لا يتمسكون بادلة الكلاميين والجدالين وفرق الفلاسفة الذين تقرب فلسفتهم من مبادئهم ولا يستدلون بوجود القوة المدبرة المبدعة بأكثر من بحثهم في شؤون الوجود المنبسط ومراتبه وظهوره .

وصدر الدين وان أفاض في البحث عن كل المباحث اللاهوتية وأكثر مباحث الفلسفة الادبية والفلسفة العامة وتبحر فيها الا ان غرضنا الذي نرمي اليه هو ان تأتي من فلسفة . بتفطني الوفاق والخلاف مع الفلسفة المادية . وهي مسائل طالما مرّح الانسان افكاره حولها كمسألة هل المادة أزلية ام حادثة ؟ وهل للكون مبدع غير الطبع ؟ وهل هو شاعر عالم ؟ وهل في خلق الكون غاية وحكمة او لا ؟ ثم تردفها ببعض آرائه العلمية والادبية . وبذلك تصور نفسية رجل حكيم خدم اللغة العربية والعلم خدمة جليلة .

(طريقه الى معرفة الله تعالى) : يقول في الجزء الثالث من الاسفار الاربعة (فصل) في إثبات واجب الوجود والوصول الى معرفة ذاته : واعلم ان الطرق الى الله كثيرة لانه ذو فضائل وجهات كثيرة وكل وجهة هو مواليها لكن بعضها أوثق وأشرف وأنور من بعض . وأسد البراهين وأشرفها اليه هو الذي لا يكون الوسط في البرهان غيره بالحقيقة فيكون الطريق الى المقصود هو عين المقصود وهذه سبيل الصديقيين الذين يستشهدون به تعالى عليه ثم يستشهدون بذاته على صفاته وبصفاته على أفعاله واحداً بعد واحد وغير هؤلاء : كالمتمكّنين والطبيعيين وغيرهم يتوصلون الى معرفة الله تعالى وصفاته بواسطة امر آخر غيره كالإمكانات للمية والجدوث للخلق والحركة للجسم او غير ذلك وهي ايضاً دلائل على ذاته وشواهد على صفاته لكن هذا المنهج أحكم وأشرف وقد أشير في الكتاب الآتي الى تلك الطرق بقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق) والى هذه الطريقة أشار بقوله : (أو لم يكفر بربك أنه على كل شيء شهيد) .

وذلك لان الربانيين ينظرون الى الوجود ويحققونه ويعلمون انه أصل كل شيء ثم يصلون بالنظر اليه الى انه بحسب اصل حقيقته واجب الوجود . واما الامكان والحاجة

والمعلولية وغير ذلك فانه يلحقه لا لاجل حقيقته بل لاجل نقائص واعدام خارجة عن اصل حقيقته ثم بالنظر فيما يلزم الوجوب او الامكان يصلون الى توحيد ذاته وصفاته . ومن صفاته الى كيفية أفعاله وآثاره وهذه طريقة للانبياء كما في قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة) . وهذا المذهب يشبه مذهب (باسكال) المتوفى سنة ١٦٦٢ م : — أرى في الطبيعة كائناً واجب الوجود دائماً لا نهائياً . وقال في اول رسالته في سر يان الوجود :

إعلم ان الواجب الحق هو المنفرد بالوجود الحقيقي وهو عينه وغيره من الممكنات موجودة بالانتساب اليه والارتباط به ارتباطاً خاصاً وانتساباً مخصوصاً لا بعروض الوجود كما هو المشهور .

ثم قال ان الوجود قد يطلق ويراد به الكون في الأعيان ولا شك في كونه امراً اعتبارياً انتزاعياً وقد يطلق ويراد به ما هو منشأ لانتزاع الكون في الاعيان ومصحح صدقه وحمله وهو بهذا المعنى عين الواجب .

وقال بعد بضعة سطور ان مناسط الوجوب الذاتي ليس الا كون نفس الواجب من حيث هي مبدأ لانتزاع الوجود والموجودية .

من الاصول المقررة في الفلسفة الآلية التي وضع عليها بعض الآراء الفلسفية واعترف بها صدر الدين فيما يظهر من كلماته السالفة ان الوجود امر واحد ذو مراتب في الشدة والضعف وله وحدة معنوية .

ومنها ان الوجود الحقيقي الذي صح ان يكون منشأ لانتزاع الموجودات عنه والذي هو مصدر الكون او هو كالشمس منبع الأنوار أزلي موجود قائم بالذات لا جاعل له . ومنها ان مفهوم الوجود من أعرف الاشياء . وكنهه في غاية الخفاء . فانا نرى ذرة المادة ونحسها بالبصر ونلمسها باليد ولكن اسأل اي انسان تشاء من العلماء الطبيعيين (اي الفيزيولوجيين) ما هي ؟ وكيف وجدت أزلية ام حادثة ؟ وما هو سرها ؟ يقف أمامك والحيرة ملكة عقله ولا يدري ماذا يجيبك ولا لنفعه اختباراته الكمية والفيزيكية .

فمعرفة كنه الوجود رمز لا يزال مجهولاً على رغم جهود الانسان في كشفه منذ الأجيال والقرون وذهب سعيه سدى وكل جناح فكره عن الوصول اليه فظم هذه

الأصول بعضها الى بعض ينتج ان القوة التي اوجدت الكون بمقتوله ومحسوسه ومثلت أجزائه المنسقة ونظمها بنظامه العجيب — هو الله على مذهب صدر الدين اومن هو سالك سبيله في القول بوحدة الوجود (١) .

وهذا الرأي قريب من مذهب القائلين بان الطبيعة هي موحدة الكون أزلاً ونقطة الوفاى بين المذهبين مذهب وحدة الوجود او الصوفيين ومذهب الطبيعيين هي ما أشرنا اليه . الا ان مذهب الصوفيين وأنصار وحدة الوجود كما سيذكره صدر الدين ونشير اليه يفارق مذهب الطبيعيين في ان هذه القوة الموحدة التي يطلقون عليها الوجود الحقيقي او الواجب الوجود واجدة لجميع مراتب الكمال المعقول ولا يشذ عنها كمال في الوجود فلها العلم بالقدرة بأقصى مراتبها فعلمه وقدرته غير متناهين عدة وشدة ومدة . وصدر الدين والصوفيون وأنصار وحدة الوجود لا يقولون بانفصال المبدأ (الله) عن الكون كما اتهم لا يقولون بالحلل والاتحاد بل يقولون ان ارتباط الكون بالله تعالى وانتسابه كيفية مجهولة . قال صدر الدين في اول رسالته سريان الوجود ما هذا نصه : ثم اعلم ان ذلك الارتباط كما ليس بالحالية ولا بالمحلية بل هي نسبة خاصة وتعلق بخصوص يشبه نسبة المعروض الى العارض بوجه من الوجوه وليس هي بعينه كما توهم والحق ان حقيقة تلك النسبة والارتباط وكيفيةها مجهولة لا تعرف اه .

وهذا مذهب (مالبرانش) :

قال في الكتاب الثالث من تأليفه المسمى بالبحث عن الحقيقة ان جميع الكائنات حقى المادية والديوية هي في (الله) الا انها بطريقة روحانية محضة لا نستطيع فهمها يرى الله في داخل ذات نفسه كل الكائنات (ص ٧١) محاضرات العالم (دي جلارزا) الاستاذ في الجامعة المصرية وايد صدر الدين مذهبه بقوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم

(١) والى هذا المعنى أشار الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي :

الله والكون لاعم ملان الحياة افترا
فما لذا عن ذاك او لذاك عن ذا من غنى
ما الكون الا مظهر له به تبيينسا

والله المشرف والمغرب فأبنا تولوا فثم وجه الله على انه بكل شيء محيط وأحاط بما لديهم واحصى . وهو الله في السموات والارض ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . هو الاول والآخر والظاهر والباطن) . وهذا الفيلسوف لا يرضى ان تحمل هذه الآيات على مجرد علمه تعالى . وقال ولا تصرف هذه الآيات عن ظواهرها فحملها على مجرد علمه تعالى بها او غيرها كما هو شيمة الظاهرين . فان المرف عن الظواهر من غير داع اليه من عقل او نقل غير جائز اصلاً ولا داعي هناك قطعاً ولا مانع من الحمل على الظواهر على ما عرفناك فاعترف .

وقال صدر الدين ايضاً الأقرب في تقريب تلك النسبة أعني إحاطته ومعيته بالموجودات ما قال بعضهم من ان من عرف معية الروح وإحاطتها بالبدن مع تجردهما ونزهما عن الدخول فيه والخروج عنه واتصالها به وانفصالها عنه عرف بوجه ما كيفية إحاطته تعالى ومعيته بالموجودات من غير حلول واتحاد ولا دخول واتصال ولا خروج وانفصال وان كان التفاوت في ذلك كثيراً بل لا يتناهي ولهذا قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وللتنبه على هذا المعنى قال بعض المشايخ شعراً :

حق جان جهان است جهان جمله بدن املاك لطائف وحواس ابن تن
افلاك عناصر ومواليد اعضا توحيد همين است دگر هاهمه فن
اي الله روح العالم والمالم كجسمه والاملاك حواس هذا الجسم اللطيفة والافلاك
والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة اعضاء هذا الجسد وهذا هو التوحيد حقاً وغيره
لا يتجاوز كونه فناً من الفنون . ثم يقول ولا يتوهم من ظاهر هذا الكلام ان الواجب
الحق روح العالم ونفسه كما توهم بعض القاصرين تعالى عن ذلك علواً كبيراً فان ذلك
على ما حقق في موضعه ممثلاً بل غرضه تقريب كيفية إحاطته تعالى بالموجودات من
بعض الوجوه الى الاذهان السليمة المستقيمة .

ابو عبد الله الرفياني

« للبحث ثمة »

عضو المجمع العلمي

العلامة سليم البخاري



لبست دمشق في العام المنصرم لباس الحداد لفقد عظيم دعاة الاصلاح والتجديد ،
الثبت العجبة الامتاز سليم افندي البخاري شهرة ، الآمدي محمداً . فقد ابي دعوة ربه
الى الدار الآخرة في اليوم العاشر من جمادي الاولى سنة ١٣٤٧ هـ والرابع والعشرين
من تشرين الاول سنة ١٩٢٨ م عن عمر بلغ زهاء ثمانين سنة لانه ولد في دمشق غرة
سنة ١٢٦٨ هـ كما وجد ذلك بخط يده . وقد شيعت جنازته بمحفل عظيم امتاز بهيبة
الستة خلوه من البدع اذ ساد به الصمت بدون نداء المؤذنين فرادى ار مجتمعين عملاً
بوصيته ودفن في مقبرة الدحداح ، نور الله خريجه .

حياته العلمية — بعد ان نشأ وتخرج من المدارس التحضيرية ، تولى شؤون ائتيه
وتربته العلمية خال والدته الشيخ محمد البرهاني من فقهاء دمشق الاحناف ، وعهد الى

الشيخ عمر حفيد الشهاب المطار بتعليمه علوم اللغة العربية من صرف ونحو ومعاني وبيان وبديع ووضع ، والعلوم العقلية من منطق وحكمة وجدل . ولم يقتصر عليهما ، بل لزم ايضاً غيرهما من العلماء الاعلام أضراب منلا طه الكردي وأستاذي شيخ العلم في دمشق ابي بكر (بكري) المطار ، والشيخ محمد الامامي الشهير بابن الجوخدار ، ومفتي المذهب المالكي بدمشق الشيخ محمد صالح الجزائري والد أستاذنا العلامة المجاثة الشيخ طاهر الشهير ، والعلامة الفقيه الشيخ عبد الغني الغنيمي الشهير بالميداني شارح كتاب القدوري ، فتلقى منهم ما تلقى من العلوم العربية والعقلية واصول الفقه والكلام والتفسير . ثم اخذ الحديث الشريف رواية ودراية عن الشيخ سليم المطار . وحظي ايضاً بمجالس فقيه الديار الشامية السيد محمد الحمزاوي الحسيني مفتي دمشق السابق ، وأجازه بما يرويه عن أشيائه أرباب الاسانيد المسلسلة الرواية ، ولا سيما اعلام سنداً محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري .

وحينما أدى حجة الاسلام مكث مجاوراً بمكة المكرمة ستة اشهر تلقى في غضونهما الربيع الحبيب وبتن الشمسية في المنطق من صاحب إظهار الحق الشيخ رحمة الله الهندي ، وسمع احباء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي من السيد احمد الدهان من علماء أم القرى وساداتها . ولزم دروس صاحب المؤلفات الكثيرة السيد زبني دحلان مفتي مكة المكرمة . تقلد : وظيفة مفتي كتيبة المدفعية (مفتي آلاي) في القبلق الخامس من فيالق الدولة العثمانية وهو فيلق قطر الشام وذلك على حداثة سنه فأحرز قصب السبق في الاسناتة على من باروه في حلبة سباق الامتحان لغزارة علمه وقوة عارضته مع إجادته التكلم والكتابة باللغة التركية ومعرفته قليلاً من اللغة الفارسية ، وكانت وظيفته هذه من اعظم البواعث على تعارفه الى أغلب علماء الشام لكونه ظل زهاء ربع قرن يفحص طلبة العلوم الدينية الخصوصيين من عموم المكلفين بالتجند الاجباري . فكثرت عارفوه وذاعت شهرته العلمية في أنحاء القطر ومرت منه الى بعض الاقطار الاسلامية ولا سيما الاقطار المجاورة . وقد لقي كثيراً من رجال العلم في الامصار ممن كانوا يهرون بدمشق لحج البيت الحرام او الذين يلقاهم اتفاقاً في بلادهم او في الحرمين الشريفين او في القسطنطينية ، وجرت بينه وبينهم مناظرات علمية عرفوا بها غزارة علمه ، وأعجبوا به كما عرف هو غزارة علم

حكيم الاسلام أستاذنا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وأعجب بنيوغيه جينفا لقيسه
اولاً في بيروت وثانياً في دمشق .

وكان في أيام فتوته وكهولته يعلم الطلبة العلوم الثقيلة والعقلية ، واخيراً اخذ به من
في كتب الآداب العربية وأسرارها وكتب التاريخ والطبقات والمثل والنحل ، وأسفار
الشريعة الاسلامية ولا سيما الامهات السلفية ، وقد اطلع على كثير من نقائس الكتب
المخطوطة التي كانت كنزاً دفيناً فحاول هو وصديق الشيخ طاهر الجزائري ابرازها الى
عالم الطباعة والنشر خصوصاً كتب محي السنة الامام ابن تيمية ووارث علومه ابن القيم .

وكان من دأبه الاطلاع على المؤلفات الحديثة في علوم الاجتماع وال عمران والسياسة
والحكمة النظرية والعلوم الكونية المترجمة عن الغرب ، وعلى الصحف السيارة والمجلات
الدينية والعلمية . واذا عثر على كتاب يلائم ذوقه لا يذره حتى يطلع عليه بامعان من
فاتيحه الى خاتمه . وله من المؤلفات رسالة في آداب البحث والمناظرة . ورسالة في عقائد
الطائفة الدرزية . وله ايضاً تعليقات ومقالات في موضوعات شتى حققت بها حواشي
الكتب التي طالعها في حياته فدل فيها على تمكن من أسرار الادب والشريعة . وفي الحق
ان ما كتبه من هذه الرسائل الصغيرة لا يوازي بحال علمه الواسع والذي عاينه عن المضي
في التأليف ان احد مشايخه قد كسر همته لما اطلعه على رسالة كتبها وهو في سن الطلب
فهزأ به وبعمله حتى غضب مترجمنا واحرق ما كتب فحمد قلمه منذ ذاك العهد ولم يعد
الى التدوين الا في الندر . ولم يعرف عنه انه نظ الشعر ولكن انشاءه كان انشاء العلماء
لا عيب فيه من حيث البلاغة والفصاحة .

وقد نسخ بخطه الجليل بعض الكتب القيمة ، وخدم المعارف خدمة نذكر فتشكر
حينما كان من اعضاء الجمعية الخيرية برياسة السيد علاء الدين بن الملاحة السيد محمد
امين عابدين . وقد تألفت هذه الجمعية المباركة في عهد والي الشام مدحت باشا الوزير
العثماني الشهير قبل إحداث مديرية المعارف في ربوعنا على النسق الحديث .

مجاياه وأخلاقه — كان — رحمه الله — على جانب عظيم من الذكاء الفطري
وسرعة الحاطر ، وقوة الحافظة ، سليم الصدر لا يغمز السوء ، أو الغش لاحد ، عصبى

المزاج ، جميل الحياء ، رقيق الشمائل ، حسن المعاشرة ، يحب النظافة والافتقار والترتيب ، ويرغب في وضع الاشياء في مواضعها . وكان مهيباً وقوراً بهي الطلمة ، جامعاً بين آثارة الشيوخ وهمة الشبان ، ماضي العزيمة ، صبوراً على المعائب ، مقدماً على عظام الاعمال ، شديد الغيرة على الوطن واهله ، صلباً بدينه ومبادئه القومية ، بكره النظم في الدين والتعصب الممقوت ، كثير التواضع مع إباء النفس ، فلا يتزلف ولا يجاري ، ولا يتمجد بالمجد الكاذب والنفخنة الفارغة ، فلم يثدع بالحصول على الأوسمة الخلاية والرتب الكذابة بل كان يهزأ بها . وكان خضاعاً للحق صداعاً به ، فاذا ثبت عنده ان هذا الشيء حق ينخضع له بدون مكابرة ولا ممانعة ، وان هذا باطل يجاهر بمنأوانه بدرس ثقية ولو توقع الخطر ، وله مواقف عجيبة مع اولياء الامور في كل دور من أدوار الحكومات المتعاقبة . اتحد رأيه السياسي مع رأي فتيان الترك الأحرار (تركيا الفتاة) ، فانتظم في سلك جمعياتهم السرية ، وظل زعماً ثلاثين سنة يجاهد في هذه السبيل معرضاً بنفسه لبطش القصر الحميدي ، غير مبالٍ بعناية الجواسيس المنتشرين في طول البلاد وعرضها ، فلم تقصف له الوشاية قناة ، ولم ينل توقع البطش من عزمته صفاة ، بل ثبت ثبات الابطال في معترك النزال ، حتى أعلن القانون الاسامي العثماني سنة ١٩٠٨ م اعلاناً ثانياً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

ولما رأى ظيش سهام الاتحاديين غلب عليه النشاط من سوء المنية ، وانسحب من جمعيتهم . لزم الحيداد . ثم اضطر بسائق الحرص على سلامة الدولة الى خرق حيداده والمجاهرة بمعارضتهم ، والانتظام في حزب الحرية والائتلاف ، وانتخب رئيساً لشعبته في دمشق ، ولم يرهعه ما حاق بزعماء حزب الائتلاف من المطاردة والتشكيل عقب انتصار الاتحاديين على خصومهم بالانتخاب النيابي الذي رجوه بارهاب الضعفاء وخيانة اكابر المجرمين .

ثم كان في طليعة المنادين بالاصلاح والمطالبة العادلة بحقوق العرب المهضومة بعد ان بشى أحرار العرب من حكومي الاثلاف والاتحاد لفيف الاثلافيين وسوء نية الاتحاديين نحو الشعوب العثمانية التي ليست تركية ولا سيما الشعب العربي الذي طفق يشعر بقوميته العربية ويتغنى بمجدها السالف . فاشتد حنق أساطين جمعية الاتحاد

والتزقي على هذا الشيخ الجريء المقدام واخذوا يثر بصون به وباخوانه الدوائر حتى ستمت
 الفرصة باعلان الحرب العالمية الكبرى وانحياز الدولة العثمانية الى دول اوربا الوسطي .
 لا جرم انه كان في العهد الحميدي من دعاة الاصلاح الديني علانية ومن طلاب
 الاصلاح السياسي سرّاً ، فاستهدف نفسه بأن واحد لضيفة أعداء التجدد من رجال
 الدين ، وقذف اتباعهم الدجالين وسمايتهم باسم الدين والسياسة ، وعرضها ايضاً
 لخطر البطش السياسي . ولئن نجا من بطش القصر الحميدي فلم يكن ليخلص من الاوحراج
 والاضطهاد ومساورة القلق حينما يشتد تحوي المنازل ونش المكاتب والتفتيش عن الأوراق
 السياسية بوشاية من كانوا ينسجون السعاية من لمة الدين وسدى السياسة . وكان كلما
 حدثت دعوة جديدة او صدر كتاب يدعو الى التجدد يُستدعى من قبل اولياء الامور
 الاستاذان الجليلان اللذان كأنهما رضيعا لباب الشيخ طاهر الجزائري والشيخ سليم
 البخاري . وكان كل منهما ينهج في مناقشته مع الولاة والقواد منهجاً بياين منهج الآخر
 مع اتحادهما بالاخلاص وقوة العزائم . فان أستاذنا الجزائري كان لشدة دهائه لتغلب
 ضابطته اللسانية على عاطفته القلبية ، فكان يسدد ويقارب ، و يضطر بعض الأحيان
 الى مغالطة اولياء الامور باسلوب الحكيم . اما أستاذنا البخاري فكان لشدة صفائه لتغلب
 عاطفته على ضابطته ، فيعرب بصريح العبارة عن فكرته في غضون مناقشته مع رئيسه
 القائد العسكري الكبير سواء أكان حائزاً رتبة فريق ام مشير . وموظف لا يملك من
 موارد الرزق سوى وظيفته يناقش رئيسه الاكبر بدون مبالاة يجب ان بقدر ثباته
 ومقاداته في سبيل مبادئه . واضح ما يقال بوصف ذينك الشيخين المخلصين الجزائري
 والبخاري ان الاول قد قبضه الدماء ، وان الثاني قد بسطه الصفاء . وكلاهما لقياً في
 سبيل دعوتهما ضروب العناء . وكانا تمثل الثبات ومثال المضاء . لكن الاول نجا من
 بطش الاتحاديين . ووقع الثاني في شرك الانتقام اذ سجنه جمال باشا السفاك شهرين في
 دائرة الشرطة ، ثم ساقه الى مجزر فتيان عرب الشام الأحرار محكمة عالية العرفية اسماً ،
 فلاقى الألاق في محنته ، وذاق في سجنه ونعريه آلام الامراض ، راكتظت عليه
 ضروب الخطوب ، وحانت به أنواع المصائب من كل جانب . فقد اتصل به وهو سجين
 أن ولده الذي كان يقود احدى الفرق العثمانية وقع اسيراً في قبضة الجيش الروسي ولم

يوقف له على خبره ، وان ولده الضابط الصغير سيق الى بادية الحجاز .

وبينا هو كذلك قبضت الحكومة على ولده الفار من خدمة الجيش المقصورة الضارب اكباد الابريل في بادية الشام ، وجيء به مكبلاً بالحديد ، ولم يكذب يصيح الوالد حتى قورع سمعه ان ابنه صار مثله سجيناً في عالية ، واخيراً سل من جنبه الشاب البار الشهيد محمود جلال الى المشنقة .

وامر هذا الطاغية الاثيم بتغريب المترجم له وعائلته الى أنهي الاناضول الغربي على سبيل نقل المكان الى الأبد أسوة بأمر الشهداء والذين خرجوا من سجون عالية احياء وغيرهم . واستدعاه من السجن المرة الثالثة ليسبر خضوعه للحكومة الاتحادية بعد إرهابه بالتنكيل به وقتل ابنه ، وأخبره انه يريد ان يعافيه من مشقة النفي رحمةً بشيخوخته على شرط ان يكف لسانه من الآن وصاعداً عن القدح بالحكومة ، فما كان منه الا ان طعنه بلسان التورية طعنة أثرت في صميم فؤاده ، فغضب ، وعدل عن اعفائه من التغريب ، وأنذره باعادة التنكيل فيما اذا ظلّ مثابراً على خطته التي تغضب الحكومة ، فصدر عن مجلسه الرديب ولسان حاله يقول (اقض ما أنت قاض) . وآثر عذاب الجثمان بوعشاء السفر ، وأمر التغريب على تمذيب الضمير بالمصانعة والتزلف .

شاء الاستاذ عقب إعلان القسانون الاساسي ان يتقاعد عن اعمال وظيفته فطالب إحالته على راتب التقاعد فأجيب طلبه ولزم داره ، وعكف على مطالعة كتبه ومزاولة درسه وبحثه . لكن احد ولاة سورية اسماعيل فاضل باشا أراد ان يخرججه من عزرائيه وأراد به بالحاح ان يكون عضواً في مجلس الاوقاف . وبعد اخذ ورد وشروط شروط قبل وتذرع بمشاريع نافعة حال دون إتمامها عزل الوالي المواليا اليه . وكانت الحكومة تعينه من حين الى آخر في اللجنات الحكومية المختلفة . وقد شغرت في ذاك العهد وظيفة فنيا دمشق ثلاث مرات ، فرغب عنها . ثم عين في العهد الفيصلي عضواً في مجلس الشورى ، وقد تذرع بفرض الرواتب الشهرية لبعض العلماء المعوزين المتزوين الذين لا يعرفهم الا العلماء . وحينما أحدث المجمع العلمي العربي في ذلك العهد انتخاب في عداد اعضائه . ثم عين عضواً في مجلس المعارف الكبير . وأخيراً أسندت اليه رئاسة العلماء في دولة دمشق ، فقام على شيخوخته باعباء وظيفته احسن قيام ، فأعاد الى المسلك الديني هيبته

في الجملة بعد ان شوهته الفوضى ، وأهانته اختلاط الدخيل بالعربي ، وشرع بقربه من النظام شيئاً فشيئاً لعله باستحالة الطفرة . وحدث لدائرة الرياسة أوضاعاً تقربها من مضاهاة دائرة مشيخة الاسلام العثمانية ، بل تفوقها بادخال التجدد بالتوفيق بين روح الدين ومقتضيات العصر النافعة ، فألف لهذا الغرض وغيره مجلساً برياسته مؤلفاً من مفتي المذاهب الاربعة في دمشق وامين الفتوى وغيرهم من خيرة العلماء المجددين والمحافظين وسماه مجلس الشورى الشرعية ، وأفرز منه لجنة للنظر بالفتاوى التي ترد من جميع مفتي المحققات على ديوان الرياسة تدعى لجنة تدقيق الفتاوى لانه اوعز الى جميع منقليدي وظيفة الفتيا ان يبعثوا اليه آخر كل شهر بمجديول الفتاوى طبق الجدول الذي رسمه ديوان الرياسة . وكان يطرح على مجلس الشورى الفتاوى المصرية التي تقتضيها روح العصر ولا تنافي اصول الدين وقواعده العامة وان لم ينص عليها الفقهاء لعدم حدوثها في ايامهم . وحكمة طرحها على المجلس هو اقتصرانها بابرام قرار صادر عن جماعة من الفقهاء المحافظين والمجددين . وهذا من أسرع الخطوات الى التوفيق بين الدين والعمران والمحافظة والتجديد . مع ما يضاف الى ذلك من الابتعاد عن الاستبداد بالرأي والافتراء بالفتيا . وحظر على غير المدرسين الموظفين الوعظ في المساجد والجوامع بدون وثيقة من قبل الرياسة في العاصمة ومن قبل المفتي في المحققات منعاً لفوضى التدريس ودجل الجهال . الى آخر ما هنالك من ضروب الاصلاح والمشاريع المفيدة . وأجزلها فائدة مشروع الكلية الاسلامية في المدرسة السيمساطية لولم يحل دون اقامه مناهضة أعداء الاصلاح الديني ، ولما رأى الحكومة خذلته بعد ان آزرته بهذا المشروع بادي ذي بدء آثر الاستقالة لولا ان ثبته الحر يصون على نهضة العلوم الدينية وعمران مآهدها .

ولما عقد رئيس العلماء وشيخ الاحرار البيمة باخلافة لما بجلالة الهاشمية الحسين ابن علي كلفته الحكومة ان ينذر خطباء المساجد بقطع روايتهم فيما اذا ظلوا مشايخ على الدعاء للسلطان حسين ، فرفض واعتزل منصبه ، فلقبته حينئذ الصحف الحرة بشيبة الحمد ، ولات ما بين أعمدتها سطور الثناء عليه .

عاد عميد المجددين الى عزله بعد الغاء وظيفته ، وعكف على مسامرة كتب العلم

وعبادة ربه معرضاً عن مظاهر الدنيا وعشرة بنيتها . لكن امقادير شسابت ان نبرهن على مفاداته في سبيل المصالح العامة حتى في أواخر ايام حياته ، فقد تقلد قبل مرضه موته رئاسة مؤتمر الأوقاف الاسلامية اجابة لدعوة منتخبه الوافدين الى دمشق من انحاء قطر الشام ، مقابلاً عجز الحرم وآلام السقم بقوة عزيمته .

وبالجملة فان فقد الاستاذ البخاري ثلم بصعب سده فاته نادرة بين العلماء الدينيين فلا غرو اذا بكاء العرب والاسلام في بلاد الشام وغير الشام .

دمشق : محمد سعيد البالي



الفرق بين تربيتنا

وتربية أهل الغرب (١)

يا سيداتي

كنت أتحامى منذ سنين ان أقف هذا الموقف على منبر المجمع العلمي لا حدثكن كما حدثت الرجال عشرات من المرات باحاديث تاريخية واجتماعية وأدبية . ذلك — لاني كنت أفضل ان ثولين بانفسكن محاضراتكن لعلي بان السيدات أعرف بما يصلحهن من الرجال يستطعن الوقوف على الروح النافع في ثقافتهن ، ومع هذا فقد اكتفيت في بادئ الامر بمن رجوته من شيوخ اعضاء المجمع وغيرهم ان يحاضرن الحين بعد الآخر ببعض ما يروفرن من الموضوعات وأسفت ولا أزال أسفاً لانه قل منكن الآنسات والمقائل اللاتي تفضلن فألقين على مسامعكن محاضرات على مثال محاضرات الرجال . وقد وعدني هذه المرة معظم إخواني أعضاء المجمع بان يتولوا بعد الآن القاء محاضرات عليكن منوعة الأساليب بحسب اختصاص كل واحد منهم واعترفوا معي بانهم قصروا بخدمةكن في السنين السالفة فحصروا وكدم في محاضرات الرجال وكان الاولى ان تقسم هذه العناية بين الجنسين . وعسانا لا نقصر في هذه السبيل وأعود فألح ان بتقدم بعض فضليات السيدات لالقاء الافكار التي يرين فيها فائدة لجنسهن اللطيف . والمجمع مستعد بان ينسج لمن المجال ليقطن ما شئن من الموضوعات الادبية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ليداعدن بنات جنسهن على النهوض والتفري وهذا فرض على أعناقهن لا يقوم به سواهن . مما أفر الشرق ان المرأة لم ينظر اليها نظر العناية الا في العصور الاسلامية الراقية . فلما انحطت الامة عادت المرأة الشرقية سيرتها الجاهلية الاولى وغمطت حقها من الحياة الراقية ولم تعد لها ادنى مشاركة في الاعمال العقلية . وبذلك زاد المجتمع الاسلامي

(١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير معارف دولة

سورية القاها على السيدات في بردهة المجمع يوم الجمعة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨

١٩٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٧ .

انحطاطاً لأن نصف أعضاء المجتمع وهم النساء لم يربين التربية الاجتماعية اللازمة . حقاً ان الشريعة السخوة اذا اعطت المرأة حقوقاً ترفع من شأنها فان القائمين على تنفيذ الشرائع وهم الرجال لم يضعوا المرأة في المكان اللائق بها حتى آل الامر لاث يعتقد كثير من المغفلين ان النساء اداة من ادوات البيت تستخدم في بعض الأغراض والأهواء وليس لها وظيفة غير ذلك . تشرى وتباع بحسب رغبة الرجل واراادته فقط تعطى وتمنع على الهوى . وكأن ارادة المولى تعلقت ان تبدو شعلة ترقى المرأة من بلاد الغرب بعد ان اشرقت زمناً طويلاً في هذا الشرق فأخذ البنات يتعلمن كالفتيان وهضت الأجيال والمرأة تنافس الرجل هناك في التعلم والعمل حتى استرجعت بعض حقوقها المضمومة وفاقت الرجال في كثير من الأعمال بقدر ما تسمح لها حالتها ووقتها وظيبتها .

واذ قد اصبح الغرب مدرسة العالم كله وكانت مدينته ارقى المدينيات دعشنا الحاجة المبرمة لان نقبس منه كل ما قام به امره واستقامت وغائبه بقدر ما ينطبق مع عادتنا وتقاليدها وبثلاثاء مع هوائنا وسمائنا . ولكل أمة مقدساتها ومؤسساتها اذا زهدت فيها تذهب مسحة كالحلما وجمالها .

حقيقة ان المرأة مقصورة في هذه البلاد عن بلوغ شأو النساء في الامم الراقية اليوم قصوراً مخجلاً كان آلة الملل في ضمننا بكل نقص ورمينا بكل كبيرة ولكن الذنب ذنب الرجال لا ذنبها . هي ضعيفة واغتنصها القوي حقها ونظر اليها غير نظر الغربي للنساء بل غير نظر الاسلام اليها ولكن هذا التقصير يجب ان يداوى وهذا النقص يجب ان يسار به نحو الكمال .

ولم ار في عيوب الناس شيئاً . كنقص القادرين على التمام .
تعرفت في الشهر الماضي في القطار من بروكسل الى باريس بانسة في نحو الثلاثين من عمرها وهي ابنة احد اساتذة جامعات البلجيكي ومن أعضاء مجمعها العلمي فذكرت خلال الحديث اسفها لكونها لم تتعلم التعليم العالي لان اباه لا يقول بتعليم النساء العلوم العالية بل ان يقتصر في تعليمهن على التعليم الابتدائي علماً منه بان الاخذ في العلوم العالية من الامور البديهية التي لا يحتاج تحقيقها الى مناقشة فكيف يقول والدها بغير هذا القول ومكانته مكانته من العلم والتجارب .

فقلت للسيدة ان اباما على حق في رأيه لانه شاهد اقبال النساء في بلادكم على تلقف العلم العالي تخاف ان يؤدي الحال بالنساء لان يخرجن عن المنزلة التي وضعتن فيها الفطرة او الطبيعة لان المرأة واجبات شاقة غير واجبات الرجل ربما اخرجها التعليم العالي اذا كثرا لاقبال عليه عن القيام بها وصرف وجهتها الى مواطن أخرى من الحياة ثقل فيها الفائدة ويظهر العجز . وهناك تتزعزع اركان المجتمع ولنهار دعائم المدنية والقومية . ولكن هذا الكلام اذا سمع عن بلاد البلجيك وليس فيها من لا يقرأ ولا يكتب من الرجال والنساء فلا يصدق على هذا الشرق القريب وقل فيه جداً عدد المتعلمات ومن درسن العلوم المالية اندر من الكهريت الأحمر ولا اثر لمن . فاذا كان الافراط في تعليم المرأة العلوم الخفيفة العالية اصبح شيئاً مرغوباً عنه في ارقى بلاد الغرب وهو الصواب فان التفریط في عدم تهذيب المرأة حتى التيهذب البسيط شيء مرغوب فيه كل الرغبة . والشئ يرتفع ثمنه لندرته ويرخص في القيم وتزهد فيه النفس اذا زاد عن الحاجة عدده فابتذل .

الحياة ميدان جهاد بين الناس لا يختلف فيه ذكر عن أنثى ولا اسود عن ابيض ولذلك رأينا الغرب لما تمت ادوات ترقيه قامت المرأة تغالب الرجل فتغلبه او تكاد . لانها نافسته في المعامل وفي المخازن وفي الحقول وفي الاستخدام فمعظم الفنادق والمطاعم والمقاهي والاندبة والمصارف وبيوت التجارة هي بايدي النساء فالنفس فيها الرجل فتغلبه وجدلته بل اخذن بنافس الرجل في المستشفيات من تمريض وتطبيب وفي المعامل الكيماوية بل وفي التأليف والصحافة والكتابة والحمامة والحساب . فتأليف النساء في الغرب كثيرة جداً وكلامهن في النظم والنثر مقبول اكثر من كلام الرجال والحاميات عن قضايا الناس موفقات ببلاغتهن وجربنتهن اكثر من الرجال والصحافيات نافذات الكلم مؤثرات في الاحزاب والنواب ، وبلغ بهن الترقى هناك ان كان منهن النساء الطيارات والغواصات وما ادري اي صنعة من الصنائع في الغرب لم تشارك فيها المرأة الرجل ولم تسرمعه جنباً الى جنب السير المشيل للثيل .

بل ان السيدات في بعض البلاد قد نلن حقوقهن في النيابة عن أمهن وثمن بهذا الواجب على ما يقتضيه وما زلن يجدات لياخذن جميع حقوقهن التي سلبها الرجل منهن

بقونه منذ الازمان العجيبة الاولى . وانتبهز الرجل فرصة جهل المرأة فاشتط في اغتصابه حق غيره وادعي الارجعية والاولية . شأن القوي مع الضعيف في كل عصر ومصر . اذا عرفنا كل هذا فمن الحق ان يقال ان المرأة الغربية ظلت قروناً وهي تقاوم الرجل في نيل حقوقها ولم ييسر لها بلوغ هذا المبلغ من الترقى حتى جاءت عدة بطون كان كل بطن ارفى من سالفه فاذا رأينا نحن ابنا هذا المصر نهضة المرأة الغربية وما يصدر عنها من اعمال عظيمة لا ينبغي ان تأخذ منا الدهشة مأخذها وان نذهب الى ان هذا مما تم على ايسر حال وما هو في الواقع الا ابن الأجيال الطوال . فقد سئل احد رؤساء الجامعات في اميركا ما هذا الذي وصلت اليه من درجات المدنية فأجابه انه نتيجة بضعة بطون ارتقت كان كل بطن يأتى اقدر من سبقه وهكذا حتى تكونت جراثيم الترقى على مارأينا في هذا المصر فدنيتنا بمجموعة جهود وعمل بطون كثيرة في شتى القرون .

من طبعنا معاشر الشرقيين ان نطلب في الحال إتمام العمل على اي صورة كانت من القص الظاهر ومن طبع الغربيين ان يتموا العمل على ما يجب ان يكون . ولذلك نرى كل يوم الفرق بين صناعاتنا وصناعاتهم وعلومنا وعلومهم واعمالنا واعمالهم وان الاختلاف بين الشرقيين والغربيين بعيد يكاد يكون على مثال المسافة المحسوسة بين الشرقيين والمغربيين . نعم من طبعنا ان نتجمل الشيء قبل اوانه ومن نطلب الشيء قبل اوانه عوقب بحرمانه .

فالمرأة الغربية كما قلنا هي في تمدنها هذا ابنة قرون طويلة ونحن اذا جئنا تقلدها في كل شيء نخطئ خطأ شديداً لان المرأة هناك جرت على سنة النشو والتكامل . وبديهي اننا لانستطيع ان نرتجل تربية خاصة لامة ترى الفرق محسوساً بين عقليتها وعقلية غيرها . نحن الان نحتاج الى ان نأخذ من اوربا في تربية نساءنا ان يكن على شيء من الصبر والثبات اولاً وان يتعلم ما امكن جميع النساء التعليم الابتدائي وقليل منهن يتعلم بحكم الطبيعة والحاجة التعليم الاوسط او العالي وان تعمل كل امرأة واجبتها نحو ابها وأما وزوجها واولادها . ولكن الوصول الى هذه الدرجة نحتاج الى ان نعمل له ثلاثين سنة أخرى على الاقل وأن نقوم الطبقة المثلى منهن بتجتم وتفكر وتقدر وتقرر وتنفذ فاحك جسمك مثل ظفرك . نعم يجب اعتماد النساء في نهوضهن على عملهن الخاص واجتهاد افراد منهن فقد تركن الحيل على الغارب وانكنا على الرجل في كل شيء فأصبح الاتكال لمن خلقا السن به ولم يعدن

ينكرته فضاعت مع الزمن بعض مزايا كانت مغروسة في بنات حواء واصبحت وظائفهن محصورة في دائرة ضيقة وتزيد ضيقاً كلما كان الرجال يحورون عليها وينحط المجتمع حتى بلغ ضعف العقول في الرجال ان اسقطوا انفسهم واسقطوا معهم شركاء حياتهم بتحكمهم البارد وآرائهم التي لا مبرر لها من شرع وعقل .

اعود فأقول ان في المدنية الاوربية يأسيداتي عيوباً كما فيها حسنات فحسناتها اكثر من ان تعد ولكن لما كانت هذه المدنية اميل الى الماديات جاءت فيها نقائص ارجو ان لا تقتبسها ولا ان تأخذها بدون قيد ولا شرط فقد طمنت الفضائل في قلبها بكثرة الاخلاط الجنسيين في المعامل والمصانع والحال العامة ففسد نظام الأسرة وقل النسل . وعلماء الاجتماع والا-لاق في اوربا واميركا اليوم ينادون بالويل والثبور ويحاذرون مما اصاب المجتمع الغربي وبصيه بسبب هذا النقص والرجاء معقود ان لا تدخل اليها هذه العادات التي ما استولت على أمة الا وافسدت نظامها وقربت اوان انجلاها .

فالواجب على مجتمعاتنا اذا ان يأخذ عن الغرب ما ينطبق مع تقاليده وعاداته في الجملة يأخذ التقادة ويرمي بالنفاوة . ولا ينقيد كل هذه القيود ولا يفلت كما هو الحال هناك من كل قيد ، ومن العادات ما لودخل في مجتمعنا لزيد شره المستطيراضةافاً ، وتعجني ابيات حافظ ابراهيم في الحجاب وفيها التوسط المقبول المعقول :

انا لا اقول دعوا النساء سوافراً	بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع	يحذرن رقبتن ولا من وافي
يفعلن افعال الرجال لواهيأ	عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة	كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا	في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهرأ	خوف الضياع نصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثأ يقننى	سيف الدور بين مخادع وطباق
نتشكل الازمان في ادوارها	دولأ ومن على الجود هواق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا	فالشر في التقيد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها	في الموقفين لمن خير وثاق

وعليكم انت تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي
نعم ياسيدياتي خيرا الامور الوسط والواجب على كل رجل وعلى كل امرأة ان يقوم
بواجبه على ما يجب وبقدر ما يجب في الحين الذي يجب ولن يحمل نصب عينيه اولا الغرض
الاسمي من التمدن . فالعنة كنز ثمين يرجو كل عاقل ان لا يسلب منا ، فقد اتفق لنا في
الادوار السالفة والخالفة ان كنا من العفاف على جانب تجسدنا عليه الامم وكنا متمدينين
عالمين ولنا دول خضع لسلطانها ام اجزاء العالم وكنا حملة العلم والآداب ودعاة فضائل
واعمال . وكان من نسايتنا المجاهدات والمرضات والعالمات والمحدثات والمقرئات والاديبات
وكن يشاركن في كل خير فقد رأينا قسماً مهاباً من مدارس دمشق القديمة من وقف ربات
الخير من النساء فلو لم تكن لمن ثقافة عالية هل كن يفكرن في مثل هذه المبرات ؟ .

لبس في الاديان السماوية كلها ما يعوقنا عن المضي في سبيل التعليم والتربية وهذه
اول درجة في سلم ارتفاع البشر فيجن في نهوضنا لانلام اذا طبقنا النقل على العقل وشرعية
هذا السواد الاعظم في ديارنا مرنة تطبق في كل عصر ومصر اذا كانت ايدي القائمين
بالامر رشيدة حاذقة بعيدة عن الجور والجهل المميت . قلت في محاضرة الاسبوع الفائت
ان سر مدينة الغرب دؤوب دام قروناً مطرد الاوائل بالواخر ونظام نافذ لا يرحم من
لا يهمل ولا يهني على جاهل وضعيف . الغربي يحفظ بالقديم ويتهالك في اقتباس الحديث .
والشرقي جمد على قديمه وقلمأخذته نفسه ان يأخذ الحديث الا بمحيطه شديدة وبطء مؤسف
حتى بلغ به ضعف المدارك ان اصبح يجادل في البديهييات من غير استحياء واذا جئت ننظر
في العم والمضاء بين الشرقي والغربي فهناك جماع فضائل الغربي وهناك ينقطع الشرقي
وينفاوت اليون بين الخلقين والجيلين .

هناك يفتي الفرد في المجموع وهنا يعبت الفرد بالمجموع وبحق ما قال بعضهم الغرب
هو التسلط على الطبيعة بالعمل ، والشرق هو استثمار الانسان للانسان وقد جود حافظ في
النظير بيننا وبين الغربيين فقال :

شمسهم عادة عليها حجاب	فهي شرعية حونها الخدور
شمسنا عادة ابت ان توارى	فهي شرعية جلاها السفور
جورهم في ثقل واختلاف	غير ان الثبات فيهم وفيه

جونا اثبت الجواء ولكن ليس فينا على الثبات صبور
ولديهم من الفنون لباب ولدنيا من الفنون تشور
فاذا ماسألني قلت عنهم امة حرة وفرد اسير

كانت الممالك تقوم عندنا بالافراد النسابين من الحكم اذا ذهبوا انقطعت اعمالهم
وممالك الغرب تقوم بالجماعات اذا ملك الفرد لا يكاد يشعر به و يأتي بعده من يتناول
عمله فيتمه ولا يخطر بالبال ان ذلك مما تنأذى به عزة نفسه لانه - ار على - من من تقدمه
فالغرب اقرب الى تسلسل الفكر او قل هو اقرب الى القسانون والشرق مضيعة للتسلسل
وربيب الفوضى . اذا قيل ان مدينتي الغرب مادية صرفة لا شأن فيها للمعنويات فمدينة
الشرق مغموسة بالمعنويات والشأن فيها للماديات قليل او هو فيها امر ثانوي لا يؤبه له
يقال ان ماديات مدينة الغرب اكثر من معنوياتها فهذه للادلى تبغ ومعنويات المدينة
الشرقية اكثر من مادياتها وزادت ضعفاً على ضعفها في العهد الاخير فأصبحت ضئيلة في
معنوياتها ومادياتها . والماديات السلم الموصل الى بلوغ كل قوة . واي معنويات تبقى ان
تجرد من المادة وهل من غناء للضئيل في المجتمع كالقوي .

ومن الانصاف ان يقال اننا بقدر ما نرى في المدينة الحديثة من فضائل نرى فيها
ما يقابلها من رذائل ولكن الفضائل تبرز على غيرها كثيراً . فالامثل بقومنا ان يقتبسوا
الخير ويغضوا الطرف عن الشر . ولوعقلنا لما سرنا الا على هذا المنهاج ولنا ملأ ملياً قبل
ان نطرح عادتنا ونقتبس غيرها . انت اوربا بهذه المدينة الساحرة فانتفعت بعملها
الانسانية جمعاً ويقتصر النقص القليل فيها في جنب ذلك الكمال . ولا نقول الكمال
المطلق لانه لا يرجح ان يكون في هذا البشر ولا وقع في عصر من عصور التاريخ
الذي انتهى اليها .

اخرعت اوربا اموراً خففت بها امراض الانسان . واخرعت اموراً تعجل في
ازهاق روح الانسان . ونظنها في الاولى اتق منها في الثانية . اخرعت ادوية قللت
من عدد الوفيات كمعلاج الجدري والحُميات والابوشة والامراض الزهرية والكزاز
(تيتانوس) والخنق والنقرس الحاد . وكثرت بالمدينة امراض السرطان والسل واوجاع
القلب والكلى والامراض العصبية والعقلية . وكان معظم انتشار هذه الامراض من

ازدحام السكان في بقعة واحدة ومن رغبة الفلاحين في مغادرة القرى الى المدن واتخاذها سكناً . فالمدن في الغرب يزدهر بها سكانها بمن يهاجر اليها خاصة من القرى لانهم يذهبون الى ان العيش في المدن ارفه واربح .

رأى القرن التاسع عشر البخار والكهرباء ومنهما نشأت اكثر ادوات هذه المدنية الحديثة ، فكان من ابرك القرون على الانسانية . واخترت امور في الطب والجراحة تخففت من وبلاات الطواعين والادوية والامراض الوافدة ولكن بدأ فيه استعمال المورفين ثم تبعه الكوكايين والهيروين وكل ما فيه داء دفين وكثرت السموم من المشروبات الروحية فأضررت بالعقول والاجسام . ورأى القرن العشرون انواعاً من الاختراعات فعرف الراديو واخترعت الطائرات والسيارات والفراصات الى غير ذلك مما فيه خير كثير وشر قليل . وليس في العالم خير محض ولا شر محض .

يقول رجال الطب والصحة ان هذه الحياة الشديدة والنشاط المتواصل والحرص الذي استولى على النفوس سيؤدي بالمدنية الحاضرة الى الهلاك ويقضي على العناصر والشعوب ويقلل ايام الحضارة . ذلك لان اهوية المدن مشبعة بالبخار والغازات الضارة وقليل او كسيفينها . وفي هذا المحيط القدر تكثر الامراض وتنتقل من السقيم الى السليم بسرعة وبكثرة الفحش والمسكرات والموبقات . فكان معظم هذه العيوب خاصة بالبلاد الصناعية . وللصناعة ادواء كما لغيرها من اعمال الناس . وكيف تجود الصحة مثلاً في مدن لم يكنف اهل الغرب ان يبنوا على سطوحها بل اخذوا يبنون بيوتهم في جوها . فالبيوت ذات الستين والسبعين طبقة في نيو يورك مثلاً أصبحت من الامور العادية وقد قدروا عدد السكان في كل كيلومتر واحد من هذه المدينة العظيمة فبالغ مائتي الف ساكن . واما البنايات ذات الطبقات العشر في اوربا فهي من السذاجة بحيث لا تحتاج الى بحث ولا نظر ولا توجب دهشة ولا استغراباً .

ثم ان الصناعة في الغرب قللت من رغبة الناس في الزواج لان العاملة لا تستطيع ان تكون ربة بيت وهي تعمل طول نهارها وجزءاً من ليلها في المصنع فقللت المواليد في فرنسا اولاً فتزل معدلاً في مئة سنة من ٣٥ في الالف الى ١٨ ثم أصيبت بهذا النقص ايضاً بريطانيا العظمى والمانيا وايطاليا والولايات المتحدة ثم استراليا ثم سويسرا وهي من

البلاد التي بلغت ليهما المدنية ارقى درجاتها . وتمذرت الحياة المرفهة على الناس فأخذ الكثير من اهل المدن لا يفكرون في الزواج واذا تزوجوا ارتكبوا كل منكر ليفسدوا طرق الناسل و يصابوا بالعقم على العمر . اعرف عشرات من الرجال المذكورين في مجتمعهم وقد بلغ بعضهم سن اليأس فلم يتزوج اي بلغ الشيخوخة ونحو العشر الآخر أولاداً والنسمة الا عشر الثانية عاش اربابها عقاء . وربما يتبادر الى الذهن ان اهل الغرب اذا تزوج كل من كان منهم في سن الزواج زادوا ضعفين او ثلاثة عما هم الآن . وهذا معقول ولكن أكانت بلادهم تؤويهم ونظمهم ؟ ام كانوا يهاجرون بحكم الطبيعة الى آسيا و افريقية و يعمرن الاصحاح الغامرة منها . ولعلمهم يفعلون ذلك في مستقبل الايام خصوصاً اذا عاجلوا مسألة الناسل بعد ان عرفنا ان معظم الامم الاوربية اصبحت لا تزيد مواليدها الا قليلاً .

حدثني الاستاذ مرجليوث ان عدد النساء في انكلترا اليوم يزيد على عدد الرجال مليونين وهذا من المضلات الكبرى في حياة الانكليز . وانا اقول ان ذلك اخرجهم عما كانوا معروفين به من الصيانة . ولقد كان من المشهور ان انكلترا اقل الامم الغربية الكبرى فساداً واقربها الى الاخلاق الفاضلة ولكن الحرب العامة كشفت الحجاب عما كان مستوراً بعض الشيء وزاد في العهد الاخير سوءاً فأخذت المرأة في انكلترا تستمتع بحرية ما كانت لها وكادت حال البلاد البريطانية تشبه في هذا الباب حال فرنسا و المانيا و ايطاليا و اميركا .

وبعد فان علة العلل في الشرقي انه لا يتعلم صناعة فينتقنها بل يقف عند شفير الوادي منها لا يتحدث نفسه ان ينجس فيها اخصاء الغربي وان يرقى بها الى اعلى القمم . وكل مركز مصنع تطال اليه صاحبه بدون ان يعد ادواته يسقط من حيث يريد الصعود . والتلفيق لا يكون كالتحقيق مما طليته بطلاء ظاهر وحليته بما تراه جميلاً من حل . واذا الشيء لم يأخذ من نفسك لا تبرز فيه .

وعلى الجملة فان حسنات الغرب في باب العمليات أعزود عليه من حسنات الشرق على ما يظهر فانها هنا تجمد عند حد الانظار او النظريات .

انتهى المنقول من كلام طويل القيتة على الرجال في الاسبوع الماضي . بقي ان اقول ان

السعادة لا تدخل بهوننا حقيقة الا اذا تعلم النساء وتهذبن التهذيب العصري الممزوج بأدابنا الاصلية وكل شيء موقوف على العلم ، فقد شهدنا اثره في كل بيت وفي كل عمل .
ولكم رأينا الفرق محسوساً بين بيت درست ربه بضع سنين في مدرسة بسيطة وبين دار صيدة لم يكتب لها ان شغلت عقلها بالدرس ولا قلبها بالتعلم . عصر الأمية انقضى والامية من أعظم عيوب هذه الديار واول نقص يجب معالجته . وبالامية انتشرت فينا أمراض أقلها محاييلك أمة بامرها . وبالامية ولا سيما بين النساء شقيت أمثنا قرونًا فكانت في مؤخرة الامم المنحطة حتى أصبحوا يتعموننا في الغرب غروب التهم . بل أصبح الرجل منا اذا جرى حديث المرأة الشرقية لا يعرف كيف يتخلص من بحث هذا الموضوع اذ يجد أمامه شوكة وعوسجاً يصيب رجله ويديه ووجهه فيرتبك في امره .

سيداتي أخاف ان أسترسل على هذا النحو في محادثتك وأخاف ان أكرر الحديث لئلا أدخل السآمة على نفوسكن . فالحديث المعاد بارد والكلام في بديهيات المسائل ابرد . ولولا انكن من طبقة الدارسات ومن ربات بيوت معروفة بالعلم والتهذيب لما جسرت ايضاً ان أحدثكن هذا الحديث . وغاية ما يرجوه كل من يحب أمته ان يقوم كل فرد بواجبه قولاً وفعلًا ظاهرًا وباطنًا وبذلك تستقيم أحوالنا .

قرأت امس في كتاب جديد لعالم عربي أغترب كثيراً في بلاد الغرب وقابل بين أمثنا وبين الامم الاخرى نبذة مؤثرة وصف فيها العرب قال : « عرف عنا نحن العرب انا ميالون الى التطرف في كل شيء ، الى تضحية النفس والى الأناية الزائدة الى الحب العذري والى التملك ، الى الصداقة النادرة والى الحق اللانهاية له ، الى التسأل الى الشغف بالماديات ، الى الديموقراطية الحقة والى عبادة الشخصيات البارزة ، الى الاعتماد بالنفس وشدة الاعتماد عليها ، والى سرعة اليأس والسقوط في القنوط عند اول صعوبة نجدها في طريقنا ، وبعبارة أخرى ان في الامة العربية قوى عظيمة تارة تدفعها الى أشرف الاعمال وطوراً الى أسفلها وأخسها » .

قال وسبب ذلك على ما يظهر له ان هذه الامة العظيمة الذكية العاقلة على الاطلاق تعيش وتتمسك بمواطنها القوية أكثر مما تعيش وتتمسك بعقولها وتسير في حياتها واعمالها اليومية بقرة المصالح الشخصية التي لا تترك سبلاً للعقول عليها الا طرقة . هذا تار يخنا

يشهد علينا اننا قوم ذوو ذكاء ومقدرة على الاعمال وذوو نظر بعيد ولكننا سراع التأثر
ضعاف قوة التوازن . ومسرعان مانقع في اليأس ان اصابتنا مصيبة . وان اصابتنا حسنة
اخذنا سورة الفرح وكذا نفقد رشدنا . قال وهذا الحكم ينطبق على الافراد والمجموع
ويجري على كبيرنا وصغيرنا وعالمنا وجاهلنا الا ما ندر .

وانا أقول ان في هذا الحكم القاسي شيئاً من روح الحق والانصاف ، بيد ان هذا
التخلق المائل في كل طبقة اننا لا سبيل الى معالجته الا من طريق الام ، فالام مدرستنا
والام مرشدتنا ، والام عمدتنا في نهضتنا ، والام سلوتنا في خلوتنا وجلوتنا ، وعليها
نعقد كل الآمال في جميع الاعمال . اما هي فعلها نبعات ومسؤوليات ، واجبها كثير ،
وببدها مفتاح كل خير ، ولو صحت نيتها ان تدفعنا شوطاً الى الامام لكان لها ذلك ،
لأنها متحركة في كل شيء ، مؤثرة في المجتمع ، تلبسه متى أحبت الصورة التي تستحسنها
فقد قال الزصافي :

ولم أر للخلائق من عمل	يهذبها كحفن الامهات
كحفن الام مدرسة تسامت	بتربية البنين او البنات
واخلاق الوليد تقاس حسناً	باخلاق النساء والولدات
وليس ربيب عالية المزايا	كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان	كمثل النبت ينبت في القلاة



فصح وشوارد

أُثْمِرَت الشجرة : خرج منها الشري . قال أبو حنيفة يقال لمثل ما كان من شجر
القضاء والبطيخ شري كما يقال لشجر الحنظل . واستثمرت الشجرة : كان لها شري .
وسوط الكراث : اخرج مياطه وهي قضبان الكراث التي عليها زمايلة .
وعلف الطلع وأعلف : خرج علفه وهو ثمر الطلع يشبه البسائل الفضة يخرج
قترعا الا بل الواحدة علفمة .

وأزمت الحبة : عظمت زمتها والزمع عُد تكون في مخارج عناقيد الكرم .
وشكرت النخلة : خرج منها الشكير وهو فراخ النخل .
وأغصنت الشجرة : أنبت أغصانها . وعسلجت : اخرجت عسلجها . والعسلج
والعسلوج والعسلج : ما لان واخضر من قضبان الشجر والكرم ابل ما أنبت .
وعذق الاذخر : صارت له عذوق وشعب . والعذق كل غصن له شعب . وشكرت
النخلة : كثر شكيرها .

واستأرض الفسيل : صار له عرق في الارض . وعرق الشجر وأعرق وتعرق
واعترق واستعرق : امتدت عروقه في الارض .
وليفت الفسيلة : غلظت وكثرت ليفها .

وأثريت السمرة ثلثي لثي : خرج منها اللثي ونديت فهي لثية قال أبو عمرو اللثي
ماء يسيل من الشجر كالصمغ فاذا جمد فهو صمور . وثلثي الشجر : سال منه اللثي .
واصمغ : سال منه الصمغ .

واغثر الرمث : سال منه المغثور . والمغثر والمغثار والمغثور شيء ينضج الثام والعشر
والرمث مثل الصمغ وهو حلو كالغسل يؤكل وربما سال لثاء على الثرى مثل الدبس وله
ريح كريهة ج مغائر وبنون منه فعلا فيقولون تمغثر الرجل اي اجثنى المغثر .
وعشب المكان : نبت عشب فيه عاشب . وعشبت الارض : نبت عشبها وكذا
عشبت وأعشبت . وأبشرت : اخرجت بشرتها اي مظهر من نباتها . وأبقلت : أنبت
البقل . وألحست : أنبت ما تلحسه الدواب . وألعت : صار فيها لمعة من البقل .

وأذرفت : انبتت الذُرْق وهو الحند فوق . واصغرت : صار نباتها صغيراً .
وقد تموّء المكان اي صار مموّهاً بالبقل . وأثغم الوادي : انبت الثغام وهو شجر
ابيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيوخ . واحدته ثغامة . قال الشاعر يخاطب نفسه :
أعلاقة أمّ الوليد بُعيد ما افتنان راسك كالثغام الخلس
وأبهمت : انبتت البُهْمى — وكثير بهماها والبهْمى نبات يشبه الشعير ولعله المسمى
عند بعض العامة بالشففون . وبديت : صارت بذات بداءة اي كماء وتراب .
واحفلت : صارت حقلاً . واحاجت واحيجت : انبتت الحاج وهو الشوك .
وادرمت : انبتت الدرماء وهي نبات احمر الورق .
وربّلت واربلت : انبتت الربل وهو نبات شديد الخضرة .
وارطت : اخرجت الارطى وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمره كالعناب واحدته ارطاة .
وارغلت : انبتت الرُغل وهو نبت . واشاحت : انبتت الشيح .
واغفرت : نبت فيها شيء من الغفر وهو نبات ربيعي ينبت في السهل والآكام كأنه
عصافير خضر قيام اذا كان اخضر فاذا يبس فكأنه حمر غير قيام .
وأضيمت وأضالت : انبتت الضال وهو من السدر ما كان عذياً وقيل السدر
البري — وشجر آخر .
وألعت : انبتت الأعماع وهو نبت ناعم في اول ما يبدو الواحدة أعماعة ومنه « انما
الدنيا ساعة . ومتاعها لعاعة » اي قليل البقاء كالنبت الأخضر .
وأقصت : انبتت القصيص وهو نبت ينبت في اصول الكماء وقد يغزل بمائه الراس
وفي اللسان القصيص شجرة تنبت في اصلاها الكماء ويتخذ منها الغسل .
وأخت : انبتت الاخوان وهو نبات له زهر ابيض . وفي وسطه كتلة صغيرة صفراء
واوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الاسنان .
ونشرت : انبتت النشر وهو انكلا يس فأسابه مطر دُبر الصيف فاخضر وهو
ردي للراعية يهرب الناس منه باموالهم .
وظفرت : اخرجت من النبت ما يمكن احتفاره بالاظافر .
ودغلت : صارت ذات دغل (الاساس) والدغل هو الشجر الكثير الملائف — واشتباك

النبت وكثرته . وأدغلت : كثر دغلها . واستكلاّت : صارت ذات كلاً .
واقصبت : كان فيها قصب . واقضبت : صارت مقضاباً اي نبت القضيّة كثيراً
والقضب كل شجرة طالت وسبقت اغصانها — وشجر يتخذ منه القسي — والقت .
وجريزت واجرزت : صارت جرّزاً وهي الارض أكل نباتها أو قُطع .
وحرّبت : كان فيها حرّبة وهو ما يتجبر (يخضر ويورق) من العشب والشجر بعد اليباس .
وأفقلت : صارت ذات فقل اي ريع تقول هذه ارض كثيرة الفقل .
وأورست : صارت ذات ورس وهو نبات كالسمسم اصفر يزرع باليمن ويصبغ به ويتخذ
منه الغمرة للوجه فاذا جفّ عند ادراكه نفقت خرائطه فينفض فينفض منه الورد .
ويقال تمت الآكام بالنبت اي ظهر عليها كالعمامة .
واكدست الارض : تمّ نباتها والنفّ حتى كأنها لبسته .
وقد أراض الله الارض اي جعلها رباحاً .
وأدلت الارض : اخضرت بالأدلاس والدلس نبت يورق آخر الصيف وقيل
بقايا البت والبقل ج أدلاس . واهيجت : بهج نباتها . وجذّت وتجنّدت أخرجت
رجّها اي زهرها ونورها .
وقد اعشوشبت اي كثر عشبها . وحطبت : كانت كثيرة الحطب ومثله احطبت
قال الشاعر :

وادر حطيب عشب ليس يمنعه من الانيس حذار اليوم ذي الرّحج
وبرّخت : ابرخت : كثر بارضها وهو اول ما تخرج الارض من نبت — ونبت الارض .
وأجبات : كثرت جباتها وهي الحمر من الكماء قال ابن احرر : الجبأة هي التي الى
الحمر ، والكماء هي التي الى الفبرة والسواد ، والفقة البيض وبنات أو بر الصغار .
وأجنت : كثر جناها وهو ما يجنى من الشجر مادام غضّاً — والرطب .
وأحشت : كثر حبشها او صار فيها حبش . وأخمرت : كثر خمرها وهو
ما واراك من شجر . وأخلت : كثر خلاها وهو الرطب من النسات . وأدغلت : كثر
دغلها . « النيك » : سالم خليل رزق

آراء وافكار

كتابة الحمزة

جال بخاطري ان اكتب هذا المقال وانا ادرس طلاب اللغة العربية كتابة الحمزة ، اذ ذكرت الصعوبات التي كننا نصطدم بها ابان التلمذة عند درسها ورأيت بام عيني الجهود العنيفة التي يبذلها اليوم التلامذة للوقوف على كتبها والتوصل الى كتابة كل همزة دون خطأ .

ان معرفة كتابة الحمزة لقلبي معرفة ما بنيف على عشرين حالة : فالحمزة في بدء الكلام لها اصول تختلف عن الاصول المتعددة التي لها في الحشود الطرف . ولا اورد هنا القواعد كلها خشية الملل فأذكر الامثال الموضوعة التي تمثل أنواع تلك القواعد في كل مثل تكتب الحمزة على شكل مختلف .

أَمَلَة • إصْبَح • لَوْم • ذُب • رَأْس • إئِذْن • أَوْثَمْت • سَأَل • سَتِمْ •
لَوْم • مَاب • مُؤْت • رِفْة • رُوُوف • لَتِمْ • يَسَأَل • يَأْوُم • يَبْشِس •
الرَّاي • الرَّاي • بَقَاؤُهُ • بَقَاءَهُ • بَقَائِهِ • قَرَأَات • جَزَاء • جَرَوْ • قَرَأ •
صَدْرِي • نَشَأ • لَوْلَا • خَطِيئَة • قَرَأَة • مَرِيضَة • مَلَأَى • سَوَى •

هذه هي الامثال التي تمثل مختلف القواعد التي وضعها الصرفيون لكتابة الحمزة . فانت ترى انه يمسر على الطالب ان يجمع في ذهنه كل هذه الحالات : الحمزة في الابتداء • في الوسط • في الطرف • متحركة • ساكنة • قبل مفتحة • ضمة • او كسرة • وقعت بعد حرف مد • او قبل تاء التأنيث • بين الالف والياء • او غير الياء وهلم جرا . . كل هذه الامور يجب ان يفكر فيها الطالب عندما يحاول كتابة همزته دون خطأ .

لما ذا كل هذا ايها اللغويون ؟ ما القصد من الخط ؟ أليس القصد هو ابصال أفكارنا الى غيرنا بطريق الكتابة • فلو كتبنا مثلاً جَرَوْ بهذا الشكل او كتبنا الحمزة بصورة حرف حركتها اي بصورة الالف هكذا جَرَأ • الا نلفظها في الصورتين لفظاً

واحداً . إذن لماذا لا نوحّد هذه القواعد الكثيرة ونختصرها بقاعدتين فقط وهما :
أولاً : إذا وقعت الموحدة في ابتداء الكلام نكتب بصورة الالف مطلقاً .
ثانياً : إذا وقعت في غير الابتداء نكتب بصورة حرف حركة ما قبلها إذا كانت
ساكنة . وإذا كانت متحركة نكتب بصورة حرف حركتها .
بهذا التوحيد نكون أزلنا عقبات حجة من أمام الطلاب وكتاب اللغة العربية كافة
فما رأي الاساتذة علماء اللغة والصرف في ذلك ؟

راضى دخيل

مطبوعات حديثة

جمهورية افلاطون

كتاب جليل الفسائفة يقع بنحو ثلاثمائة صفحة من قطع الربع اهدته مجلة المقتطف القراء الى قرائها في منتهى هذا العام (عام ١٩٢٩) وهو مجموعة كتابات فلسفية يونانية لمعلم الملائسة العظيم افلاطون كانت مبعثرة في كتب جمة فجمعها الكتاب الانكليزي في كتاب واحد . ثم نقلها السيد حنا خباز عن الترجمات الانكليزية .

كُتبت فلسفة افلاطون بصورة محاورات صعبة الفهم لان الحكمة فيها ممزوجة بالشعر والفن بالعلم مزجاً بطرب . فتجد فيها الجدم مع المزر ، والوضع مع الاستعارة ، واللب مع الخرافة ، والحقيقة الواقعة مع الأمثال الى غير ذلك من ضروب الذفن والمضادات مما يلقي فيه القاري احياناً ما لا يستطيع الى إدراكه سببلاً فان عقول هذا العصر غير عتول ذلك العصر السحيق الذي كُتبت فيه فلسفة افلاطون .

على ان حكمة افلاطون مع ما فيها من المعميات والمتضادات بقيت واسوف تبقى ابدأ كنزاً من أثن كنوز العالم فسائل الشيوعية والاشتراكية وتحرير النساء وتحديد النسل والعود الى الطبيعة والتعليم الحر وغير ذلك من القضايا الفلسفية التي نخصبها اليوم من مبتكرات عصرنا نجدها جميعاً في محاورات افلاطون فوق ما نجد فيها مما يتعلق بما وراء الطبيعة والآلهيات والنظام الأدبي وفلسفة النفس والسياسة والفن وغير ذلك من المواضيع الحكيمية المهمة .

اننا نشكر للسيد حنا خباز نقل هذا الكتاب القيم الى اللغة العربية ونشير الى محبي الفلسفة بمطالعته بامعان لانه يقوم مقام مكتبة كتب فلسفية برمتها .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي



ها.ايا كتب

أهدى الى مكتبة المجمع الاستاذ الشيخ سعيد بن محمد الشريف الشهير بالزواوي
الجزائري كتابين من مصنفاته .

(١) (كتاب الاسلام الصحيح) « وضعه على قواعد الاسلام الأصلية المتفق عليها
لا يختلف فيها من غير التزام ما لا يلزم مما أحدثه بعض القوم ومن غير اعتماد مذهب
دون مذهب » . وقد أفرغه في قالب السؤال والجواب فقدم مباحث العقائد ثم السيرة
النبوية فأصول الفقه ففروعه فمباحث أخرى مهمة مما لا يحسن بالمسلم ان يجمله كبحث
المذاهب والتقليد والتصوف والولاية والكرامة والمهدي والفرق الاسلامية — كل ذلك
في ١٢٣ صفحة مطبوعة في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٥ .

(٢) الكتاب الثاني عنونه بكلمة (خطب) وقد كثره على بحثين البحث الاول
في ما هي الخطابة ونقسياتها والخطباء المشهورين واخبارهم : والبحث الثاني في ذكر طائفة
من خطبه التي القاها (بحكم الوظيفة) في جامع (سيدي رمضان) بالجزائر .
وال مؤلف معروف في دمشق منذ كان نزيلاً فيها قبيل الحرب العامة . وهو من العلماء
الذين يميلون الى التجديد والاصلاح الديني عن طريق الدين نفسه . ولا ريب ان كتابه
من خير ما يطالع المطالعون الذين يهمهم امر دينهم . وصلاح حال أمتهم . كما يهمهم
امر أنفسهم .

وأهدى اليها الاستاذ الفاضل الدكتور جورج صوايا صاحب جريدة الاصلاح
وهو احد ابنائنا المهاجرين في (بوانس آيرس) الممتازين بحميتهم الوطنية — ديوانه
الذي سماه (همس الشاعر) وقد قال في مقدمته : انه « نظم بعض قصائده إبان ثورات
نفسه تمر بالشواعر فتحدث فيها ارتجافات يحاك من وقائعها كلام مرسل او موزون قد
يسمى شعراً » وضمنه « قصائد كانت الاولى اتلافها انما احتفظ بها لارتباطها
بتذكريات طيبة ضمن برسومها . وحوادث درست لم يُر بأس باستبقاء صداها » .

وقد جرى الشاعر الفاضل في أسلوبه على النمط المصري الذي اشتهر به اخواننا عرب
المهجر وهو أسلوب نرحب به بشرطين : (١) ان يكون مفهوماً وهو شرط لا بد منه .

(٢) ان لا تخالف فيه قواعد اللغة العربية مخالفة فاحشة . وقد أعجبنا من شعر الناظم قطعة تحت عنوان (أم اللغات) قرأها مؤلفاً وضعه باللغة الاسبانية السيد انطون الياس أثبت فيه ان اللغة العربية ام اللغات الحية . والقطعة هي هذه :

(تي - يا أعاجم - أم ال - لفات مجداً وسودد)

(فليس أرحب صدرآ منها واكرم محمد)

(لو عاد للارض عيسى لهام فيها كأحمد)

(وبات فيها بصلي عيسى كأحمد وحّد)

فله دره ما أشرف عاطفته ، وأصدق لمجته . وأكثر من أمثاله في أبناء الوطن

العربي .

وكتاب (تلخيص السيرة المحمدية) على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جمعها الشيخ محمد صالح احمد الخطيب الدمشقي الحنبلي . وهو كتاب صغير الحجم مدرسي الترتيب وقد طبع على نفقة (مدرسة الاميين) في مطبعة (ابن زيدون) بدمشق .

وأهدي اليها ايضاً كتاب (مختصر تاريخ سوريا ولبنان) معرباً عن الافرنسية بقلم احد الآباء اليسوعيين ومطبوعاً في مطبعتهم . وهو كتاب مدرسي مرتب ترتيباً حسناً . فنلفت اليه انظار المعلمين ومديري المدارس .

وكتاب (مختصر تاريخ فرنسا) يتضمن حوادثه منذ عهد الغالبيين القدماء الى هذا اليوم مع لمحة مختصرة عن الحرب العالمية الكبرى . وضعه الاستاذ سليم يوسف خوري رئيس مدرسة صيدا الرسمية طبقاً لبرنامج المعارف العامة وهو كتاب مدرسي ايضاً فنلفت اليه الانظار .

ورواية (مصرع الباغي وخيم) مأساة ادبية ذات ثلاثة فصول وضعها السيد نصرت عبد الكريم سعيد طبعت في (المطبعة المارونية) بحلب . « المغربي »

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
٦٠ الاشكولات والاشقرليط	٣١١ ابراهيم باشا في سورية (كتاب)	
(معنهما في اللغة)	٥١٢ أبطال الاسلام	
٨ اعضاء المجمع العلمي (جدول باسمائهم)	٢٤٨ ابن تومرت (اخباره كتاب)	
١٢ اعضاء المجمع العلمي (الاموات منهم)	١١٨ ابن الجوزي (مؤلف مناقب بغداد)	
١٢٨ = = = (صورهم)	٤٢١، ٤٦١ ابن خلدون	
١٢٩ و ١٩٣ أقدم كتاب في العالم	٦٠١ ابو عمر الزاهد (او غلام ثعلب اللغوي)	
٥٠٨ الألبات (كتاب فيها)	٢٥١ اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء (كتاب)	
٥٥ ألفاظ عربية لمعان زراعية (٦)	٤٤٧ أحاديث المجد والوجد	
١٧٨ ألفاظ لغوية (تحقيقها)	١٧ إحصاء محاضرات المجمع	
٣٩٩ أم تسود وأم تبيد (محاضرة)	٢٤٨ أخبار المهدي بن تومرت (كتاب)	
١٢٢ إنبارة الاغوار والانجاد (كتاب)	٧٠١ الاوران ويبد مر	
٢٥٧، ٣٢٩، ٥٤٥ الاندلس (محاضرة)	٤٠٩ أربد طبريا غير أربد عجلاوت	
٣٢١ الانشاء الخطابي	١٩٠ أردشير و حياة النفوس (او پرا تمثيلية)	
٢٣٢ الاورنغ هوتن او الرباح	٥٠٤ و ٦٩٧ إرشاد الاريب (حول الجزء	
٢٤٤ أوضاع لغوية (التبديل والمواب)	السابع والرابع)	
٢٤٢ أوضاع لغوية (خمس كلمات جديدة	٣٨٢ الاستقصا في دول المغرب الاقصي	
الاستعمال)	(ترجمته للافرنسية)	
٨٠ أم ادواتنا الاقتصادية (٢)	٣٨٢ أشعة خاصة بنور الاسلام	
« حرف الباء »	(كتاب او محاضرة)	
١٢٨ بدر الدين الحامد (ديوانه)		
٧٠٥ بشار بن برد (محاضرة)		

صفحة	صفحة
١٨٩ بلوغ المرام من أدلة الأحكام (كتاب)	٥١١ الجامعة العربية (كتاب)
(حرف التاء)	٢٦٩ و ٣٤١ جبل عامل (صلة العلم بينه وبين دمشق)
١٧٢ تاريخ دمشق لابن عساكر	٩٩ الجزائر (سبب تسميتها)
(نسخة منه في لندن)	٣٨٣ جزيرة رودس (كتاب)
٢٤٥ التاريخ اسري لاحتلال انكلترا مصر	٧٦٦ جمهورية افلاطون =
(كتاب)	«حرف الحاء»
١٨٩ تاريخ فنون الحديث =	٣٦٣ حافظ ابراهيم (حفلة تكريمه)
١٢٧ = امورات السياسية =	١٢٥ الحركات الفكرية في الاسلام (كتاب)
١٢٠ تبدى ايضا (في اشعار العرب)	(تاريخها: كتاب)
١٢٦ التراتيب الادارية والعمالات الخ	٦٥٤ الحروف العربية (كتابة حركاتها)
(كتاب)	٤٣٣ = اللاتينية (استبداهلها بالعربية)
١٨٢ التربية الوطنية =	٢٤٦ الحكم المطلق في القرن العشرين (كتاب)
٢٥٤ تصادم الالوان بين اجناس الانسان	«حرف الخاء»
(كتاب)	١٢١ خطط الشام (تقريظ لجزئه الخامس)
٣٨٥ تصحيح نهاية الأرب (جزؤه السابع)	٣٠٨ خليفة عباسي (اثر له)
٢٤٧ تفسير القرآن الحكيم (كتاب)	«حرف الدال»
٣١٩ تقاريط (مطبوعات مختلفة)	٧٠٤ الدروس العربية للمدارس الثانوية
١ التقرير الخامس باعمال المجمع العلمي	(كتاب)
العربي عن سنة ١٩٢٨	٤٩٠ الديارات (مخطوط)
١٩٠ تقويم البشير (كتاب)	٢٤٧ ديوانان نفيسان (كتاب)
٤٤٨ تنبيه الى سهو	«حرف الدال»
(حرف الجيم)	٦٣٢ ذات الزيتون هي الزيتون او غيرها
٢٠٣ الجاحظ (ترجمته من تاريخ ابن عساكر)	
٥٥٨ = (حول كتابه العبري الاعتبار)	

صفحة	صفحة
٥٧٥ ذيل وذيل الذيل لكتاب الصكوك	١١٧ « حرف الضاد »
الحقوقية (كتاب)	١١٧ الضاد والطاء (لفظها)
٣٨١ ذو القرنين (بالعربية والاسبانية)	« حرف الطاء »
« حرف الراء »	٣١١ طرابلس الشام (تراجم علمائها : كتاب)
٢٣٢ الرياح (هو الاورنغ هوتن)	« حرف العين »
٧٠٣ الرحلة العلمية في العواصم الشرقية	٥١٣ و ٥٧٧ عبد الحميد الكاتب (محاضرة)
والغربية (كتاب)	٤٩٨ عدة الكاتب (كلمات لغوية)
١٨٤ رسائل اخوان الصفا (طبعتها الجديدة)	٦٩٩ العربية (اصلها وتاريخ استعمالها في
١٩٢ رواية الملكين (اوبرا تمثيلية)	اللغة العربية)
« حرف الزاي »	٤٧٢ علوم العربية وآدابها (نظرية في قواعدها)
٩٥ الزماح (تحقيق معناه اللغوي)	٢٤٩ عوائد العرب (كتاب)
« حرف السين »	« حرف الفاء »
٥٦٣ السعادة والاسعاد (مخطوط)	٣١٢ فجر الاسلام (كتاب)
١٨٣ سلطنة المغول (كتاب بالفرنسية)	٥١١ الفراسة للقيوم وجل احكام الفراسة
٧٤٢ سليم البخاري (ترجمة حياته)	للرازي (كتاب)
٥١٢ سورية ولبنان (كتاب بالفرنسية)	٧٥٠ الفرق بين تربيتنا وتربية اهل الغرب
« حرف الصاد »	(محاضرة)
٧٢٣ و ٦٦١ صدر الدين الشيرازي	١٠٩ و ٢٩٢ و ٦٩٤ و ٧٦١ فصيح وشوارد
(ترجمة حياته)	١٤٠ فصحاء الاعراب (محاضرة)
٣٨٤ صلاح الدين الايوبي وعصره (كتاب)	٤٤١ فلسفة اللغة العربية وتطورها (كتاب)
١٠٥ و ٦٨٧ صلاح الدين الصفدي	٢٢٦ فوائد لغوية
(مجموعته او التذكرة الصلاحية)	٧٠٤ فوزي الغزي (كتاب في ترجمة حياته)
٤٤٨ صحيح البخاري (جزء منه)	٧٧٤ فهرست الاعلام
	٧٦٩ الفهرس العام

صفحة	« حرف الميم »
١٢٥	فهرس النهارس (جزء الاول : كتاب)
	« حرف القاف »
٢٤٩	قانون العقوبات (شرحه : كتاب)
٣٨٠	قرآن فرنسا (رسالة بالفرنسية)
٥١٠	القاموس المصري (كتاب)
٢٥٠	القضاء الجنائي
	« حرف الكاف »
١١٩	كتاب مناب بغداد (كلمة فيه)
٢٥١	كثير عزرة (شرح ديوانه)
٢٨٠	الكرم (رسالة فيه)
١٦٩	كرنكو (المستشرق ترجمته بقلمه)
٥٨	الكلمات غير القاموسية (جواب الشيخ
	احمد رضا عليها)
١٠٣	السيد رشيد بقدونس
٤٨٤	سليمان ظاهر
٣٥٥	عيسى اسكندر
	المعلوف
١٧٦	قسطاكي الحمي
٢٨٩	(بحث حولها)
٢٤٨	الكلمات (كتاب)
٢٢٦	كلمات جديدة للاستعمال (فوائد لغوية)
	« حرف اللام »
٢١٨	لا ابالك (اختلاف النحاة في اعرابها)
٥٧٦	الؤلؤ المنصود في دفع نقود (كتاب)
١٢	المتبرعون للمجمع (جدول باسمائهم)
٢٩	المجمع العلمي (آراء الفضلاء فيه)
٢٤٥	المجمل في تاريخ الادب العربي (كتاب
١٧	محاضرات المجمع (جدول بها)
٤٤٣	محمد صلى الله عليه وسلم
	(حياته الشريفة بالفرنسية)
٥٧٤	محمد صلى الله عليه وسلم
	(شخصيته : رسالة بالانكليزية)
٢٥٢	المخطوطات العربية (في الاسكوريال
	فائمة باسمائها : كتاب)
٥٣٢ و ٤٤٩	المدخلات او المداخل (مخطوط)
٣٧٥ و ٣٠٢	مذمر و سماوة (موازنة بينهما)
١٨٣	المدرسة والاجتماع (كتاب معرب)
١٨٨	المرأة في نظر الاسلام
٥٧٤	مرافق سورية وفلسطين
	(كتاب بالفرنسية)
٢٥٥	المسلمون والنصارى (رسالة)
١٢٣	مصر (كلمات في سبيلها)
٣٨١	مصطفى كمال (كتاب بالفرنسية)
٦٥	مطالعات لغوية
٦٢	معجم المطبوعات العربية والمصرية
٣٨	معرض الصنائع الشرقية (في دار المجمع)
١٨٧	المنشآت (طبعتها الجديدة)

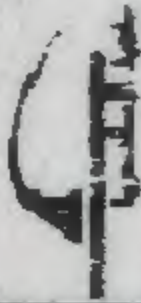
صفحة	صفحة
١٨٩	مفتاح السنة (كتاب)
٧٠٣	مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين (كتاب)
٢٤٠	مكاتب الامتانة (مخطوطاتها)
٦٣٧	مكتبة بلدية الاسكندرية (فهرسها)
٢٤٤	ملاحظات
٢٣٦	منادح المادح (مخطوط)
٦٣٤ و ٤٣٩	مناقب بغداد (لابن الجوزي : كتاب)
٦	الموسيقى العربية (تاريخها بالانكليزية)
١٦٠ و ٤٠	النجوم الدوابت (اسماؤها)
٣٧٨	النجوم الشارقات (حول تسميته)
٦٨١	نزهة العيون في اربعة فنون (مخطوط)
٦٣	النشرة الدورية لدار الكتب المصرية (كتاب)
٣٨٠	نصاري الشرق (كتاب بالفرنسية)
٢٥٠	النقد التحليلي (كتاب)
« حرف الهاء »	
٧٦٢ و ٦٣٨ و ٥٠٦ و ٣١٤	هدايا كتب
٦٢	هدية الكشف المسلم (كتاب)
٧٦٤	الحمزة (كتابتها)
٦١٧	هواء المدن (محاضرة)
« حرف الياء »	
٦٤١	يهود الشام (محاضرة)

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
٣٧٨ و ٤٣٩ و ٥٠٤ راغب الطباخ	٦٦١ و ٧٢٣ ابو عبد الله الزنجاني	
١٠٣ رشيد بقدونس	٤٢١ و ٤٦١ احمد الاسكندري	
« حرف الزاي »	٥٨ احمد رضا	
٢٤٠ زكي مغامر	٤٧٢ ادوارد مرقص	
٦٥٤ زهير الشهابي	١٩٠ و ١٩٢ و ٢٥٢ اسعد الحكيم	
« حرف السين »	٤٠ و ١٦٠ امين المعلوم	
١٠٩ و ٢٩٢ و ٤٩٨ سالم خليل رزق	٦٠ و ٩٥ و ٢٣٢ و ٣٠٤ انستاس الكرملي	
٧٦١ و ٦٩٤	« حرف التاء »	
٧٤٢ سعيد الباني	٤٩٠ توفيق ابيكار يوس	
٢٨٠ سليم الجندي	« حرف الجيم »	
٢٦٩ و ٣٤١ و ٤٨٤ سليمان ضاهر	٦٣٢ و ٦٩٩ جرجس منش	
« حرف الشين »	« حرف الحاء »	
٣٧١ شفيق جبيري	٦٢ و ٦٣ و ٦٣٤ و ٦٣٧ حسني البكسم	
٦٥ و ١٧٨ شكيب ارسلان	« حرف الخاء »	
« حرف العين »	٥٧٤ و ٦٣٥ خليل مردم بك	
١٢١ و ١٨٢ و ١٨٣	٣٧٣ خليل مطران	
٢٥٧ و ٣٢٩ و ٤٤٣	« حرف الدال »	
٤٤٧ و ٥٤٥ و ٥٧٥	١٠٥ داود الجلي	
٦٥٧	« حرف الراء »	
٢٤٢ عباس محمود العقاد	٧٦٤ راضي دخيل	

صفحة	صفحة
١١٩ و ١٢٩ و ٩٣ : عبد العزيز لميني	١١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥٦٣ محمد كرد علي
٤٤٩ و ٥٣٢ و ٦٠١ : الراجكوتي	٥٧٧ و ٧٠٣ و ٧٥٠
٢٥٥ و ٢٦٦ : عبد الله رعد	٦٩٧ مرجليوث
١١٨ و ٢٣٦ : عبد الله مخلص	٦١٧ مرشد خاطر
٧٠١ و ٤٠٩ : عيسى اسكندر المعلوف	١٢٢ و ١١٧ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨
٣٥٥ : « حرف الفاء »	١٨٨ و ١٨٧ و ١٨٤ و ١٨٩ و ١٨٩ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩
٤٣٣ و ٥١٠ : فارس الخوري	٢٥٠ و ٢٥١ و ٣١٢ و ٤٤٨
١٢٠ و ١٦٩ و ٢٠٣ : فرقتس كركو	٢٤٤ مصطفى الزرقعة
٢٨٩ و ٣٧٥ و ٥٥٨ : « حرف القاف »	٥٥٠ و ٨٠٣ و ١٢٣ و ٢٥٤ مصطفى الشهابي
٦٨٧ : فياض (الدكتور)	٥٠٨ و ٥٧٤
١٧٦ : قطاكي الحمصي	١٤٠ و ٢٢٦ و ٢٤٧ و ٣٠٢
« حرف الكاف »	٣٠٦ و ٣١٤ و ٣١٩ و ٣٨٥
٦٨١ و ٢١٨ : كامل الغزي	٤٤١ و ٥٠٦ و ٥٧٦ و ٦٣٨
« حرف الميم »	٦٤١ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٦٧
٩٩ : محمد بن ابي شنب	٤٣٣ المقطم (مقال عنه)
٢٤٥ و ١٩٠ و ٣٨١ و ٢٤٦ : محمد كرد علي	« حرف النون »
٣٨٠ و ٣٦٣ و ٣١١ و ٣٨٤ و ٣٨٣ و ٣٨٢ و ٣٨١	٣٩٩ نقولا حداد
	« حرف الواو »
	٣٠٨ وامق شكري



Bibliotheca Alexandrina



0652782